

3
K

ACET LIB.
10 JUN 1982

LIB.

1982

B.

1982

1982

378.62

K451aA

v. 1-2

محمد بن المنعم خفاجي

الأزهر في ألف عام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الطبعة الأولى بالقاهرة

المطبعة المنيرية بالآزهر

تصـديـر

الأزهر هو النشيد الإسلامى الخالد ، الذى تردده الأجيال ، وتتناقله الألسن من جيل إلى جيل ، على مر العصور . .

والجامع الأزهر هو الدعاة الأولى التى استطاع الفاطميون من ألف سنة أن يحققوا بها أهدافهم الدينية والسياسية ، وأن يهيمنوا بها على الشعوب الإسلامية ؛ ولا يزال المحراب الرابع الذى يقدمه ويحمله المسلمون كافة ، فى مشارق الأرض ومقاربها والجامعة الأزهرية هى أقدم وأعرق الجامعات العلمية فى العالم كله حتى اليوم .
ولاز هذا التاريخ الخالد ، والتراث العظيم ، والمشاركة الجبارة ، للأزهر الشريف ، فى الحياة المصرية والإسلامية عامة . . لى الدافع الأكبر لنا على إخراج هذا التاريخ الحافل للأزهر ، فى ذكرى بنائه الألفية .

ولأنه لمن دواعى الفخر للأزهر الشريف أن ينظر إليه المسلمون كافة خلال العشرة القرون الماضية ، نظرة مملوءة بالأكبار والأجلال ، وأن يعتبروه كهبتهم الثانية التى استبدت بشرف المحافظة على التراث الإسلامى المجيد .
وفى هذه الدراسة تأريخ لحياة هذه الجامعة العريقة ، من شتى جوانبها الروحية والعقلية والعلمية والتاريخية . . والله ولى التوفيق ، وواهب السداد ، وما توفيق إلا بالله ..

المؤلف

المقدمة

الأزهر في مقدمة الجامعات العلمية التي سارت مع التاريخ أجيالا طويلا ، فهو أطولها عمرا ، وأجلها أثرا في تاريخ الفكر العربي والاسلامي ، وإن ألف سنة أو تزيد ، قضاهم الأزهر الجامعي ، وشاهد أحداثها الضخمة ، واشترك فيها في هذه الأحداث مؤثرا وموجها وبانيا ، لتاريخ يعنى في الطول ، لا يمكن استيعاب حياة جامعة علمية لم تدون أخبارها فيه ، إلا بمسقة وعسر وجهد وإرهاق شديد . . ولم تعمّر في الشرق جامعات علمية غير الأزهر في القاهرة ، والزيتونة في تونس . . ولكن الأزهر ينفرد بضمخة ما أحدث من آثار في تاريخ العرب والمسلمين ، من شتى النواحي الروحية والثقافية والفكرية والسياسية والقومية والاجتماعية ، بل والاقتصادية كذلك والأزهر - طول عصور التاريخ - حارس التراث العربي ، ومجدد الثقافة الاسلامية ، والمشعل الذي يضيء ولا يخبو ، والملاذ الذي تهوى إليه أفئدة المسلمين من كل مكان ، والضوء ينير لهم الطريق ، ويبصرهم سواء السبيل . . والأزهر اليوم يتدثر برداء هذا المجد الخالد ، وذلك التاريخ القديم المجيد ، وإن كان قد أصبح وبئس الأثر والتأثير في حياة الناس ، في المادية المظلمة التي يعيش فيها عصرنا الحاضر ، وسار وراء المتنافسين في ميدان التجديد والابتكار واليقظة الفكرية ، وقيدته أغلال ثقيلة من الركود وفقدان الحيوية ، وأسأمت إلى سمعته بين الناس التيارات السياسية التي كانت تدخل في العصور السابقة إلى أروقه ومحاريبه ومعاهده ، هدامة ، قاطعة ما بين الأزهر والناس من أسباب ، واستغلال بعض الناس له ، حفاظا على منصب ، أو تملقا لذى سلطان .

ولكن الأزهر - مع ما انتابه في بعض الأحيان من الحيرة والتردد - يسير اليوم منطلقا إلى غاياته وأهدافه ومثله ، يتطلع في نظرة الواثق إلى المستقبل ، ويحتقر هؤلاء المترددين والحائرين والمعوقين ، وتنظر مثدته السماء في سخرية وإشفاق واحتقار ، إلى الذين يحاولون أن يبنوا وأن يهدموا ، فلا يستطيعون هدماء ولا بناء .

والأزهر اليوم يأبى النوم والحياة حوله صاخبة مضطربة متحركة ، وهو يكره اللهو وقد خلقه الله وخلق الحياة للعمل والمجد والحياة والنشاط .

وإذا كانت أول خطوة انهم الانسان لنفسه ورسالته في الحياة هي أن يعرف تاريخه ، ويمى ماضيه ، ويدرس ما يتصل به من مقومات وخصائص وتراث ، فإن هذا الكتاب لما يساعد على هذه الدراسة وتلك المعرفة وهذا الوعي ؛ التي هي العنصر الأول في البعث واليقظة والاحياء . . . وإني لا أقدمه إلى القارىء ، معترزا بأنى أقدم له ثمرة مجهود شاق ، وبتوفيق الله الذى لا ينسانى ، وما توفيق إلا بالله . . .

المؤلف

الباب الأول

الأزهر خلال التاريخ

الفصل الأول

مصر الإسلامية قبل إنشاء الأزهر

فتحت مصر في عهد عمر بن الخطاب عام ١٨ هـ على يد عمرو بن العاص ، وبنى بها مسجده الجامع المعروف اليوم باسم « جامع عمرو بن العاص » ، عام ٢١ هـ (١) ، واختط الجيزة في هذه السنة أيضا ، كما اختط مدينة القسطنطينية حول مسجده الجامع ، واتخذها عاصمة مصر ، وحفر خليج أمير المؤمنين الموصل للنيل بالبحر الأحمر (٢) ووفد كثير من القبائل العربية على مصر زرافات ووحدانا ، وأقاموا بها ، وذاعت اللغة العربية بين أهلها ، بسبب اتصال العرب بأهل مصر واختلاطهم بهم . وقد استقر بمصر كثير من الصحابة (٣) ومشاهير التابعين (٤) وأتباع التابعين (٥) ، ونشأت بها طبقة من المجتهدين كالليث بن سعد المتوفى (٦) عام ١٧٥ هـ ، وهاجر إليها الامام الشافعي (٧) المتوفى عام ٢٠٤ هـ ، وخلفه البويطي المصري المتوفى عام ٢٣١ هـ (٨) .

-
- (١) ١٣٣ ج ٢ حسن المحاضرة .
 - (٢) راجع الجزء الأول من حسن المحاضرة للسيوطي .
 - (٣) راجع ٧٢ ج ١ حسن المحاضرة وما بعدها .
 - (٤) ١٠٥ د د د د د
 - (٥) ١١٢ د د د د د
 - (٦) ١٢٠ د د د د د
 - (٧) ١٢١ د د د د د
 - (٨) ١٢٣ د د د د د

وقد نمت الحركة العلمية في الفسطاط ، وكثرت الحلقات في مسجد عمرو الذي كان مركزا علميا لنشر الدين الاسلامي وتعاليمه السمحة . . وكبرت هذه الحركة العلمية واتسعت ، ونمت وازدهرت ، وأم هذا المسجد الجامع كثير من العلماء الاعلام ، والائمة المجتهدين ، ممن أفادوا العالم الاسلامي ، وأدوا له خدمة صادقة في ميادين الدين والثريفة ، واللغة والعلوم . . وأشهر هؤلاء : عبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن لهيعة ، ثم الليث بن سعد . . وقد كان للإمام محمد بن إدريس الشافعي بمسجد عمرو زاوية يدرس فيها مذهبه ، ويدون آراءه ، وعلى يديه تخرج كثير من العلماء الفضلاء الذين دونوا مذهبه ، ونشروا علمه : كالربيع بن سليمان ، والمازني ، والبويطي ، وغيرهم . . وكان أبو تمام يسقي الماء في جامع عمرو ، وفيه كانت دراسته الأولى وقد انتشر المذهب الشافعي في مصر على يد الشافعي وتلاميذه ، ومن قبل كانت السيادة للمذهب المالكي ، الذي كان أول من أدخله إلى مصر عثمان بن الحكم الجذامي (١) المتوفى عام ١٦٣ هـ . كما كان أول محاولة لنشر المذهب الحنفي فيها على يد القاضي إسماعيل بن سميع الكندي (٢) ، الذي ولاه العباسيون قضاء مصر عام ١٦٤ هـ ، فعمل على نشر مذهب أبي حنيفة فيها ، وكرهه المصريون من أجل ذلك كرها شديدا ويذكر السيوطي في كتابه حسن المحاضرة كثيرا ممن كانوا بمصر من حفاظ الحديث ونقاد (٣) ، ومن المحدثين الذين لم يباخوا درجة للحفظ (٤) ، كما يذكر من كان بها من الفقهاء الشافعية (٥) والمالكية (٦) والحنفية (٧) . . أما الحنابلة فكانوا قليلين فيها ، ولم يسمع السيوطي كما يقول بخبرهم إلا في القرن السابع وما بعده (٨) . . كما يذكر من كان بها من أئمة القراءات (٩) ، ومن الصلحاء والزهاد والصوفية (١٠) وأئمة

(١) ١٩٠ هـ حسن المحاضرة . (٢) ١٩٦ هـ المرجع

(٣) ١٤٥ هـ د د وما بعدها .

(٤) ١٥٥ هـ د د د

(٥) ١٦٧ هـ د د د

(٦) ١٩٠ هـ د د د

(٧) ١٩٧ هـ د د د

(٨) ٢٠٥ هـ د د د

(٩) ٢٠٧ هـ د د د

(١٠) ٢١٨ هـ د د د

النحو واللغة (١)، وأرباب المعقولات وعلوم الأوائل والحكام والأطباء والمنجمين (٢)، وقد ظل التدريس في الجامع العتيق عامر الحلقات مدة طويلة .
خضعت مصر - أول ما خضعت للحكم الاسلامي - للخلفاء الراشدين ، ثم لدولة بني أمية ، ثم لدولة بني العباس ، وكان يختار لها ولالة يثق بهم الخلفاء .

واستقل بمصر أحمد بن طولون وكان قد ولي الحكم فيها سنة ٢٥٣ هـ ، ثم أضيفت إليه نيابة الشام والعواصم والثغور وإفريقية ، فأقام بها مدة طويلة ، وبني جامعته المشهور ، وكان ميلاده في بغداد عام ٢١٤ هـ ، وكان أبوه طولون من الأتراك الذين أهداهم نوح الساماني عامل بخارى إلى المأمون . واستمر ابن طولون أميرا على مصر حتى مات بها عام ٢٧٠ هـ (٣) ، وولى بعده ابنه أبو الجيش خمارويه ، وظل أميراً على مصر حتى قتل عام ٢٨٢ هـ ، وولى بعده ابنه « جيش » ، فأقام تسعة أشهر قتل بعدها ، وخلفه أخوه هارون بن خمارويه الذي ظل أميراً على مصر حتى قتل عام ٢٩٢ هـ ، وولى عمه أبو المغانم شيبان ، فورد من قبل المكتفي بعد اثني عشر يوماً من ولايته محمد بن سليمان الوائلي الذي سلم إليه شيبان الأمر ، واستصفي أموال آل طولون ، وانقضت الدولة الطولونية ، واحت أيامها من تاريخ مصر السياسي .

كان من البدهي أن تكون عاصمة الملك في أيام الدولة الطولونية هي مدينة أحمد ابن طولون ، وأصبح مسجده المشهور محط الرحال ، ومجلس العلماء ، ومستقراً للحلقات العلمية الكثيرة التي تدرس فيها علوم الدين واللغة والأدب . . وظهر في مصر وفي حلقات مسجد أحمد بن طولون كثير من العلماء والأئمة والأدباء والشعراء ومع ذلك فقد ظل « مسجد عمرو » يؤدي رسالته بجانب المسجد الطولوني الكبير ، بل ظل إلى أمد قريب يعج بالحلقات والعلماء ، حتى ليرى أنه كان فيه قبل عام ٧٤٩ هـ بضع وأربعون حلقة ، لاقرأ العلم لا تكاد تبرح منه (٤) .

أسس جامع ابن طولون (٤) عام ٢٦٣ هـ ، في مدينة أحمد بن طولون التي سماها « القطائع » ، وفرغ من بنائه عام ٢٦٦ هـ . وصلى فيه القاضي بكار إماماً وخطب

(١) ٢٢٨ ج ١ حسن المحاضرة وما بعدها .

(٢) ٢٣٢ » » »

(٣) راجع ٩ و ١٠ ج ٢ حسن المحاضرة .

(٤) ١٣٦ ج ٢ حسن المحاضرة طبعة القاهرة ١٣٢٧ .

فيه بويعقوب البلخي ، وأمل في الحديث الربيع بن سليمان تلميذ الامام الشافعي (١) ، وظلت الحلقات العلمية فيه إلى أمد بعيد ، فكانت فيه دروس للتفسير والحديث والفقه على المذاهب الأربعة والقراءات والطب والميقات (٢) . . وكان أعمر ما يكون في دولة بني طولون .

وفي عام ٣٢١ هـ ولي على مصر من قبل خلفاء بني العباس محمد بن طنج الاخشيدى الذى أقام الدولة الاخشيدية في مصر والشام ، ومات في ذى الحجة عام ٣٣٤ هـ ، وخلفه ابنه أبو القاسم أنوجور وكان صغيرا ، فأقيم أستاذه كافور الاخشيدى وصيا عليه ، وحكم المملكة باسمه ، ومات أنوجور عام ٣٤٩ هـ ، فقام أخوه على مقامه حتى مات عام ٣٥٥ هـ ، فاستقرت المملكة باسم كافور ودعى له على المنابر في مصر والشام ، ومات عام ٣٥٧ هـ ، فولى المصريون بعده أبا الفوارس أحمد بن على بن الاخشيد ، فأقام شهورا حتى فتح الفاطميون مصر ، وانزعها جوهر الصقلي منه عام ٣٥٨ هـ .
وفي عهد الدولة الاخشيدية ظل المسجد العتيق ومسجد أحمد بن طولون يؤديان

رسالتهما العلمية

كانت الحلقات العلمية في هذين المسجدين حافلة بالعلماء والمتعلمين ، وكانت تعقد حلقات خاصة في منازل أكابر العلماء والفقهاء ، حيث كانوا يجتمعون بتلامذتهم ، يقرأون ويدرسون بعض شروح الفقه الاسلامي ، وبعض كتب العبادات والتصوف واللغة والأدب ، ومن ذلك حلقة بيت عبد الله بن الحكم الفقيه المالكي وولديه عبد الرحمن ومحمد ، وكانوا من أنبغ الفقهاء المحدثين حتى أوائل القرن الثالث ... وهذه الأسرة هي التي أكرمت وفادة الامام الشافعي في مصر . . وفي القرن الرابع كان العلماء في المسجد العتيق والمسجد الطولوني عديدين ، وكان من أشهرهم : أبو القاسم ابن قديد ، وتلميذه الكندي صاحب الكتاب المشهور في تاريخ ولاية مصر وقضائها وأبو القاسم بن طباطبا الحسنى الشاعر . . وكانت مجالس الدراسة والحلقات الأدبية الخاصة من تقاليد الحياة المصرية العالية ، وشجع الاخشيدى وخلفاؤه العلوم والآداب ودراسة الشريعة ، وكانت حلقة المثني الذي وفد إلى مصر عام ٣٤٦ هـ — ٩٥٧ هـ من أحفل مجالس الأدب والشعر والنقد .

ولقد كانت السيدة نفيسة بنت سيدى حسن الأنور تعتكف بمسجد عمرو .

الفصل الثانى

مصر فى ظلال الدولة الفاطمية

تمهيد :

إن شيعه على كرم الله وجهه بعد قتل على ظلت تتوارث الدعوة إلى خلافة آل البيت ، لاعادة الملك والخلافة للعلويين ، وزعم الكثير منهم أن الخلافة لم تصح ولن تصح لغير أهل البيت من أولاد على . . ولما عجز العلويون عن الاستحواذ على السلطة من طريق السياسة والقوة ، لقتل من خرج من أئمتهم ، التمسوها من طريق الدين ، فقالوا : إن الله لا يترك خلقه بدون إمام حق ، واعتقدوا أن ذلك الامام هو المهدي المنتظر ، الذى يبيد المعتصبين ، ويحيى مجد بيت رسول الله .

بدء الدعوة للفاطمية :

فى عام ٥٢٨٠ هـ - ٨٩٣ م ذهب أحد دعاة الشيعة ، واسمه « أبو عبد الله الشيعى ، إلى بلاد البربر بشمال إفريقيا ، داعيا لعبيد الله بن محمد من نسل جعفر الصادق ، فنجح فى دعوته . وطرده الأمير الأغلبى الحاكم لتلك البلاد التابع للدولة العباسية ، وذلك عام ٥٢٩٦ هـ - ٩٠٨ م ، وأعلن أن الخليفة الحقيقى المسلمون ورئيس دينهم المنتظر هو إمامه « عبيد الله » الملقب بالمهدي ، من نسل السيدة فاطمة بنت رسول الله ، ولذلك سميت سلالة بالفاطميين .

قيام الدولة الفاطمية :

حضر عبيد الله إلى بلاد المغرب ، وظل ملسكا عليها مدة كبيرة (٢٩٧ - ٥٣٢٢ هـ : ٩١٠ - ٩٣٤ م) ، كان الأمر فيها كله بيده ، وأخضع قبائل العرب ، والبربر ، ودان له الحاكم المسلم الوالى على جزيرة صقلية ، وجاهد فى سبيل نشر الدين ومحاربة البدع فى تلك البلاد ، وكان من أكبر أمانيه فتح مصر ، فأرسل لغزوها ثلاثة جيوش : اثنين منها بقيادة ابنه « أبى القاسم » ، خال دون نجاحه عدة أمور ، منها مجاعة فى المغرب حدثت عام ٣١٦ هـ ، ووباء فشا فى أحد هذه الجيوش ، وفشكت عدواه بأهل المغرب . . وشغل عبد الله بالأمور الداخلية باقى حياته . وفى عام ٥٣٢٢ هـ - ٩٣٤ م خلفه ابنه الأكبر « القائم بأمر الله أبو القاسم محمد » ،

فبذل غاية همته في توسيع نطاق ملكه ، وأرسل أسطولا أغار على شواطئ إيطاليا وفرنسا والأندلس ، وأرسل جيشا إلى مصر هزمه الاخشيد ، ووطد ملكه في شمال إفريقيا .

وخلفه المنصور إسماعيل ، سنة ٥٣٣٣ هـ - ٩٤٥ م ، فسار في الملك سيرة أبيه نحو سبع سنوات .

ولما مات خلفه ابنه « المعز لدين الله أبو تميم معد » سنة ٥٣٤١ هـ - ٩٥٣ م ، فكانت أيامه مبدأ عصر جديد في تاريخ الفاطميين ، وكان مثقفا ثقافة عالية ، سياسيا داهية ، ووطد ملكه في بلاد المغرب ، فدانت له جميع رؤساء القبائل المغربية ، وخضعت له مراکش بأكملها حتى شواطئ المحيط الأطلسي . ثم صرف همه لفتح مصر ، فحفر الآبار ، وبني أماكن للاستراحة في الطريق الموصل إليها ، وكانت مصر وقتئذ في اضطراب لحقها عقب وفاة كافور ، ولم يكن في وسع خلافة بغداد مساعدتها لاستغلالها بصدد غارات القرامطة ، وكان دعاة المعز ينشرون دعوتهم في أنحاء كثيرة من القطر المصري . . . ووكّل المعز قيادة الجيش الفاتح إلى أكبر قواده ، وهو جوهر الصقلي الرومي الأصل ، وكان تحت إمرته مائة ألف مقاتل مزودين بالآلات الحربية ، وبالمال الكثير .

جوهـر الصـقلـى فـاتـح مـصر :

ولد جوهر بجزيرة صقلية نحو عام ٣٠٠ هـ ، ومع أنه رومي الأصل إلا أنه نشأ في صقلية نشأة إسلامية خالصة ، فقد دخل الاسلام جزيرة صقلية سنة ٢١٢ هـ ، ويرجع المؤرخون ان أباه كان مسلما (١) .

واتصل جوهر ببلاد المعز ، ويبدو أنه كان في حاشيته العسكرية ، وقد قربته الخليفة الفاطمي ، لما توسمه فيه من الاخلاص للدين ، ولما وهبه الفذة وثقافته الواسعة ، وظل يتدرج في سلك المناصب في دولة المعز ، حتى اتخذ المعز كاتباً له عام ٣٤١ هـ - ٩٥٣ م ، وهي السنة التي ولي المعز فيها الخلافة ، ثم رقاها إلى منصب الوزارة سنة ٣٤٧ هـ ، وولاه قيادة جيش كثيف لتوسيع ملك المعز في شمال إفريقيا ، وقد انتصر جوهر ، وتوغل في فتوحه حتى وصل إلى شاطئ المحيط الأطلسي .

ولما فكر المعز في فتح مصر أسند لجوهر قيادة الجيش الفاتح ، ولما رحل

جوهري من القيروان إلى مصر في يوم السبت ١٤ ربيع الثاني عام ٣٥٨ هـ - فبراير ٩٦٩ م، خرج الخليفة لتوديعه بنفسه، وقال : والله لو خرج جوهري وحده لفتح مصر وليدخلن إلى مصر بالأردية من غير حرب ، ولينزلن في خرابات ابن طولون ، ويبني مدينة تقهر الدنيا ، وانشد ابن هانيء الاندلسي المعز قصيدته :

رأيت بعيني فوق ما كنت أسمع وقد راعني يوم من الحشر أروع
غداة كأن الأفق سد بمثله فعاد غروب الشمس من حيث تطلع
فلم ادر إذ ودعت كيف أودع ولم ادر إذ شيعت كيف أشيع
ألا إن هذا حشد من لم يذق له غرار الكرى جفن ولا بات يجمع
إذا حل في أرض بناها مدائننا وإن سار من أرض غدت وهي بلقع
تحل بيوت المال حيث محله وجم العطايا والرواق المرفع
وكبرت الفرسان لله إذ بدا وظل السلاح المنتضى يتقعقع
وعب عباب الموكب الفخم حوله ورق كما رق الصباح الملمع
رحلت إلى الفسطاط أول رحلة بأيمن فال بالذي انت تجمع
فإن يك في مصر ظاء لمورد فقد جاءهم نيل سوى النيل يهرع

ووصل جوهري إلى برقة ، ومنها سار حتى دخل الاسكندرية في رجب ٣٥٨ هـ ، ثم استمر في سيره فدخل مصر وقت الزوال من يوم الثلاثاء ١٧ شعبان عام ٣٥٨ هـ بناء على صلح عقد بين المصريين والفاطميين ، وجاء في وثيقة الصلح الرسمية (١) : انه يتعهد بـ " نشر العدل ، وبسط الحق ، وحسم الظلم ، وقطع العدوان ، ونفي الأذى ورفع الحزن ، والقيام في الحق ، وإعانة المظلوم ، مع الشفقة والاحسان ، وجميل النظر وكرم الصحبة ، ولطف العشرة واقتداد الأحوال ، وحياطة أهل البلد في ليلهم ونهارهم الخ ، .

واتصل نبأ الفتح بالمعز فسر سرورا عظيما ، ونظم ابن هانيء أمامه قصيدته :

تقول بنو العباس : هل فتحت مصر ؟ فقل لبني العباس : قد قضى الأمر -
وأخذ جوهري يعمل على بث الدعوة للمعز الفاطمي في مصر خاصة ولأهل بيته من العلويين عامة ، واختط مدينة القاهرة المعزية ، وبنى الازهر الشريف ، وصار جامع عمرو وجامع ابن طولون والجامع الازهر مراكز للدعاية لعقائد العلويين

الفاطميين ودعوتهم ، كما كانت الدعوة لهذا المذهب تزداد على يدي داعي الدعوة ومن كان يعاونه من الدعوة ١٢.

خطب للمعز في جامع عمرو في التاسع عشر من شعبان سنة ٣٥٨ هـ - ٩٦٩ م ، وكان ذكر المعز في خطبة الجمعة بدل اسم الخليفة العباسي حادثا خطيرا في تاريخ مصر ، وفي يوم الجمعة ١٨ من ذي القعدة سنة ٣٥٨ هـ دعا الخطيب لآل البيت وزاد في الخطبة : « اللهم صل على محمد المصطفى ، وعلى علي المرتضى ، وعلى فاطمة البتول ، وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، اللهم صل على الأئمة الراشدين آباء امير المؤمنين الهادين المهديين ، ... » وفي يوم الجمعة ٨ جمادى الاولى ٣٥٩ هـ صلى جوهر بجامع ابن طولون وأذن المؤذنون : « حي على خير العمل ، ... أما الجامع الأزهر فقد كان أهم مركز للدعوة الفاطمية .

ولانفسى ان نذكر أن جوهر ا قد وضع أساس المدينة الجديدة « القاهرة المعزية » في الليلة التي دخل فيها مدينة الفسطاط ، أى في ١٧ شعبان ٣٥٨ هـ - ١٧ يوليو ٩٦٩ م وأقام فيها قصر الخليفة المعز ، وضع أساسه في اليوم التالي .. وتشمل القاهرة المعزية على مارواه المقريزي احياء : الجامع الأزهر والجمالية والحسينية وباب الشعرية والموسكى والغورية وباب الخلق ، وقد أحيطت القاهرة بسور كبير من اللبن ، وكانت بولاق هى ميناء القاهرة ، وقد أصبحت بولاق بعد ذلك بمدة كبيرة مدينة تجارية منذ سنة ٧١٣ هـ ، عند ما امر الملك الناصر بعمارها وبنى بها الدور على شاطئ النيل فسكنها الناس وعمرها . وقد جعل جوهر للقاهرة أربعة أبواب هى بابا زويلة وباب النصر وباب الفتوح

وبعد ذلك رحل المعز من مدينته المنصورية (١) ، ودخل القاهرة في ٧ رمضان سنة ٣٦٢ هـ - نصف يونيو ٩٧٣ م ، وظل ملكا على مصر حتى توفي عام ٣٦٥ هـ ، وتوفي بعده جوهر بمدة كبيرة ، وذلك عام ٣٨١ هـ (١/٢٠ ابن خلكان)

(١) راجع الحديث عنها في كتاب « المواعظ والأعتبار » بذكر الخطط والآثار ، للمقريزي ٣٦٦ ج ١ . وهذا الاسم أطلقه اسماعيل بن المنصور ثالث الخلفاء الفاطميين على مدينة « صبرة » ، وتتصل بالقيروان وقد بناها المنصور الفاطمى في سنة ٣٣٧ هـ واستوطنها وسماها المنصورية (ص ٢٥ البكرى) .

المعز الملك الفاطمي :

هو الخليفة الفاطمي الرابع ، ينتسب إلى رسول الله عن طريق ابنته فاطمة الزهراء وإلى علي بن أبي طالب ابن عجم الرسول .

ولد بمدينة المهدية قرب القيروان ، وهي عاصمة الفاطميين ، وذلك في ١١ رمضان سنة ٣١٧ هـ ، وأمه أم ولد . ورعى تربية عالمية ، وكان ولي عهد أبيه المنصور ، وولى الخلافة عام ٣٤١ هـ . . وفي عام ٣٤٨ فتح جيوشه بقيادة جوهر مصر خرج المعز من المنصورة دار ملكه يوم الاثنين ٢١ شوال عام ٣٦١ هـ : ٥ أغسطس عام ٩٧٢ . . ودخل الاسكندرية يوم السبت ٢٣ شعبان ٣٦٢ هـ : ٢٩ مايو ٩٧٣ م . وقد دخل القاهرة عام ٣٦٢ هـ - ٩٧٣ م ، وتوفي في ١٤ ربيع الثاني ٣٦٥ هـ - ٢٠ ديسمبر ٩٧٥ م ، بعد أن وسع دولته ، وصبغها بصبغة عالمية من الحضارة والرقى والنهضة ، وكانت القاهرة بعد إنشائها عاصمة ملكه الضخم .

كان نقش خاتم المعز يحمل شعار دولته وهو « لتوحيد الإله الصمد دعا الإمام معد ، لتوحيد الإله العظيم دعا الإمام أبو تميم » .

وقد وضع على كل مصلحة من مصالح الحكومة موظفين : أحدهما مصري والآخر مغربي . . وكان عهده على قصره من أزهى عصور مصر وأزهرها ، وزادت فيه ثروة البلاد زيادة كبيرة . وكانت القاهرة إذ ذاك تسمى « المدينة » ، وكانت في الحقيقة عبارة عن قصرين عظيمين ولو احقهما : بهما من السكان ٣٠٠٠٠ نسمة ، وكان بين القصرين ميدان عظيم يكفي لاستعراض ١٠٠٠٠ جندي ، وكان ثروة الأسرة المالكة زمن المعز وبعده فوق ما يتصور ، فإن إحدى بناته ماتت وتركت وراءها ما يعادل ٢٠٠٠٠٠ ديناراً ، وأخرى تركت خمسة أكياس من الزمرد ومقادير كثيرة من الأحجار الكريمة الأخرى علاوة على ٣٠٠٠ لانا فضي مطعم .

وقد بذل « المعز » غاية وسعه في استجلاب محبة الناس واحترامهم له ، بعذله ، وحسن إدارته والتفاته إلى جميع دقائق شؤونهم . فكان يرأس بنفسه حفلة قطع الخليج ، وزاد من محبتهم له إرساله كسوة فاخرة للسكينة كل عام . ومنع جنده من البقاء في المدينة بعد الغروب ، اجتناباً بالمعاشاة أن يحدث من الهياج ، وألغى نظام جباية الخراج بواسطة الملتزمين ، للخسارة التي كانت تلحق البلاد من وراء أرباحهم الباهظة ، وبذلك زاد الخراج بدون أن يضر بمصلحة المزارعين .

وكان للمعز عدة أبناء ، ومن بناته رشيدة بنت المعز ، وعبدية بنت المعز (١) .

وقد خلف المعز ابنه العزيز بالله أبو منصور نزار (١) ٣٦٥ - ٣٨٦ هـ : ٩٧٥ م ، وكان يعقوب بن كلس أكبر وزرائه .
وبعده تولى حكم مصر الحاكم بأمر الله أبو علي منصور ٢٨٦ - ٤١١ هـ : ٩٩٦ م ، وقدمات مقتولا .
وخلفه ابنه الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن علي ٤١١ - ٤٢٧ هـ : ١٠٢١ م .
١٠٣٦ م .
وتولى بعده ابنه المستنصر بالله أبو تميم معد ٤٢٧ - ٤٨٧ هـ : ١٠٣٦ - ١٠٩٤ م .
وظل الفاطميون يتوارثون حكم مصر (٢) ، حتى انتهى ملكهم منها عام ٥٦٧ هـ .

الفصل الثالث

تأسيس الأزهر وبدء حياته الجامعية

الأزهر بيت العلم العتيق ، ومثابة الثقافة الإسلامية ، حمل لواء المعرفة في مصر وفي الشرق الإسلامي قروناً متصلة ، وحفظ التراث الإسلامي ديناً ولغة من عادات الزمن ، ونشره على الآفاق ، ولم ييخل به على أي طالب علم قصده من مشارق الأرض أو مغاربها . وقد ظل الأزهر طوال ألف سنة - وما يزال حتى اليوم - كعبة العلم والدين ، ومعقد آمال المسلمين ، وقد تخرج فيه أفواج وأفواج من جملة العلماء انتشروا في بقاع الأرض ، وحملوا معهم مشاعل المعرفة والثقافة التي تزودوا بها في الأزهر ، فأضاءوا جنبات الأرض علماً ونوراً وتقى .

أُنشأ الجامع الأزهر جوهر الصقلي قائد الخليفة الفاطمي « المعز لدين الله » ، وشرع في بنائه يوم السبت لست بقين من شهر جمادى الأول (٣) سنة ٣٥٩ هـ (٩٧٠ م) ، وكل بناءؤه لسبع خلون من شهر رمضان سنة ٣٦١ هـ ٢٢ يونيو ٩٧٢ م ، وكان الغرض من إنشائه أن يكون رمزاً للسيادة الروحية للدولة الفاطمية ، ومنبراً

(١) ولد في المهديّة عام ٣٤٤ هـ .

(٢) وهم : المستعلي بالله (٤٨٧ - ٤٩٥ هـ) ، والامر بأحكام الله المنصور (٤٩٥ - ٥٢٤ هـ) ، ثم الامر بأحكام الله عبد المجيد (٥٢٤ - ٥٤٤ هـ) ، ثم الظاهر (٥٤٤ - ٥٤٩ هـ) ، ثم الفائز (٥٤٩ - ٥٥٥ هـ) ، ثم العاضد (٥٥٥ - ٥٦٦ هـ) (٣) يذكر بعض المؤرخين أنه شرع في بنائه في يوم السبت الرابع من شهر رمضان عام ٣٥٩ هـ (٢٧٣ ج ٢ المقرئى ، ٣٦٤ ج ٣ القلقشندي) .

للدعوة التي حملتها هذه الدولة الجديدة إلى مصر . وقد كتب بدائرة القبة التي في الرواق الاول وهي على يمين المحراب والمنبر مانصبه بعد البسملة : بما أمر ببنائه عبد الله ووليه أبو تميم معمد الامام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الأكرمين ، على يد عبده جوهر الكاتب الصقلي ، وذلك في سنة ستين وثلاثمائة ،

وقد أطلق على هذا المسجد اسم الأزهر ، نسبة إلى فاطمة الزهراء التي ينسب إليها الفاطميون ، أو لأنه كان يحيط به قصور خفمة ، تسمى بالقصور الزهراء ، أو لأنه يظن أن هذا الجامع أكثر الجوامع نخامة ورواء ، أو للتفاؤل بأنه سيكون أعظم المساجد ضياء ونورا .

وضع يوم السبت ٢٤ جمادى الاولى سنة ٣٥٩ هـ الحجر الاساسي له ، وظل العمال والمهندسون يعملون في بنائه عامين تقريبا حتى جاءت أول جمعة رمضان سنة ٣٦١ هـ ، فجمعت فيه ، باحتفال رسمي هائل ، تجلت فيه أبهة الملك وسؤدده وعظمته ، التي اشهر بها الفاطميون أكثر من سواهم . والمقرئ يصف لنا هذا الاحتفال وصفا شائفا يفيض روعة وجلالا .

وبعد أن استقر سلطان المعز ، وتم بناء المعقل الذي أقامه للدعوة ، أفرع جهده في إحكام دولته وتنظيمها ، ووفق في ذلك أكثر توفيق ، وقطع المعز الفاطمي كل علاقة بينه وبين الخليفة العباسي ، وقضى على كل صلة روحية له في مصر ، فقصر التدريس في الأزهر على المذهب الفاطمي في الفقه ، وتعاليم الفقه ، وتعاليم الشيعة في الدين والفلسفة والتوحيد ، واستجلب لهذه الدراسة أكابر العلماء وفطاحل الفقهاء في عصره ، وكان عددهم ثلاثين عالما ، أجزل لهم العطاء وبني لهم منازل خفمة ألحقت بالأزهر فيما بعد ، وصارت من أروقته ، وشرعوا يدرسون ويتفقهون في مذاهب الفاطميين وتعاليمهم ويهدمون بذلك المذاهب الأخرى التي كانت شائعة في بغداد مقر الخلافة وسائر البلاد الاسلامية ، وكانت هذه النخبة الممتازة من الاساتذة وعلى رأسها كبير العلماء أبو يعقوب قاضي الخندق ، سببا من الاسباب التي جعلت الأزهر يصبح قبلة كل طالب من أقاصي الارض يعد أن ذاع صيته في الآفاق ، وذكر المقرئ أن أول مدارس في الأزهر الفقه الفاطمي على مذهب الشيعة ، فانه في صفر سنة ٣٦٥ هـ جلس قاضي مصر أبو الحسن علي بن النعمان بن محمد بن حيون ، وأمل مختصر أبيه في الفقه على أهل البيت ، ويعرف هذا المختصر بالاختصار ، وكان جمعا عظيما أثبت فيه

أسماء الحاضرين .. فكان الأزهري على ذلك ظل معطلا منذ افتتاحه أربع سنوات من التدريس حتى جاء صفر سنة ٥٣٦هـ وافتتحت الدراسة فيه باجتماع عظيم حضره كثيرون ، ووقدوا أسماءهم .

واستوزر (المعز) وابنه (العزيز) من بعده الوزير يعقوب بن كلس ، وهو يهودى الاصل ثم أسلم ، ولعل الخليفة تخيره لما اشتهر عن اليهود من الخلق في الدعاية وإتقانها ، وقد نشط الوزير فألف كتابا في الفقه ، يتضمن ماسمعه من الخليفة المعز وابنه من بعده . وهذا الكتاب محبوب على أبواب الفقه الفاطمي ، وكان يقرؤه على الناس ، وكان يجلس بنفسه يوم الجمعة يقرأ على الناس في مجلس خاص به مصنفاته كما كان يجتمع يوم الثلاثاء بالفقهاء وجماعة المتكلمين وأهل الجدل .

قام المعز بتأسيس الأزهري إذن ، واستوزر ابن كلس وعمل على استجلاب أكابر العلماء ، وأوعز اليهم تدريس الفقه الفاطمي ، ولم تقتصر هذه الدعوة في اتجاههم على هذه الناحية فقط ، بل هناك ناحية سرية كان يقوم بها (داعي الدعاة) وأعوانه ، من قبل الحكومة ، ليثبتوا تعاليم الشيعة ومبادئهم ودعوتهم من طريق السر والخفاء أحيانا ومن الجهر والعلانية في غالب الأحيان . وكان لهذا الداعي مجلس يفرد في الأزهري للنساء ، وهذه الدعوة كما يقول المقرئ وضعوا فيها الكتب الكثيرة ، وصارت علما من العلوم المدونة ، ثم اضمحلت وذهبت بنهاب أهلها .

سلك الفاطميون في دعوتهم طريق الجهر ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، وسلكوا الخفاء والتستر إذا أعوزتهم الحاجة ، وكانوا يدرسون الفقه الفاطمي علانية لأنه الوسيلة المناسبة التي يستطيعون بها الدخول على سائر الشعب المصري ، الذي كانت تهيم عليه السنة ومذاهبها سيما المذهب الشافعي منها ، ولأن حاجة الناس إلى الفقه ماسة ، ينظمون به شئونهم ويحددون به أحوالهم الشخصية وما يتبعها من حقوق وواجبات ، سيما وأن هذا الفقه في قضاياه ليس بعيد الخلاف مع السنة ، بعد تعاليم الشيعة وفلسفتها مع مبادئ التوحيد الاسلامي . وكان يقوم بكل هذا العلماء المعينون وأتباعهم وكانوا يمنحون مرتبات شهرية ، وجعلوا ذلك بابا من أبواب الدعوة .. وكان القائم بهذه الدعوة هو داعي الدعاة ، وهو من كبار الموظفين ، وكان يل قاضي القضاة في المرتبة ويتزى بزيه ، وكانت وظيفة قاضي القضاة وداعي الدعاة تسندان في كثير من الأحيان إلى رجل واحد ، وقد خصص لداعي الدعاة قسم كبير من قصر الخلفاء الفاطميين ، (٢ - الأزهري)

وكان يساعده في نشر تعاليم الفاطمية اثنا عشر نقيباً ، كما كان له نواب ينوبون عنه في البلاد بلغ عددهم مائة وواحداً وخمسين ، وكان فقهاء الدولة البارزون في الشريعة الإسلامية تحت نفوذه وله مكان خاص بالقصر هو (دار العلم) ، فكانوا يتصلون به ويتلقون عنه الأوامر ويقدمون إليه في يوم الاثنين ويوم الخميس ما أعدوه للمحاضرة في أصول المذهب الفاطمي ، وكانت المحاضرات تعرض قبل إلقائها على الخليفة فيقرأها ويذيلها بإمضائه ثم تبلغ إليهم عن طريق (داعي الدعاة) وهو الذي يعرضها بنفسه على الخليفة . وكان الداعي فوق هذا يعقد المجالس ويقرأ على الناس من مصنفاته ، وكان يجلس على كرسي الدعوة في الأيوان الكبير فيحاضر الناس ، ويعقد للنساء مجلساً خاصاً بالأزهر ، وفيه يلقيهن أصول مذهب الاسماعيلية أو الفاطمية .

ولم يكن ذلك كل ما قام به الفاطميون في نشر مذهبهم ، فكانت هناك مجالس تعرض على الناس كل على حسب طبقة . فكان لاهل البيت مجلس ، وللخاصة مجلس . وشيوخ الدولة مجلس ، وللعامة والطارئين مجلس ، والوافدين من البلاد الاجنبية مجلس وكان عند ما يفرغ داعي الدعاة من إلقاء محاضراته على المؤمنين والمؤمنات أقبلوا عليه فقبلوا يديه فيمسح على رؤوسهم بالجزء الذي عليه إمضاء الخليفة ، وكان من اختصاص (داعي الدعاة) جمع النجوى وتدوين اسم من يدفع إليه أكثر من المال المقرر ، والنجوى نوع من الصدقة مقدارها ثلاثة دراهم وثلاث درهم ، أما السادة الاسماعيلية فكان الواحد منهم يدفع ثلاثة وثلاثين ديناراً وثلاث ديناراً ويمتازون عن عامة الناس فيعطى الواحد منهم رقعة مذيلة بإمضاء الخليفة وفيها هذه العبارة (بارك الله فيك وفي مالك ولدك ودينك) .. وقد لاقت الدعوة الفاطمية السياسية والدينية نجاحاً عظيماً في خلافة الحاكم بأمر الله ، فقد بذل هذا الخليفة مجهوداً كبيراً في نشرها حتى أرغم الناس عليها لقوانينه الجائرة وانضموا إليها مكرهين .

وأهم الكتب التي تبحث في هذه التعاليم كما يقول الأستاذ أحمد توفيق عياد كتاب « أسرار الباطنية للباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣ هـ » و « الملل والنحل » للشهرستاني و « رسائل إخوان الصفا » : ويجب أن يشار إلى وثيقة هامة في هذا الموضوع وهي المخطوط الموجود بدار الكتب بالقاهرة وعنوانها (رسائل الحاكم بأمر الله والقائمين بأمر دعوته) . كما أنه يوجد مخطوط آخر في أربعة مجلدات بالمكتبة الأهلية بباريس عنوانه (المشاهد والأسرار التوحيدية لمولانا الحاكم) .

ومنها يتبين أن الدعوة قد بنيت على آراء فلسفية مصدرها عقائد الباطنية والمعتزلة ،

والفلسفة وهى أساس الشريعة عند الفاطميين قد حلت فى عهد الحاكم فى محل القرآن والسنة ، ومنها يتضح كيف بلغت هذه الدعوة وعملت فى عقول الأهلالى حتى تجاسر الحاكم أن يدعى الألوهية وأن الله قد تجسم فى شخصه . وهذه الدعوة تلخص لنا تعاليمهم ، والأصل فيها أنهم أخذوا مذهب الأفلاطونية الحديثة وطبقوه على مذهبهم الشيعى تطبيقاً غريباً ، واستخدموا ما نقله إخوان الصفا فى رسائلهم من هذا المذهب الأفلاطونى .

ودعوتهم مرتبة على منازل ، دعوة بعد دعوة ، حتى تبلغ هذه الدعوات تسماً يبدأ الداعى أولاً باستدراج المدعو بعد أن يكون قد وقف على هذه التعاليم ومبلغ إيمانه بدينته ، ويستتويه إلى حالته العقلية ، ويشرع يشككه فى أفسكاره بأسئلة إنكارية : مامعنى العدو بين الصفا والمروة ؟ ولم كانت الحائض تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة وما بال الله قد خلق الدنيا فى ستة أيام ؟ أعجز عن خلقها فى ساعة واحدة ؟ وماعنى الصراط المضروب فى القرآن مثلاً والكاتبين الحافظين ؟ أخاف أن نكابره ونجاحده حتى أدلى العيون وأقام علينا الشهود وقيد ذلك فى القرطاس بالسكتابة ؟ .

وهكذا يستمر يلقى الأسئلة سرعاً وينفث سموم الريب فى النفس ، ثم يعقب على هذه الأسئلة بأسئلة الغرض منها استواء المدعو إلى حظيرة الفلسفة والهرطقة التى كانوا يقولون بها : أين أرواحكم ؟ وكيف صورها وأين مستقرها ، وما أول أمرها ؟ والانسان ماهو ؟ وما حقيقةته ؟ وما الفرق بين حياته وحياة البهائم ؟ وما معنى قول الفلاسفة : الانسان عالم صغير والعالم لإنسان كبير ؟ وأمثالها حتى إذا علم الداعى أن نفس المدعو قد تعلقت بمأسأله عنه وطلب منه الجواب عنها ، قال له حينئذ : لاتعجل فإن دين الله أعلا وأجل من أن يبذل لغير أهله ، ثم بعد حديث وإغواء يأخذ عليه عهداً ألا يفشى سراً ، ولا يظاهر أحدا عليهم ، ولا يطلب لهم غيلة ، ولا يكسبهم نصحاً ، ولا يوالى عدوا لهم ، فإذا أعطى العهد طلب منه جعلاً من المال يجمله مقدمة أمام كشفه له الأمور وتعريفه إياها .

وينتقل إلى الدعوة الثانية ومرماها لإثبات ضرورة وجوب الامام الذى ينصبه الله للناس ، وإلى تقرير أن الاثمة السبعة آخرهم محمد بن إسماعيل بن جعفر ، وهو صاحب ذلك الزمان ، وعنده علم المستورات وبواطن المعلومات التى لا يمكن أن توجد عند أحد غيره ، وعلى جميع الكافة اتباعه والخضوع له والانقياد إليه والتسليم له ، لأن الهداية فى موافقته واتباعه والضلال والخيرة فى العدول عنه . . ثم ينتقل إلى

تغليل اعتقادهم في الاثمة والنقباء الاثني عشر .

وهنا يكون الداعى قد تمكن من نفس المدعو فيعمل على تعمير منطقته العقلى ويدعوه إلى النظر فى كلام أفلاطون وأرسطو وفيثاغورس ، وينهاه عن قبول الاخبار والاحتجاج بالسمعيات .

ثم ينتقل إلى إثبات معجزة النبى الصادق والوخى على طريقة تعاليمهم الشيعية . وقد ظلت الدعوة قائمة إلى هذه المبادئ ، وكان من زعمائها فى القرن الخامس الهجرى « الحسن بن محمد للصبح » .

وهذه التعاليم تظهر بجلاء فى رسائل إخوان الصفا ، وتوهم أن الروح التى أمانتها روح عالية تتسع آفاقها لاستيعاب حيز كبير من حقائق هذا الوجود ، وأن العقلية التى أخرجتها عقلية حرة جريئة . والواقع ربما خالف هذا فإن الفاطميين وإن كان يشم من كلامهم الدعوة إلى وحدة الوجود ، والنظر إلى هذا العالم بعين الحكمة والاعتبار والفلسف ، إلا أنهم أفسدوا هذه النظرة السامية بحجرهم على العقول فى الاعتقاد بأثمتهم ، وأفسدوا كل شىء حينما حاولوا أن يستغلوا ما فى هذه التعاليم من طرافة وطلاوة لمصالحتهم الخاصة ، بمحاولة تطبيقها على ما يتبغى أهواؤهم السياسية ، وأنهم حاولوا فرض شىء كثير من الاستبداد على عقول الناس ومشاعرهم لحد يكاد يبلغ الجود ، وآية ذلك ظاهرة فى الفقه فى هذا العصر ، وتوقف التفكير فيه عند حد التقليد وعجزه عن الابتكار والرأى والقياس . وآية ذلك ظاهرة فى بعض شعراء هذا العصر الذين أفسدت عليهم شاعريتهم حتى صاروا يؤلهون الحاكم ويعتقدون أن الله قد يتجسم فى شخص الاثمة والخلفاء : من ذلك ما قاله ابن هانئ الاندلسى فى المعز :

ما شئت لاما شامت الاقدار فاحكم فانت الواحد القهار
وكأنا أنت النبى محمد وكأنا أنصارك الانصار
وهو الذى تجدى شفاعته غدا حقا وتحمد إذ تراه النار

لأنهم استمدوا تعاليمهم من الافلاطونية الحديثة وأخذوا ما نقله إخوان الصفا عنها وعن الفلسفة اليونانية فأفسدوها حينما أرادوا تطبيقها على الناس ، يبتغون من وراء ذلك تشكيل عقائدهم بأسلوب يضمن لهم السلطان والامامة . ومثل هذا الأسلوب فى التفكير والاعتقاد أقرب إلى أن يكون فارسيا منه إلى أى شىء آخر ، وقد كان للشيعا أكبر عضد فى فارس ، ولعل المذهب تأثر كثيرا بعقلية الفرس الواقعية واعتقادهم فى الحلول وتأليه الاكاسرة . ومثل هذا الأسلوب أبعد ما يكون عن النفسية المصرية

فقد صعب تمثيله وهضمه فنبذته ولو أنها أكرهت عليه مدة طويلة .

ولا يمكننا أن نقدر مقدار النجاح في شيوخ المذهب الاسماعيلي بمصر وقدر الذين انتحلوه من خاصة الائمة ، إلا أننا نعلم أن أثره في العامة كان قليلا جدا لما يروى من أخبار نفورهم من مظاهر الاسماعيلية ومن عقائدهم ، ويظهر أن بيئة الفقهاء لم تتقبله ، ووسموه بميسم الكفر والاحاد ، فنفر الجمهور منه ، وزاد نفرة السرية التي كانت تحيط بالدعوة ، فزاد ذلك في تأييد اعتقادهم أنه خارج عن الدين توارثوه عن أئمتهم وعن علماءهم .

١. وهذه العبودية التي فرضها الفاطميون على العلماء بنشر تعاليمهم وحدها وتأيد مذهبهم الفاطمي في الفقه ومحاجتهم الناس ، أثرت أثرا بليغا في تطور التشريع الاسلامي ، فقد سار التشريع في هذا العهد في دور التقليد وعدم الاجتهاد . فإن الجؤ ، لا يساعد العلماء على الابتكار والتجديد .

ولكن نلاحظ من ناحية أخرى أن نشاطهم في بث الدعوة أدى إلى خلق هذا النوع الجديد من العلوم الذي أطلق عليها " أدب البحث " وألفت في قواعدها الكتب ، وكثرت مجالات النظر وشاعت المناظرات والمجادلات شيوعا .

وبقي مذهب الشيعة منتشرا في مصر قضاء وفي الأزهر دراسة ، إلى أن انقرضت دولة الفاطميين .

و عادت لمصر حينئذ السنة المحمدية ، وأول مذهب سنى درس بالأزهر المذهب الشافعي وانقرض من ذلك الحين المذهب الشيعي ، ولم يقله من أثر بالأزهر سوى الجبرية ، تعطى لمن هو متمذهب بهذا المذهب ، وهذه الجبرية كانت تصرف لأصحابها الوقت قريب هذا وتعاليم الشيعة الآن معمول بها في فارس وبمصر متحف خاص (بابائية) التي تعمل على حد هذه التعاليم ، ويقرر الأستاذ (بيرم) في رسالة وضعها عن الأزهر وقدمها لمؤتمر المستشرقين المنعقد بمدينة (هامبورج) في أوائل سبتمبر سنة ١٩٠٢ أن العلوم الرياضية كانت تدرس بالأزهر ، كالعلوم الفلكية والطبيعية والجغرافية ، ولكنه استند في تقريره هذا إلى أنه استنتج ذلك من عناية الفاطميين بهذه العلوم وعنايتهم بالكتب وجمعها واستبعاد ألا تكون هذه العلوم قد درست بالأزهر والأزهر كان متأثرا في حياته بكثير من العوامل السياسية التي ظهرت وقتذاك . وإن ما كان يدرس فيه في عهد الفاطميين هو التعاليم الشيعية الاسماعيلية والدعوة إليها ، والمذهب الفاطمي في الفقه .. وكان لهذه التعاليم أثر واضح في الحياة الخلقية في ذلك العصر ، وقد عدد آفات الغزالي

وآفات عقلية أوقفت التشريع الاسلامي عند حد التقليد وعدم الاجتهاد ، وأصبح التشريع الاسلامي في هذا العصر هو المرحلة الأخيرة لتطوره . ولم يكن للعقول في ذلك الوقت سبيل إلى الاجتهاد والقياس ، واحتاجوا إلى تنظير المسائل في الالحاق وتفريقها عند الاشتباه بعد الاستناد إلى الأصول المقررة وصار ذلك كله يحتاج إلى ملكة راسخة يقتدر بها على هذا النوع من التنظير والتفرقة .

ومن هذا كله نعلم أن الأزهر اتخذ أول ما أنشئ مسجدا لعبادة الله والدعاية للفاطميين ودولتهم ، ثم عقدت في جنباته حلقات الدروس العامة ، فكان الأستاذة من فقهاء الشيعة يجلسون لالقاء دروسهم على كل من يحضرها في الفقه واللغة والأدب والمنطق والطبيعات والرياضيات ١

وأول كتاب قرئ في الأزهر على ما ذكرناه هو « الاقتصار » في فقه آل البيت لأبي حنيفة النعمان بن أبي عبد الله بن محمد القيرواني قاضي المعز لدين الله ، وكان مالكي المذهب ثم انتحل المذهب الاسماعيلي فأخلص له ، وكان من دعائم الدعوة الفاطمية . وكتابه « الدعائم » من أصول المذهب الاسماعيلي ، ونهج على منهاجه الوزير يعقوب ابن كلس في كتابه « مصنف الوزير » ، وله كتاب اسمه « مختصر الآثار فيما روى عن الأئمة الأطهار (١) » ، ومن كتبه أيضا : « الينبوع » ، « المجالس والمسائرات » . وتوفي النعمان هذا في شهر جمادى الآخرة عام ٣٦٣ هـ ، وصلى عليه المعز لدين الله وكان يتولى دراسة كتاب « الاقتصار » في الأزهر ابن النعمان واسمه أبو الحسن علي بن النعمان (٢) . . وكتبه الأخرى كان بعضها يقرأ في الأزهر ، والبعض الآخر

(١) منه نسخة خطية في الفاتيكان رقم ٥ - ١١٠٤ .

(٢) كان علي شيعيا غالبا ، وشاعرا مجودا (٨٤ ج ٣ شذرات الذهب) وتوفي أبو الحسن هذا عام ٣٧٤ هـ - فولى القضاء بعده أخوه أبو عبد الله محمد وتوفي عام ٣٨٩ هـ (٥٥ ج ٤ ابن خلدون) .

ولأبي الحسن علي بن النعمان شعر في اليتيمة (٣٨٤ و ٣٨٥ ج ١) . . وكذلك لأخيه القاضي أبي عبد الله محمد بن النعمان شعر (٣٨٥ و ٣٨٦ ج ١ اليتيمة) . وكان أبو الحسن علي بن النعمان أول من لقب بقاضي القضاة في مصر (٩١ ج ٢ حسن المحاضرة) .

وكان علي بن النعمان محل عطف وثقة العزيز بالله ثاني خلفاء دولة هذا المذهب بمصر ، إلى أن قلد القضاء بالديار المصرية ، والشام ، والحرمين ، والمغرب ، وجميع

يقرأ في حلقات خاصة للذين يريدون التخصص في فقه الشيعة والدعوة الفاطمية .
١ وظل الجامع الأزهر مثابة لحلقات الدروس يلقيها بنو النعمان حتى سنة ٣٦٩ هـ ،
إذ بدأت حلقات الأزهر تتحول إلى دراسة جامعية منظمة مستقرة ، فقد بدأ يعقوب
ابن كلس (١) وزير المعز لدين الله يقرأ بانتظام فيه كتابه المعروف بالرسالة الوزيرية
في الفقه الشيعي ، وكان يجلس بنفسه لقراءته في الناس خاصتهم وعامتهم ، ويهرع
لسمعه سائر الفقهاء والقضاة والادباء وأكابر القصر ورجال الدولة والدعوة ،

ملكته ، والخطابة والامامة ، ودار الضرب . وقرىء مرسوم توليته هذه الأشياء
بالجامع الأزهر وبجامع عمرو ، وكان أمرهما إليه . وكان من عادة الدولة وقتئذ أن
من يقلد هذه الوظيفة يخلع عليه الخلع المذهبية ، ويقلد السيف ، ويتم له ذلك بلا طبل
ولابوق ، إلا إذا ولى أمر الدعوة مع الحكم ، فلقد كان للدعوة في خلعهما الطبل ، والابوق
والبنود ، ولا تزال الطبول والبنود موجودة بمصر حتى الساعة عند أرباب الطرق
الصوفية ، وهي بقية أو أثر من آثار هذه الدولة بمصر .

وكانت رتبة قاضي القضاة وقتئذ أجل رتب أرباب العهائم بمصر . ويكون في
بعض الاوقات داعيا فيقال له حينئذ : قاضي القضاة وداعي الدعاة . وكانت العادة
ألا يحضر لاملاك ولا جنازة إلا بإذن . وكان داعي الدعاة يلي قاضي القضاة في الرتبة
ويتزيا بزيه في اللباس وغيره .

(١) كان يعقوب يهوديا ، ولد في بغداد ، وجاء إلى مصر سنة ٣٣٤ هـ ، واتصل
بكافور ، وأسلم في شعبان ٣٥٦ هـ ، ثم سار إلى بلاد المغرب واتصل بالمعز وكان
رائدا لجيشه في فتح مصر ، وحضر مع المعز إلى مصر عام ٣٦٢ هـ ، ولما توفي رئاه
مائة شاعر (٣٩١ - ٣٩٧ هـ ٣ ابن خلكان) .

ويروى أنه تسابق العزيز بالله الفاطمي مع وزيره يعقوب بن كلس بالحمام ،
فسبق حمام الوزير ، فعز ذلك على العزيز ، ووجد أعداء يعقوب إلى الطعن فيه سيلا
فقالوا للعزيز : إنه قد اختار من كل صنف أجوده وأعلاه ، ولم يبق منه إلا أدناه
حتى الحمام ، وراهوا بذلك أن يغروه به حسداً منهم لعله يتغير عليه ، فاتصل ذلك
بالوزير فكسب إلى العزيز :

قل لأمير المؤمنين الذي له العلا والمثل الثاقب

طائر ك السابق لسكنه جاء وفي خدمته حاجب

فأعجبه ذلك منه ، وسكن غضبه .

وكانت تمتاز حلقات ابن كلس بتحررها من القيود الرسمية ، واتجاهها نحو الأهداف العملية ، وبذلك كانت أول مجالس جامعية عقدت بالجامع الأزهر .

— وفي عام ٣٧٨ هـ - ٩٨٨ استأذن ابن كلس الخليفة العزيز بالله في أن يعين بالأزهر جماعة من الفقهاء للقراءة والدرس يحضرون مجلسه ويلازمونه ويعقدون مجالسهم بالأزهر في كل جمعة من بعد الصلاة حتى العصر ، وكان عددهم سبعة وثلاثين فقيها ، وكان رئيسهم ومنظم حلقاتهم هو الفقيه أبو يعقوب قاضي الخندق ، وقد رتب لهم العزيز أرزاقا وجرايات شهرية وأنشأ لهم دارا للسكنى بجوار الأزهر ، وخلع عليهم في يوم الفطر ، وأجرى عليهم ابن كلس أيضا رزقا من ماله الخاص (١) .

وفي عام ٣٨٠ هـ رتب المتصدون لقراءة العلم بالأزهر ، وبذلك صار الأزهر معهدا جامعيًا للعلم والتعليم والدراسة ، وكان هؤلاء الأساتذة الذي رتبهم ابن كلس للقراءة والدرس بالأزهر وأقرهم العزيز بالله أول الأساتذة المدرسين الذين عينوا بالجامع الأزهر الشريف ، ومن هذا التاريخ يبدأ الأزهر حياته الجامعية العملية الصحيحة . . وفي الحق أن هذا يدل على أن ابن كلس كان وزيرا عظيما وعالما جليلا وأديبا كبيرا .

وكان يعقد بداره مجالس علمية وأدبية دورية ينتظم في سلكها أكابر الفقهاء والأدباء والشعراء (٢) ، وكان يشرف بنفسه على هذه المجالس ، ويشترك في أعمالها ، ويغدق العطاء على روادها . وقد أخذ ابن كلس بقسط حسن في التأليف والكتابة فوضع كتابا في القراءات ، وكتابا في الفقه ، وكتابا في آداب رسول الله ، وكتابا في علم الأبدان والصحة ، ومختصرا في فقه الشيعة مما سمعه من المعز لدين الله . وهو المعروف بالرسالة الوزيرية . وكان يقرأ كتبه على الناس تارة بالجامع الأزهر وتارة بداره ، ويجتمع لديه الكتاب والنحاة والشعراء فينظرونهم ويصلحونهم ، وكانت مواعيد دائمة منصوبة معدة للوافدين ، وكان كثير الصلوات والإحسان ، وبالجملة فقد كان هذا الوزير والعالم الأديب مفخرة في جبين عصره ، وقد أشاد شعراء العصر بجلاله وجوده ، ومن ذلك ما قاله أحدهم حين أصابت الوزير علة في يده :

يد الوزير هي الدنيا فإن أملت رأيت في كل شيء ذلك إلا لما
تأمل الملك وانظر فرط علته من أجله واسأل القراطس والقلبا

(١) صبح الأعشى عن المسبحى ٣٦٧ ج ٣ ، وخطط المقرئى ص ٤٩ ج ٤

(٢) ٤٧ تاريخ الأزهر لعنان .

ومرض ابن كلس في شوال سنة ٣٨٠ هـ ، فجزع عليه العزيز أيما جزع ، ولبت
يعوده ويرعاه ، حتى توفي في الخامس من ذى الحجة ، فحن عليه حزناً شديداً ،
وأمر بتجهيزه تجهيز الأمراء والملوك ، وخرج من القصر إلى داره في موكب صامت
محزن ، وشهد تجهيزه وصلى عليه بنفسه ، ووقف حتى تم دفنه وهو يبكي بدمع غزير
واحتجب في داره ثلاثاً لا يأتى كل على مائدته ، والحزن يشمل الخاصة والقصر كله ،
وأفاض الشعراء في رثاء الوزير الراحل ومدحه ، فوصلهم العزيز جميعاً ، وعلى الجملة
فقد سما ابن كلس في ظل الدولة الفاطمية إلى أرفع مكانة لا. ومهما كان فإن تلك الخطوة
الأولى في ترتيب الأساندة والدروس بالأزهر بطريقة منظمة مستقرة ، كان لها أثر
كبير في تطور الغاية التي علقها الخلافة الفاطمية باديء ذي بدء على إنشاء الجامع
الأزهر ، فقد كانت هذه الغاية كما رأينا أن يكون المسجد الجامع الجديد رمز الخلافة
الجديدة ومنبرا لدعوتها (١) .

ابتدأ الأزهر حياته العلمية المنظمة بخمسة وثلاثين طالباً . ولم يشجع هؤلاء
بما رأينا فحسب ، بل كان هناك لون آخر من ألوان التشجيع ، فيحدثنا المقرئ أن
العزيز بالله « خلع عليهم في يوم عيد فطر وحملهم على بغلات » . ولم يكن الأزهر
في ذلك العهد مقصوراً على الرجال فحسب ، بل كان للمرأة فيه نصيب فكان يفردن
فيه بمجالس خاص (٢) .

وهكذا آلت تلك الحركة العلمية الميمونة إلى الأزهر ، وازدهرت فيه وترعرعت
حتى تخرج فيه أئمة فضلاء ، وشيوخ أجلاء ، خدموا الإسلام والمسلمين بالتأليف
تارة ، وبالتدريس أخرى ، حتى أصبح مفاخرة العالم الاسلامي عامة ، ومصر خاصة .
ولقد عاجلت هذه الجامعة الكبرى علوم الدين ، فيسرت سبلها ، وأكثرت كتبها
واهتمت بشئون اللغة العربية ، فهذبت طرقها ، وأصلحت شأنها ، وبقيت على مدى
الآجيال والقرون قائمة بعملها ، مضطربة بمهمتها ، حتى نبه ذكرها وذاع صيتها ، وأما
الطلاب من كل فج ، ليغترفوا من منهلها ، ويستضيئوا بنورها ، وانحدر إليها العلماء
من كل صوب ، ليسهموا في النفع بها ، ونشر آثارها ، فازدهرت فيها أنواع العلوم

(١) راجع في هذا البحث وما يتعلق به : خطط المقرئ (الطبعة الأهلية)
ج ٤ ص ٤٩ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ج ٣ ص ٧ - ١٠ ، وابن خلسكان ج ٢ ص ٤٤١ :
والإشارة إلى من نال الوزارة لابن الصيرفي ص ٢٣ .

(٢) خطط المقرئ ج ٢ ص ٢٢٦ .

والفنون ، وأمدت العالم الاسلامى بما هو فى حاجة إليه .

ولقد كان الأزهر الشريف منذ نشأته موضع عناية الخلفاء الفاطميين : يتعهدونه بالعناية والرعاية ، ويفدقون على من به من العلماء والطلبة العطايا والهدايا ، ويذهبون إليه بأنفسهم للصلاة والوقوف على حاله ، بما كان له الأثر البالغ فى حفزهم الشيوخ والطلبة إلى التفرغ للعلم .

الفصل الرابع

الأزهر فى ظلال الفاطميين

تمهيد :

بما تقدم نعلم أن الأزهر بديء فى بنائه فى ٢٤ جمادى الأولى عام ٣٥٩ هـ - إبريل ٩٧٠ م ، وافتتح للصلاة فى يوم الجمعة ٧ رمضان ٣٦١ هـ : ٩٧٢ م ، وبدأ نظام الحلقات العلمية فيه من عام ٣٦٥ هـ : ٩٧٦ هـ ، وصار جامعة إسلامية كبيرة من عام ٣٧٨ هـ : ٩٨٨ م .

وإن الفضل فى ذلك يرجع إلى المعز وقائده جوهر ، ثم إلى أسرة القاضى النعمان الشيعى ، ثم إلى الوزير يعقوب بن كلس .

وكان المسجد منذ نشأته يسمى جامع القاهرة باسم العاصمة الجديدة ، وقد تكون تسميته بالجامع الأزهر قد تأخرت قليلا عن التسمية الأولى ، ويرجع عنان (١) أن اسم الجامع الأزهر ، أطلق عليه بعد إنشاء القصور الفاطمية فى عصر العزيز بالله ، فقد كان يطلق عليها اسم القصور الزاهرة ، ومنها أطلق على جامع القاهرة وهو مسجد الدولة الرسمى اسم الجامع الأزهر ، واستمر مسجد القاهرة الجامع يعرف باسم جامع القاهرة (٢) أو الجامع الأزهر ، حتى عصر المقرئى فى أوائل القرن التاسع ، ثم تقلص الاسم القديم - جامع القاهرة - شيئا فشيئا وغلب عليه اسم الجامع الأزهر ، أو جامع الأزهر حتى عصرنا .

ولا بد أن يكون الأزهر قد أسهم فى الحركة العقلية والعلمية فى عصر المعز

(١) ٢٠ تاريخ الجامع الأزهر لعنان .

(٢) ورد فى أخبار العزيز بالله أنه أقام طعاما فى جامع القاهرة - وهو الأزهر الشريف - لمن يحضر فى رجب وشعبان ورمضان .

والعزيز بالله ، وأن يكون أعلام الدين واللغة والأدب قد اتخذوا منه حلقة علمية منظمة .

فلقد جاء قوم من علماء المغاربة في ركب المعز ، ومن أشهرهم النعمان بن محمد الذي تولى القضاء في مصر هو وأولاده وأسرتهم عهدا طويلا في ظلال الحكم الفاطمي ، وكانت هذه الأسرة تقوم بالقضاء والدعوة والتأليف في المذهب الشيعي ، وتتخذ من الأزهر مكانا مختارا لنشاطها العلمي ، وكذلك ابن كلس الذي أشرف على تنظيم الأزهر تنظيمًا جامعيًا علميًا عاليًا .

ومن أشهر العلماء الذين شهدوا عصر المعز والعزير : ابن زولاق المصري المؤرخ (١) (٣٠٦ - ٣٨٧ هـ) ، وعبد الغني المصري (٣٣٢ - ٤٠٩ هـ) وكان حافظ مصر في عصره (٢) ، والحسن بن الهيثم المصري الفيلسوف (٣) واشتهر بعد عصر العزيز وتوفي عام ٤٣٠ هـ ، وابن يونس المصري المنجم المتوفى عام ٣٩٩ هـ (٤) والخوفي النحوي المتوفى عام ٤٣٠ هـ (٥) . . ولا شك أن هؤلاء العلماء وغيرهم قد كانت لهم حلقات في الأزهر .

ومن الأدباء والشعراء في هذا العهد أبو الرقعمق المتوفى عام ٣٩٩ هـ الشاعر (٦) وابن وكيع الشاعر المتوفى عام ٣٩٣ هـ (٧) ، والتهامي الشاعر المتوفى عام ٤١٦ هـ (٨) والمسبحي المصري الكاتب (٣٦٦ - ٤٢٠ هـ) (٩) ، وأبو القاسم (١٠) عبد الغفار شاعر دولة العزيز والحاكم وقتله الحاكم عام ٣٩٥ هـ . . ولا شك أن هؤلاء الأدباء والشعراء كانوا يحفلون بإلقاء ثمرات قرائحهم على تلاميذهم في حلقات الأزهر العلمية الحافلة (١١)

-
- (١) ٢٣٨ ج ١ ابن خلكان ، ٢٢٥ - ٢٣٠ ج ٧ معجم الأدباء . . وله كتاب في سيرة المعز وآخر في سيرة العزيز . (٢) ٥٤٧ ج ١ ابن خلكان .
 (٣) ١١٤ و ١١٥ أخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي .
 (٤) ٨٥ و ٨٦ ج ٢ ابن خلكان . (٥) ٦ ج ٢ المرجع نفسه .
 (٦) ٧٠ و ٧١ ج ١ المرجع نفسه ، ٣١٠ - ٢٣٤ ج ١ اليتيمة .
 (٧) ٢٤٣ و ٢٤٤ ج ١ د د د ٣٨٤ - ٣٥٦ ج ١ د
 (٨) ٥٣ - ٥٥ ج ٢ د د (٩) ٣٤٢ - ٣٤٣ ج ٢ المرجع نفسه .
 (١٠) ٣٩٦ ج ٣ المرجع نفسه .
 (١١) ويروى أن النساء كن يحضرن في الجامع الأزهر (٢٢٦ ج ٢ الخطاط للبقريني)

الآزهر فى عصر الحاكم :

وفى عصر الحاكم (١) استمر الأزهر يؤدى مهمته العلمية ، وإن كان الأزهر فوجى . بإقامة الخليفة جامعة جديدة سماها ، دار الحكمة ، أو دار العلم الشهيرة فى سنة ٣٩٥ هـ - ١٠٠٥ م .

ولكن الأزهر كان يومئذ بفعل الظروف والتطورات التى أشرنا إليها قد بدأ حياته الجامعية ، ومع أن دار الحكمة لبثت مدى حين تنافس الأزهر وتستأثر دونه بالدراسة المتصلة المنظمة ، فإنها لم تلبث لصرامة نظمها وإغراق برامجها فى الشؤون المذهبية ، أن اضطربت أحوالها وضعف نفوذها العلمى ، هذا بينما كان الأزهر يسير فى سبيل حياته الجامعية الوليدة بخطى بطيئة ولكن محققة ، ويسير فى نفس الوقت إلى التحرر من أغلال تلك الصبغة المذهبية العميقة التى كادت فى البداية أن تقضى على صبغته الجامعية الصحيحة : ١

وقد وقف الحاكم وفاقية على الأزهر ودار الحكمة وغيرهما من المساجد ، وجامع الحاكم ، وجامع المقس ، وجامع راشدة ، لإقامة الشعائر الدينية فيها ، وصيانة مبانيها وهذا هو نص الشهادات الشرعى على هذه الوقفية :

« هذا كتاب أشهد قاضى القضاة مالك بن سعيد بن مالك الفارقى على جميع ما نسب إليه بما ذكر ، ووصف فيه ، من حضر من الشهود فى مجلس حكمه وقضائه بفسطاط مصر فى شهر رمضان سنة أربعائة ، أشهدهم وهو يومئذ قاضى عبد الله ووليه المنصور أبى على الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ابن الامام العزيز بالله صلوات الله عليهما ، على القاهرة المعزية ومصر والاسكندرية والحرمين حرسهما الله ، وأجناد الشام والركة والرحبة ونواحي المغرب وسائر أعمالهن ، وما فتحه الله ويفتحه لأمير المؤمنين من بلاد الشرق والغرب ، بمحضر رجل متكلم — أنه صحت عنده معرفة المواضع السكاملة والخصص الشائعة التى يذكر جميع ذلك ويحدد هذا الكتاب ، وأنها كانت من أملاك الحاكم إلى أن حبسها على الجامع الأزهر بالقاهرة المحروسة ، والجامع براشدة والجامع بالمقس ، اللذين أمر بإنشائهما وتأسيس بنائهما ، وعلى دار الحكمة بالقاهرة المحروسة التى وقفها ، والكتب التى فيها قبل تاريخ هذا الكتاب ، منها ما يخص الجامع الأزهر والجامع براشدة ودار الحكمة بالقاهرة المحروسة مشاعا جميع ذلك غير مقسوم : ومنها ما يخص الجامع بالمقس على شرائط يجرى ذكرها . فمن ذلك ما تصدق به على الجامع الأزهر بالقاهرة المحروسة ، والجامع براشدة ودار الحكمة بالقاهرة

المحروسة ، جميع الدار المعروفة بدار الضرب وجميع القيسارية المعروفة بقيسارية الصوف وجميع الدار المعروفة بدار الخرق الجديدة الذى كله بنفس طاط مصر . ومن ذلك ما تصدق به على جامع المقس جميع أربعة الحوانيت والمنازل التى علوها والخزنين الذى ذلك كله بنفس طاط مصر بالراية ، فى جانب العرب من الدار المعروفة كانت بدار الخرق ، وهاتان الداران المعروفتان بدار الخرق فى الموضع المعروف بحمام الفار . ومن ذلك جميع الحصص الشائعة من أربعة الحوانيت المتلاصقة التى بنفس طاط مصر بالراية أيضا بالموضع المعروف بحمام الفار ، وتعرف هذه الحوانيت بحصص القيسى بمحدود ذلك كله وأرضه ، وبنائه وسفله وعلوه وغرفته ومرتفقاته وحوانيته وساحاته وطرقه وبممراته ، ومجارى مياهه ، وكل حق هو له داخل فيه وخارج عنه ، وجعل ذلك كله صدقة موقوفة محرمة محبسة بته ، لا يجوز بيعها ولا هبتها ولا تملكها ، باقية على شروطها ، جارية على سبلها المعروفة فى هذا الكتاب ، لا يوهنها تقادم السنين ولا تغير بحدوث حدث ، ولا يستثنى فيها ولا يتأول ، ولا يستغنى بتجدد تحييسها مدى الأوقات ، وتستمر شروطها على اختلاف الحالات حتى يرث الله الأرض والسموات ، على أن يؤجر ذلك فى كل عصر من ينتهى اليه ولايتها ويرجع إليه أمرها بعد مراقبة الله واجتلاب ما يوفر منفعتها من إشهارها عند ذوى الرغبة فى إجارة أمثالها ؛ فيبتدأ من ذلك بعارة ذلك على حسب المصلحة وبقاء العين وممرته ، من غير إجحاف بما حبس ذلك عليه ، وما فضل كان مقسوما على ستين سهما .

من ذلك للجامع الأزهر بالقاهرة المحروسة المذكور فى هذا الأشهاد الخمس والثلث ونصف السدس ونصف التسع ، يصرف ذلك فيما فيه عمارته ومصلحته ، وهو من العين المعزى الوازن ألف دينار واحدة وسبعة وستون دينارا ونصف دينار وثمان دينار ، ومن ذلك للخطيب بهذا الجامع أربعة وثمانون دينارا ، ومن ذلك ثلث ألف ذراع حصر عبدانية تكون عدة له بحيث لا ينقطع من حصره عند الحاجة إلى ذلك ، ومن ذلك ثلث ثلاثة عشر ألف ذراع حصر مظفورة لكسوة هذا الجامع فى كل سنة عند الحاجة إليها مائة دينار واحدة وثمانية دنانير ، ومن ذلك ثلث ثلاثة قناطير زجاج وفراخها اثنا عشر دينارا ونصف وربع دينار ، ومن ذلك ثلث عود هندى للبخور فى شهر رمضان وأيام الجمع مع ثمن الكافور والمسك وأجرة الصانع خمسة عشر دينارا ، ومن ذلك لنصف قنطار شمع بالفلفل سبعة دنانير ، ومن ذلك لككنس

هذا الجامع ونقل التراب وخياطة الحصر وثمن الخيظ وأجرة الخياطة خمسة دنانير ومن ذلك ثمن مشافة لسرج القناديل عن خمسة وعشرين رطلا بالرطل الفلفلى دينار واحد ، ومن ذلك ثمن فحم للبخور عن قنطار واحد بالفلفلى نصف دينار ، ومن ذلك ثمن إردبين ملحاً للقناديل ربع دينار ومن ذلك ما قدر لمؤنة الناس والسلاسل والتناير والقباب التى فوق سطح الجامع أربعة وعشرون دينارا ، ومن ذلك ثمن سلب ليف وأربعة أحبل وست دلاء آدم نصف دينار ، ومن ذلك ثمن قنطارين خرقة لمسح القناديل نصف دينار ، ومن ذلك ثمن عشر قفاف للخدمة وعشرة أرطال قنب لتعليق القناديل ، وثمن مائتى مكينة لكبس هذا الجامع دينار واحد وربع دينار ، ومن ذلك ثمن أزيار نغار تنصب على المصنوع ويصب فيها الماء مع أجرة حملها ثلاثة دنانير ، ومن ذلك ثمن زيت وقود هذا الجامع واتب السنة ألف رطل ومائتا رطل مع أجرة الحمل سبعة وثلاثون دينارا ونصف ، ومن ذلك لأرزاق المصلين يعنى الأئمة وهم ثلاثة وأربعة قومة ، وخمسة عشر مؤذنا وخمسة دينار وستة وخمسون دينارا ونصف ، منها للمصلين ، ولكل رجل منهم ديناران وثلاثا دينار فى كل شهر من شهور السنة ، والمؤذنون والقومة ولكل رجل منهم ديناران فى كل شهر ، ومن ذلك للشرف على هذا الجامع فى كل سنة أربعة وعشرون دينارا . ومن ذلك لكبس المصنوع بهذا الجامع ونقل ما يخرج منه من الطين والوسخ دينار واحد ، ومن ذلك لمرمة ما يحتاج إليه فى هذا الجامع فى سطحه وأترابه وحياطته وغير ذلك بما قدر لكل سنة ستون دينارا ، ومن ذلك ثمن مائة وثمانين حمل بن ونصف حمل جارية لعلف رأسى بقر المصنوع الذى لهذا الجامع ثمانية دنانير ونصف وثلاث دينار ، ومن ذلك للبن مخزن بوضع فيه بالقاهرة أربعة دنانير ، ومن ذلك ثمن فدانين قرط لتربيع رأسى البقر المذكورين فى السنة سبعة دنانير ، ومن ذلك لأجرة متولى العلف وأجرة السقاء والحبال والقواديس وما يجرى بجرى ذلك خمسة عشر دينارا ونصف ، ومن ذلك لأجرة قيم الميضاة إن عملت بهذا الجامع اثنا عشر دينارا .

والى هنا انقضى حديث الجامع الأزهر ، وأخذ فى ذكر الجامع براشدة ، ودار العلم ، وجامع المقس ، ثم ذكر أن تنانير الفضة ثلاثة تنانير وتسعة وثلاثون قنديلا من الفضة ، فالجامع الأزهر تنوران وسبعة وعشرون قنديلا ، ومنها لجامع راشدة تنور واثنان عشر قنديلا ، وشرط أن تعلق فى شهر رمضان ، وتعاد إلى مكان جرت العادة أن تحفظ فيه .. وشرط بعد ذلك فى الوقف شروطا كثيرة ليس هنا مقام ذكرها

وقد أسس الحاكم جامعه المشهور عام ٣٩٣ هـ ، وخطب فيه وصلى فيه بالناس الجمعة وكانت دار الحكمة التي أنشأها يدرس فيها علوم القرآن واللغة والفلك والطب والرياضة والتنجيم وغيرها ، واجتذبت الجامعة الجديدة إليها كثيرا من أعلام المشرق كالحالة الفارسي ناصري خسرو ، ولبثت دار الحكمة تنافس الأزهر مدى قرن من الزمان ، حتى أغلقت .

مشاركة الأزهر في الحياة العقلية في عصر الفاطميين

كان للأزهر نشاط ضخم في الحياة العقلية والعلمية في العصر الفاطمي كله حتى نهايته عام ٥٦٧ هـ .

ولقد جاءت الدولة الفاطمية إلى مصر مع نفوذها السياسي بحركة علمية قوية فقدمت حركة العلم والأدب والفن في مصر والشام خطوات ، حتى لا يعد شيئا بجانبها ما كان في العهد الطولوني والأخشيدي ، ويصح أن توازن بما كان في العراق ولا سيما العلوم العقلية والفلسفية ، فقد ازدهرت في مصر وسارت شوطا بعيدا . . نعم نشطت الحركة العقلية في مصر والشام في هذا العصر نشاطا كبيرا ، وذلك بفضل الأزهر ودار العلم وحلقاتها العلمية ؛ وعينت الدولة بدور الكتب ونشر العلم ، وتشجيع العلماء ، فظهر الكثير من المؤرخين والفلاسفة والعلماء والرياضيين واللغويين والنحويين والأدباء ، ومنهم الأديب تليذ أبي جعفر النحاس (١) المصري ، الذي توفي عام ٣٨٨ هـ ، وابن بابشاذ (٢) ، وابن القطاع النحوي م ٥١٥ هـ (٣) المتوفى عام ٤٦٩ هـ وسوام .

ويقول المقرئ : « إن أول مدارس بالأزهر الفقه الفاطمي على مذهب الشيعة ، ولقد كان ممن ألقى محاضراته في الأزهر المؤيد الشيرازي داعي الدعاة الذي ناظر فيها المعري في عهد المستنصر الخليفة الفاطمي ، وكان الشيرازي شاعرا كتب إلى المستنصر لما حسده الحساد باحتجاب الخليفة عنه بعد قدوم الشيرازي إلى مصر : كتب المؤيد الشيرازي :

أقسم لو أنك توجعتي بتاج كسرى ملك المشرق
وأنتني كل أمور الوري من قد مضى منهم ومن قد بقى
وقلت أن لانتقي ساعة أجبت يامولاي أن نلتقي

(١) توفي أبو جعفر النحاس عام ٣٣٨ هـ (٢٢٨ ج ١ حسن المحاضرة) .

(٢) ٢٢٨ ج ١ حسن المحاضرة .

لأن إبعادك لى ساعة شيب فودى مع المفرق
فاجاب المستنصر بالله بخطه :

يا حجة مشهورة فى الورى وطود علم أعجز المرتقى
ماغلقت دونك أبوابنا إلا لأمر مؤلم مقلق
ولا حجبناك ملالا فثق بودنا وارجع إلى الأليق
خفنا على قلبك من سمعه فصدنا صد أب مشفق
شيعتنا قد عدموا رشدهم فى الغرب يا صاح وفى المشرق
فأنشر لهم ماشئت من علمنا وكن لهم كالوالد المشفق
إن كنت فى دعوتنا آخرأ فقد تجاوزت مدى السبق
مثلك لا يوجد فيمن مضى من سائر الناس ولا من بقى
وللشيرازى محاضراته التى ألقاها فى الأزهر مناظرا أبا العلاء المعرى .

وله مؤلفات أخرى عدا أسيرته وديوانه ومحاضراته ، منها : كتاب الابتداء
والانتهاء ، وكتاب المسألة والجواب ، وكتاب نهج العبادة ، وشرح المعاد ، والمسائل
السبعون ، ونهج الهداية للمبتدئين ، وأساس التأويل بالفارسية ، والسبع السبع ،
والإيضاح والتبصير فى فضل يوم القيمة ، وتأويل الأرواح ، والمجالس المستنصرية .
وقد لاحظنا أن هذه المحاضرات القصيرة ، إنما كانت ملخصاً لدروس طويلة فيما يظهر
فعله كان يكتبها بعد إلقاء الدرس وتفهيمة على سبيل التسجيل والحفظ ، لنكت هامة
لينتفع القارىء ، كما استفاد السامع .

وهذه هى المحاضرة الأولى من محاضراته :

الحمد لله الذى نظم بين الإنسان والبهائم أن خلقهم من طين ، ثم جعل نسلهما
من ماء مهين ، ثم اقتضت العناية الإلهية أن رى فى أخلاط الصورة الإنسانية من
أكسير العقل بلغة أهل صنعة الكيمياء ، ما عرج به أعلا المارج من الفضل والعليام ،
فصار بمن قال الله سبحانه فيه - ومن أصدق منه قىلا - « ولقد كرمتنا بنى آدم وحملناهم
فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلا » ،
فاستنزل بتدبيره الطير من الهواء واستخلص الحدث من لج الماء ، واستعبد أجناس
الحيوان طيراً و بهائم وسباعا ، فمنها ما انتفع بلحومها ، ومنها ما استمتع بجلودها
وأصوافها وأوبارها استمتعا ، وجعل الفلك المحيط على عظم فضائه محصورا فى
سرادق فكره ، بدل كون جسمه بالسكون والفساد محصورا فى سرادق ملكته وأسره ،

فهذا منفوعه الذى نفعه الله به فى الدار الأولى ، ثم جعله سلما يرتقى به إلى دائم البقاء فى الدار الأخرى . فلو لا نور استبصاره بالعقل ، لما كانت رسالة عن مرسل تقبل ، ولا أمر عن مرسل يؤخذ ويتحمل ، ولا نفس بمعرفة توحيد الله سبحانه ترسم وتنير ، ولا لسان بمعارف الآخرة بين اللهوات يدور . وصلى الله على محمد خير رسول ، استنار بنور سراجہ ، وسار على واضح منهاجہ ، وعلى وصيه الذى عرج به من أفق المجد إلى أعلا معراجہ ، وعلى آله الداعين إلى عذب المشرب وفراته ، الناهين عن ملحه وأجاجه .

معشر المؤمنين : جعلكم الله من استنارت بنور العقل قلوبهم ، وتجاافت عن مضاجع الجهل جنوبهم ، إن قوما من الآخذين الدين بالعادات ، والجارين فيه على آثار الوالدين والوالدات ، زعموا أن شرائع الأنبياء عليهم السلام التى هى أسباب النجاة ، والطريق إلى دائم الحياة على غير العقل موضوعها . وفى سوى موقعه وقوعها فلو أنهم أنعموا النظر ، وجردوا من شوب العصبية والهوى الفسك ، لعلوا أن أحدهم لو قيل له فى شئ من خاصة أعماله ، وما يصدر عنه من أقواله وأفعاله ، إن فعلك هذا على غير أساس العقل موضوعه ، ولا من مطالعه طلوعه ، لاستشاط من ذلك غضبا ، ولقام له مكذبا ، وفى مثل هذه المواجهة مستندبا ، فكيف يرضون الأنبياء الذين هم سادات دينهم ، والوسائط بينهم وبين ربهم مالو قابلهم بمنزلة مقابل لسكرهوه ، أم كيف لا يعتبرون أن الخطاب فى كتاب الله كله مع أولى الألباب بقوله الله تعالى : « فاتقوا الله يا أولى الألباب » ، وقوله « إن فى ذلك لذكرى لأولى الألباب » ، وما يجرى مجراه بما كثر وتكرر ، وليس يخلو من كون هذه الأوضاع الشرعية ليس لها برهان من العقل عند الرسول عليه السلام ، الآتى بها نفسه أو كون البرهان عنده فلم يشعر به ، فإن كان لا برهان لها عنده فهو فحش ، فلو أن سائلا سأله عن العلة التى اقتضت أن يجعل الصلاة خمسا ، ولا يجعلها سنا ، فكان يقول لا أدرى ، لكفاه طعنا أن يأتى بشئ لا يدرك العلة فيه إذا سئل عنها ، وإن كان لها برهان عند نفسه عقلى - والبرهان مما يحمل الأقوال والأفعال - ثم لم يظهره فلم يقيم إذن بحق البلاغ ، وهذا متنفذ عن الرسول عليه السلام ، لأنه باغ وقال فى النادى : « اللهم أشهد أنى بلغت » وسوى هذا فعلوم أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يكف تكليف الشريعة إلا إذا عقل ، فكيف يكلف ذا عقل ما كان موضوعه على غير عقل ، لأن ما كان موضوعه

على غير عقل ، فهو بغير ذى عقل أولى منه بذى عقل ، وما السبب فى تولية العقل أولا وعزله آخرًا ؟ ولما لا تكون التولية آخرًا ككونها أولا ، أو العزل أولا ككونه آخرًا ؟ وهذا مما لا يخفاء به على منصف .

والمعلوم أن الفلاسفة يدعون العلوم العقلية والأشياء الحقيقية ، وأن المسلمين يكفرونهم مع ذلك ، لا نقطاعهم عن سبب الرسالة ، وقولهم أنهم غنوا عن الأنبياء فى معرفة معالم نجاتهم ، وأن الحاجة إليهم لسياسة أمور الدنيا فقط ، بتحسين الدماء والأموال ، ومنع القوى عن الضعيف . واعتقاد المحققين أن العلوم كلها التى منها العقليات التى يدعونها فى علوم الأنبياء اجتمعت ، ومنها اشعبت وتفرعت ، وتصديقهم قول الله سبحانه « ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين » ، وقوله جل جلاله « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » ، فلو أن أحد الفلاسفة قدم على الرسول عليه الصلاة والسلام ، يسأله عن الملائكة ، والعرش ، والكبرى ، والجنة ، والنار ، وأوضاع شريعته : من صلاتها ، وزكاتها ، وصومها ، وحجها ، وجهادها ، من حيث يدل عليه البرهان العقلى ، أكان يقول النبى ﷺ ، لا قبل لى ببرهان ذلك ! حاشا لله .. وقول آخر مأثور عن النبى ﷺ أنه قال « أول ما خلق الله تعالى العقل ، فقال له أقبل فأقبل ، ثم قال له أدبر فأدبر ، ثم قال : وعزنى وجلالى ما خلقت خلقا أجمل منك ، بك أثيب ، وبك أعاقب .. فإن كانت الشرائع على غير العقل موضوعا ، فلا ثواب لها ولا عقاب على مقتضى الخير ، « بك أثيب وبك أعاقب » .

معشر المؤمنين : دعوا أهل الفرقة والخلاف ، فإنهم أشياخ غي بقول الله تعالى لنبيه ﷺ « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لننت منهم فى شيء » : وتمسكوا فى دينكم بالأدلة ، واعرفوا المواقيت بالأهلة ، وأصلحوا أموالكم ، وطهروا أسربالكم واحمدوا الله تعالى الذى فتح لكم إلى الحقائق أبصارا والناس عنها عمون ، وكشف لكم حجبا فاتم فى رياضها تتنعمون . واجروا فى مضمار التائبين العابدين واستشعروا شعار الراكعين الساجدين . وكونوا دعاة إلى أئمتكم بحسن الافعال صامتين وقوموا آناه الليل قانتين . جعلكم الله من الذين إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ، وأوزعكم شكر عارفه . إذ ألف بين قلوبكم فاصبغتم بنعمته إخوانا . والحمد لله القاهر سلطانه . الباهر برهانه . العظيم شأنه . الواسع إحسانه . وصلى الله على محمد المنزل عليه فرقانه . المزلزل للشرك بنيانه . وعلى وصيه الذى هو مستودع عليه وترجمانه على بن أبى طالب بيده يد الحق . والناطق بلسانه لسانه . وعلى الأئمة من ذريته المحفوظة بهم حدود الدين وأركانه .. وسلم تسليما ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

١ ولقد أصيبت الحياة العقلية في مصر الإسلامية بكثير من الاضطراب والضعف في أواسط القرن الخامس الهجري كما يقول عنان ، أى منذ اضطربت شئون الخلافة الفاطمية في عهد المستنصر بالله ، ونكبت مصر بالشدة العظمى ، وعانت عسف القحط والوباء أعواما طويلة (٤٤٦ — ٥٤٦ هـ) ، وشغل المجتمع المصرى حينما توالى عليه من الأرزاء والمحن ، وشغل الخلفاء ورجال الدولة بالتنازع على السلطان وتدبير الانقلابات السياسية العنيفة عن تعهد الحركة الفكرية ، وقترت الدولة على معاهد التعليم لنضوب مواردها ، وبددت خزائن الكتب أثناء الفتنة وكانت من أنفس وأعظم ما عرف العالم الإسلامى (١) . . . وكان لهذا الاضطراب أثره في الأزهر ودار الحكمة فركدت حركة الدرس والتحصيل تبعاً لركود الحياة العامة واضطراب الحياة الخاصة . وفي أواخر القرن الخامس في عصر أمير الجيوش بدر الجبالى المتغلب على الدولة (٤٦٥ — ٥٤٨ هـ) وولده الأفضل شاهنشاه (٤٨٧ — ٥١٥ هـ) عاد النظام والأمن والرخاء إلى البلاد ، وانتظمت الحياة العامة ، واستعادت الحياة الفكرية نشاطها بمسا أسبغ عليها من الرعاية ، وما بذل للاتفاق على معاهد الدرس من الأموال والأرزاق .

ويقول عنان : كان نظام الحلقات العلمية وقت إنشاء الجامع الأزهر هو نظام الدراسة الممتازة في مصر الإسلامية وفي معظم الأقطار الإسلامية الأخرى ، وكان قوام الحياة الجامعية والفكرية في العالم الإسلامى ... وكان طبيعياً أن الأزهر حينما أتيح له أن يدخل هذا الميدان الدراسى ، أن تقوم الدراسة فيه وفقاً لهذا النظام التقليدى المتوارث . ولم يك ثمة نظام آخر يمكن التفكير فيه في عصر لم تكن قد عرفت فيه المدارس بعد .. وهكذا بدأت الدراسة في الأزهر في حلقات علمية وأدبية ، واستمرت كذلك على كر العصور . وعقدت أول حلقة للدرس بالأزهر في صفر سنة ٣٦٥ هـ كما تقدم ، وعقدها قاضى القضاة على بن النعمان وقرأ فيها مختصر أبيه في فقه آل البيت وهو الكتاب المسمى « الاقتصاد » في جمع حافل أثبتت فيه أسماء الحاضرين . وفي سنة ٣٧٨ هـ أذن العزيز بالله لوزيره ابن كلس أن يعين بالأزهر جماعة من الفقهاء للدرس والقراءة ، وكانوا يعقدون « حلقاتهم » الدراسية بالجامع يوم الجمعة من بعد الصلاة إلى العصر ، وهم أول أساتذة أجريت عليهم من الدولة روايت خاصة حسناً قدمنا . وفي هذين النصين القديمين ما يوضح لنا نظم الدراسة الأساسية بالأزهر ، وهى نظم

كان قوامها الحلقة الدراسية ، فيجلس الأستاذ ليقراً دروسه في حلقة من تلاميذه والمستمعين إليه ، وتنظم الحلقات في الزمان والمكان طبقاً للبواد التي تدرس ، ويجلس أستاذ المادة من فقه أو حديث أو تفسير أو نحو أو بيان أو منطق أو غيرها في المكان المخصص لذلك من أروقة الجامع أو أبنائه ، وأمامه الطلبة والمستمعون يصغون إليه ويناقشونه .

وكان الأزهر منذ بدأت فيه الدراسة مفتوح الباب لكل مسلم يقصد إليه الطلاب من مشارق الأرض ومغاربها ، وكان يضم بين طلبته دائماً إلى جانب الطلاب المصريين عدداً كبيراً من أبناء الأمم الإسلامية يتلقون الدراسة ، وتجري عليهم الارزاق ، وتقيم كل جماعة منهم في مكان خاص بها . وهذا هو نظام الأروقة الشهير الذي نعتقد أنه بدأ في عصر مبكر جداً (١) ، والذي استمر قائماً حتى العصر الأخير ، وما زالت منه إلى اليوم بقية بالجامع الأزهر . ومعظم سكان الأروقة الباقية اليوم من الطلبة الغرباء . ويذكر المقرئ أن عدد الطلبة الغرباء الذين كانوا يلزمون الإقامة بالأزهر في الأروقة الخاصة بهم في عصره - أعني في أوائل القرن التاسع - بلغ سبعمائة وخمسين ، مابين عجم وزيا لعة ومن أهل ريف مصر ومغاربة ، ، وهو رقم كبير يدل على ضخامة العدد الذي كان يضمه الأزهر بصفة عامة من طلاب مصر وطلاب الأمم الإسلامية المختلفة في تلك العصور .

العلم — أما مواد الدراسة بالأزهر في هذا العصر فلا ريب — كما يقول عنان — أن علوم الدين واللغة كانت في المقدمة دائماً ، وكان للعلوم الدينية بنوع خاص أوفر قسط ، فعلم القرآن والحديث والكلام والأصول والفقه على مختلف المذاهب ، وكذلك علوم اللغة من النحو والصرف والبلاغة ثم الأدب والتاريخ ، هذه كلها كانت زاهرة بالأزهر خلال العصور الوسطى .

وقد كانت الصيغة المذهبية تغلب كما رأينا على الدراسة بالأزهر ولا سيما في بداية عهدها ، ولم يك ذلك غريباً في ظل دولة كالدولة الفاطمية تتشع بثوبها المذهبي العميق وكان من الطبيعي أيضاً أن تحتل علوم الشيعة وفقه آل البيت من حلقاته الدينية المقام الأول ، بيد أنه يمكن أن يقال من جهة أخرى إن هذه الصيغة المذهبية لم تكن دائماً

(١) يستفاد من أقوال المقرئ أن نظام الأروقة قد بدأ بالأزهر منذ بناء الجامع ذاته (الخطط ج٤ ص ٥٤)

مطلقة ، ولم تسكن دائماً لزاماً على الطلاب . ونحن نعرف أن الخلافة الفاطمية على الرغم من استمساكها بصيغتها المذهبية العميقة لم تستطع أن تحشد سواد الشعب المصرى إلى جانبها فى هذا المضمار ، ولم تحاول دائماً أن تجرى على سياسة الارغام فى طبعه بطابعها ، وفى فرض لونها المذهبي على عقائده ، بل نراها فى أحيان كثيرة تلجأ فى ذلك إلى سياسة الرفق والتسامح . ولنا فى ذلك دليل فى المرسوم الدينى الذى أصدره الحاكم بأمر الله — وهو من غلاة الخلفاء الفاطميين — فى سنة ٣٩٨ هـ (١٠٠٨ م) وفيه يقرر بعض الاحكام ويفسرها على أثر ما وقع بين الشيعة وأهل السنة من خلاف فى فهمها ، ويحاول أن يوفق فى ذلك بين المذاهب المختلفة ، وقد جاء فيه بعد الديباجة : « يصوم الصائمون على حسابهم ويفطرون ، ولا يعارض أهل الرؤية فيما هم عليه صائمون ومفطرون ، صلاة الخنيس للذين بما جاءهم فيها يصلون ، وصلاة الضحى وصلاة التراويح لا مانع لهم منها ولا هم عنها يدفعون ، يخمس فى التكبير على الجنائز الخمسون ، ولا يمنع من التكبير عليها المربعون ، يؤذن بحى على خير العمل المؤذنون ولا يؤذى من بها لا يؤذنون ، لا يسب أحد من السلف ولا يحتسب على الواصف فيهم بما يوصف والخالف فيهم بما خلف ، لكل مسلم مجتهد فى دينه اجتهاده ، وإلى الله ربه ميعاده ، وعنده كتابه وعليه حسابه . ليسكن عباد الله على مثل هذا عملكم منذ اليوم ، لا يستعلى مسلم على مسلم بما اعتقده ، ولا يعترض معترض على صاحبه فيما اعتمد ، من جميع مانعه أمير المؤمنين فى سجله هذا ، وبعده قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ، لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ، إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون » (١) .

وكانت الدراسة فى دار الحكمة ذاتها وهى الجامعة الفاطمية المذهبية حرة تدرس فيها علوم السنة إلى جانب علوم الشيعة ، وقد تحررت كثيراً من صيغتها المذهبية حينما أعيدت بعد إغلاقها فى عهد الخليفة الأمر بأحكام الله ، فمن الواضح إذاً أن الدراسة بالازهر كانت حتى فى الوقت الذى يشتد فيه تيار الدعوة المذهبية تحظى دائماً بقسط من الحرية يزيد أو ينقص وفقاً للظروف والاحوال . وكانت دار الحكمة تستأثر بعد ذلك بتدريس العلوم الدينية . بيد أن هذه الصبغة المذهبية خفت وطأتها ... وأخذ الازهر بنصيبه من العلوم بجانب الدين .

هذا وأما عن الكتب الدراسية التى كانت تدرس بالازهر فى العصر الفاطمى ،

فليس لدينا أيضاً سوى إشارات موجزة جداً . وأول كتاب درس بالازهر هو كتاب «الاقتصار» الذى وضعه أبو حنيفة النعمان بن محمد القيروانى قاضى المعز لدين الله فى فقه آل البيت ، وكان يتولى قراءته وتدريسه بالازهر ولده أبو الحسين على بن النعمان كما قدمنا . واستمر فى قراءته مدى حين على يد بنى النعمان الذين تعاقبوا فى قضاء مصر حتى نهاية القرن الرابع . وكان للنعمان القيروانى كتب أخرى فى فقه الإمامية (الشيعية) ذكر ابن زولاق مؤرخ المعز لدين الله أسماءها وهى كتاب «دعائم الاسلام» ، الذى عنى بتدريسه فى الازهر فيما بعد عناية خاصة ، وكتاب «اختلاف أصول المذاهب» ، وكتاب «الاخبار» وكتاب «اختلاف الفقهاء» ومن المرجح أنها كانت تقرأ أو تدرس بالازهر إلى جانب كتاب «الاقتصار» حتى أواخر القرن الرابع (١) .

وقد انتهى إلينا بعض هذه المؤلفات الشيعية التى افتتحت بها الدعوة إلى دراسة فقه الإمامية بمصر . ويوجد بدار الكتب المصرية نسخة مصورة من المجلد الاول من كتاب «دعائم الاسلام» ، وعنوانه الكامل «دعائم الاسلام فى الحلال والحرام والقضايا والاحكام» ، من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله . ويقول النعمان القيروانى فى ديباجته : «لأنما اضطربت الاحكام واختلفت المذاهب وانقلبت أوضاعها» ، رأى عملاً بقول رسول الله : «إذا ظهرت البدع فى أمتى فليظهر العالم عليه» ، أن يضع كتاباً جامعاً مختصراً بما جاء عن الأئمة من أهل بيت رسول الله ، من جملة ما اختلف فيه الرواة عنهم فى دعائم الاسلام ، وذكر الحلال والحرام ، والقضايا والاحكام . وهذه الدعائم حسبها ورد عن الامام جعفر بن محمد الصادق هـى «الولاية والطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد» ، وهى الموضوعات التى يتناولها المجلد الاول من الكتاب .

وتوجد بدار الكتب نسخة مصورة قديمة من كتاب «الاخبار» ، أو «شرح الاخبار» ، وقد ذكر النعمان القيروانى موضوعه وطريقة تأليفه فى مقدمته فيما يأتى : «أثرت منه الاخبار وجمعت منه الآثار فى فضل الأئمة الابرار حسبها وجدته» ، وبغاية ما أمكننى واستطعته ؛ فصححت ما بسطته فى كتابى هذا وألفته ، بأن عرضته على ولى الأمر وصاحب الزمان والعصر ، مولاي المعز لدين الله أمير المؤمنين عليه السلام وعلى سلفه وخلفه ، وأثبت منه ما أثبتته وصح عنده وعرفه وأثريه عن الأئمة الطاهرين

وأجاز لي سماعه منه ، وبأن أرويه لمن يأخذه عنى وعنه عليه السلام ، فبسطت في هذا الكتاب ما أثبتته وأجازه وعرفه ، وأسقطت ما أنكره من ذلك ، وذلك مما نسبته إلى أهل الحق المبطلون وحرف من قولهم المحرفون .

ثم قرىء بالأزهر كتاب ألفه الوزير ابن كلس في الفقه الشيعي على مذهب الاسماعيلية مما سمعه في ذلك من المعز لدين الله والعزیز بالله ، وهو المعروف بالرسالة الوزيرية ؛ وكان يجلس لقراءته وتدريسه بنفسه حسبما قدمنا . وأقنى الناس بما فيه (١) فالكتب الأولى التي قررت للتدريس بالأزهر هي كتب اشتقت من المصادر المذهبية الرسمية أعني من أولياء الخلافة الفاطمية ذاتها ، وكان لها صبغة رسمية واضحة . وكان التدريس بالأزهر يجري يومئذ على مذهب الشيعة بصفة رسمية . وشدد في ذلك باديء ذي بدء حتى إنه في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة في عهد العزيز بالله ، قبض على رجل وجد عنده كتاب « الموطأ » للإمام مالك . وجلد من أجل إحرازه (٢) وفي سنة ست عشرة وأربعمائة ، أمر الخليفة الظاهر لأعزاز دين الله ولد الحاكم بأمر الله بأن يدرس الدعاة للناس كتاب « دعائم الإسلام » ، وكتاب « مختصر الوزير » ورتب لمن يحفظهما مالا (٣) والدعاة هم أساتذة دار الحكمة وقد كانوا يجلسون للتدريس بالجامع الأزهر في أحيان كثيرة (٤) وقد عرفنا موضوع كتاب « دعائم الإسلام » وعرفنا مؤلفه . أما « مختصر الوزير » فيلوح لنا أنه هو مؤلف ابن كلس أعني « الرسالة الوزيرية » .

والمرجح أن كثيراً من الكتب الفقهية التي كانت تدرس بدار الحكمة كانت تدرس أيضاً بالأزهر كما يقول عثمان ، وإن كنا لم نعثر على نصوص أو بيانات أخرى تلقي ضوءاً على أنواع الكتب التي كانت تدرس بالأزهر في هذا العصر في العلوم الأخرى . وكانت تشمل مصنفات أعلام الاساتذة المعاصرين الذين انتهت إليهم الرياسة في بعض العلوم أو الذين تولوا التدريس بالأزهر يومئذ ، مثل العلامة أبي الحسن علي بن إبراهيم الحوفي إمام العربية والنحو وصاحب كتاب إعراب القرآن وابن بابشاذ النحوي صاحب كتاب « المقدمة » و« شرح الجمل » ، وابن القطاع اللغوي

(١) راجع الإشارة إلى من نال الوزارة لابن الصيرفي ص ٢٣ ، وابن خلكان

ج ٢ ص ٤٤١ ، والخط ج ٤ ص ١٥٧ .

(٢) الخط ج ٤ ص ١٥٧ . (٣) الخط ج ٢ ص ١٦٩ .

(٤) الخط ج ٣ ص ٢٢٦ ، تاريخ ابن ميسر ص ٦٤ .

صاحب كتاب « الافعال » ، وأبى محمد عبد الله بن برى المصرى إمام اللغة فى عصره ، وأبى العباس أحمد بن هاشم المحدث والمقرئ ، وأبى القاسم الرعينى الشاطبى إمام القراءات وصاحب القصيدة الشهيرة فى علم القراءات « حرز الامانى ووجه التهانى » (١) ، وغيرهم ممن انتهت لإيهم الرياسة فى هذا العصر ، واعتبرت مصنفاتهم متوناً ومرجع . بل لقد لبثت مصنفات بعض أولئك الأئمة تدرس بالازهر حتى العصر الأخير مثل قصيدة الشاطبى فى القراءات .

على أن كثيراً من الكتب التى ألفت ودرست فى هذا العهد ، قد دثر بانهاء الدولة الفاطمية وحرص الدولة الأيوبية التى خلفتها ، على محو رسوماتها وآثارها .

هذا وقد عنتت الدولة الفاطمية عناية خاصة باقتناء الكتب وإنشاء المكتبات العظيمة ، وكان بالقصر الفاطمى مكتبة جامعة يفيض المؤرخون كما يقول عنان فى وصف عظمتها ونفاسة محتوياتها ، وكان بها ما يزيد على مائتى ألف مجلد فى سائر العلوم والفنون ، فى الفقه والحديث واللغة والتاريخ والأدب والطب والكيمياء والفلك وغيرها . وقال ابن أبى طى بعد ما ذكر استيلاء صلاح الدين على القصر « ومن جملة ما باعوه خزانة الكتب ، وكانت من عجائب الدنيا ، ويقال إنه لم يكن فى جميع بلاد الاسلام دار كتب أعظم من التى كانت بالقاهرة فى القصر » (٢) . وكان بدار الحكمة مكتبة أخرى يرجع إليها الأساتذة والطلاب ، وبها عدد كبير من الكتب الفلسفية والرياضية والروحانية وغيرها مما يتصل بدروس الحكمة (٣) .

وكانت فى الواقع خلفاً لمكتبة الاسكندرية الشهيرة . وكان للجامع الازهر مكتبة خاصة به ، وكانت المساجد الجامعة تزود فى هذه العصور بمجموعات من الكتب ولا سيما كتب الحديث والفقه . ولكن يوجد ثمة ما يدل على أن الازهر كان له من خزائن الكتب نصيب حسن ، وكانت له مكتبة كبيرة ذات أهمية خاصة ، فإن

(١) توفى الحوفى سنة ٤٣٠ هـ وابن بابشاذ سنة ٤٦٩ هـ وابن القطاع سنة ٥١٥ هـ وابن برى سنة ٤٩٩ هـ وابن هاشم سنة ٤٤٥ هـ . والشاطبى سنة ٥٥٠ هـ .

(٢) الخطط ج ٢ ص ٢٥٣ - ٢٥٥ . ولعله لم يفق المكتبة الفاطمية فى ضخامتها سوى مكتبة قرطبة الشهيرة التى بلغت فروتها فى عهد الحكم المستنصر بالله . وقدر ما بها يومئذ من الكتب بستائة ألف مجلد .

(٣) الخطط ج ٢ ص ٢٥٤ و ٣٣٤ .

ابن ميسر يقول في أخبار سنة ٥١٧ هـ إنه قد أسند إلى داعي الدعاة أبي الفخر صالح منصب الخطابة بالجامع الأزهر مع خزانة الكتب (١) ؛ وإسناد الإشراف على خزانة الكتب إلى داعي الدعاة ، وهو أكبر رئيس ديني بعد قاضي القضاة ، دليل على قيمتها وأهميتها .

وكان في مقدمة الأساتذة المدرسين في الأزهر بنو النعمان قضاة مصر ، فكان القاضي أبو الحسن علي بن النعمان أول من درس بالأزهر ، وكان فوق تضلعه في فقه آل البيت أديباً شاعراً ، وتوفي سنة ٣٧٤ هـ ، ودرس بالأزهر أيضاً أخوه القاضي محمد بن النعمان المتوفى سنة ٣٨٩ هـ ، ثم ولده الحسين بن النعمان قاضي الحاكم بأمر الله (٢) . ومن المرجح أن فقيه مصر ومؤرخها الكبير الحسن بن زولاق (المتوفى سنة ٣٨٧ هـ) ، كان من الذين تولوا الدراسة بالأزهر يومئذ ، فقد كان صديق المعز لدين الله ومؤرخ سيرته ، ثم صديق ولده العزيز من بعده . ومن المعقول أن يقع الاختيار عليه للتدريس بالمعهد الفاطمي الجديد ، كما يقول عنان .

وهناك من أعلام الفكر والأدب في هذا العصر من كانت لهم صلة علمية بالأزهر فتلقوا دراستهم كما يقول عنان أو تولوا التدريس فيه ، فمنهم المسيحي السكاتب والمؤرخ الشهير ، وهو الأمير المختار عز الملك محمد بن عبد الله بن أحمد الحراني ، ولد بمصر سنة ٣٦٦ هـ ، وتوفي سنة ٤٢٠ هـ . وكان من أقطاب الأمراء والعلماء ، تولى الوزارة للحاكم بأمر الله ونال حظوة لديه ، وأخذ بقسط في مختلف علوم عصره ، ومن المعقول أن يكون المسيحي وهو من أولياء الدولة الفاطمية وأقطاب علمائها من أساتذة المعهدين الفاطميين : دار الحكمة والأزهر . وشغل المسيحي بتدوين التاريخ وألف فيه عدة كتب منها تاريخه الكبير المسمى « أخبار مصر » ، وهو أثر ضخم يتناول تاريخ مصر وما بها من الأبنية والعجائب ، وذكر فيها وإقليمها ومجتمعاتها حتى أوائل القرن الخامس الهجري ، ولم يصلنا هذا الأثر الذي يليق بلا ريب أعظم ضوء على تاريخ الدولة الفاطمية في عصرها الأول ، ولكن الشذور التي وصلتنا منه على يد المقرئ وغيره من المؤرخين المتأخرين تنوه بقيمة

(١) أخبار مصر لابن ميسر ص ٦٤ .

(٢) ابن خلكان ج ٢ ص ٢١٩ - ٢٢٣ . وحسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦٨ ،

وذيل قضاة مصر (ملحق كتاب الكندي) ص ٥٨٩ و ٦١٠ و ٦١١ .

هذا الاثر ونفاسته . وكتب المسيحي كتباً أخرى في التاريخ والأدب والفلك ولكننا لم نلق شيئاً منها (١) .

ومنهم أبو عبد الله القضاعى الفقيه والمحدث والمؤرخ ، وهو محمد بن سلامة ابن جعفر . ولد بمصر فى أواخر القرن الرابع ، وتوفى بها سنة ٤٥٤ هـ . وكان من أقطاب الحديث والفقه الشافعى ، تولى القضاء وغيره من مهام الدولة فى عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمى ، وأوفده المستنصر سفيراً إلى تيودورا قيصرية قسطنطينية سنة ٤٤٧ هـ (١٠٥٥ م) ليحاول عقد الصلح بينها وبين مصر ، وكتب عدة مصنفات فى الحديث والفقه والتاريخ ، منها « الشهاب » و « مسند الصحاب » وهما فى الحديث وكتاب « مناقب الإمام الشافعى » ، و « أنباء الأنبياء » ، و « عيون المعارف » وهما مختصران فى التاريخ ، وكتاب « المختار فى ذكر الخطط والآثار » ، وهو تاريخ مصر والقاهرة حتى عصره (٢) .

ومنهم الحوفى النحوى اللغوى ، وهو أبو الحسن على بن إبراهيم بن سعيد وكان من أئمة اللغة فى عصره ، واشتغل مدة طويلة بالتدريس فى مصر والقاهرة ، وألف كتباً كثيرة فى النحو والأدب ، منها كتاب « إعراب القرآن » ، وكانت وفاته فى سنة ٤٣٠ هـ .

ومنهم أبو العباس أحمد بن هاشم المصرى ، وقد كان من كبار المحدثين والمقرئين واشتهر بتدريس علم القراءات ، وتوفى سنة ٤٤٥ هـ .

ومنهم ابن بابشاذ النحوى الشهير ، وهو أبو الحسن طاهر بن أحمد المصرى المعروف بابن بابشاذ ، كان إمام عصره فى اللغة والنحو وألف فيه مائة كتب ضخمة واشتغل حيناً بديوان الانشاء فى عهد المستنصر بالله وتوفى سنة ٤٦٩ هـ .

ومنهم أبو عبد الله محمد بن بركات النحوى تلميذ القضاعى ، كان أيضاً من أئمة اللغة والنحو وتوفى سنة ٥٢٠ هـ .

(١) راجع فى ترجمة المسيحي ، ابن خلكان ج ١ ص ٦٥٣ وحسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦٥ .

(٢) راجع فى ترجمة القضاعى ، ابن خلكان ج ١ ص ٥٨٥ . والسبكي فى طبقات الشافعية ج ٣ ص ٦٣ ، وأخبار مصر لابن ميسر فى حوادث سنة ٤٤٧ هـ ، وحسن المحاضرة ج ١ ص ١٨٨ .

وبعد فقد كان الأزهر بحق أعظم مؤسس لصرح الحياة العقلية والثقافية في عصر الفاطميين .

ونذكر في هذه المناسبة أن من عهد إمامهم في التدريس في الأزهر عند إنشائه القاضي علي بن ميمون المتوفى ٢٧٤ هـ — ٩٨٤ م وأخوه القاضي محمد المتوفى عام ٣٨٩ هـ — ٩٩٨ م . وقد نبغ الحافظ السلفي المتوفى عام ٥٧٦ هـ ولاشك أنه كان له نشاط علمي في الأزهر .

ونحن نعلم مبلغ اهتمام الفاطميين بالعلوم الرياضية والطبية والفلسفية والجغرافية تلك العلوم التي أنشأوا لها في عهد الحاكم سنة ٣٩٥ هـ مؤسسة خاصة أسموها دار الحكمة ، وهذا مما يرجح في نظرنا أن هذه العلوم كانت موضوع دراسة في الأزهر أيضا ، بالإضافة إلى العلوم الأخرى . غير أنه ليس من شك أن الصدارة والشطر الأكبر من العناية كانتا للعلوم الثقيلة الدينية ولاسيما علوم قانون الشريعة .

نعم إنه في عهد الدولة الفاطمية — أعني في غضون قرنين كاملين — اقتصر التعليم الديني على المذهب الشيعي ، فأصبح هو المذهب السائد في التطبيقات العلمية والأحكام القضائية ، وصارت مذاهب أهل السنة مجهولة ، بل كانت كتبهم تصدر في بعض الأحيان .

— الأزهر جامع الدولة الرسمي :

في يوم عيد الفطر سنة ٣٦٢ هـ ركب المعز لدين الله أول الخلفاء الفاطميين بمصر عقب مقدمه إلى عاصمة ملكه الجديد بقليل ، كما يقول عنان (١) — إلى الجامع الأزهر لصلاة العيد ، وألقى خطبة بليغة أبكى فيها الناس (٢) ، وكانت هذه أول صلاة رسمية يشهدها الخليفة الفاطمي بالجامع الأزهر .

واستمر الأزهر يستأثر بهذا الامتياز الرسمي في ظل الدولة الفاطمية زهاء أربعين عاما تقام فيه الجمع الرسمية ، ويخطب الخليفة فيه بنفسه في جمع رمضان وفي الأعياد ، حتى تم إنشاء الجامع الحاكمي أو الجامع الأنوري في عصر الحاكم بأمر الله ، وكان الخليفة العزيز بالله قد بدأ بإنشائه منذ سنة ٣٨٠ هـ ، وشهده الجمعة في رمضان وخطب فيه غير مرة ، ولكنه توفي قبل إتمامه ، فعنى ولده الحاكم بأمر الله بإتمامه منذ سنة ٣٩٣ هـ ، واستغرق بناؤه عشر سنين . ولما تم بناؤه عنى الحاكم بفرشه وتأنيثه عناية

(١) ص ٩٥ الأزهر لعنان .

(٢) المقرئ عن ابن زولاق في انعاظ الخلفاء ص ٩٢ .

كبيرة ، وزين بالستور الفخمة والتنانير الفضية ، وأقيمت فيه الجمعة الرسمية في رمضان سنة ٤٠٣ هـ وصلى فيه الحاكم بالناس وكان يوماً مشهوداً (١) ، وألقى الجامع الأزهر لأول مرة في جامع الحاكم منافساً ينازعه الصفة الرسمية التي استأثر بها حتى ذلك الحين وكانت الجمعة الرسمية تقام أيضاً من وقت إلى آخر في بعض المساجد الفاطمية الأخرى ، مثل جامعي راشده والمقس للذين أنشأهما الحاكم بأمر الله ، وكانت الخطب الخلافية تلقى في الأزهر والجامع الحساكي ، وكذلك في جامعي عمرو وابن طولون اللذين لبنا يحتفظان دائماً بهيئتهما القديمة (٢) بيد أن الجامع الأزهر لم يفقد من جراء هذه المنافسة مكانته الخاصة ، بل كان دائماً يعتبر في نظر الخلفاء الفاطميين ورجال الدولة مسجد الدولة الأول .

وكانت إقامة الجمعة والصلوات الموسمية الجامعة بالأزهر من أخص المظاهر المذهبية الرسمية التي أسبغت عليها الخلافة الفاطمية ، وقد رأينا فيما تقدم أن الجامع الأزهر أنشئ ليكون رمزاً لإمامة الدولة الجديدة ومنبراً لدعوتها ، وقد لبث الأزهر منذ إنشائه محتفظاً بهذه الصفة بالرغم من قيام عدة أخرى من المساجد الفاطمية الجامعة التي نافسته فيما بعد في إقامة الجمعة والصلوات الموسمية ، وكان الخليفة يشهد الصلاة أيام الجمع والأعياد الموسمية ، ويخطب فيها بنفسه في أحيان كثيرة ، وكانت خطبة الجمعة الرسمية ماتزال على عهدنا تلقى بالجامع الأزهر حتى أواخر الدولة الفاطمية (٣) .

— وكان الخليفة يلقى خطب الجمعة في شهر رمضان بالجامع الأزهر قبل إنشاء الجامع الحساكي وغيره من المساجد الفاطمية الجامعة ، وكان يستريح الجمعة الأولى ويلقى الخطبة في الجمع الثلاث الأخيرة . وكان يركب إلى الصلاة في هيئة مخصوصة وبؤديها وفقاً لرسوم وتقاليد معينة ، وقد انتهت إلينا من أقوال المؤرخين المعاصرين نبذة شائعة في وصف هذه المواكب والرسوم المذهبية الفخمة ، فمثلاً يقول لنا المسبحي في حوادث سنة ٣٨٠ هـ ما يأتي :

« وفي يوم الجمعة غرة رمضان سنة ثمانين وثلثمائة ركب العزيز بالله إلى جامع القاهرة بالمظلة الذهبية ، وبين يديه نحو خمسة آلاف ماش وبيده القضيبي ، وعليه الطيلسان

(١) المقرئ في الخطط ج ٤ ص ٥٦ .

(٢) صبح الأعشى ج ٣ ص ٥٠٣ .

(٣) راجع النجوم الزاهرة ٥ ص ١٧٦ حيث يذكر أن خطبة الجمعة كانت

تلقى بالأزهر حتى عهد الأمر بإحكام الله (٤٩٦ - ٥٢٥ هـ) .

والسيف ، فخطب وصلى صلاة الجمعة وانصرف ، فأخذ رقاع المتظلمين بيده وقرأ منها عدة في الطريق ، وكان يوماً عظيماً ذكرته الشعراء ، (١)

وكان الجامع الأزهر يستأثر منذ عهد المعز لدين الله حتى قيام الجامع الحاكم بالخطب الرسمية الثلاث في جمع رمضان ، ثم كانت تلقى هذه الخطب بعد ذلك على الترتيب الآتي : الأولى بالجامع الحاكمي (أو الجامع الأنور) ، والثانية بالجامع الأزهر ، والأخيرة بالجامع العتيق أو جامع عمرو ، وقد نقل المؤرخون المتأخرون عن ابن الطوير وغيره من المؤرخين المعاصرين هيئة صلاة الجمعة في هذه الأيام المشهودة . وبيان ذلك - كما يقول عنان - أن يركب الخليفة في موكبه الفخيم إلى الجامع ويخرج من باب الذهب والمظلة بمشدة الجوهر على رأسه ، وقد ارتدى ثياب الحرير الأبيض الساذجة توقيراً للصلاة ، ويدخل من باب الخطابة ، وبين يديه القراء يرتلون منذ خروجه من القصر ، ومن حوله الجند والركابية . وإذا كانت الصلاة بالجامع الأزهر فإنه يخرج في موكبه إلى الجامع من باب الديلم الذي غدا باب المشهد الحسيني فيما بعد ، ويعبر « الخوخ » (الدروب) السبع إلى رحبة الجامع الأزهر ، وكانت هذه الرحبة ساحة شاسعة تقع في الجهة البحرية من الجامع ، وكان يحتشد فيها الجند كلما قصد الخليفة إلى الأزهر ، ثم يدخل الخليفة الجامع من باب البحرى ، ويجوز إلى الدهليز الأول الصغير ، ومنه إلى القاعة المعلقة التي كانت يرسم جلوسه فيجلس في مجلسه ، وترضى المقرمة الحرير وتحفظ المقصورة من خارجها بترتيب أصحاب الباب واسمهم سلاسل الجند ، ومن الداخل حتى الباب بصييان الخاص وغيرهم . ويقرأ المقرئون وتفتح أبواب الجامع حينئذ للناس بعد غلقها ، ووضع الحجاب عليها قبل مقدم الخليفة ، وتتخذ الأئمة منذ الصباح لاستقباله ، فيأتى صاحب بيت المال وبين يديه الفرش المختص بالخليفة محمولاً بأيدي الفرشين المميزين ، ملفوفاً في العراضى الدبقية ، فيفرش في المحراب ثلاث طراحت فاخرات واحدة فوق أخرى ، ويعلق ستران يمتد ويسرة يكتب في أولهما بالحرير الأحمر سورة الفاتحة وسورة الجمعة ، ويكتب في الستر الثاني سورة المنافقين كتابة واضحة ، فإذا استحق الأذان أذن مؤذنو القصر كلهم على باب مجلس الخليفة ، وعندئذ يصعد قاضى القضاة إلى المنبر وفي يده مدخنة لطيفة من

الخيزران يقدمها صاحب بيت المال وفيها ند خاص بالخليفة ، ويبخر بها أعلى المنبر وهو يقبل درجاته . ثم يدخل مقصورة الخليفة مسلماً بقوله : « السلام على أمير المؤمنين الشريف — القاضي — الخطيب ورحمة الله وبركاته » الصلاة يرحمك الله ، فيخرج الخليفة وحوله الاساتذة المخنسون والوزراء والامراء والحرس المسلح ، ويصعد إلى أعلى المنبر تحت القبة المبخرة ، ويقف الوزير بباب المنبر ووجهه إليه ، فإذا جلس أشار إلى الوزير بالصعود فيصعد إليه ويقبل يديه ورجليه بحيث يراه الناس ، ثم يزر تلك القبة حتى يصير كالمهودج ، ثم ينزل مستقبلاً للخليفة . ويقف ضابطاً للمنبر ، وينهض الخليفة فيلقى خطبة قصيرة من مسطور يعده له ديوان الانشاء يتلو فيها آية من القرآن الكريم ، ثم يصلي على أبيه على بن أبي طالب وجده النبي عليه الصلاة والسلام ، ويعظ الناس وعظاً بليغاً موجزاً ، ويذكر من سلف من آبائه حتى يصل إلى نفسه ويتوسل بدعوات غفمه تليق به ، ثم يدعو للوزير وللجيوش بالنصر والظفر على الكافرين والمخالفين ، ثم يختم بقوله : « أذكروا الله يذكركم ، فيصعد إليه الوزير ، ويفك أزرة القبة ويعود القهقري ، فينزل الخليفة ويقف للصلاة فوق الطراحات المذكورة في الحراب وحده إماماً ، وخلفه الوزير والقاضي ومن وراءهما الاساتذة والامراء وأصحاب الرتب والمؤذنون بترتيب مخصوص ، فإذا سمع الوزير الخليفة أسمع القاضي ، وأسمع القاضي المؤذنين فأسمعوا الناس ، ويقرأ الخليفة في الركعة الاولى ماهو مكتوب على الستر الايمن ، وفي الركعة الثانية ماهو مكتوب على الستر الايسر ، فإذا انتهت الصلاة خرج الناس وركبوا تبعاً ، ثم يعود الخليفة بموكبه إلى القصر والبوقات تضرب ذهاباً وإياباً ، ويتكرر هذا الترتيب والنظام في الجمعتين الأخيرين (١)

— وقد ألبث الازهر في العهد الفاطمي فضلاً عن صبغته الجامعية وعن إقامة الجمع والصلوات الرسمية فيه مركزاً لكثير من المظاهر والمناسبات الرسمية الأخرى .

فمن ذلك أنه كان مركز المحتسب ، وكان منصب المحتسب من أهم المناصب الدينية في الدولة الفاطمية ، وهو الثالث عندهم بعد قاضي القضاة وداعى الدعاة ، وعمله يتناول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على قاعدة الحسبة ، وله نواب في جميع

(١) راجع الخطط ج ٤ ص ٦١ و ٦٢ - راجع أيضاً صبح الاعشى ج ٣

ص ٥٠٩ - ٥١١ ، والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٠٣ و ١٠٤ .

أنحاء القطر ، ويجلس بالجامع الأزهر وجامع مصر (جامع عمرو) يوماً بعد يوم (١) ، وكانت مجالس القضاء تعقد قبل قيام الجامع الأزهر بجامع عمرو والجامع الطولوني ومن ذلك أنه كان مركز الاحتفال الرسمي بالمولد النبوي الكريم ، ففي اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول يركب القاضي بعد العصر ومعه الشهود إلى الجامع الأزهر ، ومعهم أرباب تفرقة صواني الحلوى التي أعدت بالقصر لتفريق في أرباب الرسوم : كقاضى القضاة وداعى الدعاة وقراء الحضرة والخطباء وغيرهم ، فيجلسون في الجامع مقدار قراءة الختمة السكرية ، ثم يعودون في موكبهم إلى القصر ، وينتظرون تحت المنطرة التي يجلس فيها الخليفة ، ثم تفتح إحدى طاقات المنطرة ويبدو منها وجه الخليفة ، ثم يخرج أحد الأساتذة المحنكين يده ويشير بكمه بأن الخليفة يرد عليكم السلام ، ويقرأ القراء ويخطب الخطباء بترتيب معلوم ، فإذا انتهى الحفل أخرج الأستاذ يده مشيراً برد السلام كما تقدم ، ثم تغلق الطاقتان وينصرف الناس (٢) .

وكان الاحتفال المحزن بيوم عاشوراء ، أو ماتم عاشوراء ، يقام بالجامع الأزهر قبل إنشاء المشهد الحسيني في سنة ٥٤٩ هـ ، وكان هذا الحفل من أجل المظاهر المذهبية التي رتبها الدولة الفاطمية لاهياء ذكرى الحسين . ففي العاشر من المحرم يحتجب الخليفة عن الناس ، وفي الضحى يركب قاضى القضاة والشهود ، وقدار تدوا ثياب الحداد ، إلى الجامع الأزهر (أو المشهد الحسيني فيما بعد) في حفل من الأثراء والأعيان وقراء الحضرة والعلماء ، ثم يأتي الوزير فيتبعوا صدر المجلس ، ويجلس إلى جانبه قاضى القضاة وداعى الدعاة ، والقراء يتلون القرآن ، ثم ينشد قوم من الشعراء أشعاراً في رثاء الحسن والحسين وآل البيت ، ويضج الحضور بالبكاء والعيول ، ثم ينصرف الوزير إلى داره ويستدعى القوم إلى القصر وقد فرشت أروقته بالحصر بدل البسط ، فيجدون صاحب الباب في انتظارهم فيجلس القاضي والداعى إلى جانبه والناس على اختلاف مراتبهم ، ويقرأ القراء وينشد المنددون على النحو السابق . ثم يمد في القاعة سباط الحزن عند الظهر ، وليس فيه سوى العدس والالبان والاجبان الساذجة والاعسال النحل والخبز الاسمر ، ويدخل من شاء تناول الطعام ، فإذا انتهى القوم انصرفوا إلى دورهم . ويم الحزن والنواح القاهرة في ذلك اليوم ، وتعطل الأسواق

(١) صبح الاعشى ج ٣ ص ٤٨٧ .

(٢) صبح الاعشى ج ٣ ص ٥٠٣ .

ويعتكف الناس حتى العصر ، ثم تفتح الاسواق وتسترد العاصمة شبيهاً من نشاطها ومظهرها العادي (١) .

وفي ليالى الوقود الاربع ، وهى ليلة أول رجب ، وليلة نصفه ، وليلة أول شعبان وليلة نصفه ، كان الخليفة يقصد مساء إلى منطرة الجامع الأزهر ، وكانت بجواره من الجهة القبليّة وتشرف عليه ويجلس الخليفة في هذه المنطرة ومعه حرمه ، وذلك لمشاهدة الزينات المضيئة والاحتفالات الفخمة التي كانت تقام في تلك الليالى الشهيرة (٢) . وإليك وصف المسبّح لبعض هذه الليالى . قال في حوادث شهر رجب سنة ٣٨٠ هـ وفيه خرج الناس في لياليه على رسمهم في ليالى الجمع وليلة النصف إلى جامع القاهرة (يعنى الجامع الأزهر) عوضاً عن القرافة ، وزيد فيه في الوقيد على حافات الجامع ، وحول صحنه التناير والقناديل والشمع على الرسم في كل سنة ، والاطعمة والحلوى والبخور في مجامر الذهب والفضة وطيف بها ، وحضر القاضى محمد بن النعمان ليلة النصف بالمقصورة ومعه شهوده ووجوه البلد ، وقدمت إليه سلال الحلوى والطعام وجلس بين يديه القراء وغيرهم والمنشدون والناحية وأقام إلى نصف الليل ، وانصرف إلى داره بعد أن قدم إلى من معه أطعمة من عنده وبخرهم ، وقال في حوادث شعبان من نفس السنة « وفي ليلة النصف من شعبان كان للناس جمع عظيم بجامع القاهرة من الفقهاء والقراء والمنشدين وحضر القاضى محمد بن النعمان في جميع شهوده ووجوه البلد ووقد التناير والمصابيح على سطح الجامع ودور صحنه ، ووضع الشمع على المقصورة وفي مجالس العلماء ، وحمل إليهم العزيز بالله الاطعمة والحلوى ، والبخور فكان جمعاً عظيماً ، (٣)

وهكذا كانت ليالى الوقود من المناسبات العامة التي يتبوأ فيها الجامع الأزهر مكانه خاصة ، فيخرج الناس اليه من كل فج ، ويبدو فيها المسجد الشهير كأنه شعلة من النور وتضاء في جوانبه وعلى حافته المشاعل والوقدات الساطعة ، ويعقد في صحنه مجلس حافل من القضاة والعلماء برئاسة قاضى القضاة ، ويبعث الخليفة إليهم بسلال من الاطعمة والحلوى الفاخرة ، وتضاء جميع المساجد الاخرى وتبدو العاصمة الفاطمية كلها في حلل بديعة من الانوار الساطعة .

(١) راجع خطط المقرئى ج ٢ ص ٢٨٩ - ٢٩١ ، والنجوم الزاهرة ج ٥

ص ١٥٣ - ١٥٤ . (٢) الخطط ج ٢ ص ١٨١ و ٣٤٥ .

(٣) المقرئى عن المسبّح - الخطط ج ٢ ص ٣٤٥ .

هذا وقد وصف مؤرخو الدولة الفاطمية أيضاً الموكب الرسمي الذي كان ينظم في ليالي الوقود ، عقب الغروب ، ويتقدمه القاضي ، ومن حوله القراء والمؤذنون ويسرون على ضوء المشاعل والشموع الساطعة إلى القصر ، ثم ينتظمون في ميدان بين القصرين تجاه باب الزمرد ، أحد أبواب القصر الغربية ، وينتظرون هنالك حتى يطل عليهم الخليفة ويحييهم من إحدى طاقات المنطرة الخلافية (١) .

— كذلك كان الجامع الأزهر أيام المعز والعزیز والحاكم ، مركزاً لمجالس الحكمة الفاطمية . وكانت هذه المجالس الشهيرة التي رتبها الخلافة الفاطمية لبث دعوتها وتوطيد إمامتها تتخذ صورة الدعوة إلى قراءة علوم آل البيت والتفقه فيها ؛ وكان يقوم بإلقاء هذه الدروس أيام المعز بنوالنعمان ، وهم أسرة مغربية نابتة قدمت في ركاب الخليفة الفاطمي ، وتولت قضاء مصر زهاء نصف قرن ؛ وكانت مجالس الحكمة تعقد أحياناً في القصر وأحياناً في الجامع الأزهر ، ويشارك في القائمتها بعض كبار الدولة مثل الوزير ابن كلس وزير المعز ثم ولده العزيز ، ثم عهد بعد ذلك إلى داعي الدعاة بالإشراف على تنظيم هذه الدعوة وبثها ، ووضعت لها نظم ورسوم خاصة ، وأحيطت بمجالس الحكمة يومئذ بشيء من التحفظ واستحالات إلى نوع من الدعوة السرية تلقى في الخاصة قبل كل شيء ، وتعقد بمجالسها في القصر ، وكان للكافة أيضاً نصيب من تلك المجالس ، فيعقد للرجال مجالس بالقصر ، ويعقد للنساء مجالس بالجامع الأزهر . وكان الداعي يشرف على هذه المجالس جميعاً بنفسه أو بواسطة نقبائه ونوابه ، وكانت الدعوة تنظم طبقاً لمستوى الطبقات والأذهان ، فلا تلقى الكافة سوى ما يلائمها وأصولها العامة ويرتفع الدعاة بالخاصة والمستنيرين إلى مراتبها وأسرارها العليا (٢) .

ولا تعرف أية مناسبة أخرى غير مجالس الحكمة الفاطمية يمثل فيها النساء في الجامع الأزهر في ذلك العصر لشهود نوع من القراءة والدرس ، بيد أنه يوجد ما يدل على أن النساء كن يظفرن أحياناً في بعض العصور المتأخرة في حلقات الأزهر الدراسية ، وقد كان من هؤلاء أم زينب فاطمة بنت عباس المعروفة بالبغدادية ،

(١) راجع خطط المقرئ ج ٢ ص ٣٤٦ ، وصبح الأعشى ج ٣ ص ٥٠١ و٥٠٢ .

(٢) الخطط ج ٢ ص ٢٢٥ و٢٢٦ ، وصبح الأعشى ج ٣ ص ٤٨٧ . وراجع كتاب الحاكم بأمر الله لعنان ص ١٦١ - ١٦٣ .

(٤) (الأزهر)

التي توفيت سنة ٧١٤ هـ ، وكانت فقيهة وافرة العلم وانتفع بعلمها كثير من نساء مصر ودمشق (١) وذكر الجبرتي أيضا ما يفيد أنه كان ثمة سيدة فقيهة عميةا تحضر دروس الشيخ عبدالله الشرقاوي شيخ الجامع الأزهر في أوائل القرن الثالث عشر الهجري (٢)

الأزهر وتجديد مبانيه :

١ وقد تعهد الخلفاء الفاطميون الجامع الأزهر بالتجديد والعمارة في فرص عدة ، ففي سنة ٣٧٨ هـ جدد فيه العزيز بالله أشياء ، ثم جددده ولده الحاكم بأمر الله وزوده بمجموعة من التناوير الفضية ، ورتب له في سنة ٤٠٠ هـ مع بعض المنشآت الفاطمية الأخرى أوقافا ينفق من ريعها على إدارته وشئونه ، فكانت أول وقفية رتب للجامع الأزهر . وقام الخليفة المستنصر بالله أيضا بتجديد الأزهر ، وجددده من بعده الحافظ لدين الله ، وأنشأ فيه مما يلي الباب الغربي مقصورة عرفت بمقصورة فاطمة الزهراء ... وفي عهد الملك الظاهر بيبرس ، قام الأمير عز الدين أيدير الحلي ، نائب السلطة بعمارته وتجديده تجديدا شاملا ، وكان الخراب قد تطرق اليه ، فألفق على عمارته وإصلاحه وتجميله أموالا عظيمة ، وسعى في إعادة خطبة الجمعة اليه كما سنذكر ، وفي سنة ٧٠٢ هـ في عهد السلطان الملك الناصر وقعت بمصر زلزلة عظيمة ، وسقطت منشآت عدة منها الجامع الأزهر ، فقام أمراء الدولة على عمارة هذه المنشآت ، وتولى عمارة الجامع الأزهر الأمير سلاور ، وأنشأ الأمير علاء الدين طبرس نقيب الجيوش مدرسته التي عرفت باسمه ، الطبرسية ، بجوار الجامع الأزهر من الجهة الغربية البحرية لتكون ملحقا له ، وكمل بناءها في سنة ٧٠٩ هـ وقرر بها درسا للشافعية ، وبعد ذلك بقليل أنشأ الأمير علاء الدين أقبغا عبد الواحد ، استادار الملك الناصر مدرسته المقابلة لها في الزاوية البحرية الغربية للجامع الأزهر ، مكان دار الأمير عز الدين أيدير الحلي وقد تم بناؤها عام ٧٤٠ هـ ، وأنشأ بهادروسا للشافعية والحنفية وملجأ للصوفية . وقد حجبت المدرستان الطبرسية والأقبغاوية واجهة الجامع الأزهر الغربية وما زالتا قائمتين في مكانهما إلى اليوم . وفي سنة ٧٢٥ هـ قام بتجديد الجامع الأزهر

(١) راجع خطط المقرئزي ج ٤ ص ٢٩٤ ، وحسن المحاضرة للسيوطي ج ١

ص ١٨٢ .

(٢) راجع ذلك في ترجمة الشيخ عبدالله الشرقاوي في حوادث سنة ١٢٢٨ هـ (ج

٤ ص ١٧٢) .

وعمارته القاضي نجم الدين محتسب القاهرة ، ثم جددت عمارته سنة إحدى وستين وسبعائة في عهد السلطان الملك الناصر حسن على يد الأمير سعد الدين بشير الجامدار ، وكان يسكن على مقربة من الأزهر ، فاستأذن السلطان في إصلاحه وقام فيه بعمارة شاملة ، وأنشأ فيه دروساً جديدة للفقهاء الحنفي ، ورتب لطلابه أطعمة توزع عليهم كل يوم ، وأوقف على ذلك أوقافاً جليلة . وفي سنة ٨٨١ هـ في عهد الملك الأشرف قايتباي أمر السلطان بإزالة الخلوأ التي كانت بسطح الأزهر وفقاً لفتوى صدرت بذلك ، ورسم بتجديد الجامع وعمارة ما تشعث منه ، وأمر بإنشاء المنارة الواقعة في الجهة البحرية الغربية إلى يمين المدرسة الأقباقوية والباب الذي تعلوه ، حسبما نقش على أحجار هذا الباب ، وتمتاز هذه المنارة برشاقها وزخارفها الجميلة . وفي أواخر عهد الأشرف أيضاً ، قام الخواجا مصطفى بن محمود بن رستم الرومي بعمارة الجامع الأزهر وتجديده ، وأتفق عليه من أمواله جملة كبيرة ، وانهت هذه العمارة في سنة ٩٠٠ هـ . وأنشأ السلطان الغوري بالأزهر منارته الجميلة ذات الرأسين التي مازالت قائمة إلى الآن في الجهة الغربية إلى جانب منارة الأشرف قايتباي .

وفي أثناء العهد التركي قام عدة من الولاة والأكابر بتجديد الأزهر ، فجدده في سنة ١٠٠٤ هـ الشريف محمد باشا والي مصر ورتب به أطعمة للفقراء . وعمر به الوزير حسن باشا والي مقام الخنفية في سنة ١٠١٤ هـ ، ثم جدده الأمير إسماعيل بك ابن الأمير إيواظ بك القاسمي في أوائل القرن الثاني عشر . على أن أعظم عمارة أجريت بالجامع الأزهر في ذلك العهد هي التي قام بها الأمير عبد الرحمن كيتخدا القازدغلي في أواخر القرن الثاني عشر ، فقد أنشأ هذا الأمير الكبير في الناحية الشرقية القبليية من الجامع بهواً كبيراً يشتمل على خمسين غوداً من الرخام تحمل مثلها من البوائك المقوصرة ، وأنشأ للجامع محراباً ومنبراً جديدين ، وبنى في أعلاه مكتباً بقناطر معقودة على أعمدة من الرخام لتعليم الأيتام من أطفال المسلمين القرآن ، وأنشأ أيضاً بداخله رحبة متسعة وصريحاً عظيماً ، وأنشأه داخل هذه الرحبة مدفناً عليه قبة معقودة ، كما أنشأ بتلك الجهة رواقاً خاصاً بطلاب الصعيد ، وجدد المدرسة الطيبرسية وجعلها هي والمدرسة الأقباقوية داخل الجامع ، وأنشأ فيما بينهما باباً عظيماً بالهيئة التي نراها اليوم ، وأنشأ للجامع منارتين جديديتين ، وتقع إحداها في الجهة الشرقية القبليية والأخرى في الجهة الشرقية ، وعلى الجملة فقد كانت هذه العمارة أعظم ما شهد الجامع الأزهر منذ قرون ، ورتب هذا الأمير الكبير للجامع وطلابه مرتبات وأطعمة كثيرة ، ومازال الجامع الأزهر بوجه عام على حاله التي جدده بها

عبد الرحمن كتنخدا ، ما عدا تغييرات وإضافات قليلة أجريت في العهد الأخير (١) .

وهكذا لبث الأزهر خلال حياته الطويلة الحافلة موضع العناية والرعاية من الخلفاء والسلاطين والأمراء ، يتعهدونه بالتجديد والإصلاح والنفقة المستمرة ، ولم يحظ جامع آخر من جوامع مصر التاريخية بمثل ما حظي به الأزهر من رعاية ، وقد يرجع أكبر الفضل في ذلك إلى ما يتمتع به الأزهر من الصفات العلمية إلى جانب صفته الدينية ، وما زال الجامع الأزهر بفضل هذه الرعاية المستمرة يحتفظ بفخامته ورونقه وجدته بالرغم من عمره الألفي .

وما يذكّر بالاعتباط أن الأمراء الذين كانوا يبذلون الغالي والرخيص في تشييد هذا الجامع وتكبيره كانوا لا يبغيون بذلك سوى وجه الله تعالى وخدمة العلم ، لأحب الظهور والرياء ، فقد ذكر المؤرخون أن الأمير طيبرس مشيد المدرسة الطبرسية التي هي الآن من ملحقات الأزهر ، لما فرغ من بناء مدرسته وأحضروا إليه حساب نفقاتها ، استدعى بطست مملوء بالماء وغسل أوراق الحساب بأسرهما من غير أن يقف على شيء منها ، وقال : شيء خرجنا عنه لله لانهاسب عليه !

وما زال الجامع الأزهر يحتل الموقع الذي أقيم فيه منذ ألف عام . وما زالت فيه بقية من أبنية الفاطميين الأولى تحتل مكانها الأول داخل الصرح القائم ، وهي تكاد تبلغ نصف المسجد الحالي ، وقد وفقت لإدارة الآثار العربية أخيرا إلى الكشف عن رأس المحراب الفاطمي القديم ، وقد كان مغطى بغطاء خشبي يرجع إلى عصر الملك الظاهر بيبرس البندقداري ، فظهر بائنازه زخارف ونقوش فاطمية يرجع أنها ترجع إلى عهد إنشاء المسجد الأول ، أي في عهد جوهر والمعز .

ومقصورة الجامع الأزهر تنقسم إلى قسمين : المقصورة الأصلية الكبيرة التي هي من إنشاء القائد جوهر وبها ٧٦ عمودا من الرخام الأبيض الجيد على صفوف متسامية ، والمقصورة الجديدة التي أحدثها الأمير عبد الرحمن كتنخدا سنة ١١٦٧ هـ وبها خمسون عمودا من الرخام : فمجموع أعمدة المقصورتين ١٢٦ عمودا ، وإذا أضيف إلى هذا العدد ما بملحقات الجامع من الأعمدة بلغ عددها كلها ٣٧٥ عمودا ،

(١) راجع ترجمة الأمير عبد الرحمن كتنخدا وتفصيل منشآته الكثيرة بالأزهر وغيره من المساجد والمدارس في عجائب الآثار للجبرتي ج ٢ ص ٥ وما بعدها

وأرض المقصورة الجديدة مرتفعة عن أرض المقصورة القديمة بنحو نصف ذراع بحيث يصعد من القديمة إلى الحديثة بدرجتين .

وقد أنشأ جوهر القنبقائي مدرسة رواق الجوهريّة في أوائل القرن للتاسع الهجرى ، ودفن بها سنة ٧٤٤ هـ .

وأنشئ في عهد عباس الثانى الرواق العباسى ، واحتفل بافتتاحه في ٢٤ شوال سنة ١٣١٥ هـ . وهو غاية في الدقة والفن .

وأعظم زيادة دخلت فيه هي كما ذكرنا بناية الأمير عبد الرحمن كستخدا حسن جاويش القازدغلى سنة ١١٦٧ هجرية ، فزادت في سعة هذا الجامع بمقدار النصف تقريباً . وهو عمل تاريخي جليل .

وبالأزهر الآن خمس منارات يؤذن عليها في الأوقات الخمس وفي الأسبوع ، وتضاء بالكهرباء في ليالي رمضان والمواسم ، منها ثلاث منارات من داخل باب المزينين مشرفة على صحن الجامع ، إحداها منارة الأقبغاوية عن يسار الداخل إلى الأزهر أنشأها الأمير علاء الدين أقبغا عبد الواحد مع مدرسة الأقبغاوية واثنتان عن يمين الداخل ، فالتى بجانب الباب مما يلي الداخل أنشأها السلطان الأشرف قايتباي ، والتى تليها من إنشاء السلطان الغورى وهى أعلى مناراته وأعظمها ، والرابعة بباب الصعايدة ، والخامسة بباب الشربة ، وهما من إنشاء الأمير عبد الرحمن كستخدا

ولقد كان الأزهر الشريف في أول نشأته موضع عناية الخلفاء الفاطميين في مصر ، ومن بعدهم من الملوك والأمراء والوزراء ، وذوى الجاه منها ، يتنافسون في خدمة هذا الجامع ، ويتمهدون أهله ، وبشرفون على حلقات الدروس فيه ، وينشئون الأروقة لسكنى الطلبة ، ويشيدون دور الكتب في علوم الدين والحكمة والفلسفة ، مما كان له الأثر في حفزهم الشيوخ والطلبة إلى التفرغ للتعلم والتعليم . وقد استمر الأزهر يتسع نطاقه حتى بلغت مساحته الآن سوى ملحقاته ١١٣٨٠ متراً مربعاً .

ويقول الأستاذ محمد عبد الله دراز من كلفة نشرها في مجلة الأزهر عام ١٩٥٢ :
البيت المعمور الذى أرسيت قواعده في عهد الخليفة الفاطمى المعز لدين الله على يدى قائده جوهر الصقلى في سنة ٣٥٩ هـ - ٩٧٠ م - كان يتألف في أول إنشائه من قسمين : « فناء » فسيح يحيط به نطاق من الأعمدة المعقودة ، و « مقصورة » أو

« مصلى » لا تقل عنه اتساعا ، يشقها « مجاز » ، تمتد من بابها إلى المحراب . ولا تزال معالم القسمين قائمة إلى يومنا هذا لم ينلها تغيير جوهري .

نعم إن بعض أجزاء المقصورة قد تناولها شيء من الترميم استجابة لضرورة حفظها وصيانتها . ولكن سائر أجزائها لا تزال كما وضعت أول يوم ، ولا سيما « المحراب » ، الذى تراه الآن بنقوشه ورسومه العتيقة ، و « المجاز » ، الذى نشاهد أعمدته بنقوشها ورسومها الأولى . وكذلك نرى الأعمدة المضروبة حول الفناء قائمة على حالها لم تتسنه ، وإنما أضيف إليها فى مبدأ القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) نطاق آخر من الأعمدة من أمامها .

ولقد بقى الأزهر قرونا عدة مكتفياً بحدوده الأولى هذه ، حتى كانت بداية القرن الثامن الهجرى ، فهناك أخذت تضاف إليه فى عصور مختلفة زيادات كثيرة أصبحت فى مجموعها أشبه بصوان يحيط به من كل جانب ، حتى صار « فناءه » ، الخارجى « صحن » ، داخلها ، وحتى بلغت مساحة المسجد الآن ١١٣٨٠ مترا مربعا ، لا يدخل فيها حساب الملحقات .

أولى هذه الإضافات تستقبلنا بمجرد ما نضع أقدامنا فى المسجد عند دخولنا من الباب الكبير الشمالى الغربى المطل على الميدان . ذلك أننا نجد أنفسنا فى دهليز متوسط الاتساع ، فاصل بين جناحين من الابنية عن يمين وشمال ، ونجد أمامنا باباً كبيراً آخر داخلها يفتح على صحن المسجد . فهذا الباب الداخلى الذى يفتح على الصحن هو أول حدود المسجد التاريخى . أما كل هذه الابنية عن اليمين والشمال فيما بين البابين ، وكذلك الأرض التى أقيمت عليها هذه الابنية ، فإنها من الزيادات التى ضمت إلى الجامع فى القرن الثامن الهجرى وما بعده .

فالجناح الايمن (ماعدة منارتيه) أنشاه الامير طيبرس فى سنة ٧٠٩ هـ (١٣٠٩م) والجناح الايسر بمنارته أقامه الأمير أقبغا فى سنة ٧٤٠ هـ (١٣٤٠ م) . والباب الداخلى والمنارة الرشيقة التى فوقه إلى يمين الداخل من عمل السلطان قايتباى فى سنة ٨٧٣ هـ (١٤٦٨ م) والمنارة العظيمة ذات البرجين التوأمين وهى التى تلى هذه على اليمين أيضا من صنع السلطان الغورى فى سنة ٩١٥ هـ (١٥١٠ م) .

ولقد كان الجناحان فى نظر مؤسسيهما مدرستين ، ولكن الشقيف العقلى فى رأيهما . وكذلك هو دائما فى نظر كل سياسة رشيدة . لم يكن ليفصل عن التهذيب الروحى

ولذلك أقام كل منهما في مدرسته محراباً (١) أنيقاً دقيقاً من الرخام والذهب لا يزال يتحدى الزمان بنضارته وجدته ، كأنما صنع أمس .

والجناحان (٢) اليوم مشغول معظمهما بالمكتبة الأزهرية التي تعد من أنفس المكتبات في العالم ، بما فيها من المخطوطات النادرة ، والمجلدات التي تبلغ زهاء مائة ألف مجلد . . فلنغادر الآن هذه الزيادات ، ولنعتبر « الصحن » في خط مستقيم ، ولندخل المقصورة نجتازها إلى المحراب . . . هنالك سنشعر بشيء من الدهشة ، إذ نجد المحراب غير مستند إلى جدار القبلة كما هو شأن المحاريب ، بل نراه منعزلاً تمام العزلة في وسط المصلى ، ونلاحظ فوق ذلك أن الأرض التي تمتد من خلف هذا المحراب ، والتي تكاد تعادل مساحة الأرض التي أمامه ، مرتفعة عن هذه بحيث يصعد إليها بدرجتين ، ونرى أخيراً أن هناك محراباً ثانياً مستنداً كالعادة إلى الجدار الجنوبي الشرقي ، الذي هو جدار القبلة .

غير أن هذه الدهشة ستزائلنا متى عرفنا أن هذا الإيوان المرتفع قليلاً ، والمحراب الذي عليه ، المتصل بالجدار ، وكذلك البابان اللذان في هذا الجدار ، والمنارتان المقامتان فوقهما ، كل هذه زيادات جديدة في المقصورة أضيفت إليها أخيراً على يد الأمير (٣) عبدالرحمن كتحدا في سنة ١١٦٧ هـ (١٧٥٣ م) . ومن السهل حينئذ أن نعرف إلى أي حد بلغ ورع هذا الأمير وتقواه في المحافظة على تراث سلفه الصالح ، وعدم الجرأة على تغيير شيء من معالمه بغير ضرورة مادية . . وهذا هو ما يسمى في لغة العصر الحاضر : احترام الماضي وصيانة آثار القدماء .

وقبل أن نتأهب للانصراف من هذه المقصورة يحمل بنا أن نقرب من جدارها الشمالى الشرقى . . . فسنجد فيه باباً صغيراً ننفذ منه إلى مبنى جميل أقامه الأمير جوهر قانقباي المتوفى سنة ٨٤٤ هـ (١٤٤٠ م) . لقد بناه هذا الأمير ليكون مدرسة صغيرة ، ولكنه جمع فيها كل عناصر المسجد الكبير مع جمال التنسيق ودقة الفن . وفيها قبعة تقوم على قبر بانها .

(١) بل إن مدرسة أقبغا تحتوي محرابين اثنين .

(٢) الجناح الايسر حول إلى مكتبة منذ سنة ١١١٤ هـ (١٨٩٦ م) . والجناح الايمن شغل جانب منه ببعض خزائن الكتب في عهد قريب .

(٣) إلى هذا الأمير يرجع الفضل أيضاً في بناء الباب الكثير الذى في المدخل على الميدان ، وفي تجديد واجهته اليمنى ، وهي جدار المدرسة الطبرسية .

وقد جدد في عهد الخديوي إسماعيل في سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥ م) بناء أحد البابين اللذين في جدار القبلة ، كما أنه في عهد توفيق جدد في سنة ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م) بناء الإيوان الذي ينتهي بهذا الجدار ، وهاتان المنشأتان المجددتان كانتا من عمل الأمير كتنخدا كما يعلم بما أسلفناه .

على أن أحدث الزيادات وأخفها هي المنشآت التي أقيمت منذ عام ١٩٣٢ وتم بعضها في ذلك الحين ، ولا يزال العمل جاريا في تسكين باقيها . وهي مجموعات قائمة خارج نطاق المسجد ، ولكنها تشرف عليه من الشمال والشمال الشرقي ، ومن الشرق والجنوب الشرقي ، وقد برز إلى الوجود في سنتي ١٩٣٥ و ١٩٣٦ م أربع عمارات كبيرة ، خصصت واحدة منها لإدارة الجامعة ، والثلاثة الباقية لسكنى الطلاب . وأما في عهدنا هذا فقد تم حتى اليوم :

١ — مدرج فخم على أحدث طراز يتسع لألفي مستمع .

٢ — كلية للشريعة الإسلامية .

٣ — كلية للغة العربية ، والكلية الباقية وهي كلية أصول الدين في دور الانشاء ، ومن الاعمال المتوقع البدء فيها لإنشاء :

١ — مكتبة فسيحة تتسع لنصف مليون مجلد .

٢ — معهد ابتدائي وثانوي يحضر للسكرات الأزهريه .

٣ — مستشفى . ٤ — حديقة .

ولما كانت أزمة المساكن لا تزال في حداثها ، فإنه ينظر الآن في مشروع لبناء عدة بيوت أخرى لسكنى الطلاب ، ولا سيما الوافدين منهم من الاقطار الخارجية الإسلامية ، بحيث يتألف منها ومن المساكن القائمة الآن مدينة جامعية حقيقية تتصل بحرم المسجد ومنشأته .

الفصل الخامس

الأزهر في عهد الدولة الأيوبية

التاريخ السياسي للدولة :

قامت الدولة الأيوبية في مصر من عام ٥٦٧ هـ على يد مؤسسها : السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وقد دعم كيان دولته ، وحارب من مصر المذهب الفاطمي ، وأحل محله المذهب السني ، وعنى بنشر العلم وتشجيع العلماء ، ووقف في

وجه الصليبيين وقفات خالدة في تاريخ الشرق الاسلامى . : وكان عادلا محببا من قلوب الناس ، وكانت مملكته من المغرب إلى تخوم العراق ومعاين والحجاز (١) ، ونشر العدل في الرعية وحكم بالقسط بين البرية وبنى المدارس والخوانق وأجرى الأرزاق على العلماء والصلحاء ، مع الدين والورع والزهد والعلم ، وهو الذى ابنتى قلعة القاهرة على جبل المقطم (٢) وأصبحت عاصمة البلاد فى عهده ، ويذكر السيوطى أنه رحل بولديه الأفاضل والعزیز لسماع الحديث من السابق (٣) . وتوفى عام ٥٨٩ هـ عن سبعة وخمسين عاما .

مات السلطان خلفه على عرش مصر ابنه العزيز عماد الدين عثمان فسار سيرة حسنة ومات سنة ٥٩٥ هـ ودفن فى قبة الامام الشافعى ، فأقيم ولده المنصور مكانه ، ولكن عم أبيه الملك العادل نزعه عام ٥٩٦ هـ وتولى مكانه .

والملك العادل أبو بكر بن أيوب هو أخو السلطان صلاح الدين ، وكان شديد الحب للعلماء ، وأبلى بلاء حسنا فى مقاومة الغزو الصليبي للبلاد ومات عام ٦١٦ هـ . وخلفه ابنه الملك الكامل محمد ، (٦١٦ هـ - ٦٣٥ هـ) وقد حكم مصر حوالى أربعين عاما ، كان فى العشرين عاما الأولى نائبا عن أبيه ، وكان فى العشرين عاما الأخيرة يحكم بنفسه بعد موت أبيه ، وكان الكامل معظما للسنة النبوية وأهلها راغبا فى نشرها والتسك بها ، مؤثرا الاجتماع مع العلماء ، والكلام معهم حضرا وسفرا (٤) ، وقد أنشأ دار الحديث بالقاهرة ، وعمر القبة على ضريح الشافعى وكان معظما للسنة وأهلها (٥) ، وتوفى يوم الأربعاء حادى عشر من رجب عام ٦٣٥ هـ ، وأقيم بعده ابنه الملك العادل أبو بكر ، ولكن المالك الصالح أيوب نزع الملك منه وتولى حكم مصر عام ٦٣٧ هـ .

كان الملك الصالح مهيبا جدا ، دبر المملكة على أحسن وجه ، وبنى المدارس الاربعة بين القصرين ، وعمر قلعة بالروضة ، وهو الذى أكثر من شراء الترك وعقبتهم

(١) ٢٦ ج ٢ حسن المحاضرة ط ١٣٢٧ هـ .

(٢) ٢٦ ج ٢ حسن المحاضرة ط ١٣٢٧ هـ .

(٣) ٢٦ ج ٢ حسن المحاضرة .

(٤) ٢٣٠ ج ٦ النجوم الزاهرة .

(٥) ٣٣ ج ٢ حسن المحاضرة .

وتأميرهم ، ولم يكن ذلك قبله فقام الشيخ عز الدين بن عبد السلام القومة الكبرى في بيع أولئك الأمراء وصرف ثمنهم في مصالح المسلمين (١) ، ومات في ليلة النصف من شعبان عام ٦٤٧ هـ ، وهو مستعد لقتال الصليبيين في المنصورة ، فأخفت زوجته شجرة الدر موته ، حتى حضر ابنه الملك المعظم توران شاه فتولى الملك في ذى القعدة عام ٦٤٧ هـ ، وقاتل الأفرنج وكسرهم ، وكان في عسكر المسلمين الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وأسر الملك لويس السادس ملك فرنسا ، وحبس في دار ابن لقمان بالمنصورة ثم نفرت قلوب الجيش من توران شاه فقتلوه في ١٧ محرم عام ٦٤٨ هـ ، وولوا شجرة الدر مكانه وكان يخطب لها على المنابر بعد الدعاء للخليفة العباسي ، ولم يل مصر امرأة في الإسلام قبلها ، ولما وليت تسلم الشيخ عز الدين بن عبد السلام في بعض تصانيفه على ما إذا ابتلى المسلمون بولاية امرأة ، وأرسل الخليفة العباسي المستعصم يعاتب أهل مصر في ذلك ، وأقامت شجرة الدر في المملكة ثلاثة أشهر ثم عزلت نفسها ، واتفق القواد على أن يملكوا الملك الأشرف موسى بن صلاح الدين يوسف بن المسعود بن الملك الكامل فلكوه في جمادى الأولى عام ٦٤٨ هـ ، وجعلوا عز الدين أيبك التركاني مملوك الملك الصالح قيا عليه ، وعظم شأن المماليك الأتراك من يومئذ ، وفي عام ٦٥٢ هـ خلع عز الدين الملك الأشرف واستقل بالملك ، وهو أول من ملك مصر من المماليك الأتراك ، وتزوج شجرة الدر ، ثم خطب عليها ابنة صاحب الموصل ، فقتلته شجرة الدر عام ٦٥٥ هـ ، وخلفه ابنه المنصور ، حتى قضى على ملك الدولة الأيوبية الأمير يوسف الدين قطز الذي لقب نفسه بالملك المظفر وذلك عام ٦٥٧ هـ .

ومن الجدير بالذكر أن ملوك الدولة الأيوبية كانوا يتلقون مراسيم ولايتهم من خلفاء بغداد العباسيين ، مع استقلالهم السياسي والإداري على خلافة بغداد .

الأزهر في عهد الدولة الأيوبية :

بزوال الدولة الفاطمية من مصر وقيام الدولة الأيوبية مقامها ، انمحت معالم الفقه الاسماعيلي الشيعي ، فقد غالى الأيوبيون في للقضاء على كل أثر للشيعه ، وأفتوا بإبطال إقامة الجمعة في الأزهر (٢) ولبثت إقامة الجمعة معطلة . فيه نحو مائة عام ، وذلك

(١) ٣٤ ج ٢ حسن المحاضرة :

(٢) أصدر قاضي القضاء الشافعي صدر الدين عبد الملك بن درباس فتوى بأنه لا يجوز إقامة الجمعة في بلد واحد في مكانين فأبطل إقامتها بالأزهر وأقرأها بالجامع الحاكمي

من عام ٥٦٧ - ٦٦٥ هـ .

✓ وفي عهد الدولة الأيوبية أنشئت عدة مدارس تنافس الأزهر في رسالته العلمية ، فبنى صلاح الدين مدرسة للشافعية بجوار مسجد عمرو ، ومدرسة أخرى للباسكية وعرفت باسم « دار الفزل » ، ثم عرفت بالمدرسة القمحية ، ثم بنى مدرسة نائبة للفقهاء الحنفية أطلق عليها اسم « المدرسة السيوفية » ، كما بنى مدرستين أخريين لفقهاء المذهب الشافعي خاصة ، وهو المذهب الذي كان عليه أكثر أفراد البيت الأيوبي نفسه ، وكانت مدرسة منها بجوار الامام الشافعي والأخرى بجوار المشهد الحسيني . . ويحصى المقرئى المدارس التى بنيت فى القاهرة وحدها بثمانى عشرة مدرسة (١) .

✓ وقد بنيت فى القاهرة والفسطاط معا نحو خمسة وعشرين مدرسة : منها المدرسة الكاملية وتسمى دار الحديث ، وقد أنشأها الملك الكامل عام ٦٢١ هـ وكتلت عمارتها سنة ٦٢٢ هـ ، وتولى مشيختها أبو الخطاب عمر بن دحية ثم أخوه أبو عمرو عثمان بن دحية (٢) ، ومن مشايخها أيضا القسطلانى الشافعي وابن دقيق العيد .

✓ ومن هذه المدارس المدرسة الصالحية وقد بناها الملك الصالح عام ٦٣٩ هـ وهى أربع مدارس للمذاهب الأربعة ، وكانت من أجل مدارس القاهرة (٣) .

ومنها المدرسة الفاضلية بناها القاضى الفاضل عام ٥٨٠ هـ وكان فى مكتبتها مائة ألف كتاب مجلد (٤) .

✓ وكانت كل مدرسة من هذه المدارس تتخصص فى دراسة بعينها ، وكان الغرض من إنشاء هذه المدارس هو منافسة الأزهر وصرف الطلاب عنه ، وقد كان لقيام هذه المدارس وكثرتها خلال القرنين السابع والثامن ، أى حتى بعد عصر الأيوبيين ، أثر كبير فى سير الدراسة فى الأزهر ، إذ نافسته هذه المدارس منافسة شديدة وجذبت إليها أعلام الأساتذة ، وقضى الأزهر فى هذه المدة عصرا من الركود الطويل .

وقد كان الأيوبيون من الغلاة فى المذهب الشافعي ، وكانوا من أتباع الأشعري ، وكان الحنابلة بمفردهم يكونون معسكرا مستقلا يناهض معسكر الأشاعرة ، وكان من نتائج تصادم الأفكار بين أصحاب المذاهب المتعددة أن اشتدت روح التعصب والمغالاة ، فكان كل فريق يدفع صاحبه بما يملك من أسلحة الهجوم ، فكان أهل السنة يطعنون

(١) ١٩٣ - ٢١٦ ج ٤ خطط المقرئى . (٢) ١٤٢ ج ٢ حسن المحاضرة .

(٣) ١٤٢ ج ٢ حسن المحاضرة : (٤) ٢٥٥ ج ٢ الخطط للمقرئى .

الشيعة بأنهم كفار زنادقة وفساق ملاحدة ، وقد أصدر بلاط بغداد في سنة ٤٠٢ هـ في عهد الخليفة القادر بالله فتوى رسمية موقعا عليها من كبار الفقهاء والقضاة بهذا المعنى ، طعنا في الفاطميين خلفاء مصر .

ومن ناحية أخرى لم يتوان الأشاعرة عن استعمال سلاح التكفير والتفسيق في شتى المناسبات ، حتى بلغ الأمر فصل الحنابلة كفرقة تلت في قرن مع النصارى واليهود والباطنية . ومن طريف ما يروى أن منشئ المدرسة الرواحية في دمشق نصر في حجة وقفيته على هذه المدرسة نصا يمنع دخول اليهود والمسيحيين والحنابلة لهذه المدرسة .
ومن هنا ورث الأزهر التعصب المذهبي الشديد إلى حد الإقتاء بالكفر وعدم صحة الاقتداء بالخالف في المذهب ، فقد أفتى ابن حجر الهيتمي بأن ابن تيمية العالم الفقيه كافر لا تصح الصلاة وراءه ، وأمر القاضي عياض بإحراق كتب الغزالي لما يوجد بها من أشياء لا ترتضيها عقائد أهل السنة . ونقل السكال بن الهمام عن أحد علماء الحنفية أنه لا تجوز المناكحة بين أهل السنة والاعتزال .

وظل هذا التعصب يشتد ويشغل أمره العلماء ، فاتهم كل مجتهد يخرج على التقاليد العلمية في عصره بالزندقة والضلال . والضلال يومذاك كانت كلمة ترادف التفكير الحر الذي لا يرضى بالتقليد ، ولا يرضى أن يكون في آرائه من العيب . وكان الضلال عنوان فضوج العقل ، أو كما يقول الغزالي : وأستحقر من لا يحسد ولا يقذف ، وأستصغر من بالكفر أو الضلال لا يعرف .

ولما كثرت المدارس في عهد الأيوبيين وأرادوا جذب أساتذة الأزهر إليها ، أغدقوا لهم في العطاء ، وأجزلوا في المرتبات ، وبعد أن كان العلماء يعتمدون في العصور الأولى على أنفسهم في سد حاجات عيشهم عن طريق السعي وراء الرزق أو استجلاب الربح من صنعة أو حرفة ، فكان منهم في العصر الأول البزاز والزجاج والصائغ والصباغ والفرّاء ، إلى ما لهم من شهرة في العلم ، أصبحوا في هذا العهد وماتلاده من عهود المماليك يعتمدون على الدولة وماتعطيهم من إعانات ، وماتدره عليهم من غلات أوقاف ، أو نظارات في حياتهم ، مما مكن للدولة من ضمان بقائهم في صفها ، ولم يدع للعلماء حرية كاملة في إبداء ما يرون من آراء على الوجه الذي يرضى الله والضمير والحق والعدل . بل كثيرا ما كان هذا النوع سببا في تحاسد العلماء وسعي بعضهم ببعض عند الأمراء ، لتوجيه وظيفة أو إعطاء وقفس

أشهر العلماء في عصر الدولة الأيوبية

هل الأزهر أثر فيهم ؟

انبج في العصر الايوبي كثير من العلماء والأدباء والشعراء ، منهم : الحسن الفارسي الفقيه الجنيني العالم باللغة والادب والطب والهيئة المتوفى عام ٥٩٨ هـ (١) . ومنهم : ابن الحاجب النحوي (٥٦٦ - ٦٤٦ هـ) المشهور (٢) ، والشاطبي (٥٣٨ - ٥٩٠ هـ) (٣) ، وابن الفارض (٥٧٦ - ٦٣٢ هـ) الصوفي الزاهد الشاعر المعروف (٤) ، وعز الدين بن عبد السلام شيخ الاسلام (٥٧٧ - ٦٦٠ هـ) (٥) واشتهر فيه من الصوفية سيدي أحمد البدوي (٥٩٦ - ٦٧٥ هـ) (٦) ، وعبد الرحيم القنائي المتوفى عام ٥٩٢ هـ (٧) ، وسواهم .

ومن العلماء أيضا الحافظ المنذرى شيخ الاسلام (٥٨١ - ٥٦٠هـ) ، والسخاوى المصرى (٥٥٨ - ٦٤٣هـ) صاحب التفسير المشهور وشرح الشاطبية ، وابن سرايا (٥٧٠ - ٦٥١هـ) المفسر العالم بالقراءات ، وابن المنير (٦٢٠ - ٦٨٢هـ) وكان إماما فى النحو والادب والاصول والتفسير ..

ومنهم ابن بري المتوفى عام ٥٨٢ هـ ، وابن معطى المتوفى عام ٦٢٨ هـ ، وكانا إمامين في العربية ، وابن مالك الأندلسي المتوفى عام ٦٧٢ هـ وقد أقام بمصر حينما كان أقام بدمشق وحلب ، وكذلك ابن الصلاح وتوفى عام ٦٤٣ هـ .

ومن الأدباء ابن شيث من أدباء القرن السادس ، وابن أبي الأصبع المتوفى عام ٦٥٤ هـ ، وابن الساعاتى المتوفى عام ٦٠٤ هـ ، وأبو الحسين الجزار الشاعر ، وأبو شامة المتوفى عام ٦٩٥ هـ ، والتلعفرى (٥٩٣ - ٦٧٥ هـ) ، وابن واصل المتوفى عام ٦٩٧ هـ ، والقاضى الفاضل المتوفى عام ٥٩٦ هـ ، والعماد الاصبهانى المتوفى عام ٥٩٧ هـ ومن الحكماء الوزير القفطى (٥٦٨ - ٦٤٦ هـ) .

ومن المؤرخين ابن شداد (٥٣٩ - ٦١٥ هـ) ، وابن عبد الظاهر (٦٢٠ -

• (2792)

(١) ١٢٦ ج ١ حسن المحاضرة . (٢) ١٩٤ ج ١ حسن المحاضرة

• • ۱۷۲۲۱ (۴) • • ۱۷۲۱۲ (۳)

• 17223 (7) • 17127 (5)

1522. (V)

ولا شك أنه كان لكثير من هؤلاء العلماء تلمذة على أساتذة الأزهر وحلقاته العلمية في العصر الفاطمي ، فإذا كان الأزهر قد أوقف نشاطه العلمي في هذا العصر فأثره الروحي كان باقيا مستمرا .

وقد اشتهر في هذا العصر الكثير من الشعراء ، منهم : البهاء زهير (٥٨١ - ٦٥٦ هـ) ، وابن مطروح (٥٩٢ - ٦٤٩ هـ) ، وابن النبيه المتوفى عام ٦١٩ هـ ، وابن الساعاتي المتوفى عام ٦٠٤ هـ ، وابن سناء الملك المتوفى عام ٦٠٨ هـ ، وابن التعاويذي (٥١٩ - ٥٨٤ هـ) ، وسراج الدين الوراق المتوفى عام ٦٥٥ هـ . ولا شك أن نشاطهم الأدبية كانت أثرا لثقافة الأزهر اللغوية والأدبية التي ظلت متوارثة في عهد الأيوبيين .

على أن قطع صلاة الجمعة من الجامع الأزهر في تلك الحقبة لم يبطل صفته الجامعية ، فقد لبثت محتفظاً بصفته كمعهد للدرس والقراءة . ومع أنه لم يكن يحظى في ذلك العصر بكثير من الرعاية الرسمية ، فإنه لبث مع ذلك محتفظاً بكثير من هيئته العلمية القديمة ، فزاه مقصد علماء بارزين مثل عبد اللطيف البغدادي الذي وفد على مصر في سنة ٥٨٩ هـ أيام الملك العزيز ولد السلطان صلاح الدين ، وتولى التدريس بالأزهر بضعة أعوام حتى وفاة الملك العزيز في سنة ٥٩٥ هـ (١) .

الفصل السادس

الأزهر في ظلال دولتي المماليك

٦٥٧ - ٩٢٣ هـ

التاريخ السياسي لهذا العصر :

ينقسم هذا العصر إلى عهدين :

- ١ - عهد دولة المماليك البحرية وينتهي عام ٧٨٤ هـ - ١٣٨٢ م
- ٢ - وعهد دولة المماليك الشراكسة - أو المماليك البرجية (٧٨٤ - ٩٢٣ هـ :

١٣٨٢ - ١٥١٧ م) .

أما دولة المماليك البحرية فتبدأ شكلاً من عام ٦٥٧ هـ وإن كان بدؤها الحقيقي هو عام ٦٤٨ هـ : ١٢٥٠ م ، حينما قتل توران شاه ودخلت مصر بعدها في نفوذ ممالك

(١) كتاب الافادة والاعتبار لعبد اللطيف (مصر) في المقدمة .

هذه الدولة ، الذين كان الصالح أيوب يكثر من شرائهم وينزلهم في قلعة الروضة التي شيدها بجزيرة الروضة ، حتى سموها لذلك بالممالك البحرية ، وقد بقي الملك في أيديهم إلى عام ٧٨٤ هـ ، وكان عدد ملوكهم أربعة وعشرين سلطاناً :

أولهم السلطان د عز الدين أيبك التركياني الذي ولي الحكم عام ٦٤٨ هـ ، وتزوج شجرة الدر ، وقتل عام ٦٥٥ هـ ، خلفه ابنه المنصور ، الذي تولى الوصاية عليه د سيف الدين قطز ، ثم أعلن قطز توليه الملك وخلع المنصور عام ٦٥٧ هـ - ١٢٥٩ م وبذلك تبدأ دولة المماليك البحرية في تاريخ مصر .

كان د قطز ، هو المؤسس الحقيقي لهذه الدولة ، تولى الملك عام ٦٥٧ هـ ، ولما سقطت بغداد عام ٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م في أيدي التتار ، وزحفوا نحو مصر ، التقى بهم د قطز ، في د عين جالوت ، بفلسطين ثم في د بيسان ، وهزمهم هزيمة ساحقة ، وكان الفضل في ذلك لقائده د الأمير ركن الدين بيبرس ، وفي عودتهم إلى مصر قتل د بيبرس ، السلطان د قطز (١) ، وتولى مكانه حكم البلاد .

تقلد السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري حكم مصر (٦٥٨ - ٦٧٦ هـ : ١٢٦٠ - ١٢٧٧ م) وكان أشهر سلاطين المماليك البحرية ، وقد نظم أمور الدولة والجيش ، وأنشأ الأساطيل ، وعنى بتحصين الشام . . . ولكي يعزز زعامته للإسلام دعا إلى مصر أحد أولاد الخلفاء العباسيين الذين فروا من وجه التتار من بغداد ، وبايعه بالخلافة ولقبه بالمستنصر ، واستمد سلطة الملك منه نائباً عنه عام ٦٥٩ هـ - ١٢٦١ م (٢) ، وكان أول من بايع الخليفة العباسي شيخ الإسلام عز الدين ابن عبد السلام (٣) ، وقد ذهب الخليفة لمحاربة التتار على رأس جيش مصري فقتل قرب دمشق عام ٦٦٠ هـ فتولى بعده لقب الخلافة العباسية في مصر الخليفة العباسي

(١) كان قطز في أول ولايته قد عزم على فرض ضرائب جديدة على المصريين لينفقها على الجيش الذي سيوجهه إلى حرب التتار ، فجمع العلماء لذلك ، فحضر الشيخ عز الدين بن عبد السلام وصاح : لا يجوز أن يؤخذ شيء من الرعية حتى لا يبقى في بيت المال شيء . وتبيعون ما لكم من الخواص في الآلات ويقتصر كل منكم على فرسه وسلاحه ويتساووا في ذلك هم والعامة ، وأما أخذ أموال العامة مع بقاء ما في أيدي الجندي من الأموال والآلات الفاخرة فلا (٣٦ ج ٢ حسن المحاضرة)

(٢) راجع صفحة ٤٠ وما بعدها ج ٢ من كتاب د حسن المحاضرة ، للسيوطي

(٣) ٤٤ ج ٢ حسن المحاضرة

أبو العباس أحمد ولقب الحاكم بأمر الله (١) .
وكان للسلطان ، الظاهر بيبرس ، أعمال حربية ، وإصلاحات داخلية ، محودة
وفى أيامه طيف بالمحمل وبكسوة السكبة المشرفة بالقاهرة عام ٦٧٥ هـ ، وهو أول
من فعل ذلك بالديار المصرية .

وبعد وفاة بيبرس خلفه ولدان له أحدهما بعد الآخر ولم تطل مدتهما ، وانتهى
الامر بتولى السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى (٦٧٨ -
٦٨٩ هـ : ١٢٧٩ - ١٢٩٠ م) ، فبقى الملك فى بيته أكثر من مائة سنة ، وساد فى عهده
العدل والسكينة .

وخلفه ابنه الأشرف خليل وكان شجاعا مقداما مظفرا عادلا ، فقتل بعد ثلاث
سنوات ، وما يذكر له أنه هو الذى قضى على إمارات الصليبيين بالشام .

وخلفه أخوه الملك الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٣ - ٧٤١ هـ : ١٢٩٣ - ١٣٤١ م) ،
وقد هزم التتار قرب دمشق عام ٧٠٢ هـ - ١٣٠٣ هـ هزيمة ساحقة أثناء محاولتهم
التقدم لفتح مصر ، وعنى الناصر بشئون بلاده الداخلية ونشر العلوم والمعارف ،
وشيد المباني الفخمة ، وتوفى الخليفة العباسى الحاكم بأمر الله فى عهده عام ٧٠١ هـ ،
ودفن بجوار السيدة نفيسة فى قبة بنيت له ، وهو أول خليفة مات بمصر من بنى العباس ،
وولى الخلافة بعده ابنه أبو الربيع سليمان ولقب المستسكى بالله وخطب له على المنابر
فى مصر والشام (٢) ، ولم يكن السلطان قد أمضى عهد والده له بالخلافة حتى سأل
الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد قاضى القضاة بمصر يومئذ : هل يصلح للخلافة أولا ؟
فقال الشيخ : نعم يصلح ، فلما أشار الشيخ باستخلافه أمضى عهد والده له (٢) ومات ،
فى شعبان سنة ٧٤٠ هـ فى قوص ودفن بها ، وتولى بعده الخلافة الواثق بالله رغم
معارضة قاضى القضاة عز الدين بن جماعة ، ومات الناصر عام ٧٤١ هـ (١٣٤١ م) ،
ولم يترك خلفا يقدر على القيام بعبء الملك بعده ، ومن أبنائه السلطان حسن الذى
بنى المدرسة العظيمة التى لم يخلف السلطان أعظم منها بناء ولا أتقن صناعة ، وهى المشهورة
الآن بجامع السلطان حسن بجوار قلعة القاهرة ، وانتهى الامر بانقراض هذه الدولة
واستيلاء المماليك الشراكسة على الملك .

وقد عزل الخليفة الواثق وبويع لـ أحمد بن المستسكى ولقب المستنصر ثم لقب

بعد ذلك الحاكم بأمر الله - إلقب جده - وذلك بحضور ابن جماعة وكتب له ابن فضل الله صورة المبايعة وذلك عام ٧٤٢ هـ ومات الخليفة عام ٧٥٣ هـ ، وبويع بعده لأخيه المعتضد بالله وظل خليفة حتى مات عام ٧٦٣ هـ ، وظل بنو العباس في مصر يتوارثون الخلافة إلى آمد بعيد .

وأما دولة المماليك الشراكسة فقد حكمت مصر من عام ٧٨٤ - ٩٢٣ هـ ، ومعظمهم من الشراكسة ، بعكس المماليك البحرين فكانوا من الترك .. ولم يكن الملك في دولة المماليك الشراكسة وراثيا كما كان في بيت قلاوون ، وعدد ملوك هذه الدولة ثلاثة وعشرون ، حكم تسعة منهم مدة ١٢٥ سنة ، وحكم في التسع السنوات الأخرى أربعة عشر ، وقد كان ملوك هذه الدولة ولع بالعلوم والآداب والفنون ، وإن كانوا لم يحرصوا على العدل في حكمهم .

وأشهر ملوكهم وأولهم : « الملك الظاهر سيف الدين برقوق » ، وقدمت عام ٨٠١ هـ - ١٣٩٩ م ، وخلف مدرسته العظيمة بين القصرين بالبحاسين الشهيرة بجامع برقوق .

وخلفه ابنه فرج الذي حارب تيمورلنك ، وعقد معه صلحا . ومن ملوك هذه الدولة « المؤيد شيخ » ، باني الجامع المعروف بجامع المؤيد بجوار « باب زويلة » .

ومنهم : الأشرف برسباي ٨٢٥ - ٨٤١ هـ : ١٤٢٢ - ١٤٣٨ م ، وقايتباي ٨٧٣ - ٩٠٢ هـ : ١٤٦٨ - ١٤٩٦ م ، والغوري ٩٠٦ - ٩٢٢ هـ : ١٥٠١ - ١٥١٦ م ، وقد انتهى أمره بأن قتله السلطان سليم العثماني فاتح مصر عام ٩٢٣ هـ ، وضم مصر إلى الدولة العثمانية .

الازهر في هذا العصر

١ - في عهد السلطان بيبرس والسلاطين بعده :

في سنة ٦٦٥ جده الأمير عز الدين أيدير الحلي بسبب أنه كان مجاوره بالسكنى ، وكانت داره مكان الأقباطية المجمولة مكتبة الازهر الآن ، فراعى حرمة الجوار وانزع له أشياء كانت مخصصة وأحاط أموره حتى جمع له شيئا صالحا مع ما تبرع به له من المال الجزيل ، وأطلق له من السلطان جملة من المال وشرع في عمارته ، فعمر الواهي من أركانه وجدرانه وأصلح سقوفه وبلطه وفرشه وكساه ، حتى عاد حراما بعد أن كان باليا ، واستجد (٥ - الازهر)

به مقصورة حسنة وترك فيه آثارا صالحة .. وكذا عمل فيه الامير بيلبك الخازن دار مقصورة كبيرة رتب فيها جماعة من الفقهاء لقراءة الفقه على مذهب الشافعى ومحدثا يسمع الحديث النبوى، ووقف على ذلك الاوقاف الدرارة ورتب به سبعة لقراءة القرآن ومدرسا، وأقيمت فيه الجمعة يومئذ، وحضر فيه الامراء والكبراء والعلماء، وكان يوما مشهودا، وبعد الفراغ من الجمعة قام الامير عز الدين إلى داره ومعه الامراء فقدم لهم موائد الطعام، وكان قد أخذ فتاوى من العلماء بجواز الجمعة فيه.

وهذا أول افتتاح الأزهر لصلاة الجمعة بعد انقطاعه منه في عصر الدولة الايوبية.

وفي شهر الحجة سنة ٧٠٢ حدثت زلزلة شديدة بديار مصر فسقط الجامع الأزهر والجامع الحاكى وجامع عمرو، وغيرها، فتقاسم أمراء الدولة عمارة الجوامع، فتولى الامير ركن الدين يببرس الجاشنكير عمارة الجامع الحاكى، وتولى الامير سيف الدين بكشمر الجوكندار عمارة جامع الصالح، وتولى الامير سلاسلر عمارة الجامع الأزهر، فجددوا مبانيها وأعادوا ما تهدم منها.. وفي ٧٠٩ بنيت فيه مدرسة الطيرسية.

والامير سلاسلر كان من مماليك الصالح علاء الدين بن المنصور قلاوون، واتصل بخدمة الاشرف وتوفي عام ٥٧١٠.

وفي سنة ٧٢٥ جددت عمارة الجامع الأزهر على يد القاضي نجم الدين محمد بن حسين ابن على الاسعدى محتسب القاهرة... ثم في سنة ٧٤٠ أنشئت الاقباقية التي هي محل المكتبة الازهرية الآن، وفي سنة ٧٤٤ تمت الجوهريه.

وفي سنة ٧٦١ جددت عمارة الأزهر عندما سكن الامير الطواشى سعد الدين بشير الجندار الناصرى في دار الامير نحر الدين أبان الزاهرى الصالحى النجمى بخط الابارين بجوار الجامع الأزهر بعدما هدمها وعمر داره التي تعرف في ذلك الوقت بدار بشير الجندار، وأحب لقربه من الجامع الأزهر أن يؤثرفيه أثرا صالحا، فاستأذن السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون في عمارته وكان خصيصا به، فأذن له في ذلك وكان قد استجد بالجامع عدة مقاصير ووضعت فيه صناديق وخزان حتى ضيقته، فأخرج الخزان والصناديق ونزع تلك المقاصير وتبع جدرانها وسقوفه بالاصلاح، حتى عادت كأنها جديدة، وبيض الجامع كله وبلطه، ومنع الناس من المرور فيه ورتب فيه مصفا وجعل له قارنا، وأنشأ على باب الجامع القبلى حانوتا لسبيل الماء العذب في كل يوم وعمل فوقة مدرسة لاقراء أيتام المسلمين كتاب الله العزيز ورتب للفقراء المجاورين طعاما يطبخ كل يوم

وأُنزل إليه قدوراً من نحاس جعلها فيه ورتب فيه دروساً للفقهاء من الخنفيه يجلس مدرّسهم لالقاء الفقه في المحراب الكبير ووقف على ذلك أوقافاً جليّة .

وفي سنة ٧٨٤ هـ ولي الأمير بهادر المقدم على المماليك السلطانية نظر الجامع الأزهر ، ونجز مرسوم السلطان برقوق بأن من مات من مجاورى الجامع الأزهر من غير وارث شرعى وترك شيئاً فإنه يأخذ المجاورون بالجامع ، ونقش بذلك على حجر عند الباب الكبير وهو غير موجود الآن .

وكان عدد طلبة الأزهر في أوائل القرن الثامن ٧٥٠ طالباً كما يقول المقرئ . وفي سنة ٨٠٠ هـ دُمت منارة الأزهر وكانت قصيرة وعمرت بأطول منها وبلغت النفقة عليها من مال السلطان خمسة عشر ألف درهم ، وكلت في ربيع الآخر من السنة المذكورة فعلقت القناديل فيها ليلة الجمعة من هذا الشهر وأوقدت حتى اشتعل الضوء من أعلاها إلى أسفلها ، واجتمع القراء والوعاظ به وتلوا ختمه شريفاً ودعوا للسلطان ، ولم تنزل هذه المنارة إلى شوال سنة ٨١٨ هـ فهدمت ليل ظهر فيها وعمل بدلها منارة من حجر على باب الجامع البحري بعد ما هدم الباب وأعيد بناءه بالحجر وركبت المنارة فوق عقده ، وأخذ الحجر لها من مدرسة الملك الأشرف خليل التي كانت تجاه قلعة الجبل ثم هدمها الملك الناصر فرج بن برقوق ، وقام بعمارة ذلك الأمير تاج الدين التاج الشوبكى وإلى القاهرة ومحتسبها ، وتمت سنة ٨١٨ هـ فلم تقم غير قليل ومالت حتى كادت تسقط ، فهدمت سنة ٨٢٧ هـ ، وأعيدت وفي هذه السنة ابتدئ بعمل الصهرج الذى بوسط الجامع فوجد هناك آثار فسقية ماء ووجد أيضاً جثث أموات . وتم بناؤه في ربيع الأول سنة ٧٢٧ هـ وعمل بأعلاه مكان مرتفع له قبة يسيل فيه الماء وغرس بصحن الجامع أربع شجرات ولم تفلح وماتت ، ولم يكن للجامع الأزهر ميثأة عند ما بنى ، ثم عملت ميثأته

وفي سنة ٨١٨ هـ تولى نظارة الجامع الأزهر الأمير سودوب حاجب الحجاب ، فأهان طلبة الأزهر وأخرجهم منه وكان عددهم يومئذ ٧٥٠ طالباً من شتى البلاد الإسلامية وأنحاء مصر ، وكان الأزهر يومئذ عامراً بتلاوة القرآن ودراسته وأنواع العلوم والفقه والحديث والتفسير والنحو ومجالس الوعظ .

وكان الإنسان إذا دخله يجد من الانس بالله والارتياح ما لا يجده في غيره وصار يقصده أرباب الأموال للتبرك ويصلون أهله بأنواع الذهب والفضة إعانة للجوارين فيه على عبادة الله تعالى ، فرأى سودوب المذكور أن يأمر بإخراجهم ومنعهم

من المبيت به فأخرجهم وما كان لهم فيه من صناديق وخزائن وكراسي المصاحف، وقد حل بفقراء المجاورين بلاء شديد بعد ما هجم عليهم مرة بعد العشاء الأخيرة، هو ومن كان معه من الغلمان والأعوان وغوغاء العامة ومن يريد النهب، فضر بهم ونهبت فرشهم وعيائهم وسلبت نقودهم فتشتت شملهم وساروا في القرى وتبدلوا بعد الصيانة وفقد من الجامع كثيرا بما كان فيه، فعاجل الله الأمير سودوب بالانتقام وقبض عليه السلطان وسجنه.

وفي سنة ٩٠٠ أجرى مصطفى بن محمود بن رستم الروى عمارة الجامع الأزهر وصرف عليه من ماله نحو خمسة عشر ألف دينار وجاء في غاية الحسن. وأنشأ الملك الأشرف أبو النصر قايتباي ميثأة بالجامع الأزهر وفسقية معتبرة من داخلها، وقد أبدلت بحفريات سنة ١٣١٧، وأنشأ أيضاً سبيلاً ومكتباً على باب الجامع وقد أزيل المكتب أيضاً، وهو الذى أنشأ رواق الشوام ورواق المغاربة، وأنشأ المنارة العظيمة على يمين الداخل فيه.

وقد رتب الملك قانصوه الأشرف خال الناصر الخزيرة بالجامع الأزهر في شهر رمضان، والخزيرة عصيدة بلحم... ثم لما جاء الملك قنصوه الغورى ضاعف ذلك في أيامه فرتب في شهر رمضان في مطبخ الجامع الأزهر كل سنة ستمائة وسبعين ديناراً ومائة قنطار من العسل وخمسة أرب قح، وبني المنارة العظيمة ذات الرأسين به سنة ٩٠٢ هـ.

وللعلماء في سجل التاريخ الاسلامى ذكر، وللشيخ عز الدين بن عبد السلام خاصة نصيب من هذا المجد التليد.

— قدم الشيخ عز الدين إلى مصر سنة ٦٣٩ هـ من دمشق، فلقاه صاحب مصر وسلطانها الصالح نجم الدين أيوب بالاكرا م والاجلال، واحاطه علمهاؤها وفقهاؤها بالتقدير والاحترام، حتى امتنع الشيخ زكى الدين المنذرى عن الافتاء تأدبا معه، وقال: كنا نفق قبل حضوره، فنصب الفتيا متعين فيه.. وبالع السلطان نجم الدين فى اكرا م الشيخ فولاه قضا. مصر والوجه القبلى، وقبل الشيخ المنصب على أن يؤدى فيه حق الله كما يجب، وان تكون كله الشرع هى الفاصلة بين الحاكمين والمحكومين، فلا دالة لصاحب سلطان، ولا تهاون مع ذى جاه، ولكن الناس سواسية امام الحق، وفى شرط الاسلام، وعلى هذا تقلد الشيخ المنصب وتحمل العمل فيه.

وكان أول موقف للشيخ تجاه اصحاب النفوذ والسلطان بين الناس، وكان موقفا

عجبا ، ذلك أن السلطان قد أكثر من شراء الترك وتأمرهم على البلاد ليكونوا أعوانه وعيونه ، وقد استشرى امر هؤلاء الاتراك وصاروا اصحاب الجاه والنفوذ على الرعية لا يباليون في ذلك بطشا ولا ظلما يقع على الناس ، وما كان في الناس من يستطيع أن يتصدى لهم أو ينكر عليهم ، ونظر الشيخ ابن عبد السلام فرأى في ذلك فسادا لا يستقيم به حق الدين ولا واجب الحكم ، ولما بحث الشيخ الامر في حقيقة هؤلاء الامراء الاتراك رأى أنهم بحكم الشرع أرقاء لسادتهم من أبناء مصر ، وذلك لأن السلطان قد اشتراهم بمال الدولة وما زال حكم الرق مستصحبا عليهم ، وكان أن جلس الشيخ وكتب فتواه بأنه لم يثبت عنده ان هؤلاء الامراء الاتراك احرار وان حكم الرق مستصحب عليهم لبیت مال المسلمين وأنه لا بد من بيعهم وصرف ثمنهم في وجوه الخير ومصالح الأمة . وكان من جملة هؤلاء الامراء نائب السلطنة ، وكلهم اصحاب حكم وسلطان .

وبلغت الفتوى اولئك الامراء ، فامتلاوا غضبا وغيظا ، وأدهشتهم تلك الجراءة من ذلك الشيخ الفقيه عليهم ، وارسلوا اليه ان يكف عن هذا الذي لا يليق معهم . وهم أصحاب الحكم والسلطان ، ولكن الشيخ صمم على فتواه ، وزاد على ذلك فصار لا يصحح لهم بيعا ولا شراء ولا نكاحا ولا أى تصرف في أمور الناس وشئون الحكم حتى تعطلت مصالحهم ، وتوقفت اعمالهم ، وهم في كل هذا يتعاضمون ويعجبون من جرأة ذلك الشيخ ، ومافى مقدور أحد أن ينكر عليهم أى شيء .

ورفع الامراء الأمر إلى السلطان ، وشكوا اليه من هذه الجراءة التي هوت بمكانتهم بين الناس . وأرسل السلطان إلى الشيخ ابن عبد السلام يصرفه عن غايته ، وبين له مافى هذه الفتوى من الاضرار بأولئك الامراء الذين لهم شأنهم في شئون الحكم ، وكان ابن عبد السلام يقدر تماما أنه وفد على مصر غريبا لأهل له ، فقيرا لا مال عنده وليس له من قوام الحياة إلا هذا المنصب الذي يجلس فيه ، وزمام المناصب كلها بيد السلطان ، ولكن حب الدنيا لم يكن أفسد نفوس رجال الدين في ذلك الزمن ، وما لرجل مثل ابن عبد السلام ترك وطنه راضيا ، واحتمل السجن وشظف العيش في سبيل الرأى والحق ، أن يثنيه عن الحق مطلب من مطلب العيش أو رغبة في منصب مهما يكن جواه ، فأرسل إلى السلطان بأنه لا بد من تنفيذ فتواه لأنها كلمة الشرع وحق الاسلام ، وأنه سينادى على أولئك الامراء بالبيع ويقبض ثمنهم ، وإلا فإنه سيعزل نفسه من منصب القضاء ويترك فتواه قائمة في أقطار الاسلام يعول عليها المسلمون في تصرف أمورهم .

وانكش السلطان بجبروته امام الشيخ في إباته وجراته ، وتلبس نائب السلطان بابا آخر لصرف الشيخ عن اصراره ، فأرسل اليه بالملاطفة والملاينة والرجاء أن يراجع نفسه في تلك الفتوى الجريئة وان يتصرف بما يتفق ومسكاته الأمراء بين الناس ، ولكن الشيخ الذي كان لا يرهبه في الحق شدة ، كان من الأولى ألا تجدى معه في الحق ملاطفة أو ملاينة .

وعظم الخطب على نائب السلطنة ، وثار به الغضب ثورته ، وقال : كيف ينادى علينا هذا الشيخ الفقيه بالبيع ونحن ملوك الأرض ، والله لأضربنه بسيفي هذا ، فما كان حكم الناس من شأن فقيه ، ولا كانت أقدار الناس على ما يفتي به ، ثم ركب في جماعته ليشأ لنفسه وجماعته بالسيف ، وليضع حدا لتطاولة عليهم وهم أمراء مصر وملوك الأرض !

ووقف نائب السلطنة على باب الشيخ متمطيا صهوة جواده ، والسيف في يده قائم كأنه متأهب لميئدان حرب ، وطرق الباب على الشيخ طرقات قوية عنيفة ، فخرج ولد الشيخ يستطلع الامر ، فأذهله مارأى من هيئة نائب السلطنة وجماعته وزاد من زعجه وفزع ان سأل نائب السلطنة عن والده ليفتك به ، وليتركه بدادا بسيفه ، وأسرع ولد الشيخ إلى داخل الدار فزعا جزعا ينيء والده بالشر المترهب بالباب ويسأله ان يختنى ، فلا يظهر نفسه حتى يدبر للهرب أو يؤذن الله بالفرج .

وابتسم الشيخ لما سمع ، وهذا من روع ولده قائلا : لا عليك يا بني ، فأبوك اقل من أن يقتل في سبيل الله ، ثم نهض إلى باب الدار ، شاحنا كالطود ، جريئا كالأسد ثابتا يزيد من ثباته وهيبته ايمان قوى بالله يتضائل كل ما في هذه الدنيا بجانبه ، ووقف الشيخ الاعزل إلا من قوة الحق وصدق الايمان أمام نائب السلطنة وهو في سلاحه وعتاده وجنده ، وما زاد الشيخ على أن أرسلها نظرة حادة نافذة ، فإذا بنائب السلطنة يذعن امام هيبة الشيخ ويتضائل في سلاحه وجنده ، وإذا به يسرع فيغمد سيفه ، ويترجل من فوق جواده ، ويهوى على يد الشيخ يقبلها ، وأطرافه يمسحها ، ويسأله ان يغفر له ما فرط منه ، وان يتجاوز عما ارتكب في حقه ، ويطلب منه الدعاء والرضاء ، قائلا : ايش ياسيدى تريد أن تعمل .

قال الشيخ : اريد أن انادى عليكم وأبيعكم . قال : وماذا تصنع بضمنا ؟ قال : اضرفه في مصالح المسلمين ، قال : ومن يقبض الثمن قال : انا أقبضه واتولى صرفه . قال : لك ما تشاء في امرنا .

واصبح الصباح في اليوم الثاني ، وعقد مجاس كبير من رجالات الدولة يحضره السلطان ، وحشد الامراء الاتراك بكامل عددهم فما تاخر نفر منهم ، وأخذ قاضي القضاة الشيخ عز الدين بن عبد السلام ينادى عليهم بالبيع واحدا واحدا ، ويغالي في ثمنهم لأنهم امراء .. ولأنهم ملوك الأرض .. وغالى أكثر ماغالى في ثمن نائب السلطنة ، ودفع السلطان إلى الشيخ كل ما اشترط من مال ، فوزعه على وجوه الخير ومصالح المسلمين ، ثم اعتق الامراء الارقاء ، ومنحهم حق الحرية في التصرف والبيع والشراء (١)

اعتنى الظاهر بيبرس (٢) - كما قدمنا - بأمر الأزهر فأعاد إليه خطبة الجمعة في الثامن عشر من ربيع الاول سنة ٦٦٥ هـ وشجع العلم فيه وحذا حذوه كثير من الامراء فزاد الامير بيبيك الخازن دار مقصورة كبيرة رتب فيها جماعة من الفقهاء لقراءة الفقه على مذهب الشافعي . ورتب فيها محدثاً ، وسبعة لقراءة القرآن ، ووقف على ذلك الاوقاف الدارة . وفي سنة ٧٦١ هـ أحب الامير الطواشي سعد الدين بشير الجوامدار الناصري عند ماسكن بجوار الأزهر أن يؤثر فيه أثراً صالحاً فأنشأ فيه بما أسداه إليه درساً لفقه الحنفية يلقي في المحراب الكبير ، ووقف على هذا الدرس أوقافاً كثيرة .

على هذا النحو سار الأزهر في عناية المماليك (٢) ، غير أننا نلاحظ أن الجامع الحاكمي أخذ ينافس الأزهر بعد أن أصلح من زلزال سنة ٧٠٢ هـ ، فلقد جاء الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير فأنشأ بالجامع الحاكمي دروساً أربعة لاقراء الفقه على مذهب الائمة الاربعة ، ودرساً لاقراء الحديث النبوي ، وجعل لكل درس مدرساً وعدة كثيرة من الطلبة ، فرتب في تدريس الشافعية قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعي ، وفي تدريس الحنفية قاضي القضاة شمس الدين أحمد المروجي الحنفي ، وفي تدريس المالكية قاضي القضاة زين الدين علي بن مخلوف المالكي ، وفي تدريس الحنابلة قاضي القضاة شرف الدين الجواني ، وفي درس الحديث الشيخ سعد الدين مسعود الحارثي ، وفي درس النحو الشيخ أثير الدين أبا حيان ، وفي درس القراءات السبع للشيخ نور الدين الشطنوفى ، وفي التصدير لافادة العلوم علاء الدين علي بن إسماعيل القونوي ، وفي مشيخة الميعاد والمسجد عيسى بن الخشاب ، وأنشئت به مكتبة جليلة وجعل فيه عدة متصدرين لتلقين القرآن الكريم ، وعدة قراء يتناولون قراءته ،

(١) المصرى ١٤ / ٩ / ١٩٥٤ م - الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف .

(٢) الأزهر - مجلة المقتطف - الشيخ منصور رجب .

ومعلماً يقرى أيتام المسلمين كتاب الله عز وجل . وأوقفت على ذلك الاوقاف الدارة بناحية الجيزة ، والصعيد ، والاسكندرية (١) .

وأصدر برقوق قراراً ، بأن من مات من مجاورى الأزهر من غير وارث شرعى وترك موجوداً فإنه يأخذ المجاورون بالجامع .

وكان هذا لتقوية الأزهر بعد أن طفت عليه المدارس والجامع الحاكى . ولم يكتف الظاهر برقوق بإصدار المرسوم بل أمر بنقشه على حجر عند الباب الكبير البحرى ليكون بمثابة إعلان دائم .

نعرف شيئاً عن نظام الأزهر والعلوم التى كانت تدرس فيه وبخاصة أيام المماليك الذين أنقذوه من اضطهاد الايوبيين السنين ؟ بما ذكره المقرئى . فلقد رسم صورة لابأس بها نرى فيها شيئاً عن علومه ونظامه وعدد طلبته وما كان يجرى فيه قال : فى سنة ٨١٨ هـ . ولى نظر هذا الجامع مع الامير سودوب القاضى حاجب الحجاب فحرت فى أيام نظره عدة حوادث لم يتفق مثلها وذلك أنه لم يزل فى هذا الجامع منذ بنى عدة من الفقراء يلزمون الإقامة فيه وبلغت عدتهم فى هذه الايام ٧٥٠ رجلاً ما بين عجم وزياالة ومغاربة ومن أهل ريف مصر ولكل طائفة رواق يعرف بهم فلا يزال الجامع عامراً بتلاوة القرآن ودراسته وتلقيه والاشتغال بأنواع العلوم من الفقه والتفسير والحديث والنحو ومجالس الوعظ وحلق الذكر ، وصار أبواب الاموال يقصدون هذا الجامع بأنواع البر من الذهب والفضة إعانة للدجاورين فيه على عبادة الله تعالى وكل قليل يحمل إليهم أنواع الاطعمة والخبز والحلويات لاسيما فى المواسم . فأمر هذا الناظر فى جمادى الاولى من هذه السنة بإخراج المجاورين من الجامع ومنعهم من الإقامة فيه وإخراج ما كان لهم فيه من صناديق وخزائن .

ومن هذا نرى أن الأزهر كان فى ذلك الوقت فوق كونه مدرسة لطلب العلم تدرس فيها العلوم المختلفة ومسجداً للعبادة ومكاناً للوعظ ، كان بجوار ذلك داراً للتصوف ، وتروى دائرة المعارف الإسلامية عن ابن إياس أن ابن الفارض الصوفى كان مقبياً بالأزهر . ويروى رشيد بن غالب صاحب شرح ديوان ابن الفارض أن والد عمر ابن الفارض حين امتنع أن يقبل وظيفة قاضى القضاة ونزل عن حكم القاهرة ومصر بالنيابة عن الخليفة اعتزل الناس وانقطع إلى الله تعالى بقاعة الخطابة بالجامع الأزهر

ولعل ابنه كان يقيم معه بعد أن كان يعود من سياحته في جبل المقطم . وعلى كل فقد كانت المساجد والمدارس في ذلك الوقت مفتوحة للرياضة الروحية بجوار درس العلم ، وكانت المدارس والمساجد تقبل طلاب التصوف كما كانت تقبل طلاب العلم ، وتفتح صدرها لهؤلاء كما تفتح صدرها لأولئك . فمثلا البدر العيني صاحب عمدة القارى شرح صحيح البخارى حينما حضر إلى القاهرة مع شيخه العلامة السيرامى سنة ٧٨٨ هـ جعله الظاهر برقوق في عداد صوفية البروقية .

ونرى الامير الكبير سيف الدين شيخو الناصرى لما أنشأ مسجده جعل فيه عشرين صوفيا ، وأقام الشيخ أكمل الدين محمد بن محمود الرومى الحنفى شيخاً لهم .. ثم لما عمر الخانقاه تجاه الجامع نقل الاكمل والصوفية إليها وزاد عدتهم .

ويذكر صاحب خلاصة الاثر في أعيان القرن الحادى عشر : أن الشيخ أحمد ابن عيسى بن غلاب المنعوت بشهاب الدين السكلى المسالكى ، شيخ الحيا النبوى بالأزهر ، أخذ التصوف عن الشيخ الشعرائى وجلس بالحيا الشريف بعد والده ، ووالده جلس بعد الشيخ البلقينى وهو جلس بعد الشيخ صالح ، وهو جلس بعد الشيخ نور الدين الشوقى المدفون بزاوية الشيخ عبد الوهاب الشعرائى .

٢١ - وقد أسهم الأزهر بنشاط كبير في هذا العصر ، في شتى نواحي الحياة والعلم والثقافة .

وكان ابن الدماينى (٧٦٣ - ٨٢٧ هـ) - الذى ولد بالاسكندرية ، وفاق فى النحو والنظم والنثر ، وشارك فى الفقه وغيره من العلوم ، ومهر واشتهر ذكره - يتصدر بالجامع الأزهر لاقراء النحو (١) .

وقد نبغ فى هذا العهد من العلماء : الدماينى ، وابن عقيل المتوفى عام ٧٦٩ هـ (٢) ، وابن هشام المتوفى عام ٧٤٩ هـ (٢) ، وابن إياس المؤرخ المتوفى عام ٩٣٠ هـ ، وأبو حيان (٦٥٤ - ٧٤٥ هـ) (٣) ، وابن مكرم صاحب لسان العرب (٦٣٢ - ٧٦١ هـ) (٣) ، والرضى النحوى المشهور المتوفى عام ٦٨٤ هـ (٣) ، وابن دقيق العيد (٦٢٥ - ٧٠٢ هـ) (٤)

(١) ٢٣١ ج ١ حسن المحاضرة

(٢) ٢٣٠ ج ١ حسن المحاضرة .. ويذكر باحث أن ميلاده عام ٧٠٧ هـ ووفاته

كانت عام ٧٦١ هـ (٢٢٨ الحركة الفكرية فى مصر لعبد اللطيف حمزة) .

(٣) ٢٢٩ ج ١ حسن المحاضرة

(٤) ١٢٨ ج ١

وتقى الدين السبكي (٦٨٣ - ٧٥٦ هـ) (١) ، وشيخ الاسلام البلقيني ٧٢٤ - ٨٠٥ هـ (٢) والعيني (٣) ٧٦٢ - ٨٥٥ هـ ، والشمني (٤) ٨٠١ - ٨٧٢ هـ ، وابن الهمام المتوفى عام ٨٦١ هـ (٥) ، والسيوطي (٨٤٩ - ٩١١ هـ) (٦) . . وكان من الصالحين عبد العال خليفة أحمد البدوي المتوفى ٧٣٢ هـ (٧) .

ولاشك أن كثيرا من هؤلاء وسواهم قد اتصلوا بالأزهر اتصالا عليا ، فجلسوا في حلقاته متعلمين ، وتصدروها معلمين .

وكان بجوار الأزهر كذلك مدارس مشهورة منها المدرسة الظاهرية القديمة التي بناها بيبرس عام ٦٦١ هـ ، ورتبها لتدريس الشافعية بها نقي الدين بن رزين ، ولتدريس الحنفية محي الدين بن عبد الرحمن بن الكحال بن العديم ، ولتدريس الحديث الحفاظ شرف الدين الدمياطي ، ولتدريس القراءات كمال الدين القرشي .

ومنها المدرسة المنصورية التي بناها الملك المنصور قلاوون عام ٦٧٩ هـ ورتب فيها دروسا للفقهاء على المذاهب الأربعة والحديث والتفسير ودروسا كذلك للطب .
ومنها المدرسة الناصرية التي بناها الناصر محمد بن قلاوون عام ٧٠٣ هـ وعين بها المدرسين للمذاهب الأربعة .

ومدرسة السلطان حسن التي بناها السلطان حسن بن الناصر محمد بن قلاوون عام ٧٥٨ هـ

والمدرسة للظاهرية الجديدة التي فرغ من بنائها عام ٧٨٨ هـ وعين السلطان فيها مدرسين للفقهاء على المذاهب الأربعة وللحديث والقراءات ، وكان الشيخ سراج الدين البلقيني مدرسا فيها للتفسير .

ولكن هذه المدارس كلها كانت عالة على الأزهر ، تأخذ منه ، وتستمد علماءها من خريجيه وأساتذته ، ويوجهها الأزهر توجيها عليا .

ومن أشهر من نبغوا في هذا العهد من العلماء والأدباء والشعراء : الفيروزبادي صاحب القاموس المحيط المتوفى عام ٨١٧ هـ ، والقلقشندي صاحب صبح الأعشى المتوفى

(١) ١٣٠ ج ١ حسن المحاضرة	(٢) ١٣٥ ج ١ حسن المحاضرة
(٣) ٢٠١ ج ١	(٤) ٢٠٢ ج ١
(٥) ٢٠١ ج ١	(٦) ١٤٠ ج ١
(٧) ٢٢٥ ج ١	

عام ٨٢١ هـ ، والنويرى صاحب نهاية الأرب المتوفى عام ٧٣٢ هـ ، وابن فضل الله
العمري المتوفى عام ٧٤٨ هـ صاحب ممالك الأبصار ، وتقى الدين ابن حجة الحوى
(٧٦٧ - ٨٣٧ هـ) صاحب خزانة الأدب ، وصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى
(٦٩٦ - ٨٢٤) ، وصفي الدين الحلى عبد العزيز بن على (٦٧٧ - ٧٥٠ هـ) ،
والشباب الظريف (٦٢١ - ٦٨٨ هـ) وجمال الدين محمد بن نباتة المصرى (٦٨٦ -
٧٦٨ هـ) ، وابن الوردى (٦٨٩ - ٧٤٩ هـ ، والبوصيرى (٦٠٨ - ٦٩٥ هـ) ،
وابن دقاق المتوفى عام ٨٠٩ هـ مؤرخ الديار المصرية ، والمقرئى (٧٦٦ - ٨٤٥ هـ)
ومحمد جمال الدين الوطواط المتوفى عام ٧١٨ هـ والدميرى صاحب حياة الحيوان
المتوفى عام ٨٠٨ هـ ، وهم كلهم أوجلمهم أثر من آثار الأزهر العلمية .

وقد حضر ابن خلدون إلى مصر واشترك في الحياة العلمية فيها ، وزار حلقات
الأزهر العلمية ، وتصدر للتدريس فيه .

كما هاجر إلى مصر في هذا العهد كثير من العلماء الذين جددوا شباب النهضة العلمية
في العالم الإسلامى .

وقد كان من العلماء من يعرف كثيرا من العلوم العقلية والطبية وغيرها زيادة
على العلوم الدينية والعربية ، وهؤلاء لا يحصون ، نذكر منهم على سبيل المثال :
الشيخ أحمد عبد المنعم الدمهورى المتوفى سنة ١١٩٢ هجرية ، فقد جاء في سند إجازته
مما ملخصه : أنه تلقى في الأزهر العلوم الآتية ، وله تأليف في كثير منها ، وهى : الحساب
والمبيقات ، والجبر والمقابلة ، والمنحرفات وأسباب الأمراض وعلاماتها ، وعلم
الأسطرلاب ، والزيج والهندسة ، والهيئة ، وعلم الأرتماطيقى ، وعلم المزاويل ، وعلم
الأعمال الرصدية ، وعلم الموالييد الثلاثة وهى الحيوان والنبات والمعادن ، وعلم
استنباط المياه ، وعلاج البواسير ، وعلم التشريح ، وعلاج لسع العقرب ، وتاريخ
العرب والعجم .

ومن تولى التدريس فيه الفخر البليسى الضرير أستاذ القراءات وإمام الأزهر ،
وتولى ابن حجر خطابة الأزهر حينما آخر .

✓ على أنه يوجد مع ذلك في أنباء العصر ما يدل على أن الأزهر كان خلال هذه الحقبة
يحافظ بمكانته الخاصة ، يعاونه في ذلك اتساع حلقاته وأروقته ، وتنوع دراساته ،
وهيبته القديمة ، وما يلاقيه الطلاب فيه من أسباب التيسير في الدراسة وأحيانا في الإقامة .
وقد غدا الأزهر منذ أواخر القرن السابع أى منذ عفت معاهد بغداد وقرطبة ، كعبة

الأساتذة والطلاب من سائر أنحاء العالم الاسلامى ، وغدا أعظم مركز للدراسات الاسلامية العامة . ومنذ القرن الثامن الهجرى أخذ يتبوأ الأزهر فى مصر وفى العالم الاسلامى نوعاً من الزعامة الفكرية والثقافية . وفى أبناء هذا القرن ما يدل على أن الأزهر كان يتمتع فى ظل دولة السلاطين برعاية خاصة ، وكان الأكابر من علمائه يتمتعون بالجاه والنفوذ ، ويشغلون وظائف القضاء العليا ، ويستأثرون بمراكز التوجيه والارشاد . وكان هذا النفوذ يصل أحياناً إلى التأثير فى سياسة الدولة العليا ، وأحياناً فى مصائر العرش والسلطان .

وربما كانت هذه الفترة فى الواقع هى عصر الأزهر الذهبى من حيث الانتاج العلمى الممتاز ، ومن حيث تبوؤه لمركز الزعامة والنفوذ .

وفى أواخر القرن التاسع أخذت الحركة الأدبية فى مصر الاسلامية فى الاضمحلال وذلك تبعاً لاضمحلال الدولة المصرية والمجتمع المصرى . وكانت دولة السلاطين قد شاخت وأخذت تسير نحو الانهيار بخطى سريعة ، وتصعد بناء المجتمع المصرى وأخذ فى الانحلال والتفكك ، واضطربت أحوال المعاهد والمدارس المصرية وتضاءلت مواردها ، وفقدت كثير مما كانت تتمتع به من رعاية السلاطين والأمراء ، وأصاب الأزهر ما أصاب المعاهد الأخرى من الذبول والركود . ولم يمض قليل على ذلك حتى وقعت المأساة المروعة فانهارت الدولة المصرية ، وفقدت مصر استقلالها التالى وسقطت ضريعة الغزو العثمانى سنة ٩٢٢ هـ (١٥١٧ م) .

الفصل السابع

الأزهر فى عهد الدولة العثمانية

٩٢٣ — ١٢٢٠ هـ

تمهيد :

— خضعت مصر للحكم العثمانى خضوعاً تاماً منذ عام ٩٢٣ هـ ، واستمرت ولاية عثمانية إلى أن وضع محمد على يده عليها عام ١٢٢٠ هـ ، وكان يتولى الحكم فيها الوالى التركى ومساعدوه ، ويستند الجيش والمماليك .

الحركة العلمية فى الأزهر :

— فى أواخر القرن التاسع أخذت الحركة العلمية فى مصر الاسلامية تضمحل ،

وكانت دولة السلاطين هي الأخرى في طريقها إلى الانهيار ، واضطربت أحوال المجتمع وتفككت عراه ، وأصاب المدارس الركود ، وأصاب الأزهر ما أصاب المعاهد الأخرى من الذبول ، وفقدت مصر استقلالها ، وسقطت في يد الأتراك العثمانيين سنة ٩٢٢ هـ (١٥١٧ م) وتقلص ظل الازدهار العلمي ، وانصرف كثير عن العلوم العقلية والفلسفة والرياضة والجغرافيا ، وأخذ القول بحرماتها يقوى شيئاً فشيئاً ، حتى تركت هذه العلوم من الأزهر ، وبقيت مهجورة ينظر إليها بعين السخط ، حتى صدرت أخيراً فتوى من شيخ الأزهر الشيخ الانباني والشيخ محمد محمد البنا المفتي بجواز تعلمها وعدم حرمة تدريسها —

وفي الحق أن الفتح العثماني قضى على مظاهر النشاط الفكري التي كانت مزدهرة في عهد السلاطين . فقد عني الغزاة الأتراك عقب الفتح مباشرة بتجريد مصر الإسلامية من ذخائرها النفيسة في الآثار والكتب ، وحمل كل ذلك إلى القسطنطينية ، وقد قبض الغزاة على العلماء الأعلام والزعماء وقادة الفكر وبعثوا بهم جميعاً إلى تركيا ، وهكذا انهار صرح الحركة الفكرية الإسلامية ، وتضاءل شأن العلوم والفنون ، وانحط معيار الثقافة ، بعد أن كانت مصر موئل الثقافة ومحط العلماء بعد سقوط بغداد على أيدي المغول ، وانقضاء البقية الباقية من سلطان المسلمين في الأندلس . بعد أن وجد العلماء من المماليك ما أملوا ، ووجد الإسلام فيهم حماة يقفون له كما وقف الأيوبيون من قبل ، وكان ردهم للمغول في موقعة عين جالوت على يد قطز حدثاً تاريخياً حفظ الحضارة الإسلامية من معاول التتر ، ورفع شأن مصر ، وجعلها مهبط الثقافة الإسلامية ، والأمانة على تراث الإسلام منذ ذلك التاريخ حتى اليوم .

وقد كان الفضل في ذلك للأزهر . فقد اتسع صدره للواردين من العلماء والطلاب في كافة البلاد ، وممكن لهم من الدراسة الهادئة والبحث المنظم مما أفاد الحضارة الإنسانية بأجزل الفوائد ، بما أخرجوا من فرائد الكتب في الفقه والحديث والتفسير واللغة .

وإذا كان الأزهر قد انطوى على نفسه في العصر التركي وذوت آثاره العلمية ، فقد استطاع بما له من نفوذ في نفوس العامة والخاصة أن يحمل العناصر الاستعمارية على احترام مكانته وعلى اللجوء إليه في الملمات ، وكان يتوسط فيما ينشعب بينهم وبين المصريين من خلاف ، واستطاع الأزهر في هذه الحقبة المظلمة من تاريخه أن يحفظ اللغة العربية ، وأن يقاوم لغة الفاتحين ، وأن يبقى بابه مفتوحاً لطلاب

العلوم الإسلامية واللغة العربية مدى ثلاثة قرون ، حتى انزاح عن صدره الكابوس التركي ، وبدأ النور يبرز من جديد في أوائل القرن التاسع عشر يحمل في إطلاقاته الأمم . وقد تميز العصر التركي في مصر بفتور الهمم عن التأليف والتدوين ، وانصراف المؤرخين عن تناول الشؤون العامة والأمور النافعة إلى ملق الحكام والأكابر ، وتدوين سيرهم الشخصية . وأما العلماء فقد استكانوا إلى الراحة وظنوا أنه لا مفتح لهم في الاجتهاد ، فاقفلوا أبوابه ورضوا بالتقليد وعكفوا على كتب لا يوجد فيها روح العلم ، وابتعدوا عن الناس ، فجهلوا الحياة وجهلهم الناس ، وجهلوا طرق التفكير الحديثة وطرق البحث الحديث ، وما جد في الحياة من علم ، وما جد فيها من مذاهب وآراء ، فأعرض الناس عنهم ، ونقموا هم على الناس ، فلم يؤديوا الواجب الديني الذي خصصوا أنفسهم له .

ولما فترت همة المتأخرين من العلماء عن التأليف . عمدوا إلى مصنفات السلف الصالح رضوان الله عليهم وشرحوها ، ثم عمدوا إلى الشرح فشرحوها ، وسموا ذلك حاشية ، ثم عمدوا إلى الجواشي فشرحوها وسموا ذلك تقريراً ، فتحصل عندهم متن هو أصل المصنف ، وشرح ، وشرح شرح ، وشرح شرح الشرح ، وكانت النتيجة أن تطرق الإبهام إلى المعاني الأصلية ، واضطربت المباحث ، واختلت التراكيب ، وتعقدت العبارات ، واختفى مراد المصنف .

وورث الأثر من هذا التعقيد العناية بالمناقشة اللفظية ، وتنبع كلمات المؤلفين في المصنفات والشروح والجواشي والتقارير ، وتغلبت هذه العناية اللفظية على الروح العلمية الموضوعية ، وصرفت الذهن عن الفكرة الأصلية إلى ما يتصل بها من ألفاظ وعبارات .

واتجه العلماء إلى الاشتغال بالفروض والاحتمالات العقلية التي لا تقع وما يتصل بها من أحكام ، وعلى الأخص في العبادات والمعاملات ، وبدأوا يصنفون الرسائل في هذه الفروض والاحتمالات ، وبذلك انصرفوا عن تنمية الفقه العملي الذي يحتاج إليه الناس في معاملاتهم .

وانصرف الأثر في هذه الحقبة المظلمة عن دراسة العلوم الرياضية والعقلية ، ووجد فيه من ينادى بتحريمها ، وهكذا بدت بوادر الانحلال في الأزهر ، وانقطعت صلته بماضيه الزاهر ، ووقفت حركة التفسير العلمي ، وكادت هذه المدرسة الإسلامية

تعتبر
المهمة

الكبرى أن تفقد مميزاتها ، من حرية الفكر والانتاج الحصب ، لولا أن قبض الله لها مصلحين أخذوا يديها ، وجنبوها عواقب هذه الآفات والعلل حتى تجمعت فيها ، وأثرت في مجرى حياتها .

— لقد نفى العثمانيون العلماء المصريين إلى القسطنطينية (١) ؛ وانتزعوا الكتب من المساجد والمدارس والمجموعات الخاصة ليودعوها مكتبات العاصمة التركية . وما زالت منها إلى اليوم بقية كبيرة في مكتبات استانبول ، ومنها مؤلفات خطية لكثير من أعلام القرن التاسع الهجري المصريين مثل المقرئزي ، والسيوطي ، والسخاوي وابن إياس ، مما يندر وجوده بمصر صاحبة هذا التراث العلمي .

وهكذا انهار صرح الحركة الفكرية في مصر عقب الفتح التركي ، كما انهارت عناصر القوة والحياة في المجتمع المصري ، وتضاءل شأن العلوم والآداب ، وانحط معيار الثقافة ، واختفى جيل العلماء الأعلام الذين حفلات بهم العصور السالفة ، ولم يبق من الحركة الفكرية الزاهرة التي أظلتها دولة السلاطين المصرية سوى آثار دارسة ، يبدو شعاعها الضئيل من وقت إلى آخر .

✓ وقد أصاب الأزهر ما أصاب الحركة الفكرية كلها من الانحلال والتدهور ، واختفى من حلقاته كثير من العلوم التي كانت زاهرة به من قبل ، حتى إن العلوم الرياضية . لم تسكن تدرس به في أواخر القرن الثاني عشر ، وقد لاحظ ذلك الوزير أحمد باشا والي مصر سنة ١١٦١ هـ (١٧٤٨ م) ، في نقاشه للشيخ عبد الله الشبراوي شيخ الأزهر يومئذ وأنكره في حديث أورده الجبرتي (٢) ، مما يدل على ما آلت إليه أحوال الدراسة بالأزهر خلال العصر التركي من التأخر والركود .

✓ على أن الجامع الأزهر - كما يقول عنان - قام عندئذ بأعظم وأسمى مهمة أتيج له أن يقوم بها . فقد استطاع خلال المحنة الشاملة أن يستبقى شيئاً من مكانته ، وأن يؤثر بماضيه التالد وهيبته القديمة في نفوس الغزاة أنفسهم ، فنجد الفاح التركي يتبرك بالصلاة فيه غير مرة (٣) ، ونجد الغزاة يبتعدون عن كل مساس به ، ويحولونه مكاناً

(١) يعقد ابن إياس مؤرخ الفتح العثماني فصلاً خاصاً يذكر فيه أسماء مئات من الأكابر والعلماء المصريين الذين نفاهم السلطان سليم إلى قسطنطينية (بدائع الزهور ج ٣ ص ١١٩ وما بعدها) .

(٢) عجائب الآثار ج ١ ص ١٩٣ .

(٣) راجع ابن إياس في بدائع الزهور ج ٣ ص ١١٦ و ١٣٢ .

خاصاً ، ويحاولون استغلال نفوذ علمائه كلما حدث اضطراب أو ثورة داخلية . وفي خلال ذلك صار الأزهر ملاذاً أخيراً لعلوم الدين واللغة ، وغدا بنوع خاص معقلاً حصيناً للغة العربية ، يحتفظ في أروقته بكثير من قوتها وحيويتها ، ويدرأ عنها عادية التدهور والنهائي ، ويمكنها من مغالبة لغة الفاتحين ومقاومتها ، ورددها عن التغلغل في المجتمع المصري (١) .

وهكذا استطاع الأزهر في تلك الأحقاب المظلمة أن يسدى إلى اللغة العربية أجل الخدمات . وإذا كانت مصر قد لبثت خلال العصر التركي ملاذاً لطلاب العلوم الإسلامية واللغة العربية من سائر أنحاء العالم العربي والعالم الإسلامي ، فأكبر الفضل في ذلك عائد إلى الأزهر . وقد استطاعت مصر لحسن الطالع بفضل أزهرها أن تحمي هذا التراث نحو ثلاثة قرون ، حتى انقضى العصر التركي بمجنه وظلماته ، وقبض لها أن تبدأ منذ أوائل القرن التاسع عشر حياة جديدة يمازجها النور والامل . وربما كانت هذه المهمة السامية التي ألقى القدر زمامها إلى الجامع الأزهر في تلك الاوقات العصيبة من حياة الأمة المصرية ، والعالم الإسلامي بأسره ، هي أعظم ما أدى الأزهر من رسالته ، وأعظم ما وفق لاسدائه لعلوم الدين واللغة خلال تاريخه الطويل الحافل

(١) كان بين الاساتذة الذين تولوا التدريس بالجامع الأزهر في أوائل العصر العثماني : نور الدين علي البحيري الشافعي المتوفى سنة ٩٤٤ هـ ، والعلامة شهاب الدين ابن عبد الحق السنباطي المتوفى سنة ٩٥٠ هـ ، وعبد الرحمن المناوي المتوفى سنة ٩٥٠ هـ ، وشمس الدين الشيشيني القاهري الشافعي ، والامام شمس الدين أبو عبد الله العلقمي المتوفى سنة ٩٦٢ هـ ، والامام شمس الدين الصفدي المقدسي الشافعي المتوفى في حدود التسعين وتسعمائة (راجع في تراجم هؤلاء العلماء ، السكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة - مخطوط بدار الكتب) .

وكان منهم في أواسط العصر العثماني : عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المالكي المتوفى سنة ١٠٩٩ هـ ، والعلامة شاهين بن منصور بن عامر الأرمناوي المتوفى سنة ١١٠١ هـ ، والعلامة شمس الدين محمد بن محمد الشهير بأشرف نبأ إلى المتوفى سنة ١١٠٢ هـ . والامام العلامة ابراهيم بن محمد شهاب الدين البرماوي المتوفى سنة ١١٠٦ هـ والشيخ حسن بن علي بن محمد الجبرتي جد والد الجبرتي المؤرخ ، وقد توفي سنة ١١١٦ هـ ، والعلامة عبد الحى بن عبد الحق الشرنبلاي المتوفى سنة ١١١٧ هـ (راجع في تراجم هؤلاء العلماء عجائب الآثار للجبرتي ، الجزء الاول) .

نصيب الأزهر من التعمير في هذا العصر :

في عام ١٠٠٤ هـ أيام ولاية الشريف محمد باشا على عمر الأزهر ، وجدد ماخرب منه ، ورتب فيه غذاء للفقراء .

وفي عام ١٠١٤ هـ عمر الوزير حسن والى مصر مقام السادة الحنفية أحسن عمارة وبلطه بالبلاط الجيد ، وقد تولى ولاية مصر من عام ١٠١٤ - ١٠١٦ هـ

وجدد اسماعيل بن إيواظ سقف الجامع الأزهر الذى كان آيلا للسقوط ، وقد مات اسماعيل عام ١١٣٦ هـ ومن آثاره إنشاء مسجد سيدى إبراهيم الدسوقي ومسجد سيدى على المليجى

وأنشأ الأمير عبد الرحمن كتخدا مقصورة فى الأزهر مقدار النصف طولاً وعرضاً يشتمل على خمسين عموداً من الرخام تحمل مثلها من البوائك المقوصرة المرتفعة المتسعة من الحجر المنحوت وسقف أعلاها بالخشب النقي ، وبني به محراباً جديداً ، وأنشأ به منبراً وأنشأ له باباً عظيماً جهة حارة كتامة المعروفة بالدودارى وهو المشهور اليوم بباب الصعايدة وبني بآعلاه مكتباً بقناطر معقودة على أعمدة من الرخام لتعليم الأيتام من أطفال المسلمين القرآن الشريف وجعله بداخله رحبة متسعة وصهريجاً عظيماً وسقاية للشرب ، وعمل لنفسه مدفنًا بتلك الرحبة وجعل عليه قبة معقودة وتركيبية من رخام بديعة الصنعة منقوش عليها أسماء العشرة المبشرين بالجنة وكتابات أخرى . . .

وقد توفى الأمير عبد الرحمن كتخدا (١) عام ١١٩٠ هـ (٢)

وبنى أمام المدفن المذكور رواقاً مخصوصاً بمجاورى الصعايدة المنقطعين لطلب العلم الشريف بالأزهر ، وبه مرافق ومنافع ومطبخ ومخادع وخزائن كتب وبني بجانب ذلك الباب منارة ، وأنشأ باباً آخر جهة مطبخ الجامع وهو المشهور بباب الشؤربة ، وجعل أيضاً عليه منارة ، وأنشأ الطيرسية إنشاءً جديداً ، وأنشأ الباب الكبير المعروف اليوم بباب المزينين ، وجعل أيضاً على يمينه منارة ، وجعل فوقه مكتباً وبداخله على يمين الداخل ميسأة ، وأنشأ لها ساقية ، وصار الآن محل

(١) ٥ - ٨ ج ٢ الجبرتى .

(٢) وتوفى الأمير حسن بك رضوان عام ١١٩٢ وكان شاعر مجيداً (٣٨ -

٥٠ ج ٢ الجبرتى) وكان الشيخ محمد الهلباوى الشهير بالمنهورى شاعر الأمير على بك وكان به وتوفى عام ١١٩٣ هـ (٥٤ - ٥٦ ج ٢ المرجع)

(٦ - الأزهر)

المبضة حجرة مكتبة إدارة الأزهر ، وقد جاء هذا الباب الكبير ومباذله من
الطبرسية والاقباوية من أحسن المباني في العظم والوجاهة والفخامة وأرخ بعضهم
ذلك بهذه الآيات :

تبارك الله باب الأزهر انفتحا وعاد أحسن مما كان وانصلحا
تقر عيناً إذا شاهدت بهجته باخلاص بان له للعلم والصلحا
وادخل على أدب تلقى الهداة به قد قرروا حكماً يزدانها رجحا
باباً قد بدأ الا كوان أرخه بعيد رحمن باب الأزهر انفتحا

وجدد رواقا للسكاوين والتسكرويين وزاد في مرتبات الجامع ، ورتب لمطبخه
في خصوص أيام رمضان في كل يوم خمسة أرباب أرزا أبيض وقنطارا من السممن
ولحوما وغير ذلك من المرتبات والزيت والوقود للمطبخ ، وزاد في طعام
المجاورين .

ولما مات هذا الأمير عام ١١٩٠ هـ صلى عليه في الأزهر ، ودفن في مدفنه الذي
أعده لنفسه فيه .

وقد حدثت في الأزهر في هذا العهد عدة حوادث مختلفة .. فلما توفي ثاني شيخ للأزهر
وهو الشيخ النشقي وقعت فتنة بالأزهر عام ١١٢٠ هـ بسبب المشيخة والتدريس
بالاقباوية وافترق المجاورون فرقتين فرقة تريد الشيخ أحمد النفراوى والأخرى
تريد الشيخ عبد الباقي القليني ولم يكن حاضراً بمصر ، فتمصب له جماعة النشقي ،
وارسلوا يستعجلونه للحضور فقبل حضوره تصدر الشيخ النفراوى وحضر للتدريس
بالاقباوية فمنعه القاطنون بها وحضر القليني فانضم اليه جماعة النشقي وتمصبوا له
فحضر جماعة النفراوى إلى الجامع ليلاً معهم بنادق وأسلحة وضربوا بالبنادق في
الجامع وأخرجوا جماعة القليني وكسروا باب الاقباوية وأجلسوا النفراوى مكان
النشقي ، فاجتمعت جماعة القليني في يومها بعد العصر وكبسوا الجامع واقفلوا
أبوابه وتمساروا مع جماعة النفراوى فقتلوا منهم نحو العشرة وجرح بينهم جرحى
كثيرون وانتهت الخزائن وكسرت القناديل وحضر الوالى فأخرج القتلى وتفرق
المجاورون ولم يبق بالجامع أحد ولم يصل فيه ذلك اليوم وأمر النفراوى بلزوم بيته
واستقر القليني مكانه .

ولما قربت وفاة شيخ الاسلام الشيخ الدمنهورى الشيخ التاسع للأزهر رغب
الشيخ العريشى الحنفى فى المشيخة اذ هى أعظم مناصب العلماء فحضر إلى الجامع مع

إبراهيم بك وجمع الفقهاء والمشايخ وعرفهم أن الشيخ الدهموري أقامه وكيلا وبعد أيام توفي الشيخ الدهموري فتعين هو للشيخة بتلك الطريقة وساعده الأمراء وكبراء الأشراف وأبو الأنور السادات وكأد امره يتم ، ومنع من ذلك اجتماع بعض الشافعية وذهابهم إلى الشيخ أحمد الجوهري حيث ساروا إلى بيت البكري وجمعوا عليهم جملة من أكابر الشافعية مثل الشيخ أحمد العروسي والشيخ أحمد السنودي والشيخ حسن الكفراوي ، وكتبوا طلبا للأمراء مضمونه أن مشيخة الأزهري من مناصب الشافعية وليس للحنفية فيها قديم عهد وخصوصا إذا كان آفاقيا كالشيخ عبد الرحمن العريشي وفي العلماء الشافعية من هو أهل لذلك علما وسنا وانهم انفقوا على أن يكون المتعين لذلك الشيخ أحمد العروسي ، وختموا جميعاً على الطلب وأرسلوه إلى إبراهيم بك ومراد بك فتوقف الأمراء وشددوا في عدم النقص ورد الطلب للمشايخ فقاموا على ساق ، وشدد الشيخ الجوهري في ذلك وركبوا بأجمعهم إلى جامع الإمام الشافعي وباتوا به ليلة الجمعة ، فهرعت الناس ينظرون فيما يؤول إليه هذا الأمر وكان للأمراء اعتقاد في الشيخ الجوهري ، فسعى أكثرهم في انفاذ غرضه وخافوا العطب أو ثوران فتنة وحضر مراد بك للزيارة ، فسلمه الشيخ الجوهري وقال له لا بد من فروة تلبسها للشيخ العروسي ويكون شيخا على الشافعية وذلك شيخ على الحنيفية كما أن الشيخ الدريدي شيخ المالكية والبلد بلد الإمام الشافعي وقد جئنا إليه وهو يأمر بك بذلك فان خالفت يخشى عليك فاحضر فروة وألبسها للشيخ العروسي وذهب العروسي إلى بيته وأخذ شأنه في الظهور واحتد العريشي لذلك وذهب إلى السادات والأمراء فآلبسوه فروة وتفاقم الأمر وصاروا حزينين ، وتعصب للعريشي طائفة الشوام والمغاربة ومنعوا الطائفة الأخرى من دخول الجامع واستمر الأمر نحو سبعة أشهر إلى وقوع حادثة بين الشوام والأتراك واحتد الأمراء للجنسية وكدوا في طلب الفصل في الأمر وتصدى العريشي للذب عن الشوام ، فانطلقت عليه الألسن وانحرف عليه الأمراء وطلبوه فاختنى فعزلوه عن الافتاء وحضر الأغا وصحبته العروسي للقبض على الشوام ففروا فاغلقوا رواقهم وسمروه أياما ، ثم اصطالحوا وثبتت مشيخة العروسي وأمر العريشي بلزوم بيته فاختنى بنفسه للعبادة ومرض من الحزن وتوفي سنة ١١٩٣ هـ رحم الله الجميع ...

وفي غرة رمضان سنة ١١٩٩ نار فقراء المجاورين والقاطنون بالأزهر وأقفلوا أبوابه ومنعوا منه الصلوات وكان ذلك يوم جمعة فلم يصل فيه ذلك اليوم وكذلك أغلقوا المسجد الحسيني وخرج العميان والمجاورون يسرون في الأسواق ويحفظون ما يجدونه

من الخبز وغيره ، وسبب ذلك قطع رواتبهم وأخبارهم المعتادة ، واستمروا على ذلك حتى حضر سليم أغا بعد العشاء في المدرسة الأشرفية وأرسل إلى مشايخ الأروقة وتكلم معهم والتزم لهم بإجراء رواتبهم ... وفي سنة ١٢٠٠ هـ قطعت أخبارهم ومرتباتهم وفعلوا مثل ذلك وحضر إليهم سليم أغا مثل الأول والتزم ولم يوف ، فضجت المجاورون فوق المنارات فحضر ونجز لهم بعض المرتبات مدة ، ثم انقطع ثم التزم وتكرر الغلق والفتح مرارا عديدة مع منع المرتبات وإجرائها

وفي أول جمعة من جمادى الأولى سنة ١٢٠٠ هـ تار جماعة من أهالي الحسينية بسبب ما حصل من حسين بك بشفت فانه تسلط على هجوم البيوت فركب بجنده إلى الحسينية وهجم على دار أحمد سالم الجزار المتولى رئاسة دراويش الشيخ البيوى ونهبه حتى حلّى النساء والفرش ، فحضر أهل الحسينية إلى الجامع الأزهر ومعهم طبول وانضم إليهم كثير من العامة وبأيديهم نباييت ومساوق ، وذهبوا إلى الشيخ الدردير فساعدهم بالكلام ، وقال لهم انا معكم فخرجوا من نواحي الجامع وأقفلوا أبوابه وصعد منهم طائفة على المنارات يصيحون ويدقون بالطبول وانتشروا بالأسواق في حالة منكرة واغلقوا الحوانيت ، وقال لهم الشيخ الدردير : في غد نجمع أهالي الأطراف والحارات وبولاق ومصر القديمة ونركب معهم ونهب بيوتهم كما ينهبون بيوتنا ونموت شهداء أو ينصرنا الله عليهم ، فلما كان بعد المغرب حضر سليم أغا ومحمد كتخدا الجبلي كتخدا إبراهيم بك وجلسوا في الغورية ، ثم ذهبوا إلى الشيخ الدردير وتكلموا معه وخافوا من تضاعف الحال وقالوا اكتبوا لنا قائمة بالمنهوبات ونأق بها من محل ما تكون وقرروا الفاتحة على ذلك وانصرفوا ، وركب الشيخ إلى إبراهيم بك وأرسل إلى حسين بك واحضره وكله في ذلك فقال : كلنا نهايون أنت تهب ومراد بك ينهب وأنا أنهب ثم انفض المجلس وهدأت القضية .

وبعد حادثة أهل الحسينية السابقة بأيام قليلة تعصب مجاورو الصعايدة في الأزهر وأبطلوا دروس المدرسين به بسبب نهب سليمان بك الأغا سفينة لهم فيها تمر وسمن مدعيا أنه مالا متأخرا عند أولاد وافي في الصعيد وإن ذلك مالهم ، وليس كذلك بل هو مال مجاورى الصعايدة ، فركب الشيخ الدردير والشيخ العروسى والشيخ المصيلحى وآخرون إلى إبراهيم بك وتكلموا معه بحضرة سليمان بك كلاما كثيرا مفحما ، فرد سليمان بك بعض ما أخذه .

وقد حدثت حوادث حصلت أيام مشيخة الشيخ الشرقاوى ، منها أن طائفة

المجاورين بالازهر من الشراويين كانوا قاطنين بالطبرسية وكانت لهم خزائن برواق معمر فوق بيوتهم وبين أهل الطبرسية مشاجرة وضربوا نقيب الرواق ومنعهم شيخ الطبرسية منها وكان ذلك سببا لبناء زواق الشراوة .

ومنها في سنة ١٢٠٩ هـ حضر أهل قرية بشرقية بلجيس ، وذكروا ان اتباع محمد بك الالفي ظلموهم وطلبوا منهم مالا لاقدرة لهم عليه ، فاغتاز الشيخ الشراوي من ذلك وحضر إلى الازهر وجمع المشايخ وقلقوا أبواب الجامع وذلك بعد أن خاطب مراد بك وإبراهيم بك ولم يبدوا شيئا ، وأمر الشيخ الناس بغلاق الاسواق والخوانيت ثم ركبوا ثاني يوم إلى بيت السادات وتبعهم كثير من العامة وازدحوا امام الباب والبركة ، بحيث يراهم إبراهيم بك ، فأرسل لهم أيوب بيك الدفتردار فوقف بين أيديهم وسألهم عن مرادهم فقالوا نريد العدل وأبطال الحوادث والمكوسات التي ابتدئتموها ، فقال لا يمكن الاجابة إلى هذا كله فانا ان فعلنا ذلك لضافت علينا المعاش ، فقالوا ليس هذا بعذر عند الله وما الباعث على الاكثار من النفقات والماليك والامير يكون أميرا بالاعطاء لا بالأخذ ، فقال حتى أبلغ وانصرف وانقض المجلس وركب المشايخ إلى الجامع الازهر ، واجتمع أهل الاطراف وباتوا به ، فبعث مراد بيك يقول أجيبكم إلى جميع ما ذكرتموه لإشيتين : ديوان بولاق وطلبكم المتأخر من الجامكية ، ثم طلب أربعة من المشايخ عيّنهم باسمائهم فذهبوا اليه بالجيزة فلاطفهم والتمس منهم السعي في الصلح ، وفي اليوم الثالث اجتمع الامراء والمشايخ في بيت إبراهيم بك وفيهم الشيخ الشراوي وانهقد الصلح على رفع المظالم ماعدا ديوان بولاق وان يكفوا اتباعهم عن مد ايديهم إلى أموال الناس ويسيروا في الناس سيرة حسنة ، وكتب القاضي حجة بذلك ووقع عليها الباشا والامراء وانجلت الفتنة ، وفرح الناس بنحو شهر ، ثم عاد الحال إلى أصله .

ويندكر ابن إياس أن السلطان سليم شاه العثماني دخل الجامع الازهر يوم الجمعة سنة ٩٢٣ هـ فصلى به الجمعة وتصدق هناك بمبلغ كبير .. وزار الازهر الشريف السلطان الأعظم عبد العزيز خان ، وقد حظى بكثير من خيرات ملوك آل عثمان .

✱ الازهر والحركة العلمية في هذا العهد :

نبغ من هذا العصر عدد كبير من العلماء والادباء والشعراء ، منهم : الشهاب الخفاجي المتوفى ١٠٦٩ هـ ، والبديعي المتوفى عام ١٠٧٣ هـ ، وعبد القادر البغدادى المتوفى عام ١٠٩٣ هـ صاحب خزانة الأدب ، والسيد مرتضى الزبيدي (١١٤٥ -

١٢٠٥ هـ) مؤلف تاج العروس ، والصبان المتوفى عام ١٢٠٦ هـ ،
ومنهم المحيى (١٠٦١ - ١١١١ هـ) مؤلف خلاصة الأثر فى أعيان القرن
الحادى عشر ، والشعرانى المتصوف المتوفى عام ٩٧٣ هـ ، وعبد الله الشبراوى المتوفى
عام ١١٧٢ هـ ، وسواهم .

وهؤلاء كانوا من غير شك من أفادوا من الأزهر ، وتأثروا به
— وفى هذا العهد استمر الأزهر مدى القرون الثلاثة التى حكم العثمانيون فيها مصر ،
يجاهد لحفظ البقية الباقية من اللغة العربية والعلوم القرآنية التى أصبحت فى حال ذبول
أو شبه جفاف ، وكان له الفضل على كل حال فى الإبقاء على حشاشة هذا التراث
الإسلامى ، لقد صار الأزهر أشهر الجوامع فى التدريس على الإطلاق . وقصده
طلاب العلم من كل ناحية حتى تركستان والهند وزيلع وسنار . ولكل طائفة منهم
رواق باسمهم كرواق الشوام أو المغاربة أو العجم ، أم الزيالة ، أو اليمينية أو
الهندية ، فضلا عن أروقة الصعيد .

وبلغ عدد تلاميذ الأزهر فى أوائل القرن التاسع للهجرة - أى نحو عام ٨١٨ هـ -
٧٥٠ طالبا من طوائف مختلفة ، وكانوا مقيمين فى الجامع ومعهم صناديقهم وخزائنهم
يتعلمون فيه فى الفقه والحديث والنحو والمنطق ، وزادوا فى عصر العثمانيين على ذلك
زيادة كبيرة .

— وفى كتاب التعليم العام فى مصر ما يفيد أن العلوم التى كانت تدرس غالباً بالأزهر
حتى منتصف القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) هى الآداب
والفقه التوحيد .

وكانت تدرس أحيانا بصفة استثنائية علوم الفلك ، والعلوم الرياضية ، والعلوم
الطبيعية ، والتجريدية ، إجمالا

واشتدت المنافسة الفكرية التى كانت بين المذاهب فى الأزهر ، والتى أدت إلى ظهور
المذاهب الشافعى على سائر المذاهب ، حيث ترى منذ هذا الوقت المذاهب كلها تدرس
سويا بالأزهر ، إلا أن المشيخة كانت فى الغالب للشافعيين . والمنافسة كما يد لنا التاريخ
كانت شديدة على هذا المنصب ، وكانت فى أكثر الأوقات تدور بين المذهبين الشافعى
والحنفى ، والمذهب الحنفى كان غالباً مذهب الأمراء والولاة من الأكراد والمعاليك
والأتراك . ولازلنا الآن نجد المذهب الحنفى فى صف السلطة القضائية فى هيئة المحكم ،

فعليه تسير المحاكم الشرعية في قضائها . ويرى الأستاذ فولر ، أن وجود حدث الإمام الشافعي الطاهر في مسجده المنيف ، وكذلك سلطانه الروحي في نفوس الاهالي ، بمساعدته على كثرة اتباعه . وقد يكون هذا صحيحا ، والواقع أن مرجع هذه المنافسة يعود إلى خلاف في طبيعة المذهبيين .

ومهما يكن من أمر فالأزهر في كل عصوره حتى حكم محمد علي كان مركز التعليم الذي تدور حوله الحركة العلمية في البلاد ، ولهذا المركز الممتاز أدت هذه الجامعة خدمتين من أجل الخدمات التي لهذا أثرها الواضح في حياة مصر الاجتماعية والسياسية عامة : الأولى عمله على نشر اللغة العربية وتوطيدها بالبلاد المصرية ، وشد أزرها ضد اللغة القومية التي غزاها الاسلام بلغته العربية العريقة . والثانية دعم أسس الديانة الاسلامية ووقوفها تسند الاسلام بكل ما نبعث فيها من المجهودات العقلية والروحية .

والخطة التي انتهجها الأزهر تتلخص في أنه بعد زوال الدولة الفاطمية وعمل صلاح الدين على إبادة آثارها ، أدخلت المذاهب الأربعة في الأزهر وصارت سواسية في التدريس فيه ، وكان لكل مذهب شيخ ، وله مطلق السلطة على الأساتذة والطلاب الذين ينضمون تحت لواء مذهبه

وكان من آثار الأزهر فوق هذا أن جعل لمصر مكانة ممتازة وسلطانا أدبيا على شعوب الشرق ، وأصبحت البلاد الشرقية تنظر إلى مصر نظرة الحائر إلى الهادي المرشد . وتعترف لها بالفضل والعلم .

وكان التعليم فيه على ثلاث مراحل : المرحلة الأولى يبدأ التليذ فيها بتعلم الهجاء والقراءة والكتابة ويحفظ ما تيسر من القرآن عن ظهر قلب ليكون هذا الجزء المادة التي يستطيع أن يطبق التليذ فيها عمليا مأخذا من المعلومات النظرية في تعلمه قواعد الهجاء والكتابة ، فيطالب التليذ بكتابة هذا الجزء وقراءته ، ثم ينتقل من هذا الجزء إلى غيره كتابة وقراءة وحفظا حتى يتم القرآن وهذه أول مراحل التعليم ، ويكون التليذ فيها قد تعلم القراءة والكتابة وتستغرق هذه المرحلة من سنتين إلى ثلاث ثم ينتقل إلى المرحلة الثانية ويظل تحت إشراف أستاذه ، يعطيه دروسا في القراءة والكتابة ، وموضوعات انشائية سهلة تتدرج فيها من السهولة إلى الصعوبة ، متمشيا في ذلك مع النمو العقلي للتليذ ، ويكون التليذ في هذه السن على أبواب دور المراهقة وكل ما استفاده من هذه البرامج تحصيله للقرآن الشريف ، فالتليذ يستطيع أن

يستغل ما حفظه منه في تعمير حياته الروحية ، وتلاوته تكون سلواه وأنيسه ، ويتخير من الآيات ما يتفق ونفسه فيستعملها في دعائه وعبادته وصلاته كل يوم ، وتكون قواه العقلية بهذا التمرين قد نشطت بوجه ما ، ويكون لسانه قد تقوم واكتسب اللهجة العربية الفصحى . . وأظهر ما يبدو في هذا الأسلوب التعليمي أنه لا يبدأ بتعليم القواعد والتعاريف والسكريات في اللغة إلا بعد أن يكون التلميذ قد تذوق هذه اللغة بنفسه ، وتكونت في عقله ملكة وذوق .

وأغلب المتعلمين كانوا يقفون عند هذا الحد ، ويتخرجون في سن الثانية عشرة ، وبعضهم كان يخطو إلى المرحلة الثالثة ، يدرسون فيها علوم الدين من فقه وحديث وتوحيد الخ ، وفي الأحوال الاستثنائية كان بعض الأفراد يدرسون العلوم الطبيعية والرياضية .

والمتخرج ما كان يحصل على شهادة يعترف بها رسمياً ، وإنما كان يعتمد على مجهوده الشخصي وشهرته وكفاءته في الزام الناس بالاعتراف بوجوده ومنزلته ، وكان لا يتصدر للتدريس إلا من مارس الفنون المتداولة بالأزهر ، وتلقاها من أفواه المشايخ ، وصار متأهلاً للتصدر ، حلالاً للشكالات ومعضلات المسائل ، فلا يحتاج لاستئذان إلا على جهة الأدب والبركة ، وإنما يعلم بعض المشايخ والطلبة فيحضرون درسه ، ويقرأ كونه عليه ، وهو يتأقن في الابتداء ويتهالك في طريق الأغراب والتوغل وقد يتعصب عليه بعض الحاضرين ويتعنّت ، والبعض الآخر ينتصر له ، وإذا تلعم في إجابته لسائل ربما أقاموه ومنعوه من التصدر ، وإذا عاند ربما ضربوه .

✓ ولم يكن للأزهر شيخ منذ أن أنشئ إلى القرن العاشر ، وإنما كان يتولاه الملوك والأمراء الذين كانوا يهتمون بشأنه ويكرمونه أهله ، حتى إذا كان القرن الحادى عشر الهجرى جعل للأزهر شيخ ، وبما يحمل ذكره أن شيخ الأزهر كان بمثابة شيخ الإسلام في دار الخلافة ، فكان يقوم بشئون الأزهر ويرعى أمور أهله ويفصل في قضاياهم ويضبط مرتباتهم ، ويمثلهم لدى الحكومة ، ومنوط به إقامة شعائر الدين في أنحاء القطر قاطبة .

وأول من تولى المشيخة - كما قاله الجبرقى - هو الامام محمد بن عبد الله الخرشى المالكي ، وقد توفى سنة ١١٠١ هـ ، وتولى بعده الشيخ محمد النشرقى وتوفى سنة ١١٢٠ هـ ، وجاء بعده الشيخ عبد الباقي المالكي القليلنى ، فلحقاته تقلد بعده الشيخ محمد شهن المالكي المتوفى سنة ١١٣٣ هـ ، ثم تولى بعده الشيخ ابراهيم ابن موسى

الفيومي المالكي المتوفى سنة ١١٣٧ هـ ، ثم تولى بعده الشيخ ابراهيم الشبراوى الشافعى وتوفى سنة ١١٧١ هـ ، فتولى المشيخة بعده الشيخ الحنفى المتوفى سنة ١١٨١ هـ ، ثم تولى المشيخة بعده الشيخ عبدالرؤوف السجنى وتوفى سنة ١١٨٢ هـ ، ثم تولى بعده الشيخ أحمد الدمهورى المذاهبى وتوفى بمنزله ببولاق سنة ١١٩٢ هـ ، وبعد وفاته حصل نزاع فى تولى المشيخة بين الشيخين عبد الرحمن بن عمر العريشى الحنفى وأحمد العروسى الشافعى مدة سبعة أشهر ، ثم آلت إلى الثانى وتوفى سنة ١٢٠٨ هـ ، فانتقلت المشيخة الى الشيخ عبد الله الشهير بالشرقاوى وهو الذى أنشأ رواق الشرافة ، وقد دخل الفرنسيون مصر فى أيامه وانتخبوه عضوا فى الديوانين : العمومى والخصوصى .

الازهر وتاريخنا القومى :

قاد الازهر ثورتين هامتين تعتبران من أسبق الثورات الدستورية العالمية ، إحداهما كانت بقيادة أكبر علماء ذلك العصر وهو الامام أحمد الدردير ، والاخرى بقيادة شيخ الازهر فى ذلك الوقت الشيخ عبد الله الشرقاوى رحمهما الله تعالى .

فالثورة الاولى سبقت إشارة لها وخلاصتها أنه فى يوم من أيام ربيع الاول عام ١٢٠٠ هـ (يناير عام ١٧٨٦ م) نهب حسين بك شفت وجنوده داراً لشخص يدعى أحمد سالم الجزار بالحسينية جهاراً أنهاراً ظلماً وعدواناً . فثار تائرة الأهالى ، وتشاوروا فيما يجب عليهم أن يفعلوه وانفقوا أخيراً على الالتجاء إلى أقوى العلماء شخصية وأوسعهم نفوذاً ، وهو الامام الدردير ، فاجتمع الأهالى فى اليوم التالى للحادث ويمموا شطر الجامع الازهر وقصدوا الشيخ وأخبروه بالواقعة ، فغضب الشيخ لاستهتار الامراء وتعسفهم ونادى فى الجماهير غير هياب ولا وجل : أنا معكم ، وغدا نجتمع أهالى الاطراف والحارات وبولاق ومصر القديمة وأركب معكم ونهب بيوتهم كما نهبوا بيوتنا ونموت شهداء أو ينصرنا الله عليهم ، وأمر الشيخ بدق الطبول على المنارات إيداناً بالاستعداد للقتال ، وترامت الاخبار بين الأهالى ، فأسرعوا نحو الازهر للاشتراك فى المعركة ، وكانت اخبار الجماهير الهاجعة قد وصلت إلى ابراهيم بك ، وبلغه تصميم الامام الدردير على قيادة الشعب ضد الامراء ، وكان يعلم مقدار مال الشيخ من نفوذ ومكانة على الأهالى ، فخشى أن يستفحل الامر ويؤدى إلى ضياع سلطته فى مصر ، فأرسل نائبه ومعه أحد الامراء إلى الامام الدردير واعتذر له عما حدث ، ووعد بأن يكف أيدي الامراء عن الناس . كما قرر توبيخ حسن بك شفت على صنيعه وطلب قائمة بجميع ما نهبه ليامره

برد ذلك إلى صاحبه ، وهكذا وضع هذا الامام قاعدة دستورية هامة وهي احترام الحاكم لارادة المحكومين (١)

والثورة الثانية (٢) تتلخص كما تقدم في أنه في شهر ذي الحجة عام (١٢٠٩ هـ - ١٧٩٥ م) اشتكى فلاحو قرية من قرى بلبس إلى الشيخ عبد الله الشرقاوى من ظلم محمد بك الألفى ورجاله ، فبلغ الشيخ الشرقاوى الشكوى إلى كل من مراد وإبراهيم بك ، وخاطبهما في كف أذى محمد بك الألفى عن الفلاحين فلم يفعلوا شيئاً . فما كان من الشيخ الشرقاوى رحمه الله تعالى إلا أن عقد اجتماعاً في الأزهر حضره العلماء وتشاوروا في الأمر فاستقر رأيهم على مقاومة الأمراء بالقوة حتى يجيبوا مطالبهم ، وقرروا إغلاق أبواب الجامع الأزهر ، وأمروا الناس بغلق الأسواق والخوانيت استعداداً للقتال .

وفي اليوم التالى : ركب الشيخ الشرقاوى ومعه العلماء وتبعهم الجماهير وسار الجميع إلى منزل الشيخ السادات يستشيرونه في بدء المعركة ، وكان قصر إبراهيم بك قريباً من قصر الشيخ السادات ، فراحه احتشاد الجماهير هناك ، وعلم باجتماع العلماء عند الشيخ السادات ، فبادر بإرسال أيوب بك الدفتردار ليسأل عن مرادهم . فقالوا له : نريد العدل ورفع الظلم والجور وإقامة الشرع وإبطال الحوادث والمكوسات التى ابتدعتموها وأحدثتموها .

فأجابهم قائلاً : لا يمكن الإجابة إلى هذا كله فإننا إن فعلنا ذلك ضاقت علينا المعاش والنفقات . فقالوا له : هذا ليس بعذر عند الله ولا عند الناس ، وما الباعث على الاكثار من النفقات وشراء الممالك ، والأمير يكون أميراً بالاعطاء لا بالأخذ ! .

فقال لهم : حتى أبلغ وانصرف ولم يعد لهم بجواب . صمم العلماء في هذا المجلس على أن يخوضوا المعركة مع الأمراء ، فإما أن يستشهدوا أو ينالوا حقوق الشعب كاملة . وأعلنوا أهالى القاهرة بعزمهم ، فتقاطرت الجماهير صوب الأزهر وباتوا هم والعلماء داخل المسجد وجوله .

هال إبراهيم بك ما بلغه من احتشاد الشعب ومرابطته مع العلماء استعداداً للقتال . فأرسل إلى العلماء يعتذر لإيهم ويبرئ نفسه ملقياً التبعة على شريكه في الحكم مراد

(١) مجلة الأزهر عدد شوال ١٣٧٢ الاستاذ احمد عز الدين خلف الله - والجبرتي طبعة بولاق ج ٢ ص ١٠٣ - ١٠٤ .

(٢) الجبرتي ج ٢ ص ٢٥٨ ، والاستاذ خلف الله في مجلة الأزهر

بك ، بل ذهب إلى أبعد من هذا إذ يقول : أنا معكم وهذه الأمور على غير خاطري ومرادى ، ، وأرسل مراد بك يستحثه لعمل شيء ويخيفه عاقبة الثورة التي توشك أن تنفجر .

وفي اليوم الثالث للثورة توجه والى مصر إلى منزل إبراهيم بك واجتمع مع أمراء الماليك وقرروا إيجاد حل سريع حاسم قبل أن يفلت الزمام فتشتعل الثورة ، وأرسلوا إلى العلماء ليحضروا الاجتماع ، فحضر الشيخ السادات والسيد عمر مسكرم والشيخ الشرقاوى والشيخ البكرى والشيخ الأمير وطال الحديث بينهم ، وكان مداره حول حقوق الشعب ، ولم يستطع إبراهيم بك ولا مراد بك ولا الأمراء المكابرة في هذه المرة ، فقد كانت القاهرة تغل كالمرجل وكانت أشبه ببركان يوشك أن يثور ، وكان الشعب المتكسل في الخارج يلوح مهددا متوعدا ، وانتهى هذا المجلس التاريخي بموافقة الأمراء والوالى على القرارات الآتية :

أولا : لا تفرض ضريبة إلا إذا أقرها مندوبو الشعب .

ثانيا : أن ينزل الحكام على مقتضى أحكام المحاكم .

ثالثا : ألا تمتد يد ذى سلطان إلى فرد من أفراد الأمة إلا بالحق والشرع .

وكان القاضى الشرعى حاضرا فخر (حجة) تضمنت هذه القرارات وقع عليها والى ، وختم عليها إبراهيم بك وأرسلها إلى مراد بك ختم عليها أيضا وانحلت الازمة . ورجع العلماء يحيط بكل منهم موكب من الأهالى وهم ينادون : حسب مارسمة ساداتنا العلماء بأن جميع المظالم والحوادث والمكوس بطالة من مملكة الديار المصرية ولو تأملنا في هذا النص الذى ساقه مؤرخ مصر الجبرتي ودققنا النظر في قوله وحسب مارسمة ساداتنا العلماء ، لوجدنا أن هذه العبارة الظاهرة تحمل مبدأ دستوريا هائلا : وهو أن الأمة مصدر السلطات .

وقد توافق رأى أكثر المؤرخين الفرنجة على أن هذه الحجة بمثابة وثيقة إعلان حقوق الانسان ، سبقت بها مصر غيرها .

وقد طبق وكلاء الشعب ويمثلهم العلماء والاعيان هذا المبدأ - مبدأ الأمة مصدر السلطات - على والى مصر خورشيد باشا ، حين عجز عن ضبط الأمن في البلاد ، إذ عقدوا مؤتمرا وطنيا يوم ١٣ صفر عام ١٢٢٠ هـ ، وقرروا عزل والى . ولما رفض الإذعان لهذا القرار قام العلماء والاعيان والشعب بتنفيذ قرار الأمة بالقوة

ودارت رحا الحرب بينهم وبين الوالى ، وكانت الاوامر خلال المعركة تصدر باسم السيد عمر مكرم والعلماء بصفتهم وكلاء الامة ، وأجبروه أخيراً على الاذعان لقرار الامة فى ٢٩ جمادى الاولى عام ١٢٢٠ هـ .

هذا وقد سجل التاريخ للعلماء السابقين مواقف مجيدة فى الدفاع عن حقوق الشعب نذكر منهم الامام شمس الدين محمد الحنفى المتوفى عام ٨٤٧ هـ ، والشيخ شمس الدين الديروطى الواعظ بالازهر الشريف والمتوفى عام ٩٢١ هـ ، وشيخ الاسلام الامام محمد بن سالم الحنفى المتوفى عام ١١٨١ هـ .

الفصل الثامن

الازهر بعد الحكم العثمانى

الازهر والغزو الفرنسى لمصر :

— بعد دخول نابليون بونابرت القاهرة جمع العلماء وطلب اليهم اختيار عشرة مشايخ لتأليف ديوان منهم ، فوقع اختيارهم على هؤلاء المشايخ العشرة : عبد الله الشرقاوى ، خليل البكرى ، مصطفى الصاوى ، سليمان الفيومى ، محمد المهدي الكبير ، موسى السرسى ، مصطفى الدمهورى ، أحمد العريشى ، يوسف الشبراخيتى ، محمد الدواخلى ، ثم اختار هؤلاء رئيساً لهم الشيخ الشرقاوى ، واحتفل بونابرت بافتتاح الديوان وأكرم أعضائه ، وأمر المصورين بأخذ صورة كل منهم على حدة . وهذه الصور ما تزال محفوظة فى معرض فرساي ، وهو أول ديوان وطنى ، ويعتبر فاتحة السلطة الثيائية الانتخابية .

— وفى ثورة القاهرة على الفرنسيين ضرب الازهر بالمدافع ، وتتابع الرمى من القلعة وتلال البرقية حتى ترعزت الأركان وهدمت حيطان الدور ، فركب المشايخ إلى كبير الفرنسيين ليرفع عنهم هذا النازل ويكف عسكره عن الرمى ، فعاتبهم فى التقصير فاعتذروا اليه ، فقبل عذرهم ورفع عنهم الرمى وقاموا من عنده ينادون بالأمان فى المسالك والطرق .

وبعد الحادثة السابقة ثارت فتنة بين أهل الحسينية والعطوف وبين الأفرنج وتراموا ، ولم يزل الرمى بين الطائفتين حتى فرغ من الطائفة الأولى البارود ، فأنهتهم الفرنج بالرمى المتتابع ، وبعد هجمة من الليل دخل الفرنج المدينة ومروا

في الأزقة والشوارع وهدموا ما وجدوا من المتاريس وانتشروا في الطرقات وتراسلوا رجالا وركبانا . ثم دخلوا الجامع الأزهر راكبين على خيولهم وتفرقوا بصحنه ومقصورته وربطوا خيولهم بقبلته وعاثوا بالأروقة وكسروا القناديل والسهارات وهشموا خزائن الطلبة ونهبوا أمتعتهم ودشتوا الكتب والمصاحف وطرحوها على الأرض وداسوها بأرجلهم ونعالهم ، وبالوا عليها وتغوطوا فيه ، وجردوا كل من وجدوه به وأخرجوهم وأصبحوا مصطفين بباب الجامع ، وكل من حضر للصلاة يراهم فيكر راجعا ، ونهبوا بعض الدور التي بالقرب من الجامع ، وخرج سكان تلك الجهة يهرعون للنجاة بأنفسهم ، وانتهكت حرمة تلك البقعة بعد أن كانت أشرف البقاع ، وبقي الأمر كذلك يومين قتل فيهما خلائق لا تحصى ، ونهبت أموال لا تستقصى ، فركب المشايخ بأجمعهم وذهبوا إلى بيت سر عسكر الفرنسيات وطلبوا منه الأمان ، فوعدهم مع التسوية ، وطلب منهم بيان بمن تسبب في إثارة الفتنة من المعممين فغالطوه ، فقال لهم على أسان الترجمان نحن نعرفهم بالواحد ، فرجوه في إخراج العسكر من الجامع الأزهر ، فاجابهم لذلك وأمر بخروجهم وأسكن منهم نحو السبعين في الخطة ، ثم اخصوا عن المتهمين ، فطلبوا الشيخ سليمان الجوسقي شيخ طائفة العميان ، والشيخ أحمد الشرقاوي ، والشيخ عبد الوهاب الشبراوي ، والشيخ يوسف المصياحي ، والشيخ اسماعيل البراوي ، وحبسوهم ببيت البكري ، ثم ركب الشيخ السادات والمشايخ إلى بيت سر عسكر وتشفعوا في المسجونين ، فقبل لهم : لا تستعجلوا ، وبعد أيام حضر جماعة من عسكر الفرنسيين إلى بيت البكري نصف الليل وطلبوا المشايخ المحبوسين عند سر عسكر ليتحدث معهم ، فذهبوا بهم إلى بيت قائمقام بدرب الجاميز وهناك جردوهم من ثيابهم وطلعوهم إلى القلعة فسجنوهم إلى الصباح ، ثم أخرجوهم وقتلوهم بالبنادق وألقوهم خلف القلعة .

ولما توجه بونايرت إلى الشام بعد استيلائه على مصر ؛ استولى على مدينة العريش وغزة وخان يونس وورد الخبر إلى مصر ، فعمل الفرنسيون حصارا وضربوا عدة مدافع من القلعة والأزبكية وحضر عدة منهم راكبين الخيول وبعضهم مشاة وعلى بعضهم عمامة بيض ومعهم نفير ينفخون فيه ، وييدهم ييارق كانت عند المسلمين بقلعة العريش إلى أن وصلوا إلى الجامع الأزهر واصطفوا ببابه رجالا وركبانا وطلبوا الشيخ الشرقاوي شيخ الجامع الأزهر ، وأمروه برفع

تلك البيارق على منارات الجامع الازهر ، فنصبوا بيرقين ملونين على المنارة الكبير
ذات الهلالين وعلى منارة أخرى بيرقا وضربوا عدة مدافع بهجة وسرورا ، وكان ذلك
ليلة عيد الفطر وعند الغروب ضربوا مدافع لإعلاما بالعيد

وفي افتتاح محرم سنة ١٢١٥ هـ وقعت حادثة عجيبة وهى ان سر عسكر الفرنساوية
كليبير كان واقفا في بستان داره بالازبكية وفي صحبته أحد خواصه فدخل شخص يوم
ان له حاجة وضربه بخنجر فشق بطنه وفرهاربا ، ففتشوا عليه حتى أخرجوه من بئر
فوجدوه شاميا ، فسألوه غلظ في كلامه فعاقبوه وحرقوا يديه بالنار فقال لهم لا تظلموا
أهل مصر فأننا من جملة جماعة بعنا أنفسنا للوت واتفقنا على قتل رؤسائكم فقتل
له أين كنت تأوى فقال عند فلان وفلان برواق الشوام بالازهر ولا يدرون حالى
فأحضروا الشيخ الشرقاوى والعريشى والزموهما بإحضار الذين كان يأتوى اليهم
وهم أربعة ثم ركبوا إلى الازهر وصحبهم أغوات الانكشارية وقبضوا على ثلاثة ولم
يحددوا الرابع ثم أخذوا المقتول والبسوه برنيطة ، ووضعوا معه الخنجر الذى قتل
به وحملوه على عربة إلى تل العقارب حيث القلعة التى بنوها هناك وضربوا له المدافع
وأحضروا القتال وضربوا رقاب الشوام الثلاثة المظلومين وحرقوا جثثهم ورفعوا
رؤوسهم على خوازيق ثم وضعوا قتيلهم فى تخشيبية وضعوا عندها عسكرا يتناوبون ليلا
ونهارا وظهر أنه أسلم وتسمى بعبد الله ، وحضر قائمقام والأغا إلى الازهر وشقوا
فيه وفى اروقته وأرادوا نبش أماكن للتفتيش على السلاح وأخذ المجاورون فى نقل
أمتعتهم واخلاء الاروقة ونقلوا كتب الوقف ، ثم إنهم كتبوا اسماء المجاورين فى
قائمة وأمروهم ان لا يأتوا آفاقيا مطلقا وأخرجوا منه الاتراك بالسككية ، وفى اليوم نفسه
توجه الشيخ الشرقاوى والممدى والصابوى إلى سر عسكر منو ، واستأذنه فى نقل
الجامع وتسميره فتكلم بعض القبط وقال هذا لا يصح فخنق عليه الشيخ الشرقاوى وقال
اتركونا يا قبط واكفونا شر دسائسكم وقصد الشيخ منع الريبة فانه ربما دسوا من
يبسبب به واحتجوا بذلك على انجاز أغراضهم ولا يمكن الاحتراس من ذلك لكثرة
أبواب الجامع واتساع زواياه ، فآذنوا لهم بذلك وسمروا أبوابه وكذا سمروا مدرسة
محمد بك المقابلة له وأخرجوا منها الاتراك واستمرت الشدة والإزعاج إلى أن أخذ
الفرنساويون فى الجلاء من الديار المصرية .. وفى غاية محرم سنة ١٢١٦ هـ فتح الجامع
الازهر وكذلك المدرسة وفرح الناس فرحا شديدا وهنا بعضهم بعضا

وفى صفر سنة ١٢١٩ هـ وزعت على أرباب الحرف والصنائع خمسمائة كيس فضجوا
مع ما هم فيه من وقف الحال وأصبحوا لم يفتحوا الدكاكين وحضر منهم طائفة إلى

الجامع الأزهر ومرالاغا والوالى ينادون بالامان وفتح الدكاكين، وفي ثاني يوم تجمع الكثير من غوغاء العامة والاطفال ومعهم طبول وصعدوا إلى منارات الجامع الأزهر يصرخون ويطلبون وتحلقوا بمقصورة الجامع يدعون ويتضرعون ووصل الخبر إلى الباشا فأرسل إلى السيد عمر مكرم النقيب يقول إنا رفعنا عن الفقراء فقال السيد عمر إن هؤلاء الناس وأرباب الحرف كلهم فقراء وكفاهم ما هم فيه من القحط ووقف الحال فكيف تطلب منهم مغارم الجوامك، فرجع الرسول بذلك ثم عاد بفرمان يتضمن رفع الغرامة عن المذكورين ونادى المنادى بذلك فاطمأن الناس وتفرقوا إلى بيوتهم وخرج الاطفال يفرحون .

وفي صفر سنة ١٢٢٠ هـ أكلت العسكر الدلانية الزرع وخطفوا ماصادقهم من الفلاحين والمارين وأخذوا النساء والأولاد للأنساد لحضر سكان مصر القديمة نساء ورجالا إلى الجامع الأزهر يستغيثون ويخبرون أن الدلانية أخرجوهم من ديارهم وأخذوا أمتعتهم ونساءهم، فخطب المشايخ للباشا في أمرهم فكتب للدلانية بترك الدور لأهلها فلم يمتثلوا فاجتمع المشايخ بالأزهر وتركوا قراءة الدروس وخرجت الأولاد الصغار يصرخون في الأسواق فأرسل الباشا كتدخذه إلى الأزهر فلم يجد به أحداً وكان المشايخ انتقلوا إلى بيوتهم، فذهب إلى بيت الشرفاوى وحضر هناك السيد عمر مكرم وخلافه فكلّموه وأوهموه، ثم قام وانصرف فرجعه الأولاد بالحجارة وبقي الأمر على السكون أياما .

لقد قاد الأزهر الحركة الوطنية ضد الفرنسيين والطغاة، وكانت له زعامة الشعب، وقيادة الحركة العقلية والعلمية في البلاد .

— جهاد الأزهر الوطنى فى الحملة الفرنسية وما بعدها :

مرت مصر (١) خلال هذه الفترة بأحداث مثيرة استدعت بذل ضروب عالية من التضحية، وقد خاض الأزهر غمار هذه الحوادث، واستجاب زعماءه لداعى الوطن، بأذلين مافى وسعهم من تضحيات فى سبيله .

فلم تسكد تستقر الحملة الفرنسية فى القطر المصرى فى صفر ١٢١٢ هـ (يوليو ١٧٩٨) حتى نفر الشعب وزعماءه دفاعا عن كرامة الوطن وحرية، فقامت الثورات فى جميع أنحاء القطر، لطرد المستعمرين من البلاد . وكانت القاهرة مركزا لثورتين مهمتين :

(١) راجع مجلة الأزهر عدد ربيع الأول ١٣٧٣ - الأستاذ أحمد عز الدين

خلف الله .

الأولى في جمادى الأولى ١٢١٣ هـ (أكتوبر ١٧٩٨) وعلى رأسها الشيخ السادات ، وكان رئيساً لمجلس الثورة . والثانية في ٢٣ شوال ١٢١٤ هـ (٢٠ مارس ١٨٠٠) وعلى رأسها زعيم العلماء في ذلك الوقت السيد عمر مكرم نقيب الأشراف . وقد استعمل الفرنسيون جميع أنواع القسوة لكبت الشعور القومى والقضاء على المقاومة الأهلية ، ولكنهم لم ينجحوا في خطتهم ، وانتهى الأمر بفوز المقاومة الأهلية ، وجلاء الغاصبين عن أرض الوطن .

فبعد ثورة القاهرة الأولى في ٩ جمادى الأولى ١٢١٣ (٢٠ أكتوبر ١٧٩٨) وجه نابليون نظره إلى الأزهر ، إذ كان يعلم أنه المعسكر العام للثورة ، فقبض على زعماء الحركة ، وأصدر أمره إلى الجنرال بون قومندان القاهرة بأن يأخذهم ليلاً إلى شاطئ النيل - ما بين مصر القديمة وبولاق - حيث يعذبهم ، ثم يلقي بجثثهم في النهر . وبهذه الطريقة خفي علينا تاريخ كثير من المجاهدين الذين استشهدوا في هذه الثورة .

أما الذين حوكموا رسمياً من العلماء باعتبارهم من زعماء الثورة فهم :

الشيخ اسمعيل البراوى والشيخ أحمد الشرقاوى وكانا يقومان بالتدريس في الأزهر ، والشيخ عبد الوهاب الشبراوى وكان يقوم بقراءة كتب الحديث كالبخاوى ومسلم في المشهد الحسينى ، والشيخ يوسف المصلى وكان يقوم بالتدريس في جامع الكردى ، والشيخ سليمان الجوسقى وكان من العلماء المشهورين بشدة السطو والبأس ، وكانت محاكمتهم سرية وقد حكم عليهم بالإعدام في يوم ٢٧ جمادى الأولى ١٢١٣ (٣ نوفمبر ١٧٩٨) .

وفي الساعة الثامنة من صباح يوم ٢٨ جمادى الأولى (٤ نوفمبر) أخرجوا من سجنهم إلى القلعة حيث تلى عليهم الحكم ، ثم أعدموا رمياً بالرصاص ، ولم يعلم لهم قبر بعد مقتلهم ، ويروى الجبرقى أن الفرنسيين ألغوا من السور خلف القلعة بعد تنفيذ الحكم .

وقد نشرت صحيفة (كورييه دليجيت) بالعدد الصادر في ١٠ نوفمبر سنة ١٧٩٨ م (غرة جمادى الآخرة ١٢١٣ هـ) نبأ إعدامهم ، وأضافت إلى الأسماء التى ذكرها الجبرقى اسم (السيد عبد الكريم) الذى لم يوقف له على ذكر .

وكان الشهداء من العلماء خلال هذه الثورة أكثر من هذا العدد ، إذ قرر الشيخ عبد الله الشرقاوى في تاريخه " تحفة الناظرين " أن الفرنسيين قتلوا ثلاثة عشر عالماً

ويؤيد ذلك ما رواه المعلم نقولا الترك في كتابه ، ذكر تملك الفرناوية للديار المصرية ،
إذ قرر أن نابليون أمر بإعدام اثنين من العلماء كانا من أعضاء المجلس العالى .

وعلى الرغم من أن نابليون كان يعلم تمام العلم أن الشيخ السادات كان رئيسا لمجلس
الثورة إلا أنه لم يمسسه بسوء نظرا لمكانته في نفوس المصريين المستمدة من نسبه
الشريف ، وقد طلب الجنرال كليبر من نابليون أن يقبض عليه فاجابه بأن إعدام مثل
هذا الشيخ الجليل لا يفيد الفرنسيين بل يؤدي إلى عواقب وخيمة .

أما ثورة القاهرة الثانية التي حدثت في ٢٣ شوال سنة ١٢١٤ هـ إلى ٢٥ ذى القعدة سنة
١٢١٤ هـ (٢٠ مارس - ٢١ أبريل سنة ١٨٠٠ م) ، فتلخص أحداثها في أن نابليون
غادر القطر المصري تاركا قيادة الحملة الفرنسية للجنرال كليبر الذي لم يلبث أن واجه
أعنف ثورة قامت بها القاهرة ، ويرجع عنف هذه الثورة إلى أن رأسها المفكر كان
زعيم علماء ذلك الوقت السيد عمر مكرم نقيب الاشراف ، ولولا خيانة الماليك
لكان لهذه الثورة الوطنية الجارفة شأن آخر . أما العلماء الذين تعرضوا لانتقام
الفرنسيين بعد إخمادها فهم :

الشيخ مصطفى الصاوى وقد فرضت عليه غرامة ٢٦٠ ألف فرنك .

الشيخ محمد الجوهرى وأخوه فتوح وقد فرضت عليهما غرامة قدرها ٢٦٠ -
ألف فرنك .

وكان الشيخ السادات معروفا لدى الجنرال كليبر بوطنيته منذ تزعم الثورة الأولى ،
ولسكنه لم يتمكن من النيل منه لمعارضة نابليون ، فانتهاز فرصة اشتراكه في هذه الثورة
لينسكل به تسكيلا ، إذ فرض عليه غرامة قدرها ثمانمائة ألف فرنك ، وسجن في غرفة
قذرة بالقلمة حيث كان ينام على القرباب ويتوسد بحجر ، مع ضربه ضربا مبرحا . ثم
سمح له بالترول مخفورا إلى داره لبسعى في سداد الغرامة المفروضة عليه ، فجمع ما في
منزله من المال ، وقوم الفرنسيون ما وجدوه من مصاغ وملابس ومتاع فباعه قيمة
ذلك كله ١١٢ ألف فرنك ، ولم يكسف الفرنسيون بذلك بل جاسوا خلال الدار
وحفروا الارض بحثا عن الخبايا ، حتى أعياهم البحث ولم يجدوا شيئا ، ثم نقلوه إلى
السجن وصاروا يضربونه خمس عشرة عصا في الصباح ومثلها في الليل ، وجدوا في
البحث وراء زوجته وابنه حتى قبضوا أخيرا على تابعة محمد السندوبى الذى عذبه

(٧ - الأزهري)

حتى أقر على مكانهما ، فقبضوا عليهما ، وسجنوا زوجته معه ، وصاروا يضربونه أمامها زيادة في التعذيب ، فشفع فيها كبار العلماء لنقلها من السجن ، فأصدر الجنرال كبير أمرا بتاريخ ٢٢ مايو بنقلها إلى منزل الشيخ سليمان الفيومي . وصودرت أملاك الشيخ السادات وممتلكاته وأوقاف أسلافه ، وبقي معتقلا حتى أفرج عنه في عهد قيادة الجنرال مينو في ٢٥ صفر سنة ١٢١٥ (١٩ يولية سنة ١٨٠٠) وشرطوا عليه ألا يجتمع بالناس ، وألا يركب دون إذن من القيادة الفرنسية . وقد بقي رهن المراقبة في داره حتى اعتقل للمرة الرابعة في أواسط شوال ١٢١٥ (أوائل مارس سنة ١٨٠١) بعد وصول الحملة الانجليزية العثمانية إلى مصر ، وقد اتخذ الفرنسيون هذا الاجرام خوفا من أن يثير عليهم الشيخ السادات الاهالي ، وقد توفي ابنه أثناء اعتقاله فأذن له بتشييعه مخفورا ، ولما انتهى ذلك أعيد إلى سجنه بالقلعة .

ويقول نابليون في مذكراته تعليقا على اضطهاد الشيخ السادات : إن تعذيبه كان من أهم الأسباب التي أدت إلى مصرع الجنرال كبير في ٢ صفر سنة ١٢١٦ (١٤ - يونيه سنة ١٨٠٠) .

وكان السيد عمر مكرم الرأس المفكر لثورة القاهرة الثانية ، وإليه يرجع الفضل في تعبئة القوات الوطنية تعبئة قلما تتوفر في ثورة من الثورات ، ولم يستطع الفرنسيون القبض عليه عقب إخماد الثورة ، إذ تمكن من الفرار من القاهرة تاركا أملاكه عرضة للنهب والمصادرة ، ولم يدخل القاهرة بعد ذلك حتى جلاء الفرنسيين عن عاصمة البلاد في ربيع الأول سنة ١٢١٦ (يولية ١٨٠١) .

وقد اختارت الزعامة الشعبية ممثلة في السيد عمر مكرم والشيخ عبدالله الشرقاوي محمد علي والياً على مصر بشرط أن يحكم بمشورة وكلاء الشعب . ولكن محمد علي كان يميل إلى الحكم المطلق ، وسرعان ما ضاق ذرعا برقابة وكلاء الشعب خصوصاً السيد عمر مكرم زعيم العلماء ، الذي أخذ يحاسب محمد علي باشا على جمع الضرائب التي فرضها ، وبلغ من حماسه في الدفاع عن حقوق الشعب أن عقد مجلساً عاماً من العلماء في (أواسط جمادى الأولى سنة ١٢٢٤ - أول يولية سنة ١٨٠٩) ، وقد أقسم المجتمعون على ألا يلينوا حتى يجيب الوالي مطالبهم التي تتخلص في عدم فرض ضرائب جديدة وإلغاء الضرائب المستحدثة ، وقد ازدادت العلاقات توتراً حينما رفض السيد عمر مكرم أن يوقع الميزانية السنوية . كما يريد محمد علي ، وكان من المعتاد أن يوقع

على الميزانية وجوه المصريين قبل إرسالها إلى السلطان العثماني .

تشكر محمد علي للسيد عمر مكرم ، وأخذ يسعى في التخلص منه ، حتى سُحِث له الفرصة في رجب ١٢٢٤ (أغسطس ١٨٠٩) ، فقرر خلع من نقابة الأشراف ونفيه إلى دمياط ، وقد تلقى السيد عمر مكرم هذا النبأ بقوله : « أما منصب النقابة فإني راغب عنه وزاهد فيه وليس فيه إلا التعب ، وأما النفي فهو غاية مطلوبي لأرتاح من هذه الورطة ، ولكنني أريد أن أكون في بلدة لا تدين لحكم محمد علي » .

مكث السيد عمر مكرم أربع سنوات في دمياط نقل بعدها إلى طنطا التي استمر بها حتى عام ١٢٣٣ (١٨١٨) ، ثم أذن له بالعودة إلى القاهرة ، ولكن استقبال الشعب الرائع لزعيمة أثار شكوك محمد علي مرة أخرى ، فامر بنفيه إلى طنطا عام ١٢٣٧ (١٨٢٢) حيث توفي في نفس العام .

وقام الأزهر بتأييد القوات الوطنية في جهادها ضد الانجليز عام ١٨٠٧ هـ ، وألقى زعماءه في المؤتمر الوطني المنعقد في الأزهر بوجوب الجهاد الوطني ، وقام العلماء ببذل مجهود كبير في سبيل الدفاع عن الوطن سواء بالتطوع أو إمداد الجيش بالموثون والذخائر أو الدعوة إلى الجهاد .

عمر مكرم الأزهرى الزعيم المصرى الخالد :

وكان عمر مكرم من أرفع أسماء المصريين ذكرا في القرن الثامن عشر ، قضى حياته في خدمة الشعب وتحقيق أمانيه ورفع الحيف عنه والسعى إلى تحريره وإعلاء كرامته ، وقد حفزته عاطفته الوطنية المشبوبة إلى مناهضة الفرنسيين توطئة لآخر أجهم من مصر .

كانت بيوت البكرى والسادات ومكرم هي البيوتات المعروفة في غضون القرنين السابع عشر والثامن عشر ، فإذا لم ظلم بافراد الشعب من الحكام العثمانيين أو المماليك أو رجال الحملة الفرنسية لجأوا إلى هذه البيوت يستظلون بحماها ، ويستعدون أربابها ويطلبون المشورة ودفع الحيف عنهم .

وكان أول ظهور عمر مكرم في ميدان السياسة في عام ١٧٩٥ حين اضطربت الأمور في القاهرة وفرع الناس من طغیان إبراهيم ومراد من امراء المماليك ، فقد أبى الشعب وعلى رأسه العلماء ونقيب الأشراف أن يترك الطاغية يحكم على هواه ، وأزموه بشروط يعدها المؤرخون وثيقة حقوق الانسان الأولى التي سبقت في تاريخها

إعلان حقوق الإنسان في فرنسا في أعقاب ثورة سنة ١٧٩٨ ، وفي هذه الوثيقة الاجتماعية الكبرى أعلن الأمراء المماليك أنهم يتعهدون بالعدل ، ويتوبون على المظالم ، ويعدون بالقيام بالواجبات التي يفرضها عليهم القانون والعرف : من صرف الأموال على مستحقها ، ورفع الضرائب الإضافية ، ويتكفلون بكف أتباعهم عن امتداد أيديهم بالأذى ، وبأن يسيروا في الحكم سيرة حسنة .

ومضت عدة أعوام حتى إذا كان يوم ٣ يولييه عام ١٧٩٨ هبطت قوات الحملة الفرنسية مدينة الاسكندرية تغزو البلاد ، وكان شعب القاهرة في حالة فزع واضطراب ، فهل في وسع المماليك أن يدافعوا ويكافؤا ويردوا الغزاة الفاتحين ؟ وتمثلت هذه المحنة في خاطر عمر مسكرم بأنها امتداد للحروب الصليبية ، ولذلك اذاع نداء على الشعب يحثه على الجهاد الديني ، فخرج الرجال والشبان ولم يبق سوى الضعفاء والأطفال والنساء ، وجاد كل منهم بما يملك من دراهم ، وابتاعوا السلاح والذخيرة والخيام . وهبط مسكرم من القلعة إلى ساحل بولاق يحمل علما يسميه العامة « البيرق النبوي » ، والناس حوله ألوف مؤلفة ، وفي أيديهم السلاح الساذج من سيوف ومدى وهراوات ، ومعهم الطبول والزمر ، ووقفوا على غير نظام يشدون أزر جيش المماليك الذي كان يقاتل على الضفة الأخرى للنيل .

كان مسكرم يحسب أن الأمراء المماليك من طراز بيبرس وقلاون والناصر الذين صدوا جحافل التتار والصليبيين ، ولكن موقعة النيل بددت أحلامه ، فقد هزموا في ساعات معدودات ، مما جعله يؤمن بأن ممالك أيامه لا يحيا كون في شيء المماليك الأول ، فهم جبنا ، عتاة ، ظالمون .

وعلى الرغم من أن مسكرم لا دراية له بفنون الحرب ولا أساليب القتال ، إلا أنه شهد بعينه فرار قوات المماليك ، وزحف القوات المغيرة على القاهرة ، واحتلال أطرافها ، وأبت عليه كرامته أن يقبل هذا الهوان ، فخرج إلى الشام وأقام في جنوبها يرقب الأحداث التي تجري في وطنه عن كשב ، فلما كان نابليون بونابرت في يافا حرص على إكرام من وجددهم من المصريين هناك . . وأكبر في عمر مسكرم عاطفته المشبوبة ورأسه المرفوع ، وكرامته التي يذود عنها ، فيسر له سبيل العودة إلى وطنه .

وكانت القاهرة في غضون الفترة التي عاد فيها مسكرم تغلي كالمرجل ، والثورة على الأبواب . كانت في حالة ثورة نفسية كامنة ، وكان تحرير الوطن من نير الاجنبى قبلة الجميع ، فلما شرع الزعيم يدعو افراد الشعب إلى الخروج والجهاد ولقاء الغاصب

المحتل ، أقبل الناس على تلبية دعوته ، فأقاموا المتاريس وحفروا الخنادق وتحصنوا في الجوامع ، وأنشأوا معملا للبارود ، وجاءوا بالصناع والعمال ، واحتالوا في صنع آلات القتال من بنادق وذخائر ، وأشرف مكرم على جميع التبرعات لتمويل الحركة ، وأخيرا بدأ النضال عنيفا سافرا بين المحاضرين والمدافعين ، وشهد الفرنسيون ببسالة المصريين واقتحامهم المخاطر والأهوال ، ولكن المقاومة انتهت بتغلب المحتلين لتفوقهم في معدات القتال ، وفرضوا على السكان غرامة مقدارها عشرة ملايين من الفرنكات ، ولجأوا إلى أحط وسائل العنف والقسوة في تحصيلها ، ونقموا على زعيم الحركة ، فأمروا بنفيه إلى مدينة دمياط .

جملت الحملة الفرنسية وعادت مصر إلى حكم العثمانيين ، وفي خلال السنوات الخمس المتعاقبة تولى الحكم خمسة من الولاة ، قتل منهم اثنان وطرده الباقيون بعد أن سجنوا في القلعة . . كان آخر هؤلاء الولاة أحمد خورشيد ، وكان رجلا ضيق الأفق ، من بقايا الارستقراطية العثمانية ، يدعى السيادة على كل شيء ، ولكن دولته كانت تخذله فلا تمده بالمال والرجال . . كان في موقف حرج ، فخزائنه خاوية من المال لدفع مرتبات الجند ، والمماليك يغيرون على القرى وتبولون تحصيل الضرائب والاستيلاء عليها ، وطبقات الشعب متدمرة من السكف الفادحة المفروضة عليهم . فاحتشدت في الأزهر جموع من التجار والصناع وطلبة العلم وجاهروا بالتمرد والعصيان ، ثم أغلقوا المتاجر والمصانع والمنازل ، حتى بدت القاهرة كمدينة مهجورة .

وانتهز محمد علي أحد قواد الفرقة الألبانية غير النظامية فرصة تدمير طبقات الشعب ، فصار يتودد إلى مكرم بوصفه زعيم الشعب ، ويؤثره سرا في الليل ، ويستميله بشقى الوعود ، ويقسم له الأيمان الكاذبة بأنهم إن مكثوه من الحكم ، فانه يسير حسب نصوص الشرع ، والإقلاع عن المظالم ، ولا يبرم أمرا إلا بمشورة العلماء ، وانه إذا خالف هذه الشروط عزلوه ، وأخرجوه من الحكم .

وصدق عمر مكرم هذه الوعود ، وأخذ على عاتقه إقناع العلماء بمشاركته فكرته ، وأذاع نداء على الشعب بالاجتماع امام المحكمة الشرعية . فلما كان اليوم التالي خرج الأفراد والجماعات من دورهم ومصانعهم ومتاجرهم ، وأقبل المزارعون من الضواحي حتى احتشدت بهم الطرق والمسالك المؤدية إلى المحكمة ، وكانوا جميعا يهتفون بقولهم : « يارب يامتجلي أهالك العثماني » ، وهم يقصدون طبعها الوالي

العثماني ، ثم أقبل السيد عمر مكرم ، فاقترح المناداة بعزل خورشيد وإسناد الولاية إلى محمد علي .

وكان الشعب قد ضاق ذرعا بالاعتداءات المتكررة وبالضرائب الفادحة التي يطلب إليها دفعها صاغرا . كان في حاجة إلى مصالحة أي يذمتداليه ، لعل فيها خلاصه مما يعانيه من الكروب والمحن ، ولذلك وافق على الاقتراح الذي تقدم به السيد مكرم ، لا جبا في القائد اللبناني ، وإنما كرها في الوالي للعثماني .

وطلب العلماء وعلى رأسهم مكرم إلى الوالي النزول عن الحكم طوعا لإرادة الشعب ، فأبى مستكبرا وأجابهم بأقبي معين بأمر السلطان فلا أنزل بإرادة الفلاحين . واستشاط العلماء غضبا من هذه الإهانة الموجهة إلى الشعب ، وانفقت كلمتهم على محاصرة الوالي في القلعة لإرغامه على التنازل عن الحكم ، وبدأ النضال سافرا ، وشرع أفراد الشعب في تكوين فرق شبه عسكرية تتولى إقامة المتاريس وحفر الخنادق وحراسة مداخل المدينة ومد المساعدة إلى الجنود وتسليح الشعب بالأسلحة البيضاء والمراوى ، ومنعوا الماء والغذاء والمدد عن الوالي في القلعة .

وكان مكرم في غضون فترة الحصار حركة لا تهدأ ، كان يتنقل بين الصفوف ، ويستثير الهمم والنخوة القومية ويشجع المحاصرين ، وبرزت إلى جانبه أسماء زعماء من الشعب : كابن شعبة وحجاج الحضري الذي تمكن من أسر قافلة من الإبل محملة بالذخائر والمؤن كانت في طريقها إلى القلعة لتموين الوالي ، وقدم هذه القافلة غنيمة باردة إلى القائد المرشح للولاية .

وانتهى النزاع طوعا لإرادة الشعب ، فنزل الوالي المعزول عن الحكم ، وأسندت الولاية إلى الحاكم الجديد ، وبذلك انتصرت إرادة الشعب .

ثم وفدت بعد عامين حملة عسكرية بريطانية لاحتلال مصر وتمكنت من أن تسيطر على مدينة الاسكندرية دون مقاومة تذكر ، بتأثير خيانة الضباط العثمانيين في المدينة ، ثم سارت الحملة إلى رشيد ، فقاومها أهل رشيد في بسالة وبطولة وتمكنوا من قهرها وحملت وؤوس القتلى على أسنة الرماح إلى القاهرة وغلقت بابواها ، وسبق الأسرى من الضباط والجنود الإنجليز وطيف بهم في شوارع العاصمة .

وشرع مكرم في حفر هم سكان القاهرة لمقاومة المعتدين إذا ما حاولوا اقتحام العاصمة ، لجمع الجوع وحصن المداخل وأقام المتاريس في الشوارع ، وكون فرقا نظامية مسلحة بالأسلحة الخفيفة ، وكان محمد علي في غضون ذلك في أرياض أسبوط يقاتل

الممالك ، فلما وفد على القاهرة وأفضى اليه مكرم بما اعتزمه الشعب من الكفاح والنضال لرد غارة المعتدين ، صدمه محمد علي في عواطفه بأن قال له : عليكم بالمال وبمعدات الحرب وعلى أنا وحدي مقاتلة المغيرين .

كان الوالى الجديد لا يفتأ يلجأ إلى مكرم لانه يدرك قوة زعامته الشعبية في نفوس العلماء وقادة الرأى وجميع الطبقات ، ولكن لما استولى على مقاليد الأمور أخذ يقلب له ظهر المجن ، ويقصيه عن الاشتراك في المسائل العليا للدولة وفي مهمة الدفاع عن الوطن .

وكان الوالى كلما أعوزته الحاجة إلى المال ، مال إلى أموال الأوقاف ، فاغتصب منها ما هو في حاجة اليه ، فضج العلماء بالشكوى لأن هذه الأموال مرضودة على تعمير بيوت الله وإنفاقها في وجوه البر ، وكان أن اجتمع عمر مكرم بالمشايخ ورجال الدين ، واحتجوا على مسلك الوالى احتجاجا مرا فكان جوابه :

- أنا وحدي الذى ينتفع بالضريبة ، وأما أنتم فتبطلون كاهل الائمة بأثقل الأعباء ، إنكم تمقدون الاجتماعات في المساجد ، وتكملون عنى بلهجة تسكاد تكونه لجة الأمر ، وهذه نزعة باطلة لا يمكن قبولها بغير الازدراء والاستخفاف ، وإلتى على استعداد لأن أرمى عنق كل من يستظل بلواء المعارضة في وجهه سياسى .

وبادر مكرم بأن جمع العلماء وقال لهم :

- إن هذا الحاكم محتال وإذا تمكن فسيصعب إزالته فلنعزله من الآن .

وننى ذلك إلى محمد على فاسرع إلى ننى مكرم تحت الحراسة ، وكان أن أجاب على هذا الأمر بشجاعة : إن الننى غاية ما أتمناه . غير أننى أريد العيش في بلد لا يدين بحكم محمد على . ورأى مكرم بعين الحسرة أن الآمال التى كان يعلقها على قيام دولة جديدة يشترك فيها المصريون قد تبخرت وذهبت في الهواء .

وفى يوم ١٣ أغسطس عام ١٨٠٩ احتشدت على ساحل بولاق طوائف مختلفة من الشعب ، يودعون زعيمهم الراحل ، وهو يبحر في مركبه إلى دمياط وانهمرت الدموع من ما قيهم وهم يودعون الرجل الذى وقف حياته فى سبيل الدفاع عن حقوقهم ورد المظالم عنهم .

وبنى مكرم اختفت الزعامة الشعبية من الميدان ، وخلا جو المعارضة أمام الوالى الذى رفعه الشعب إلى منصة الحكم بعد أن أخذ عليه العهد والمواثيق ليحكم بالعدل والمحبة فتخلي عن هذه العهد والمواثيق .

فحول العلماء في قرنين

وهؤلاء أعلام من فحول علماء الأزهر في القرنين : الثاني عشر والثالث عشر الهجري ... نذكر أسماءهم في إيجاز :

الشيخ محمد البناني : طلب العلم في الأزهر . وحضر دروس الشيخ الصعیدی والدودير وغيرهم ، حتى مهر وأنجب ودرس ومات سنة ١١٨٦ هـ عن ثلاثين سنة (١) .

الشيخ حسن الشيبني ، رحل من بلدته فوه إلى الجامع الأزهر ، فطلب العلم وأخذ من الشيخ الديربي فجعله ملياً عليه في الدرس (٢) وتوفي عام ١١٨٣ هـ

الفقيه الشيخ الحماقي الحفني من كبار علماء الشافعية . وتصدر للأقراء والتدريس بالأزهر عدة سنين . ثم تولى مشيخة إفتاء الحنفية بعد موت الشيخ حسن المقدسي (٣) وقد توفي عام ١١٨٧ هـ

المحدث المقرئ شمس الدين محمد بن قاسم البقري شيخ القراء والحديث بصحن الجامع الأزهر (٤) .

والشيخ المحدث منصور بن عبد الرزاق الطوخي الشافعي إمام الجامع الأزهر (٤) شيخ الاسلام البراوي الشافعي الأزهرى . ورد الجامع الأزهر وهو صغير ، فقرأ العلم على مشايخ عصره ، وتفقه على الشيخ مصطفى العزبي ، وحضر دروس الملوي والجوهري والهرابي ، وشهد له بالفضل أهل عصره وأحدثت به الطلبة ، واتسعت حلقة وقد صلى عليه في الأزهر في مشهد حافل (٥) ودفن عام ١١٨٢ هـ

الفقيه الصالح الشيخ أحمد بن أحمد السنبلاوي الشافعي الأزهرى ، كان عالماً مواظباً على تدريس الفقه والمقول بالجامع الأزهر ، ولازم على قراءة ابن قاسم بالأزهر كل يوم بعد الظهر ، وكان يحترف بيع الكتب — توفي سنة ١١٨٠ هـ (٦) الشاعر الكاتب محمد بن رضوان السيوطي الشهير بابن الصلاحى

(١١٤٠ — ١١٨٠ هـ) (٧)

(٢) ٣٣٨ ج ١ الجبرتي

(١) ٣٧٥ ج ١ الجبرتي

(٤) ٨٨ ج ١ الجبرتي

(٣) ٤٠٨ ج ١ الجبرتي

(٦) ٢٨٥ ج ١ الجبرتي

(٥) ٣١٢ ج ١ الجبرتي

(٧) ٢٦٥ — ٢٨٤ ج ١ الجبرتي

الفقيه المحدث شيخ الإسلام الشيخ أحمد بن الحسن الخالدي الشافعي الأزهري الشهير بالجوهري (١٠٩٦هـ - ١١٨٢هـ). وقد اشتغل بالعلم ، وجد في تحصيله حتى فاق أهل عصره ، ودرس بالأزهر وأقضى نحو ستين سنة ، ومات فصلى عليه بالأزهر (١) عام ١١٨٢هـ

الشيخ عبد الرؤوف بن محمد البشبيشي ولد ببشبيش من أعمال المحلة الكبرى ، وقد تصدر لتقرير العلوم الدقيقة والنحو والمعاني والفقه ، وانتفع به غالب مدرسي الأزهر . وتوفي سنة ١١٤٣ (٢)

الشيخ أبو الحسن البكري خطيب الأزهر (٣)

شيخ مشايخ الإسلام عالم العلماء الاعلام الشيخ علي العدوي المالكي (١١١٢ - ١١٨٩هـ). وهو من بني عدى ، ومن مشهوري العلماء ، صلى عليه في الأزهر بمشهد عظيم ، ودفن بالبستان بالقراة الكبرى (٤) عام ١١٨٩هـ

المفتي الفقيه للشيخ إبراهيم الشرقاوي . وكان لا يفارق محل درسه بالأزهر طول النهار (٥) ، وتوفي عام ١١٨٥هـ

الشيخ علي الشاوري المالكي مفتي فرشوط قرأ بالأزهر العلوم . وقدم إلى مصر ومات بها وصلى عليه في الأزهر (٦) عام ١١٨٥هـ

الشيخ علي العدوي المالكي الأزهري (١١٠٠ - ١١٨٥هـ) تلقى العلم في الأزهر ثم درس بالأزهر ونفع الطلبة (٧)

الشيخ مصطفى الصاوي ، وقد تعلم في الأزهر ، ولازم الشيخ البراوي وتخرج به وأقرأ الدروس ، وكان شاعرا لطيفا وكاتباً مجيداً . وتوفي عام ١٢١٦هـ (٨)

الشيخ محمد الخالدي الشافعي (١١٥١ - ١٢١٥هـ) ، وقد كان من مشهوري

(١) ٣٠٩ ج ١ الجبرتي — ص ٣١٢

(٢) ١٥٧ ج ١ الجبرتي

(٣) ١٦١ ج ١ الجبرتي

(٤) ٣٦٩ ج ١ الجبرتي

(٥) ٣٦٧ ج ١ الجبرتي

(٦) ٤١٥ و ٤١٦ ج ١ الجبرتي

(٧) ٣٦٧ ج ١ الجبرتي

(٨) ٢١٢ - ٢١٧ ج ٣ الجبرتي

علماء الأزهر في عهده . . وله كتب كثيرة ، وصلى عليه بالأزهر في مشهد حافل ،
رحمه الله (١) .

السيد مصطفى الدمهورى الشافعى من العلماء المتهورين المذكورين ، تفقه على
أشياخ العصر ولازم الشيخ الشرقاوى الذى صار شيخ الأزهر ، وكان يكتب على
الفتاوى على لسان الشيخ الشرقاوى ويتحرى الصواب . . . ومات فى عهد
الفرنسيين مقتولا (٢)

الشيخ عبد الرحمن الأجهورى المالكي ، من علماء الأزهر الشريف ، درس
ودرس بالأزهر مدة فى أنواع الفنون فى الدين واللغة ، وتوفى سنة ١١٩٨ هـ (٣)
الشيخ محمد بن على الصبان الشافعى الأزهرى ، صاحب المؤلفات الذائعة
المشهورة التى خلدت ذكره ، وتوفى سنة ١٢٠٦ هـ (٤)

الشيخ أحمد العروسى الشافعى الأزهرى (١١٣٣ - ١٢٠٨ هـ) حضر فى الأزهر
على شيوخه وعلمائه (٥)

الشيخ شهاب الدين السمنودى المحلى الشافعى ، العالم الأزهرى ، وقد قرأ
بالمجامع الأزهر ، وتوفى عام ١٢٠٩ هـ (٦)

الشيخ أحمد الصاليجى الشافعى المدرس بالمقام الاحمدى بطنطا . . توفى عام
١٢٠٩ هـ (٧)

الشيخ عبد الرحمن للنحراوى الاجهورى ، درس بالأزهر وأفاد الطلبة وتوفى
عام ١٢١٠ هـ (٨)

وفى هذه السنة أيضا توفى الشيخ حسن الهوارى المالكي شيخ رواق
الصعايدة (٩)

الشيخ عثمان بن محمد الحنفى المصرى الشهير بالشامى ، وتوفى عام ١٢١٠ هـ (١٠)
وكذلك الشيخ شمس الدين الفرغلى الشافعى (١٠) وله شعر عذب .

- | | |
|---------------------------|------------------------------|
| (٢) ٦٧ ج ٣ الجبرتي | (١) ١٦٥ ج ٣ الجبرتي |
| (٤) ٢٢٧ - ٢٣٣ ج ٢ الجبرتي | (٣) ٨٥ وما بعدها ج ٢ الجبرتي |
| (٦) ٢٥٩ ج ٢ الجبرتي | (٥) ٢٥٢ - ٢٥٤ ج ٢ الجبرتي |
| (٨) ٢٦٢ ج ٢ الجبرتي | (٧) ٢٦٠ ج ٢ الجبرتي |
| (١٠) ٢٦٣ ج ٢ الجبرتي | (٩) ٢٦٣ ج ٢ الجبرتي |

- الشيخ أحمد بن محمد السجاعي الأزهرى قدم الأزهر صغيراً فتمهر ودرس وأقنى وألف ، وترك آثاراً علمية مشهورة توفى عام ١١٩٠ هـ (١)
- الشيخ عطية الأجهورى الشافعى ، العالم الأزهرى ، وقد توفى عام ١١٩٠ هـ (٢)
- الشيخ إبراهيم بن خليل الصبحانى الغزى الحنفى العالم الأزهرى ، وقد ولد بغزة وورد إلى الأزهر فتعلم فيه ، ثم عاد إلى غزة وتولى فيها الافتاء ، وارتحل إلى دمشق وتولى أمانة الفتوى . توفى عام ١١٩٠ هـ (٣)
- الشيخ محمد العوفى المالكي كان شاعراً ماجناً ، ومع ذلك كانت حلقة درسه في الأزهر تزيد على الثلاثمائة . مات سنة ١١٩١ هـ (٤)
- الامام الشيخ أحمد بن عيسى الزبيرى الشافعى البراوى من علماء الأزهر ، ولد بمصر وبها نشأ وحضر دروس مشايخ الوقت ، ولما توفى والده أجلس مكانه في الأزهر وقد توفى بطنطا عام ١١٩٢ هـ ، وصلى عليه بالأزهر ، ودفن بتربة المجاورين (٥)
- الشيخ محمد العدوى من علماء الأزهر ، درس في الأزهر ودرس فيه وتوفى عام ١١٩٣ هـ (٦)
- الشيخ شهاب الدين أحمد السجاعي الشافعى الأزهرى ، من علماء الأزهر ، ولد بمصر ونشأ بها وتصدر للتدريس في حياة أبيه وبعد موته في مواضعه ، وصار من أعيان العلماء . وتوفى عام ١١٩٧ هـ (٧)
- الشيخ عبد الله بن أحمد المعروف باللبان الشافعى الأزهرى . توفى عام ١١٩٨ هـ (٨)
- ومن مشهورى العلماء الشيخ محمد بن حسن الشافعى الأحمدي الأزهرى المتوفى عام ١١٩٩ هـ (٩)
- الشيخ محمد الحنفى الشافعى وكان من خيار شيوخ الأزهر (١٠) وتوفى

(١) ٢ ج ٣ الجبرتي	(٢) ٢ ج ٤ الجبرتي
(٢) ٢ ج ٤ الجبرتي	(٤) ١٥ و ١٦ ج ٢ الجبرتي
(٥) ٢ ج ٣٥ الجبرتي	(٦) ٥٨ ج ٢ الجبرتي
(٧) ٢ ج ٧٥ الجبرتي	(٨) ٨٤ ج ٢ الجبرتي
(٩) ٩٤ — ٩٥ ج ٢ الجبرتي	(١٠) ٢٤ ج ٤ الجبرتي

سنة ١٢٢١ هـ .

- والشيخ سليمان البجيرى الشافعى من علماء الأزهر المشهورين (١)
- الشيخ أحمد البرماوى الشافعى (١١٣٨ - ١٢٢٢ هـ) . . وكان من الشيوخ الأجلاء . (٢)
- الشيخ إبراهيم الخريزى مفتى مذهب السادات الحنفية كوالده ، وقد توفى عام ١٢٢٤ هـ (٣) . . وتوفى فى هذا العام الشيخ عبد المنعم العماوى المالكى وهو من كبار الشيوخ (٣)
- الشيخ محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقى المالكى الأزهرى من علماء البلاغة ، تصدرد للأقراء وللتدريس بالأزهر وإفادة الطلبة ، وكان فريدا فى تسهيل المعانى وتوفى عام ١٢٣٠ هـ ودفن بقرية المجاورين (٤)
- الشيخ محمد الأمير المالكى الأزهرى (١١٥٤ - ١٢٣٢ هـ) من كبار الشيوخ الأجلاء فى الأزهر (٥)
- الشيخ محمد الأشمونى الشافعى (١٢١٨ - ١٣٢١ هـ) تعلم فى الأزهر وصار مدرسا فيه (٥٠ - ٥٢ تراجم أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر لأحمد تيمورط ١٩٤٠)
- الشيخ أحمد الرفاعى المالكى ، تعلم ودرس فى الأزهر وحضر عليه محمد عبده والشيخ بخيت والشيخ أبو الفضل وسوام ، وقد رشح للمشيخة بعد استقالة الشيخ سليم عام ١٣٢٠ هـ ، ولكن لم يقدر الله له ذلك ، وقد توفى عام ١٣٢٥ هـ (٦٤ - المرجع)
- الشيخ حسين الطويل المالكى (١٢٥٠ - ١٣١٧ هـ) من مشهورى العلماء ، حضر ودرس فى الأزهر ، وأول درس قرأه بالأزهر عام ١٢٨٣ هـ ، وتبلذ عليه الكثيرون ، وعين مفتشا ثانيا للغة العربية بوزارة المعارف ، ثم مدرسا بدار العلوم (٦)

-
- (١) ٢٤ ج ٤ الجبرتى (٢) ٧٦ ج ٤ الجبرتى (٣) ١٠٤ ج ٤ الجبرتى
 (٤) ٢٣١ ج ٤ الجبرتى (٥) ٢٨٤ ج ٤ الجبرتى
 (٦) ١٢٠ - ١٢٩ أعيان القرن الثالث عشر لأحمد تيمور ، وله ترجمة فى مجلة الضياء ١ ج ص ٦٩٠

الشيخ أحمد أبو خطوة الحنفى (١٢٦٨ - ١٣٢٤ هـ) ، من جنة العلماء ،
وحضر ودرس في الأزهر ، وكان أكثر اشتغاله في المعقول على الشيخ حسن
الطويل ، وكان ابتداءه للتدريس في الأزهر سنة ١٢٩٦ هـ ، وقد عين مفتيا للأوقاف ،
ثم نقل عضوا في المحكمة الشرعية العليا (١)

(١) له ترجمة في مجلة المقتبس ج ١ ص ٥٥١ ، وراجع ص ١٣٠ - ١٣٢ نراجع
أعيان القرن ١٣ لأحمد تيمور

الباب الثاني

من تاريخ الأزهر الحديث

— القوة الشعبية بعد الحملة الفرنسية ممثلة في الأزهر :

بعد خروج الفرنسيين من مصر تنازعت الوطن أياذ قوية ؛ كل يد تعمل على الاستئثار بحكم مصر ، وكان من هؤلاء الطامعين في العرش طامع من رعايا خلافة تركيا هو محمد علي القولي رئيس إحدى الفرق العسكرية التي أرسلتها تركيا إلى مصر لطردهم الفرنسيين منها .

وتوحد محمد علي إلى شعب مصر وإلى علماء الأزهر الشريف ، ودس أعوانه في وسط الشعب لينادي به حاكما على مصر ، واستجاب علماء الأزهر لرغبة الشعب ، ورأوا في تولية مثل محمد علي حكم مصر دفعا لخطر الأحكام الأتراك المتفطرين ، فتوجهوا وعلى رأسهم شيخ الإسلام الشيخ عبد الله الشرفاوي شيخ الجامع الأزهر ، والشيخ محمد المهدي المفتي ، والشيخ محمد الأمير من كبار العلماء ، والشيخ سليمان الفقيمي ، والسيد عمر مسكرم نقيب الأشراف ، والسيد محمد السادات شيخ مشايخ الطرق الصوفية ، والشيخ العربي القاضي ، وغيرهم من الشيوخ والعلماء ، إلى قصر محمد علي وأفضوا إليه برغبتهم في المنادة به واليا على مصر لاجتماع الشعب على ذلك ، وخرج العلماء من عنده إلى الجامع الأزهر لرسم الخطة ومتابعة الحوادث . غير أن الانتظار لم يطل ، فما كاد يعلن نبأ تولية محمد علي ، ولأية دجده ، واستعداده للرحيل ، حتى خرج أهل القاهرة عن حد الاحتمال فالتفوا حول شيوخ الأزهر ، وطالبوا بوضع حد لسوء الحال ، وانتهوا إلى المطالبة بعزل الوالي ، والمنادة بمحمد علي واليا على مصر : وكان عدد الحتشد من الشعب في الأزهر يربو على الأربعين ألفا . ولم يجد العلماء إزاء هذا الموقف بدا من تحقيق رغبة الشعب ، فاجتمعوا إلى دار المحكمة في بيت القاضي ، وحوّلهم هذا البحر الزاخر من الشعب الهائج يهتف بسقوط الوالي ، وفي المحكمة حضر الجميع وانفقوا على كتابة عريضة بمطالب الشعب عددوا فيها المظالم التي وقعت بالناس من مصادرة الحريات وفرض الضرائب ، وطالبوا برفع هذه المظالم ، وكان ذلك في يوم

الأحد ١٢ من صفر سنة ١٢٢٠ هـ (١٢ مايو سنة ١٨٠٥ م) . ولما وصلت هذه القرارات إلى الوالى استدعى العلماء لمقابلته ، ولكنهم رفضوا ، لأنهم علموا أنه دبر مؤامرة لاغتيالهم فى الطريق والقضاء على هذه الحركة الشعبية ، فلما امتنعوا عن الذهاب رفض الوالى إجابة مطالبهم ، فاجتمع وكلاء الشعب من العلماء فى يوم الاثنين ١٣ من صفر سنة ١٢٢٠ هـ (١٣ مايو سنة ١٨٠٥ م) بدار المحكمة وقرروا عزل خورشيد باشا وتنصيب محمد على والياً على مصر .

وعقب اصدار القرار فى المحكمة توجهت الجموع إلى محمد على ، وفى طلبهم علماء الأزهر وعلى رأسهم : الشيخ الشرفاوى شيخ الأزهر ، ونقيب الاشراف السيد عمر مكرم ، وذهبوا إلى محمد على وقالوا له : إننا نريد هذا الباشا حاكماً علينا ولا بد من عزله من الولاية . فقال : ومن نريدونه أن يكون والياً ؟ قالوا : لانرضى الابك ، وتكون والياً علينا بشروطنا لما تتوسمه فيك من العدالة والخير . فامتنع أولاً ، ثم رضى . وأحضر واليه كركا وعليه قفطان . وقام اليه شيخ الاسلام الشيخ الشرفاوى والسيد عمر فألبساه إياه ، وذلك وقت العصر ، ونادوا بذلك فى تلك الليلة فى المدينة .

وفى ١١ من ربيع الثانى سنة ١٢٢٠ هـ (٩ من يوليه سنة ١٨٠٥ م) وصل مرسوم الدولة ، ومضمونه الخطاب لمحمد على والى جدة سابقا ووالى مصر حالا ، من ابتداء ٢٠ من ربيع الاول ، حيث رضى بذلك العلماء والرعية .

هذه هى رواية الجبرقى ونحن لانسكد نسلم بها ، فإن محمد على عندما علم نبأ وصول الوحدات البحرية التركية بقيادة قبودان باشا يحمل أمر السلطان بعزل محمد على وتولية موسى باشا ، سارع إلى الالتجاء إلى القلعة مستعدا للمقاومة وجمع فيها ما استطاع أن يجمعه من معدات الحرب والعمال والاجناد ، وفى هذه الاثناء علم أن محمد بك الألبانى المنحصر فى البحيرة قد اتصل بالأتراك واتفق معهم . فرأى أن المقاومة لن تجدى مادام الشعب لا يظاھرہ ، وأن أعوانه فى المقاومة هم قواد الجيش الذين اجتمع بهم وشاورهم فأيدوه فى المقاومة ، لأنه مامن أحد منهم إلا وصار له عدة زوجات وعدة بيوت والزام بلاد (جمع ضرائبها) وسيادة لم يكن يتخيلها ولم تخطر بذهنه أن ينسلخ عنها والخروج منها ولو خرجت روحه ،

ووصلت الانباء أن الألبانى بعث إلى قبودان هدية فيها ٣٠ جواداً و ٤٠٠ رأس من الغنم والبقر والجاموس ومائة حمل بالخضيرة ونقود وثياب وأقشة .

وهنا التجأ محمد على إلى زعيم مصر الكبير السيد عمر مكرم نقيب الأشراف وبعض الأعيان ، وعرض عليهم الموقف وما فعله الأمراء والممالك واتفاقهم مع السلطان ، وطلب منهم دراسة الموقف فتركوه وانصرفوا .

حدث هذا في يوم الجمعة ولو أن الشعب المصرى كان متعلقا بمحمد على لايضى عنه بدليلا ، كما صورده المؤرخون ، لما استدعى بحث الموقف طويلا ، بل كان الرد أن الشعب سيقف بجانب محمد على في موقفه ومقاومته ولا يحتاج إلى تفكير . ولكن الذى حدث فعلا أن البحث والدرس وتقليب الموقف استمر بين الزعماء المصريين أياما . ففضى السبت والأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء دون أن يتلقى محمد على ردا ، وهنا قرر محمد على اتخاذ إجراء حاسم .

بعث باثنين من رجاله همامدير مكتبه ورئيس الترجمة ، وقد فاجئا السيد عمر مكرم في داره صباح الخميس ، وقدا إليه صورة التماس كتبه ديوان محمد على ، على لسان المشايخ إلى الباب العالي لتثبيت محمد على لولاية مصر .

ولو أن المصريين كانوا متمسكين بمحمد على لوقع الزعماء - الذين دعاهم السيد عمر النقيب إلى داره لبحث هذا التطور الجديد في الموقف - الالتماس دون مناقشة ، ولكن الذى حدث هذه المرة أيضا أن الاجتماع استمر اليوم كله .

وفي اليوم التالى ، السبت ، حمل هذا الالتماس إلى الشيخ عبد الله الشرقاوى ومعه أمر بتنظيم « العرضحال » وترصيعه « وتوقيعه » بتوقيعات المشايخ وبصمه بأختامهم ليرسله الباشا إلى الدولة ، فلم تسعهم المخالفة وقد تم هذا فعلا .

وهذا الالتماس رغم طول له لم يخرج عن كونه مدحا للسلطان ، ثم تحقير أعمال الأمراء والممالك ، ثم رفع شأن محمد على وتبرير لبعض تصرفاته التى أنكرها عليه السلطان وينتهى بطلب إبقائه والياً .

وسارع محمد على ، بطبيعة الحال ، بإرسال العريضة إلى تركيا ، ولكن حدث مساء الاثنين أن وصل إلى القاهرة رسول من قبودان باشا ليلبغ المسؤولين عن الشعب وهم الشيخ السادات والسيد عمر مكرم والائمة قرار السلطان بعزل محمد على . ولما كان الأمر قد خرج من أيدي هؤلاء الزعماء بعد توقيع الالتماس ، فقد ذهبوا إلى محمد على يعرضون الأمر فأمرهم بالعودة إلى منازلهم على أن يرسل اليهم في اليوم الثانى صورة التماس جديد ينسخونه ويوقعونه .

وفي هذا العرضحال يبدى الزعماء خضوعهم وامثال لقرار السلطان ولكنهم

يبدون تخوفهم من الجند ألا يمتثلوا للأوامر بسبب روايتهم . وكان محمد على قد احتاط بتدبير هذه المؤامرة بالاتفاق مع قواد الجند الذين يهتمهم البقاء في مصر .

وانتهز محمد على الفرصة وماطل في تنفيذ أمر السلطان ، وهنا وجد قبودان باشا مركزه هرجا ، وأن الاعتماد على الامراء المماليك لا خير فيه وسيؤدي إلى ضياع هيئته ، فقرر رأيه أن يتصل بمحمد على الذي انتهز الفرصة فعرض العروض الباذخة وتعهد أن يؤدي ضعف ما تعهد الامراء بتأديته لقبودان : بعضه معجل والآخر مؤجل .

واتفق قبودان مع محمد على أن يعود إلى استكتاب الزعماء كتابا آخر يرسله إليه مع ولده شخصيا . على أن يتضمن أن محمد على حامى الاقليم وحافظ نفوره ومؤمن سبله وقامع المعتدين وأن السكينة من الخاصة والعامة راضية بولايته وأحكامه وعدله ، وأن الشريعة مقامه في أيامه ولا يرتضون خلافة لما رأوا فيه من عدم الظلم . . الخ الفضائل والصفات التي اتفق قبودان باشا مع محمد على ، على نسبتها إلى مبعوث العناية الالهية لانقاذ مصر . . .

وقد انتهت هذه المساعي كلها بالغاء أمر النقل وتثبيت محمد على على ولاية مصر . وهذه هي حقيقة مطالبة المصريين بولاية محمد على عندما عزله السلطان ، في المرة الثانية . . وهذا هو موقف الزعماء المصريين ، الذين لم يطالبوا بتثبيت محمد على إلا بالحد السيف الذي سلطه عليهم

ولكن ماذا فعل محمد على وأولاده بهذه الثقة القالية ؟ لقد قرر محمد على منذ اللحظة الاولى أن يستبد بالامر ، ويبعد الشعب وزعيمه عن الميدان . .

وأخذته الغيرة من زعيم المصريين عمر مكرم ، وأنكر منه أن يتحدث إليه عن آلام الشعب بما فرضه عليهم من الضرائب بسبب الاستعداد للحملة الوهابية . . ثم أراد أن يأخذ إمضاء السيد عمر على حساب غير مضبوط أعده ليرسله إلى الدولة . . فأبى السيد عمر مكرم ذلك قائلا :

ان الضرائب المعتادة كانت تسكني لكل مقام به الباشا من الاعمال العامة . . . وإني لأستطيع أن أشهد بغير ما أعتقد أنه حق . . .

فقرر محمد على التخلص من عمر مكرم . . وأراد أن يحتال عليه ، وطلب إليه أن يذهب لمقابلته في الديوان ، فأجاب السيد عمر مكرم قائلا :

إن الباشا إذا أراد مقابلتي ، فليزول من القاعة لمقابلتي في بيت السادات ، لتكون
المقابلة على سواء .

وكان محمد علي يجمع من الضرائب أكثر مما ينفق .. ويحتجز الاموال لنفسه ،
فاحتج عمر مكرم ، وقال كلاما كثيرا جاء فيه :

أما ماضيه الباشا في سد التبعة فان الذي جمعه وجباه من البلاد يزيد على ماضيه
اضعافا كثيرة ، وأما غير ذلك ، فكله كذب لا أصل له ، وان وجد من يحاسبه على
ما أخذه من القطر المصري من الغرض والمظالم لما وسعته المظالم ..

فقرر محمد علي نفيه من القاهرة ، فابتسم الشيخ علي مكرم وقال :

أما منصب النقابة فاني راغب عنه وزاهد فيه ، وليس فيه إلا التعب : وأما
النفي فهو غاية مطلوبي ، وأرتاح من هذه الورطة ، ولكن أريد أن أكون في بلد
لم تكن تحت حكمه ، فإذا لم يأذن لي في الذهاب إلى أسبوط ، فليأذن لي في الذهاب إلى
الطور أو إلى درنة .

فأخبروا الباشا بذلك ، فلم يرض إلا بذهابه إلى دمياط .

وخرج عمر مكرم زعيم الشعب إلى منفاه في ١٣ اغسطس ١٨٠٩ .
وهكذا أخرج محمد علي الشعب المصري من الميدان ، وقرر أن يستبد بأمر
مصر وحده .

وهكذا أنكر فضل هذا الشعب عليه ، وأخذ طريق المستبدين ، وخلفه أبناؤه ففساروا
في طريقه ، ووضعوا أيديهم في يد اعداء البلاد .. وزاد أمرهم سوءا ، وأحاطت
بهم الازمات ..

وتقدم شعب مصر ليعينهم ، فكروا به ، وسخروا منه ، إلى أن حدث ما لم يكن لهم في حسابان

الأزهر يسير في حياته العلمية :

وقد سار الأزهر في حياته العلمية يائسا من الحكم والولاة ، واهتم علماءه باصلاحه
وصدر أول قانون لذلك في سنة ١٢٨٨ هـ (١٨٧٢) وقد نظم هذا القانون طريقة
نيل الشهادة العالمية وبين مواد امتحانها وقسم الناجحين فيها إلى ثلاث درجات :
(أولى ، ثانية ، ثالثة) على أن تصدر بذلك براءة ملكية بتوقيع ولي الامر :
وعنى الغيورون بالأزهر ، وحرصوا على أن ينهض . وقد كان لهذا التنظيم
الذي بدى في عهد إسماعيل أثره في حفز الهمم على الاصلاح ، فتوالت القوانين
المنظمة للأزهر ، وكان أهمها القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ ، إذ قسم الدراسة بالأزهر

إلى مراحل ، وجعل لكل مرحلة نظاما ومواد للدراسة ، وحدد اختصاص شيخ الجامع الأزهر ، وأنشأ هيئة تشرف على الأزهر تسمى المجلس الأعلى للأزهر ، وأوجد هيئة كبار العلماء وجعل لها نظاما خاصا ، وجعل لكل مذهب من المذاهب الأربعة التي تدرس في الأزهر شيخا ، ونظم مجالس إدارات المعاهد ، ووضع نظاما للمدرسين والموظفين في التعيين والترقية ، ووضع للطلاب شروطا للقبول ، ونظم الامتحانات والشهادات .

وحدث في هذا العهد عدة أحداث : منها أن بعض الشوام والصعايدة تزاحوا في الجلوس في الدرس وتضاربوا لجاء جملة من الشوام بالعصى وساقوا الصعايدة سوقا عنيفا إلى رواق الصعايدة ، خضرت طائفة من الصعايدة بعصيمهم ووقعوا بالشوام ضربا وهما وراءهم بقوة شديدة حتى ادخلهم رواق الشوام وحاصروهم به ، ولم يسع الشوام إلا قفل باب الرواق ، بل تسور لهم بعض الصعايدة من فوق السطح ، واستمروا كذلك ، حتى ذهب الشيخ محمد الرافعي إلى بعض الأعيان من تجار الشوام وأخبرهم ، وذهبوا جميعا إلى خير الدين باشا ضابط مصر ، فأرسل جملة من عساكر الارنؤود وخلافهم فدخلوا الأزهر بصورة شنيعة وتناولوا على كل صعيدى بلا تحقيق فأخذ الصعايدة في الذب عن انفسهم حتى أخرجوا العساكر من الأزهر ولم يلبثوا أن جاءت عساكر جهادية وأتراك بكثرة من طرف الضابط لما بلغه من التهويل فدخلوا الأزهر بأسلحتهم ونفیرهم وطبلهم لابسين أحذيتهم فقبضوا من الصعايدة على نحو ثلاثين وسجنوهم بالمحافضة ، ثم أخذوا ثلاثة من مشايخهم وعوقبهم هناك قليلا وبعد مدة أطلقوهم ، وبق المجاورون في السجن وكان إذ ذاك سعيد باشا في الأرض الحجازية فسعى بعض المشايخ عند وكلاته في الإفراج عنهم فأفرج عنهم بعد نحو عشرين يوما وحصل الكلام في طريقة يسير عليها الأزهر حيث أن شيخه أقرعه الكبر ، واجتمع الرأي على توكيل أربعة من العلماء ، وصدر الأمر بذلك ، وكان في مشيخة الشيخ الباجوري .

حادثة الشوام :

وقد حدثت هذه الحادثة المفجعة في ١٩ من ذى الحجة سنة ١٣١٣ بالازهر الشريف في مشيخة شيخ الأزهر حسونة النواوى بسبب وباء ذلك العام وتفصيلها أنه مرض برواق الشوام مجاور بالطاعون ، وحضرت الحكومة لنقله بالعربة السوداء للمستشفى وكان من أخذ بها لا يرجي له أن يثم هواه الدنيا ، فأبت رفقة من طلبة الأزهر

تعليمه حيث كان قد أخذ آخر ولم يوقف له على أثر ، فاشتد الجدل بين الفريقين وأبلغ الأطباء الحكومة أنهم أهينوا ، فحضر إلى الجامع الأزهر المحافظ ومعه وكيل الحكمادارية وشرذمة من العساكر نخيل للمجاورين الشوام أنهم مأخوذون للاحالة ، فتناولوا على المحافظ ورجوه ومن معه ببعض الحجارة ، فاصاب وكيل الحكمادارية رمية فجرح وكانت الشوام أغلقت باب الشوام ، فطلب قوة عسكرية أخرى فحضرت وعملوا حصارا على الجامع الأزهر وأمر الحكمادار العساكر بكسر الباب وإطلاق الرصاص على الطلبة داخل الجامع فانقضوا عليه حتى خلعوا عقب إحدى أبوابه ، ثم بدأ الحكمادار يطلقون بندقية واتبعته العساكر بإطلاق الرصاص ، فتنفر الطلبة في جميع نواحي الجامع ثم دخل الضباط والعساكر واشتغلوا بضبط من بالأزهر مع الاهانة من غير تمييز بين طالب وعالم ، فقبضوا على ٨٢ من الشوام و ٢٣ من المصريين وفيهم بعض المدرسين وأصيب بالرصاص خمسة مات بعضهم في الحال وبعضهم بعد ذلك ثم أفرج عن المقبوضين وانحصرت التهمة في ١٤ تقريرا من الشوام ونفي البعض وسجن البعض ، وأقفل رواق الشوام سنة كاملة ، واستاء لذلك الخديوي وشيخ الأزهر وانصدعت لذلك قلوب الشعوب الاسلامية .

جهاد الأزهر في الثورة العراقية :

قام الأزهر بنصيب (١) كبير في إذكاء الحماسة ونشر التعليم وإعداد النفوس لتلبية نداء الحرية ، فقد قام رجاله وعلى رأسهم الشيخ عبد الله الشراوى منذ أوائل القرن التاسع عشر بإعلان حقوق الشعب والزام الوالي باحترام هذه الحقوق ، ثم ظهر بعد ذلك رجال أفذاذ سجلوا للأزهر صفحات خالدة في تاريخنا مثل رفاعة وافع والسيد عبد الله النديم والشيخ محمد عبده .

فالأول كان زعيما لهضة العلم والأدب في عصره ، ومن أهم أعماله تأسيس مدرسة اللسان التي خرجت نخبة من العلماء والأدباء والشعراء ، كما قام بترجمة الدستور الفرنسي ، وعلق على الترجمة تعليقات تدل على فهم صحيح لأحكامه ومبادئه ، وميل فطري إلى (٢) النظم الحرة ، وترجم القانون المدني الفرنسي ، ونشر رحلته في فرنسا وسماها " تخليص الإبريز " ، ولم يقتصر نشاطه على التأليف

(١) مجلة الأزهر ١٣٧٢ — الأستاذ أحمد عز الدين خلف الله .

(٢) تاريخ الحركة القومية الراقية ج ٣ ص ٤٧٩ .

والتريجة والتدريس ، بل خدم الأدب ، وله قصائد شعرية تدل على وطنية صادقة وتفان في محبة الوطن ، وبلغ من حماسه أنه عرب نشيد المارسلين الفرنسي الذي يعتبر من أجل الأناشيد الحماسية القومية ، حتى لا يحرم أبناء وطنه من تذوق هذا النشيد .
وأما السيد عبد الله النديم ، فقد حاول أن ينفث في الأمة الحماسة كي يستيقظ الشعب من غفوته ، ونادى بضرورة تعليم أبناء الوطن تعليماً نافعا ، وفي سبيل تحقيق أغراضه أسس « الجمعية الخيرية الإسلامية » ونحناخوا جديداً لنشر أفكاره ، فالف مسرحيتين إحداهما (الوطن وطالع التوفيق) والأخرى (العرب) ، مثلهما هو وتلاميذه على مسرح زينيبا بالاسكندرية . وقد بين في مسرحيته الأولى جميع الأمراض والعلل التي تهدد الأمة في وجودها .

وبينما كان صوت النديم يجلجل بالاصلاح ويمهد للثورة في نفوس المثقفين كان الشيخ محمد عبده يبث تعاليم السيد جمال الدين الأفغاني في دروسه ، ويعالج الشؤون العامة للبلاد في صحيفتي الأهرام والوقائع الرسمية
ورأس الثورة المفكر أحمد عرابي (باشا) تلقى علومه في الأزهر مدة أربع سنوات ، وكان لهذه المدة على ضآلها أثر كبير في تكوين شخصية عرابي كزعيم ثوري ، إذ جعلت منه خطيباً مفوها يستولى على عقول سامعيه ويهزم مشاعرهم ... ووسط هذا النضوج الذهني اندلع طيب الثورة .

وفي ٢٥ مايو عام ١٨٨٢ قدمت كل من إنجلترا وفرنسا مذكرة يطالبان فيها بإبعاد عرابي (باشا) وإرسال كل من : على (باشا) فهمي وعبد العال (باشا) حلمي إلى أية جهة داخل القطر المصري ، واستقالة وزارة البارودي ، فرفض مجلس الوزراء مطالب الدولتين ، واجتمع أحمد عرابي ومحمود سامي البارودي وكبار الضباط في قشلاق عابدين وانفقوا فيما بينهم على أن يكونوا بدا واحدة في الدفاع عن البلاد ، وارسلوا إلى الشيخ محمد عبده ليضع له صيغة يمين الثورة فوضعها لهم ، وتلاها عليهم ، فردوها في صوت واحد .

واستقالت وزارة البارودي يوم ٢٦ مايو عام ١٨٨٢ ، وأراد الخديوي توفيق أن يبث التفرقة في صفوف الزعماء ، فعمد اجتماعاً يوم ٢٧ مايو حضره من العلماء الشيخ محمد الانباني شيخ الجامع الأزهر والشيخ محمد عlish والشيخ حسن العدوي والشيخ أبو العلا الخلفاوي وحضره شريف باشا وكبار النواب والضباط وعرض الخديوي على المجتمعين تشكيل وزارة برياسته ، وقبول المذكرة الانجليزية الفرنسية .

فأجاب طلبه باشا عصمت على كلام الخديو قائلا : إننا مطيعون لجناب السلطان الشاهاني وللجناب الخديوى . ولكن هذه اللائحة يستحيل علينا تنفيذها ، ولاحق للدولتين فى طلب تنفيذها ، فهى تتعلق بمسائل من اختصاص الباب العالى أن ينظر فيها ويستحيل علينا قبول أحد رئيسا للجهادية خلاف رئيسنا أحمد عرابى ، ووافق على قوله الشيخ عليش والعلماء جميعا . ثم غادر طلبه باشا مجلس الخديو بدون استئذان وتبعة الضباط والعلماء وبعد ضرب الأسكندرية فى ١١ يولية عام ١٨٨٢ هب عرابى باشا للدفاع عن البلاد ، فأصدر الخديو أمر بعزله فى ٢٠ يولية ، وبناء على ذلك اجتمع المؤتمر الوطنى للمرة الثانية فى ٢٢ يولية سنة ١٨٨٢ ليقرر موقف الأمة من الخديو الذى أعلن بتصرفاته انضمامه إلى الانجليز . وتلا الشيخ محمد عبده على أعضاء المؤتمر أوامره الخديو التى تثبت إدانته ومنشورات عرابى باشا التى تدعو إلى الدفاع عن الوطن . ثم ألقى على باشا الروبى خطبة ندد فيها بموقف الخديو المزمى لإزاء قضية البلاد ، ثم تليت فتوى شرعية أصدرها العلماء بمروق الخديو عن الدين لانحيازهم إلى الجيش المحارب لبلادهم ، فأصدر المؤتمر الوطنى قراره التاريخى بعزل الخديو ووقف أوامره وتكليف عرابى بالدفاع عن البلاد ، وتكليف المجلس العرفى بتبليغ هذه القرارات للسلطان ، ووقع الحاضرون على ما قرره المؤتمر الوطنى وكان من بين العلماء الموقعين على ذلك : الشيخ محمد الأنابى شيخ الجامع الأزهر ، الشيخ حسن العدوى ، الشيخ عبد الله الدرسناوى مفتى الحنفية ، الشيخ محمد عليش مفتى المسالكية ، الشيخ يوسف الحنبلى مفتى الحنابلة ، مفتى الأوقاف ، الشيخ عبد الهادى الاييارى ، الشيخ محمد الاشمونى الشيخ خليل العرازى ، الشيخ مسعود النابلسى ، الشيخ محمد القلماوى ، الشيخ زين المرصنى ، الشيخ حسين المرصنى ، الشيخ سليم عمر القلعاوى ، الشيخ عثمان مدوخ ، الشيخ عبد الرحمن السويسى ، ومن رجال القضاء الشرعى : الشيخ أبو العلا الخلفاوى الشيخ عبد القادر الرفاعى ، الشيخ عبد القادر الدليشانى . الشيخ أحمد الخشاب .

الأزهر يغذى ثورة عرابى :

ولقد كان البارودى ومحمد عبده وسعد زهلول ومحمد تديم قادة التفكير والقلم فى هذه الثورة ، واستأنفت الحركة الفكرية سيرها الذى قطعتة الحوادث ، وبدت طلائع نهضة جديدة فى الآداب العربية ، وظهر فى الإنتاج الأدبى يومئذ عنصر قوى من الأدب المبكر ، وأخذت فى نفس الوقت عناصر الثقافة الجديدة تحدث أثرها فى إنتاج الجيل الجديد . ويعود الفضل فى ذلك كله إلى الأزهر ، وظهرت

طائفة من المؤلفات والكتابات القومية التي تحررت من أغلال القديم سواء في اللفظ أو المعنى ، وحملت هذه الروح الجديدة في طريقها كل شيء ، وغدت أقوى دعامة في صرح النهضة

قويت الحاجة إلى الصحافة وظهر عبد الله نديم بجريدته « التنكيت والتبكيك » ، إلا أن النديم أبدل الاسم في آخر لحظة باسم الطائف تيمنا باسم مدينة الطائف في الحجاز ، وبالنسبة إلى أنها تطوف بأرجاء الدنيا ، كما كانت « الجوائب » التي يصدرها أحمد فارس الشدياق باستامبول تجوب أرجاء العالم . واتخذ رجال الثورة « الطائف » لسان حالهم ، فكانت تذيب المنشورات والأوامر وتحض على الجهاد ، وكانت تطبع من داخل معسكر كفر الدوار

وإلى جانب الطائف صدرت عدة صحف للثورة منها : المفيد للسيد أمين الشمسي والزمان ، والاعتدال وغيرها

وقام الشعراء في القاهرة وفي الإسكندرية يلقون الأشعار الحماسية والقصائد الوطنية ، فمن ذلك ما نظمه أحد علماء الأزهر من قصيدة مطولة له يقول فيها :

لعمرك ليس ذا وقت التصابي ولا وقت السماع على الشراب
ولا وقت الجلوس على القهاوى ولا وقت التغافل والتغابي
ولا وقت التشبب في سليبي ولا وقت التشاغل بالرباب
ولكن ذا زمان الجد وافي وذا وقت الفتوة والشباب
ووقت فيه الاستعداد فرض إقامة بالقلاع وبالطوابي
ووقت فيه الاستعداد فرض لتنفيذ الأوامر من عرابي
وقولوا يا عرابي دم رئيسا لحزب النصر محفوظ الجنباب
ومن قصيدة أخرى لشاعر آخر جاء فيها :

نوال المعالي من طعان الكتائب ونيل الأمان من ثمار المتاعب
وظهر الأعادي بالتدبر أولا وبعد بإشهار السيوف والقواضب
ومن كهرابي في البرايا وحزبه أولى العزم أصحاب القنا والقواضب

وقام الخطباء يحضون الشعب على مقاومة أعداء الدستور ، والأخذ بناصر زعماء الثورة ، وكان عبد الله نديم خطيب الثورة لا يفتأ يخطب في كل نادٍ ومجتمع ومسجد ، فمن ذلك خطبته التي خاطب بها جنود الجيش :

حماة البلاد وفرسانها . من قرأ التاريخ ، وعلم ما توالى على مصر من الحوادث

والنوازل، عرف مقدار ما وصلتم إليه من الشرف، وما كتب لكم في صفحات التاريخ من الحسنات، فقد ارتقيتم ذروة ماسبقكم إليها سابق، ولا يلحقكم في إدراكها لاحق ألا وهي حماية البلاد وحفظ العباد وكف يد الاستبداد عنهما، فلكم الذكر الجميل والمجد الخلد يباهى بكم الحاضر من أهلنا، ويفاخر بأثركم الآتى من أبنائنا فقد حبا الله الوطن بحياة طيبة بعد أن بلغت الروح التراقي، فان الأمة جسد والجند روح، ولا حياة للجسم بلا روح، وهذا وطنكم العزيز أصبح يناديكم ويناجيكم وكانت خطبة الجمعة في المساجد تحض على الجهاد، فمن ذلك خطاب الشيخ على المليحي في مسجد أسبوط حيث كان يحض المصلين على الغزو والجهاد والتطوع في سبيل نصرة الجيش، إذ قال :

إن الانجليز قد طاشت عقولهم، وعميت بصائرهم، فلم يحسنوا الضروريات، فساموا بسوق أموالنا وديارنا نفيسها، وساقوا إلينا من زيف المعارضات خسيسها. وقابلوا عيشنا بخداع، وقتلوا أكتافنا لغدر أضمره ليوم النزاع، ونحن لما جعلنا عليه من محاسن الايمان. وفيما لم يعقد الذمة والامان. فعاملناهم بالحسنى، وجبرنا ما كان منهم ضعفا ووهنا، فلما صحت أبدانهم، وعمرت أوطانهم، لم يقنعوا، فعاد عليهم سوء الحال بالانقلاب، فغربوا بيوتهم بأيديهم من غير زعزعة منا ولا اضطراب. وهكذا خاتمة أهل سوء والفحشاء

وقد بذل العلماء جهودا كبيرة، في سبيل الدفاع القومى، فدعوا إلى التطوع في صفوف الجيش المصرى وإمداده بالمؤن والتبرعات. وكان من أبرزهم الشيخ محمد عبده، والشيخ حسن العدوى، والسيد عبد الله النديم الذى كان لسان الثورة الناطق والذى كان يستدعى للخطابة بالبرق، حتى لقب بخطيب الثورة، بل (خطيب الشرق) وبعد انتهاء الثورة العراقية قبض على زعمائها وعلى المشتركين فيها وقدموا للحاكمه وهذا بيان بالعلماء الذين قبض عليهم والاحكام التى صدرت ضدهم، وأمام كل منهم اسم البلد التى اختارها المنفى (١) :

الشيخ عبد الرحمن عlish، وقد نفي خمس سنوات خارج القطر المصرى بالآستانة
الشيخ عبد القادر قاضى مديرية القليوبية، وقد نفي أربع سنوات خارج القطر
المصرى ببيروت
الشيخ محمد الهجرسى، وقد نفي أربع سنوات خارج القطر المصرى بمكة المكرمة

الشيخ أحمد عبد الجواد القاياتي ، وقد نني أربع سنوات خارج القطر
المصرى بيروت

الشيخ محمد عبد الجواد القاياتي ، وقد نني أربع سنوات خارج القطر
المصرى بيروت

الشيخ يوسف شراية ، وقد نني أربع سنوات خارج القطر المصرى بغزة
الشيخ محمد عبده ، وقد نني أربع سنوات خارج القطر المصرى بيروت
هذا مع تجريدكم من الرتب والامتيازات والمناصب وعلامات الشرف .
وحكم على العلماء الآتية أسماؤهم بتجريدكم من جميع رتبهم وعلامات شرفهم
وامتيازاتهم :

الشيخ حسن العدوى وابنه الشيخ أحمد العدوى - الشيخ أحمد المنصوري -
الشيخ محمد السملوطى - الشيخ أحمد البصرى - الشيخ محمد أبو العلا الخلفاوى
العضو الأول بالمحكمة الشرعية - الشيخ عبد الوهاب عبد المنعم قاضى إسنا سابقا -
الشيخ محمد أبو عائشة قاضى بور سعيد سابقا - الشيخ على الجمال نقيب الأشراف
بدمياط - الشيخ أحمد عبد الغنى - الشيخ محمد عسكر - الشيخ أحمد مروان -
الشيخ محمد جبر قاضى المنصورة سابقا - الشيخ عبد البر الرملى قاضى العريش
سابقا - الشيخ أحمد صلى نائب محكمة المنصورة سابقا - الشيخ محمد غزالى قاضى
مركز البحيرة .

وقد استدعى الشيخ حسن العدوى من السجن لمحاكمته يوم الثلاثاء
(١٤ محرم سنة ١٣٠٠ - ٥ ديسمبر سنة ١٨٨٢) ، فنطق بالحق غير هيب
ولا وجل ، ولا مكترث بالحكم الذى سيصدر عليه ، ونقتبس هنا طرفا من محاكمته :
سئل رحمه الله تعالى : هل ختم على عزل الخديو وإسناد أمر الدفاع عن البلاد إلى
عرايى باشا برغبته ورضاه ، أم لسبب آخر ؟ . فأجاب : ختمت تابعا للعلماء الذين
ختموا قبلى مثل شيخ الاسلام ومفتى الجامع الأزهر وشيخ الجامع وغيرهم ،
وكان ختمى برغبتي ورضائي للدفاع الواجبة شرعا وسياسة ، وما كان ينبغى لأحد
أن يمتنع عن الختم . ولما سئل : هل علم المجلس أنك اقنيت بعزل الجناب الخديو
فهل هذا حقيقة أم لا ؟ أجاب : بأنه : لم تصدر منى فتوى فى ذلك ، ولم أسأل
فى هذه المادة . ومع ذلك فإن جئتمونى الآن بمنشور فيه هذه الفتوى فإنى أوقعه ،
وما فى وسعكم وأنتم مشبهون أن تنكروا أن الخديو توفيق مستحق للعزل لأنه خرج
عن الدين والوطن .

وقد وقفنا على قصيدة لحضرة الفاضل الشيخ محمد النجار جمعت ما جمعت من وصف
الحال في الثورة العراقية ، والدعاء لاستنهاض الهمم واستثارة الحمية ، وجاء فيها :

بالنصر قد جاء الكتاب مشيراً	وبه أتى هادي الأنام بشيراً
يا أحمد المرجو لمصر ومن غدا	فينا أمينا للجيش أميراً
بشرارك بالنصر المبين فتق به	وكفى بربك هاديا ونصيراً
فأزحف بجيشك يا مظفر ضارباً	في الانجليز وقاتلن سيمورا
واقطع بسيفك أمة قد أمروا	اثني عليهم اذ عدمن ذكورا
قوم تربوا في التلوج فطبعهم	يهوى البرود ولا يطيق حرورا
يا يوم قد خرجوا وجر وبورهم	ربما وجرحاهم تمج بحورا
رجعوا ويوم السبت مبعوض لهم	لأذلم يروا في يوم سبت نورا
قد أحرقوا قتلاهم من ظلمهم	حتى لقد ظللوا بذلك سعيراً
ضربوا مدافع حزنهم أسفاً على	من مات منهم غاساً وحسيراً
ندبوا رؤوسهم وقد هلكوا وما	بالبحر إلا من رأيت صغيراً
كتبوا لسيدة لم أن جهزى	غنا لعيد المسلمين كثيراً
وتغيبوا عنا زمانا وانثوا	مثل الفراش فدمروا تدميراً
يا انجليز ومن ينادى ميتاً	يخطى وكيف أخاطب المقبوراً
بالنفر جثم بفته وضربتمو	من غير وعد أولاً وأخيراً
واسكندرية قد ضربتم دورها	ما الحرب ضربكم البنا والدورا
ما عندنا الا رجال ذكرهم	يسمو على مر الزمان دهورا
ما عندنا إلا أسود عساكر	وقفت لتنحر بالسيوف نحورا
أنسيتم أرضاً حينكم ثروة	وسكنتموها جنة وقصوراً؟
ورأيتم فيها رجالاً أمرهم	في حفظهم لكم غدا مشهوراً
أنسيتم أرضاً دخلتم روضها	وجنيت ثمرها به وزهوراً؟
ذوقوا رصاصاً من بنادق هيئة	لكم لتشرح في الصدور صدورا
وخذوا مدافع بالقنابل أرسلت	لكم لتأخذ جسمكم وتطيرا
هذا جزاؤكم على كفرانكم	نعم ، ولا يرضى الإله كفورا

نحن الآلى كئنا نياما حيث لا عدل وكان أميرنا مأمورا
 نمنا كاهل الكهف دهرنا ليتنا قد كان حافظ أمرنا قطميرا
 نحن الآلى كئنا ضعافا حيث لا شرح وكان كتابنا مهجورا
 حتى فقدنا قوة العرب الآلى فتحوا البلاد وأحسنوا التدبير
 واليوم نهنا الزمان وجاءنا حامى حى القطر السعيد بجيرا
 يا طالما كذبت جرائدكم على أولاد مصر واقترفتم زورا
 وبعثتم أولادكم ونساءكم وسقيتم أهل الفساد خمورا
 كئنا ضعافا حيث لا حرية فينا ولم نعرف لذاك غيورا
 واليوم قام لأحمد الجيش الذى وفى وأصبح جيشه منصورا
 وأتته من أهل البلاد إغاثة وعساكر ضربوا لذاك نفيرا
 عرب التقي أهل التقي من خيلهم سبقت لتنزل فى العدو صفورا
 وعساكر هجموا أسودا فى الوغى ولدى اصطفاف الصف صاروا سورا
 ورجال دين حيث قد خافوا على ذرية من بعدهم تكفيرا
 خافوا على أعراضهم من أمة خانفت وكم فضحت وفضت حورا
 خافوا على أوطانهم وبلادهم خافوا على جعل المساجد مربطا
 خافوا على الكتب التى قد دونت للخيال أو جعل الرجال حميرا
 خافوا على آل الرسول وبيته ولكم حوت علما يزيدك نورا
 خافوا على الدين القويم وأهله والله فضلهم عليك كثيرا
 خافوا على مفتاح بيت الله من أشبهوا فى الاهتداء بدورا
 خافوا على ترك الفروض وقطعنا والبقع التى قد طهرت تطهيرا
 يامسلمون استبشروا فعدوكم جهر الأذان وهجرنا التكبرا
 ولسوف يغلو قدركم ومقامكم ولنا، وأصبح جيشه مكسورا
 يا أيها الشجعان هذا وقتكم يعلو وأمركم يكون شميرا
 أن الحياة مع المذلة موة فأروا العدا عزما لكم مشهورا
 كونوا كما أتم عليه وجاهدوا وبها نرى عذب المذاق ميرا
 يبيضتم صحف التواريخ التى حق الجهاد وحاذروا التأخيرا
 التى فاحت بذكركم الزكى عميرا

لا كان أخذ الانكليز بلادنا
 والله لو رخصا جميعا ما نرى
 أرض سقيناها دموع عيوننا
 أرض عليها استشهدت أجدادنا
 إن عاش منا واحد يأسعده
 وطن بأيدينا زرعنا أرضه
 يا آل مصر ألافقوا عزمكم
 يا آل مصر ألا أعينوا جيشكم
 إذ قام يحفظ أرضكم وبلادكم
 يا آل مصر ألا تركوا من عضدوا
 هم خائتو الوطن الذي شبوا به
 هم خائتو الرتب التي قد نقصت
 آل النفاق علام تبغون العدا
 أم أنهم لا كنتم أحبا بكم
 في بورسعيد وغيره قد ختمت
 بور لكم، وسعيد طالع وقتنا
 من لم يكن فيه لمسقط رأسه
 سائر بسعد الفال شعري ناظقا
 عما قريب سوف يظفر جيشنا
 ونرى الآلى حملوا لواء النصر في
 ويسرنا تقبيل مسك وجوههم
 ونرى بهذا القطر أعظم زينة
 ونرى لمصر سعادة أبدية
 وتكون للسلطان أعظم قوة
 وهي صورة للشعر الوطنى فى الثورة القومية الوطنىة التى قام
 بها عربى وإخوانه .

قوانين الازهر

ومنذ عام ١٨٧٢ م (١٢٨٨ هـ) وضعت للآزهر عدة قوانين لتنظيمه وإصلاحه من أهمها :

- ١ - قانون بتنفيذ قانون التدريس - ٣ من فبراير ١٨٧٣ .
- ٢ - قانون امتحان من يريد التدريس بالجامع الأزهر - ٢٤ من مارس ١٨٨٥
- ٣ - قرار بضبط عدد أهل الجامع الأزهر - ١٥ أكتوبر ١٨٨٥
- ٤ - قانون بامتحان التدريس - ١٩ يناير ١٨٨٨ .
- ٥ - قانون بتشكيل مجلس إدارة الأزهر - ٣ يناير ١٨٩٥ .
- ٦ - قانون بامتحان من يريد التدريس في الأزهر - ١٧ يناير ١٨٩٥ .
- ٧ - قانون صرف المرتبات بالآزهر - ٢٩ يونيو ١٨٩٥
- ٨ - قانون كساوى التشريفة العلية - أول فبراير ١٨٩٦
- ٩ - قانون الجامع الأزهر - ٨ محرم ١٣١٤ - أول يوليو ١٨٩٦

بعد الثورة العراقية

واصل الأزهر سيره العلمي بعد الثورة ، وعنى الامام محمد عبده والمصلحون من علماء الأزهر بالدعوة إلى تجديد الدراسة في أروقة الأزهر ومعاودة وقد صدر عام ١٣٢٩ هـ ، ١٩١١ م قانون باصلاح الأزهر الشريف ، كان له أثره الكبير في حياته العلمية ، وجاء في المادة الاولى منه أن الجامع الأزهر هو المعهد الدينى العلمى الاسلامى الأكبر : والمعاهد الاخرى هى : معهد مدينة الاسكندرية : معهد مدينة طنطا : معهد مدينة دسوق : معهد مدينة دمياط . . وكل معهد يؤسس في القطر المصرى بارادة سنية ، وكذا كل معهد أهلى يتقرر إلحاقه بالجامع الأزهر أو بأحد المعاهد الاخرى بالشروط والاوضاع التى تبين فى لائحة يضعها المجلس الأعلى ويصدق عليها بارادة سنية .

وجاء فى المادة الثانية أن الغرض من الجامع الأزهر والمعاهد الاخرى هو القيام على حفظ الشريعة الفراء وفهم علومها ونشرها على وجه يفيد الامة وتخرج علماء يوكل اليهم أمر التعاليم الدينية ويلون الوظائف الشرعية فى مصالح الامة ويرشدونها إلى طرق السعادة .

وفى المادة الثالثة تكون مدرسة القضاء الشرعى قسماً ملحقة بالجامع الأزهر وتبقى حافظة لنظامها المقرر لها فى قانون ٢٥ فبراير سنة ١٩٠٧ ، ويحل مجلس الأزهر الأعلى

محل ناظر المعارف العمومية في جميع الاختصاصات التي له الآن بمقتضى القانون المشار اليه وتفصل ميزانية المدرسة عن نظارة المعارف ويخصص لها باب مستقل في ميزانية الحكومة العمومية ، وتجري عليها الاحكام المتعلقة بها ويبقى موظفو المدرسة من مستخدمي الحكومة .

وفي المادة الرابعة أن شيخ الجامع الازهر هو الامام الاكبر لجميع رجال الدين والرئيس العام للتعليم فيه وفي المعاهد الاخرى والمشرف الاعلى على السيرة الشخصية الملازمة لشرف ، العلم والدين بالنسبة إلى من ينتمى لجميع المعاهد من أهل العلم وحمله القرآن الشريف وكذا من كان من أهل العلم وحمله القرآن الشريف من غير المصريين وفي المادة الخامسة أن شيخ الجامع الازهر بصفته رئيس المجلس الاعلى هو المنفذ الفعلى العام لجميع القوانين واللوائح والقرارات المختصة بالجامع الازهر والمعاهد الاخرى . وأرباب الوظائف في جميع المعاهد تابعون لهذه الصفة وخاضعون لأوامره ، طبقاً لما هو مقرر في هذا القانون .

وفي المادة السادسة يكون لكل مذهب من المذاهب الاربعة بالجامع الازهر شيخ ، وكذا يكون لكل معهد من المعاهد الاخرى . ويجوز عند الاقتضاء تعيين وكلاء للجامع الازهر ولباقى المعاهد ، ويكون لهم جميع الاختصاصات التي للمشايخ في حال غيابهم الرسمي .

وفي المادة الثامنة والتاسعة يكون بالجامع الازهر مجلس يسمى مجلس الازهر الاعلى . وتنشأ مجالس إدارة للأزهر وللمعهد الاسكندرية وطنطا . ويؤلف مجلس الازهر الاعلى من شيخ الجامع الازهر بصفة رئيس ومن ثمانية أعضاء هم : شيخ السادة الحنفية ، شيخ السادة المالكية ، شيخ الشافعية ، شيخ السادة الحنابلة - مدير عموم الاوقاف المصرية - ثلاثة ممن يكون في وجودهم بالمجلس فائده لترقية التعليم وحسن انتظام ادارته بشرط أن يكونوا من الحائزين للصفات الملازمة لحالة الجامع الازهر والمعاهد الاخرى ، ويكون تعيينهم بأرادة سنية بناء على قرار من مجلس النظار - وفي غياب شيخ الجامع الازهر ينوب عنه في الرياسة شيخ السادة الحنفية .

وفي المادة العاشرة يختص مجلس الازهر الاعلى بما يأتي :

أولاً - وضع الميزانية العمومية للجامع الازهر والمعاهد الاخرى .
ثانياً - النظر في إنشاء المعاهد الدينية العلمية الاسلامية وإلحاق بعض المعاهد الصغرى بالتي هي أكبر منها أو تغيير تبعيتها .

- ثالثا - النظر في فصل المعاهد من تبعية غيرها وجعلها تابعة للجامع الأزهر مباشرة
- رابعا - النظر في إنشاء مجالس إدارة للمعاهد التي ليس لها مجلس إدارة
- خامسا - وضع النظم العامة للتدريس والامتحانات
- سادسا - التصديق على تقرير الكتب التي تدرس بالجامع الأزهر والمعاهد الأخرى
- سابعا - النظر في ترشيح مشايخ المعاهد الأخرى والوكلاء وترقيتهم ونقلهم وفصلهم
- ثامنا - النظر في ترشيح مجالس الإدارة .
- تاسعا - التصديق على ما تقرره مجالس الإدارة من تعيين المدرسين والموظفين وترقيتهم ونقلهم وفصلهم .
- عاشرا - النظر في منح كساوى التشريف العلمية لمستحقين بناء على قرارات مجالس الإدارة .
- وقد نصت مواد القانون على أن مجلس الأزهر ينعقد بالجامع الأزهر مرة في كل شهر على الأقل بدعوة من الرئيس ، ولشيخ الجامع عقده أكثر من ذلك من ذلك ان دعا الحال .
- وأن قرارات مجلس الأزهر الأعلى تكون بأغلبية الآراء ، وإن استوى الفريقان فالأرجحية للفريق الذى فيه الرئيس ، ولا تصح مداولته إلا إذا حضر الجلسة ستة من الأعضاء سوى الرئيس .
- وفى المادة الثانية بعد المائة وما بعدها : يكون بالجامع الأزهر ثلاثون عالما اختصاصيا ، لكل واحد منهم بالأزهر كرسي خاص فى المحل الذى يختص للتدريس العام بمعرفة شيخ الجامع الأزهر ويجوز أن يوجد البعض منهم فى المعاهد الأخرى بصفة شيخ المعهد أو وكيله .
- ويطلق على العلماء الثلاثين المذكورين فى المادة السابقة اسم هيئة كبار العلماء .
- ويشترط فيمن ينتخب ضمن هيئة كبار العلماء :
- أولا - أن لا يكون سنه أقل من خمس وأربعين سنة .
- ثانيا - أن يكون قد مضى عليه وهو مدرس فى الجامع الأزهر والمعاهد الأخرى عشر سنين على الأقل منها أربع على الأقل فى القسم العالى .
- ثالثا - أن يكون قد ألف كتابا فى أحد العلوم الإسلامية ، وإن يكون قد منح الجائزة العلمية المنصوص عليها فى المادة الثانية والعشرين بعد المائة فى هذا القانون
- رابعا - أن يكون معروفا بالورع والتقوى وليس فى ماضيه ما يشين سمعته .

الأزهر والحركة الوطنية عام ١٩١٩

لجأة وعلى غير تدبير سابق نهضت مصر نهضتها الكبرى عام ١٩١٩. كما تضىء في الحفلة الرحبة الجوانب مئات الثريات الكهربائية بحركة لينة من أصبعك. ومرد هذه اليقظة الشاملة شعور مصر في كل حين أن حقها سليب وحريتها منتهبة، واستقلالها مفقود، وإنما تحتاج النهضة الأخرى إلى تدبير سابق يسلخ من العمر سنوات في غير النهوض للحرية والاستقلال. أما المصريون أحياء يحسون ويشعرون، والإنجليز أمامهم في مظهر السيادة والتملك، فلم يحتج الأمر إلى تدبير مبيت في الخفاء، إلا أن يهتف هاتف: أيها المصريون هذا يوم الخلاص، ليدوى الصوت في أفق مصر ويستجيب له صائد الأسماك في بحيرة رشيد، كما يستجيب له القابض على يد المحراث في وادي حلفا.

خرجت مصر كلها... كلها حقا، تطلب الحرية وتشد الاستقلال، وتدفقت قوة الشباب في جسوم الشيوخ، وجرت البطولة في أبدان الشباب، وتفتحت البطولة في روح الأطفال والغلمان، واحتوت الشجاعة والحاسة قلوب السيدات قرويات وحضریات، وأصبحت مصر أغرودة الجميع وحرية مصر لحنا يردده كل فم، واستقلال مصر آية مقدسة يرتلها العابدون الخاشعون

ولقد تجلت كبرياء هذا العهد على الأزهر إذ كان مكانا صالحا للنهوض، وحمل أبنائه علم الجهاد الشريف الوادع.

تبقى الأزهر دفعة واحدة وتحركت بواعث النخوة والوطنية فيه، كما تحرك كل ما في مصر، وانتظم الجيش المسلح بإيمانه المعتقد بحقه، ورفعت الراية، وأصبح معهد الدين والعلم مستقر النهضة الكبرى ومستودع آياتها، وعلى أبوابه سقط أول شهيد مصري وهو من أبناء الأزهر، احتمل المدفع الرشاش بين يديه. وكان لا يدري ما ذا يصنع به، وبينما هو بهم أن يقصيه في مكان ما. إذا بثلاثين رصاصة تخترق جسمه فيخر صريعا ١

ولست أستطيع أن أقول شيئا عن الاجتماعات التي عقدت في الأزهر، فلم يكن مثبته يخلو لحظة من خطيب. ولأعن أولئك الرجال الأبطال الذين كانوا يتوسدون أيديهم، وينامون على أرض ذلك المسجد الفسيح.. ومن المجاهدين من علمائه

الزنجكونى ، وعبد الباى سرور ، والشيخ أبو العيون وسواهم ، ممن اشتدت الحركة الوطنية بفضل ما أفادوه فى بعث روح الإقدام والجرأة فى نفوس المصريين .

وكان الفقيد الكريم القاياتى يؤوب من المظاهرة فى منتصف الليل ، فيطوى رداءه تحت رأسه على « حصيرة » فى الأزهر وينام حتى الصباح لينخطب فى المجتمعين . أما المظاهرات فحدث عن إقدام الأزهرين ولا حرج ، فقد كانت طرقات مصر كلها تغص بهم ، وتمتلئ رحابها بإقدامهم ، وهم يتراكضون فى أنفة وعزة وشموخ إلى غاية المجد ، إلى حيث الحرية والاستقلال

كان كل شىء فى هذه النهضة جميلا ساميا ، كأننا فى جنة من جنان الخلد ، وكان الشعور السائد القوى ، شعورا سماويا ، حتى نسينا البغض والحقد والتمرد على الواجب ، وأصبح كل فرد يحتضن أخاه المصرى كأنهما ولدا فى منزل واحد ، ويناجيه كأنه وليه الخميم .

فى هذا العهد الذى كان يتهم فيه الأزهر بالتعصب وضرامة رأى ، كان هو الذى فتح أبوابه لآبناء الطائفة القبطية محتفلا مرحبا ، وكانت هذه الظاهرة العجيبة من أقوى أسباب التضامن الوثيق بين العنصرين .

كذلك اغتبط الأزهريون وفرحوا أن تشترك المصريات فى هذه النهضة ثائرات ومحجبات ، ورأينا القس يعانق الشيخ الأزهرى فوق منبر الأزهر ، كذلك رأينا السيدة المصرية تخطب فى هذا المكان المقدس

ونذكر أن السلطة قررت منع الجمهور من دخول الأزهر ، وأرصدت على أبوابه طائفة من الجنود المصريين وطائفة من الإنجليز

وكان من يحضرون إلى الأزهر ، يلقون أمر المنع ، غير أن الوطنية المصرية أبت على الجنود المصريين أن يشتركوا فى صد جماهير الأمة عن كعبتها المقدسة ، فكانوا يقولون لكل من يفد :

زاوية العميان !

وكانوا يقصدون بهذا القول أن يرشدوا الناس إلى طريق غير معروف لدخول الأزهر ، فلحق الجنود الإنجليز هذا التعبير العربى ، وجعلوا يقولون لكل من يفد :

زاوية العميان !

وبذلك اشتركوا مرغمين في أن تعقد الاجتماعات في الازهر بدعوة منهم وهم لا يعلمون .

كذلك أتقن الطلاب فن التنكر والتخفي ، فقد حرم دخول « الافندية » إلى الازهر ، غير أن هذا جعل الشبان يتنكرون في أزياء الشيوخ المعممين من شتى الاقطار ، فهذا مراكشي وذاك تركي وثالث حجازي ورابع هندي وخامس جاوي . وهكذا ولكنهم أخيرا كانوا يخرجون في زيهم الحقيقي زي « الافندية » ، فكان الجنود الانجليز يتغيظون ويشتمون .

الازهر بعد الثورة المصرية

في سنة ١٩٢٣ م أنشئ قسم للتخصص في العلوم الازهرية بعد الحصول على الشهادة العالمية ليستزيد العالم تمكنا من مادته ، واقتدارا على أداء مهمته ، فأنشئ هذا القسم من بضعة شعب . وكانت شعبة الفقه والأصول إحدى هذه الشعب ، وهي تعدخريجها لتولى وظائف القضاء الشرعى في الدولة ، وقد مهدت لالغاء مدرسة القضاء الشرعى فيما بعد ، واستعبدت حقوق الازهريين في شغل هذه الوظائف بعد أن سلبت منهم حقبة طويلة ... وعنى بالتوسع في دراسة العلوم الحديثة في المرحلتين الابتدائية والثانوية بالمعاهد الدينية على غرار مايدرس منها في المدارس الأخرى .

وأنشئ لهذه العلوم تفتيش مستقل بإدارة المعاهد ، وزودت المعاهد بالمعامل اللازمة لدراستها ، وعين كثير من العلماء ممن تميز في هذه المواد لتدريسها ، وقد عدلت هذه البرامج فيما بعد بما يتفق ومكانها من العلوم الدينية ، وتم انشاء القسم الثانوى لمعهد أسيوط وكان ابتدائيا ، ثم إنشاء معهد الزقازيق .

وظل الازهر يخطو نحو غايته مسرعا إذ وضع الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الازهر مذكرته في إصلاح الازهر ، تلك المذكرة التى تعتبر دستور الازهر الحديث ، وكل مايلهج به دعاة الإصلاح بعدها فهو مقتبس منها أو مستمد من مبادئها وروحها ، فقانوننا سنئى ١٩٣٠ ، ١٩٣٦ هما فى الحقيقة قانون واحد صيغا من مبادئها وفصلا إجمالها ، وبهذين القانونين على الأصح اتقل الازهر من حال الاضطراب الثقافى إلى حال الاستقرار النهائى ، ومن حال العزلة التى نكرها على نفسه وأنكرها الناس منه إلى حال المشاركة فى شئون الأمة العامة ، فقد جعلت العالم الازهرى عضوا حيا فى أمتة يفيد منها وتفيد منه ، ورسمت له غايته والوسائل التى تعينه على أدائها ، وشمل القانون الذى استمد منها نواحي

إصلاحية كثيرة ، والذي يعنينا منها هنا الناحيتان العلمية والمالية .
أما الناحية العلمية فأهمها تقسيم الدراسة العالية لأول مرة في تاريخ الأزهر إلى
ثلاثة أقسام ، يعد كل قسم منها خريجي مهمة خاصة بعد إعداده لهذه المهمة لإعداداً فنياً
في أقسام أخرى تلي هذه الأقسام تسمى أقسام التخصص في المهمة .

وأنشئ لمجموع هذه الأقسام كليات ثلاث - وهي كلية الشريعة ، وكلية اللغة العربية ،
وكلية أصول الدين - على أن يلى خريجو هذه الكليات المهن التي تليق بمؤهلاتهم
بعد تخصصهم فيها ، فلي خريجو كلية أصول الدين وظائف الوعظ والإرشاد ،
وخريجو كلية الشريعة وظائف القضاء الشرعي ، وخريجو كلية اللغة العربية وظائف
التدريس في المدارس الأميرية والحرية .

وقد ألحق بهذه الكليات أقسام للتخصص في المادة ، وهي أقسام علمية ممتازة قصد
منها إعداد بعض العلماء لإعداد امتازا ، بعد دراسة عميقة ليتمكنهم القيام بوظائف التدريس
في الكليات .

ولاعداد خريجي هذه الكليات إعداداً صحيحاً أدخل في مناهج الدراسة فيها
لأول مرة في تاريخ الأزهر أيضاً مجموعة من العلوم التي تتصل بمهمتهم ، فأدخل
في مناهجها فقه اللغة وعلم النفس وعلوم التربية والفلسفة وتاريخ الأديان ودراسة
الفرق الإسلامية ، وأصول القوانين والاقتصاد السياسي ، والنظام الدستوري ،
كما أدخل فيها دراسة بعض اللغات الغربية والشرقية .

وبما تضمنه القانون لإنشاء معاهد للاستماع خاصة في بعض المدن لا تقيد بقيود
المعاهد النظامية ، والغرض منها سد حاجة من يريد معرفة أحكام الدين واللغة العربية
من جمهرة الأمة ، على أن يتبع فيها طريقة التدريس التقليدية في الأزهر ، ويكون
مقرها في المساجد .

وأما الناحية المالية وأعني بها الحقوق التي ظفر بها خريجو الأزهر بمقتضى هذا
القانون ، فاهمها أنه ألغى مدرسة القضاء الشرعي ، فأصبحت وظائفه خالصة لخريجي
كلية الشريعة دون غيرهم ، وجعل من حق خريجي كلية اللغة العربية التدريس في مدارس
الحكومة والمدارس الحرية وكانت محجورة عليهم قبل ذلك ، وجعل من حق
خريجي كلية أصول الدين شغل وظائف الوعظ والإرشاد التي أنشئت قبيل صدور
القانون ، والتي لم تنزل تنمو حتى أصبحت لها إدارة خاصة ، وبلغ عدد الوعاظ الذين
تشرف عليهم هذه الإدارة نحو ٢٥٠ واعظاً يؤدون للأمة أجل الخدمات في إصلاح الأمن

وتهذيب النفوس . ويقضيها الأنصاف أن نشير هنا إلى فضل المغفور له محمد محمود في إنشاء قسم الوعظ ، فقد أشار عليه الشيخ المراغي شيخ الجامع الأزهر سنة ١٩٢٨ م بتعيين عدد من العلماء في وظائف الوعظ بوزارة الداخلية لإصلاح حال الأمة من طريق نشر تعاليم الدين ، فاستجاب لهذه الإشارة بعد استحسانها من لدن الرأي العام في الأمة ، وعين خمسين واعظا في الوجه البحري . وبعد تعيينهم بيضعة أشهر نقلوا بميزانيتهم إلى الأزهر ، فكانوا نواة هذا القسم الكبير . وقد كفل القانون لخريجي السكليات حقوقا أخرى في وظائف الدولة ، ليس هذا موضع تفصيلها . وبهاتين الناحيتين من الإصلاح العلمي والمادى اللتين شملهما القانون المستمد من المذكرة المشار إليها فيما شمل تقاربت مسافة الخلف بين خريجي الأزهر وخريجي المعاهد الأخرى وطوائف الأمة عامة ، وتجدد نشاط الأزهر في أداء رسالته ، وأحست الأمة بأن له مكانا في خدمتها ، وأنه يأخذ منها ويعطيها . ولما كانت السكليات الأزهرية والتي تضمها القانون في حاجة إلى أماكن للدراسة ، لذلك بدىء بإنشاء هذه الأماكن في مدينة الأزهرية خاصة واسعة الأرجاء حول الجامع الأزهر ، لا تقصر عليها بل تتسع لها ولا أماكن لمعهد القاهرة ولمساكن الطلاب وللادارة العامة للأزهر والمستشفى الأزهرى خاص ، وتوسع عدا هذه الأبنية بناء المكتبة الأزهرية وما ياحق بها من المطابع وقاعة للاحتفالات العامة تسع ألفين من النظارة ، ووضع تصميم هذه المباني وفتح لها في الميزانية العامة سنة ١٩٢٩ م اعتماد مالى بمبلغ يقرب من ثلاثة أرباع المليون من الجنيهات ، وبدىء في تنفيذها إذ ذاك بالفعل ، وفكر المراغي سنة ١٩٢٨ م في إرسال بعثات أزهرية دراسية إلى بعض الجامعات الأوروبية ليكون أعضاؤها دعاة إلى الاسلام كما كان أسلافهم ، وليفيدوا من ثقافة هذه الجامعات المتجددة ما يتصل بمهمتهم ويسدوا حاجة الأزهر إلى تدريس المواد التي اقترح إدخالها ضمن برامج الدراسة في المذكرة المشار إليها . وفي سنة ١٩٣٦ م سافرت هذه البعثات إلى إنجلترا وفرنسا وألمانيا في جو من الغبطة والحذر ، وكان في ذلك إحياء لمجد الأزهر ، وقام شيخ الجامع الأزهر بتوديع هذه البعثات بنفسه في حفل من العلماء والطلاب ، وألقى فيهم خطابا رسم فيه الغاية من إرسالهم ، وصور الجو الذى أحاط بهذه الفكرة فقال : « أرسلكم الأزهر وقلبه يخفق ، وأنا واثق من أنكم ستكونون بهديكم وبقولكم وعملكم ومحبتكم أحسن الأمثلة لخريجي الأزهر الشريف . » وقال : أتم في البلاد التي ستقيمون فيها مرشدون أولا وتلاميذ ثانيا ولا يعفيكم واجبك الثاني

من واجبهكم الاول الذى هو فى الحق المقصد الاسمى من هجر تكم .. ولتسكين الازهر من أداء رسالته بكل ما يمكن من الوسائل فكر الشيخ الظواهري فى إنشاء مجلة خاصة بالازهر تكون صوته الرسمي يدوى فى مصر والافطار الاسلامية ، وتكون مجالا للنشاط العلمى لعلماؤه وطلابه ، « وتعمل على نشر آداب الإسلام ، وإظهار حقائقه خالصة من كل لبس وتكشف عما ألقى بالدين من بدع ومحدثات وتنبه إلى مآدس فى السنة من أحاديث موضوعة ، وتدفع الشبهة التى يحوم بها مرضى القلوب » ، وابتدأ صدورها سنة ١٩٣٠ م وأنشئ لها ولطبوعات الازهر والمعاهد مطبعة خاصة كاملة الادوات تسد الآن حاجة المجلة والكتليات والمعاهد من جميع المطبوعات .

وفى يوم الثلاثاء ٢ من ذى الحجة سنة ١٣٥١ هـ - ٢٨ مارس سنة ١٩٣٣ احتفل رسميا بافتتاح كلية أصول الدين . وفى يوم الاربعاء التالى له احتفل كذلك رسميا بافتتاح كليتى الشريعة واللغة ، وجاء فى كلية شيخ الازهر إبان ذاك ، الشيخ محمد الاحمدى الظواهري التى ألقاها فى هذه المناسبة بحضور رجال الدولة :

« صدر القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ وافيا بهذه الاغراض السامية ، مع المحافظة على صبغة الازهر الدينية والعربية . وكان من أكبر مزاياه إنشاء كليات : أصول الدين ، والشريعة ، واللغة العربية ، وجعل أبوابها مفتحة لجميع الطلاب المسلمين على اختلاف جنسياتهم . واستدراك ما كان فى القوانين السابقة من نقص فى مواد التعليم على اختلاف مراحله ، فقد جعل من مواد الدراسة فى الكليات : تاريخ التشريع الإسلامى ، ومقارنة المذاهب ، وفن الحديث دراية ، وآداب اللغة العربية وتاريخها ، وفقه اللغة ، وتاريخ الأئمة الاسلامية ، وعلم النفس ، والفلسفة ، مع الرد على ما يكون منافيا للدين منها ، وغير ذلك من المواد التى لم تكن تدرس فى القسم العالى من الازهر الشريف .

ولما كان التخصص فى العلوم هو الطريقة المنتجة التى جرى عليها علماء الاسلام فى أوائل العصور ، وإليها يرجع الفضل فى تقدم العلوم وارتقائها قديما وحديثا ، نص هذا القانون على إنشاء أقسام للتخصص فى المواد التى تعنى بها الكليات ، للتبحر فيها ، وعلى منح المتخرجين منها شهادة العالمية مع لقب أستاذ ، وعلى جعلهم أهلا لشغل كراسى الاستاذية فى الكليات ، كما نص على إنشاء أقسام للتخصص فى التدريس والقضاء الشرعى والوعظ والارشاد ، يكون متخرجوها أهلا للتدريس فى مدارس الحكومة والمعاهد وتولى الوظائف الشرعية والدينية فى الدولة .

وإذا كانت كليات الأزهر ستكون في دور خاصة في حيه وبجواره ، فإن نفس الجامع الأزهر سيكون معمورا بالدروس على اختلاف أنواعها ، مفتوح الأبواب لقاصديه ، من المسلمين على اختلاف طبقاتهم ، غير مقصور على إقامة الصلاة .
ولقد كان لصدور هذا القانون وانتشار أنبائه وقع حسن عظيم في نفوس المسلمين في عامة الاقطار ، وقد ابتدأت البعثات تتوارد وتتابع : من الصين وبولونيا وألبانيا ، والهند ، وغيرها ، للاعتراف من هذا المنهل العذب . وأخذت الجامعات الكبرى تتصل بالأزهر الشريف ، وكان منها جامعة غرناطة ، التي لبي الأزهر الشريف دعوتها إلى الاحتفال بمرور القرن الرابع على تأسيسها .

الثورة المصرية الثالثة والأزهر

وقد قامت الثورة المصرية الوطنية القومية العسكرية الأخيرة في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وكان للأزهر فضل كبير في قيامها ، وتوالت أحداث الثورة ، فألف محمد نجيب وزارته الأولى في ٧ سبتمبر ١٩٥٢ ، ثم وقعت اتفاقية السودان بين مصر وإنجلترا في ١٢ فبراير ١٩٥٣ ، وأعلنت الجمهورية في ١٨ يونيو ١٩٥٣ ، وألغت وزارة الرئيس جمال عبدالناصر بعد ذلك . وكان الأزهر يقوى من دعائم الثورة ، ويدعم العهد الجديد ، الذي ثار على الفساد خطمه ، وعلى الطغيان فهدمه ، ولا يزال الأزهر يبارك مبادئ الثورة ، ويدعو للإيمان بها
ومنذ بدء الثورة تولى منصب مشيخة الأزهر الشيخ محمد الخضر حسين ، ثم الشيخ عبد الرحمن تاج .

ويرجى للأزهر أن يصطبغ بالصبغة العلمية ، وأن يسير قدما في سبيل أداء رسالته الجليلة .

النوابغ الذين تخرجوا في الأزهر

وقد تخرج في الأزهر في العصر الحديث فريق كبير من عظماء الرجال . فمن الزعماء زعيم مصر المغفور له سعد زغلول ، ومن الأدباء المرحوم علي باشا مبارك وعبدالله فكرى باشا ، والسيد رفاعة الطهطاوى ، وحفنى ناصف بك ، والشيخ حمزة فتح الله ، ومن المصلحين الأستاذ الأكبر الشيخ محمد عبده .

وتخرج فيه كثيرون من أمراء الشرق ومجاهديه ، فمنهم السيد الادريسي الذي

درس في الأزهر ثم عاد إلى اليمن يعلم البدو أمور دينهم ويحارب الأتراك في سبيل استقلال بلاده حتى تقلص الحكم التركي عن بلاد العرب في ختام الحرب العظمى ، وما زال سلطاناً مستقلاً واسع النفوذ حتى لقي حتفه في سنة ١٣٤٠ هـ .

ومنهم السيد صديق حسن خان أمير يهوبال السابق وقد تخرج في الأزهر ، وكان منتسباً لرواق البخارية ثم عاد إلى أمارته فاصلاح شؤونها وأقام فيها مجالس العلم حتى توفي في سنة ١٣٢٩ بعد أن رفع شأن بلاده .

ومنهم الشيخ محمد بن عبد الله منلا الصومالي الذي درس في الأزهر ثم رحل إلى الصومال فأخذ يعلم قومه أمور دينهم ويدعوهم إلى طرح نير الاستعباد حتى استطاع أن يؤلف بين قلوب القبائل الصومالية ويحارب الانجليز والإيطاليين والبلجيك والبرتغاليين ويستعمل الحيلة والدهاء في حروبه ، فخطم جهود الاستعماريين وطرده جيوشهم وما زال في كفاح معهم حتى لقي ربه في سنة ١٣٢٣ هجرية ، فهد موته الطريق أمام جيوش الاستعمار ، وسقطت الصومال بعده في أيدي الانجليز والإيطاليين .

أشهر رجال الأزهر

في أوائل القرن الرابع عشر الهجري

وقد اشتهر في العصر الأخير جلة من العلماء الراحلين كانوا في طليعة الشيوخ البارزين ، على طريقة الأزهر القديمة ، وقد أدرك البعض زمانهم ، وتلقى بعض العلماء عنهم ، نذكر منهم :

الشيخ أحمد رفاعي الفيومي . الشيخ أحمد الجيزاوي . الشيخ محمد النجدي . السيد أحمد حنبلي البسيوني . الشيخ عبد القادر الرفاعي ، الشيخ محمد عبده ، الشيخ عبد الكريم سلمان . الشيخ سليمان العبد . الشيخ أحمد أبو خطوة . الأخوين : الشيخ محمد ، والشيخ أحمد عبد الجواد القاياتي (١) . الشيخ حسن الطويل . الشيخ محمد حسنين البولاق (٢) . الشيخ حسين زين المرصفي . الشيخ هرون عبد الرزاق (٣) . الشيخ محمد البيهجري . الشيخ إبراهيم الظواهري . الشيخ محمد بنحيت المطيعي . الشيخ

(١) كانا من رجال الثورة العراقية .

(٢) هو والد أحمد حسنين رئيس الديوان الملكي سابقا

(٣) كان مدرسا لمادة الدين بمدرسة الهندسة الملكية قديما .

عبد الرحمن البحر اوى . الشيخ محمد راضى الكبير . الشيخ محمد رضى البحر واى . الشيخ محمد حسنين العدوى . الشيخ على البولاتى . الشيخ عبد الغنى محمود . الشيخ محمد السمالوطى . الشيخ محمد الحلبي . الشيخ أحمد نصر . الشيخ محمد شاكر . الشيخ دسوق العربى . الشيخ عبد الرحمن قراعة . الشيخ يوسف الدجوى . الشيخ عبد الحكيم عطا . الشيخ سيد على المرسفى .

وثمة شخصيات بارزة لها فى تاريخ البلاد مكان ملحوظ . وهؤلاء لم يتموا دراستهم فى الجامع الأزهر ، وأقبلوا على أعمال أخرى فى المحاماة ، والقضاء ، وفى العلم والأدب والصحافة ، نذكر من بينهم : سعد زغلول زعيم مصر السياسى ، وإبراهيم الهلباوى المحامى ، ومحمد أبوشادى ، ومحمد الحسينى المحامى ، وحسن جلال ، ومحمد صالح المستشارين بالمحكمة الوطنية ، وعبد الله نديم خطيب الثورة العراقية والسيد على يوسف صاحب جريدة المؤيد ، ومحمد النجار صاحب جريدة الأرغول والسيد مصطفى لطفى المنفلوطى ، وعبد اللطيف الصوفانى ، وغيرهم وغيرهم

ومن علماء الأزهر المشهورين العالم العلامة الشيخ نافع الجوهرى بن سليمان بن حسن بن مصطفى بن أحمد الخفاجى من بنى خفاجة (١٢٥٠ هـ - ١٨٣٤ م - ١٣٣٠ هـ - ١٩١٢ م) ، وهو جده المؤلف لأمه ، ولد فى قرية تلبانة من أعمال الدقهلية ، وحفظ القرآن الكريم ، ونال العالمية من الأزهر عام ١٢٨٣ هـ ، حيث تلمذ فيه على جلة العلماء والزاهدين ، وأقام ببلدته وعظا زاهدا ، ومفتيا مرشدا ، ومؤلفا واسع الشهرة بين أقرانه . حتى بلغت مؤلفاته إلى قبل وفاته نحو مائة مؤلف ، أغلبها فى الشريعة والدين والفقه والمواعظ والتصوف وعلوم العربية ، وكان شاعرا مجيدا بليغا مفوها ، وأديبا لا يشق له غبار (١) .

نظرة إلى المستقبل

إن ما كسبه الأزهر من هذا الانقلاب الحاسم فى مصيره لا يزال رهن الزمن والمستقبل . ومن سبق القول - كما يقول عثمان - أن نتحدث عن مزايا نظام جامعى لم يتمخض بعد عن آثاره ، ولكننا نستطيع بالعكس أن نقول إن الأزهر الحديث على الرغم من جميع الجهود التى بذلت لإصلاحه منذ نصف قرن ، وبالرغم من تحويله الظاهر إلى جامعة أزهريّة ، فقد كثيراً من المزايا العلية والجامعية الحقيقية التى اقترنت بتاريخه القديم .

(١) راجع ترجمته فى كتابى « بنو خفاجة وتاريخهم السياسى والأدبى ج ٣ و ٤ » .

فقد اختفى جميل العلماء الأعلام المبرزين في علوم الدين واللغة عن حفلة بهم حلقاته في أواخر القرن الماضي ، وكانوا بقية أخيرة لذلك الجيل القديم ، من علماء الأزهر الذين وهبوا حياتهم للدرس ، وقد كان الأزهر حتى أواخر القرن الماضي يأخذ بنصيب بارز في تكوين الزعامة الفكرية والقومية ؛ وكان ظهور رجال مثل محمد عبده وسعد زغلول من بين صفوف طلبته ، أسطع دليل على أن هذا المعهد التالدم يفقد خلال عصور الانحلال والتأخر كل حيويته الفكرية ، ولكن هذه الظاهرة تكاد تختفي اليوم .

وقد فقد الأزهر كثيراً من خاصته الروحية التي كانت تحمل شيوخه وطلابه على التفاني في التحصيل والدرس ، والتعلق بشرف العلم والإعراض عن مغريات الدنيا ، وإيثار التقشف والزهد ، على الحياة الناعمة . . وتحول شيوخ الأزهر في ظل النظم الجديدة شيئاً فشيئاً إلى نوع من أرستقراطية رجال الدين ، التي تمتاز ببسطة في الرزق والجاه ، وتحول طلابه إلى ميدان الصراع المادي في سبيل العيش ، والسعي وراء الوظائف ومنازعة أضرابهم من المعاهد الأخرى في الفوز بها . وقد أحدثت هذه الأرستقراطية الاجتماعية ، وهذه النزعة في الإقبال على الدنيا ، أثراً لا يحمد في جو الأزهر العلمي ، وذهبت بكثير من خواصه الروحية القديمة .

ومن جهة أخرى فإن الأزهر الحديث على الرغم من اتسامه بسمة الجامعات العصرية ، لا يزال بعيداً عن أن يجارى روح العصر فعلاً في تنظيم مناهجه وأساليبه العلمية . فهو لا يزال يعيش على تراث الأزهر القديم ، ولا يزال مرجع الدراسة بالكلية الأزهرية الحديثة في علوم الدين واللغة طائفة من الكتب القديمة التي يعرفها الأزهر منذ العصور الوسطى ، فالشاطبية ، والهداية ، والسنوسية ، والصبان ، وألفية ابن مالك ، وشرحها لابن عقيل ، ومختصر السعد وحواشيه ، وكتب ابن حجر ، والبلقيني ، والسيوطي ، والبرماوي ، والزماوي ، والزيلي ، وغيرها ، تدرس في الكليات للطلبة النظاميين ، وبعض هذه الكتب يرجع إلى القرن السادس الهجري كالشاطبية ، أو السابع مثل مختصر ابن الحاجب ، والألفية ابن مالك . أو الثامن كشرح ابن عقيل ومختصر السعد ، ومع أن هذه المصنفات القديمة لا تزال تحتفظ بقيمتها العلمية ، فهي لا تصلح سواء بمادتها أو طرائقها العتيقة لعقيلة الطالب الحديث . ولم يزود طلبة الجامعة الأزهرية حتى اليوم من الكتب والمذكرات الدراسية الحديثة إلا بقدر ضئيل جداً في بعض المواد المستحدثة :

مثل التاريخ الاسلامى ، والسيرة النبوية ، وتاريخ التشريع ، وتفسير بعض آيات الاحكام ، وكذا بعض كتب البلاغة والادب والنحو والصرف ، وسيمضى وقت طويل قبل أن يستطيع المشرفون على الدراسة بالجامعة الأزهرية أن يضعوا من الشروح والتأليف المنظمة الحديثة ما يسد حاجة الطلاب .

وقد فقد الأزهر كثيراً من مزايا الدراسة الحقة بإلغاء الحلقات الدراسية الشهيرة ، التى لبثت قروناً تزين أروقته وساحاته ، فقضى عليها النظام الجديد ، ولم تبق منها إلا آثار ضئيلة ، تتمثل فى إلقاء بعض الدروس العادية فى علوم الدين أو اللغة بالجامع الأزهر وبعض المساجد الأخرى التى توجد بها المعاهد الدينية ، وتقرأ فيها الكتب القديمة ، ويشهدها الطلاب غير النظاميين ، ولا سيما الغرباء وبعض أفراد الجمهور ، وتعرف فى ظل النظام الجديد بالاقسام العامة .

والواقع أن الحلقات القديمة لم تكن إلا المدرج الجامعى الحديث ، وقد كانت تتفوق بلا ريب فى عناصرها الجامعية على فصول السكليات الأزهرية ، وكان خيراً لو أصلحت ونظمت على غرار الدراسات الجامعية العليا ، التى يتولاها أعلام الأستاذة ، وقد كان فى استبقائها على هذا النحو تخليداً لذكرى الحلقات الأزهرية التاريخية التى كانت أيام ازدهارها من محاسن الدهر وآلاء الأزهر ، وكانت فى كثير من الأحيان تجمع الصفوة من الأستاذة والمستمعين .

ولقد اضطرم الصراع مدى حين بين الثقافتين القديمة والحديثة ، وقد أحرز الجديد نصره النهائى على تراث القديم وأساليبه ، وتبوأَت الثقافة الحديثة فى مصر المسكان الأول ، وهى تؤكد هذا الظفر كل يوم بما تخرجه من جندها المستنير الطموح إلى الحياة العصرية ، بكل ما أوتى من المزايا المعنوية والمادية . على أن ذلك لا يعنى أن مهمة الأزهر قد انتهت ، أو أنها يجب أن تنتهى ، بل بالعكس من ذلك أن للأزهر مهمة جليلة ، يستطيع الاضطلاع بها إذا وفق إلى الوسائل والأساليب الصالحة لتأديتها . تلك المهمة هى العمل على دعم رسالة الاسلام ، ورسالة اللغة العربية والحضارة الاسلامية ، بأساليب مستنيرة .. وقد كان الأزهر معقلاً من معاقل هذه الرسالة طوال العصور الوسطى ، والعصر التركى ، وفى وسعه أن يكون معقلاً اليوم (١)

شيوخ الأزهر

الفصل الأول

مشيخة الأزهر وشيوخه

وظيفة خطيب الأزهر :

نقل المقرئى فى مواضع مختلفة، إشارات لبعض مؤرخى الدولة الفاطمية عن « خطيب الجامع الأزهر » . من ذلك ما نقله عن ابن الطوير فى تقديم خطيب الجامع الأزهر فى إلقاء الخطبة بين يدى الخليفة فى أيام الموالد الستة التى كانت تحتفل بها الخلافة الفاطمية ، وهى المولد النبوى ومولد امير المؤمنين على بن أبى طالب ومولد ولديه الحسن والحسين ، ومولد زوجه السيدة فاطمة الزهراء ، ومولد الخليفة القائم (١) .

وكذلك كان « خطيب الجامع الأزهر » يذكر فى وصف الاحتفال بليالى الوقود ، حيث يخطب أيضا بين يدى الخليفة فى هذه الليالى الاربع متقدما زملاءه من خطباء المساجد الاخرى (٢) . فالإشراف على الجامع الأزهر - كما يقول عنان - كان يجرى فى ظل الدولة الفاطمية على هذا النحو :
ما تعلق باصلاحه وعمارته والانفاق عليه يرجع أمره إلى الخلفاء أو من يختارونه لذلك من الامراء والوزراء .

وما يتعلق بشئون الصلاة يرجع إلى الخطيب وإلى عدد من الإمامة والقومة والمؤذنين ، والخطيب فى الواقع هو رئيس الجامع الدينى وهو الذى يتولى الخطابة فى الصلوات الجامعة ، والحفلات الدينية الرسمية بين يدى الخليفة أو نائبه ، ويدير شئون المسجد الدينية بوجه عام .

ويبدو أن وظيفة « خطيب » الجامع الأزهر لبثت تنمو فى الاهمية على مر الزمن تبعا لنمو أهمية الأزهر نفسه ، فهى فى أواخر الدولة الفاطمية تسند إلى رجال

(١) الخطط ج ٤ ص ٧٦ .

(٢) صبح الاعشى ج ٣ ص ٥٠٢ .

من أصحاب المناصب الدينية الرفيعة مثل داعي الدعاة ، فقد ذكر ابن ميسر في أخبار سنة ٥١٧ هـ أنه قد أسند إلى داعي الدعاة أبي الفخر صالح ، منصب الخطابة بالجامع الأزهر ، مع خزانة الكتب (١) .

أما إدارة المسجد الداخلية من فرش وتنظيم وتجميل فترجع إلى المشرف ومعاونيه من العمال والخدم

وأما ما يتعلق بشئون الدراسة والاساتذة والطلاب والنفقة عليهم ، فقد رأينا أنه يرجع إلى الخلفاء وإلى ذوى البر من أكابر رجال الدولة ، وقد كان العزيز بالله ووزير ابن كلثوم أول من رتب النفقة الدائمة للقراء والاساتذة بالأزهر ، وحذا حذوهما في ذلك الخلفاء والأمراء والكبراء ، في مختلف الدول والعصور .

وهذا النظام في الإشراف على الجامع الأزهر ربما لبث متبعاً في جوهرة بعد الدولة الفاطمية ، فثلاً نرى في أواخر القرن الثامن ، في عهد الملك الظاهر برفوق ، ولاية النظر على الجامع الأزهر ، تسند في سنة ٧٨٤ هـ إلى الطواشي بهادر مقدم المالك السلطانية ، وفي أثناء ولايته صدر مرسوم ملكي يقضى بأن من توفي من مجاوري الجامع دون وارث شرعي ، وخلف تركه ، فإنها تؤول إلى زملائه المجاورين ، وفي سنة ٨١٨ هـ في عهد السلطان المؤيد ولي نظر الجامع الأمير سودوب القاضي حاجب الحجاب . فكان بما قرره منع المبيت بالجامع الأزهر ، وأخرج المجاورين الذين اعتادوا السكنى فيه (٢) . وبعد ذلك بقليل في زمن السلطان المؤيد أيضاً ولي نظر الجامع شمس الدين محمد المساحوري ، أحد تجار الكارم والجوهر ، وكان من أصدقاء المؤيد . وذلك بطريق النيابة عن له النظر على الجامع (ولعله الأمير سودوب أيضاً) ، فاستعمل القسوة في تنظيم شئونه الداخلية ، وكان يطوف ومعه عصا لردع المخالفين ، وقاسى الطلاب منه شدة (٣) . . على أن ولاية هؤلاء الكبراء النظر على الجامع كانت تقتصر على الناحية الإدارية مما يتعلق باصلاحه وتعميره والاتفاق عليه ، وتعيين الموظفين اللازمين لادارته .

أما شئون العبادات فقد كانت دائماً من اختصاص خطيب الجامع وإمامه . وقد كان يلي خطابة الجامع الأزهر في العصور المتأخرة والعصور المتقدمة أكابر

(١) أخبار مصر لابن ميسر ٤٦ .

(٢) المقرئ في الخطط ج ٤ ص ٥٤ .

(٣) التبر المسبوك ص ١٩٨ .

القضاة والعلماء ، فترى بين خطباء الجامع الأزهر في أواخر القرن السابع الهجري قاضى القضاة تقي الدين أبا القاسم ابن قاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز (١) ، وفى أوائل القرن التاسع قاضى القضاة الحافظ ابن حجر العسقلاني (٢) .. وكان يوجد دائماً إلى جانب منصب الخطيب منصب الامام يشغله أيضاً بعض العلماء الاعلام ، وصاحبه يلى الخطيب فى الاهمية ، ويعاونه فى القيام بشئون العبادات . وثمة منصب هام آخر هو منصب « الواعظ » يليه أيضاً جماعة من أكابر العلماء ، وقد لبثت هذه المناصب الثلاثة قائمة خلال العصر التركي . وكان من مشاهير العلماء الذين تولوا إمامة الجامع الأزهر فى العصور المتأخرة الفخر البليسى الضرير أستاذ القراءات ، تولاها فى أواخر القرن التاسع الهجرى (٣) ، والشيخ رضوان المتوفى سنة ١١١٥ (٤) .. ومن الذين تولوا منصب الوعظ الشيخ شهاب الدين بن عبد الحق السنباعلى المتوفى سنة ٩٥٠ هـ ، والشيخ شمس الدين الصفدى المقدسى المتوفى فى حدود التسعين وتسعمائة (٥) وأما شئون الدراسة فكان المرجع فيها على الأغلب إلى السلطان ووزرائه . وقد كانت مناصب التدريس فى الأزهر وما إليه من المدارس الكبيرة يومئذ من المناصب الدينية الهامة ، فلا يعين فيها سوى أكابر الأساتذة والعلماء ، بيد أنه كان للواقفين والواهبيين بلا ريب رأى فى تعيين أنواع العلوم التى يخصصونها بهياتهم ، وفى اختيار الأساتذة الذين يتولون تدريسها .

منصب مشيخة الأزهر :

ولإذا كان من المستطاع أن يتتبع الباحث بعض النصوص والاشارات التى تلقى ضوءاً على نظم الإشراف على الجامع الأزهر فى العصر الفاطمى وفى عصور السلاطين ، فإننا لا ننظر بعد ذلك برواية أو نصوص شافية توضح لنا كيف تطورت النظم إلى نظام المشيخة الحالى . ومن المعروف الذائع أن نظام المشيخة الحالى إنما هو نظام حديث يرجع على الأكثر إلى نحو قرنين ونصف . وأنه طبق لأول مرة

(١) النجوم الزهراء ج ٨ ص ٨٢

(٢) التبر المسبوك ص ٢٣١

(٣) التبر المسبوك ص ٣٢ ، ٧٧ ، ٢٣٩ .

(٤) الجبرقى - عجائب الآثار ج ١ ص ٧٢ .

(٥) السكواكب السائرة فى أعيان المسائة العاشرة — مخطوط فى دار الكتب

في أواخر القرن الحادى عشر الهجرى ، حينما أسندت مشيخة الجامع الأزهر إلى الشيخ محمد عبد الخرشى المالكي المتوفى في شهر ذى الحجة سنة ١١٠١ هـ (١٦٩٠ م) ، وخلفه في المشيخة الشيخ محمد الشرقى المالكي . ولما توفى هذا الشيخ سنة ١١٢٠ هـ (١٧٠٨ م) ، وقعت بالأزهر بسبب المشيخة والتدريس فتنة شديدة ، وانقسم المجاورون - الطلاب - فرقتين : ترشح إحداهما الشيخ أحمد النفراوى وترشح الأخرى الشيخ عبد الباقي القلبنى وكلاهما من المالكية . ووقعت بين الفريقين معارك قتل وجرح فيها كثيرون . وانتهى الأمر باستقرار الشيخ القلبنى في المشيخة والتدريس .

والظاهر أن نظام مشيخة الجامع الأزهر يمت بصلة إلى هذا المنهج في نظام الوظائف الدينية الرئيسية . وقد يرجع التفكير فيه وفي قيامه إلى منتصف القرن العاشر الهجرى . ذلك أن ولاية الأمر العثمانيين كانوا يعلقون على الوظائف الدينية أهمية خاصة ، وكان الجامع الأزهر يحتل يومئذ بين المساجد والمعاهد الإسلامية مركز الصدارة ، ويزخر دائما بجمهرة كبيرة من العلماء المصريين وإخوانهم من سائر أنحاء العالم الإسلامى ، هم صفوة الأئمة والأساتذة في ذلك العصر ، ومن المعقول أن تكون رئاسة للجامع الأزهر ذات أهمية خاصة في نظر ولاية الأمور . وإذا كان الجبرقى لم يذكر شيخا للأزهر قبل الشيخ الخرشى المتوفى سنة ١١٠١ هـ ، فإنه من جهة أخرى لم يقل بصفة قاطعة إنه كان أول من ولى المشيخة . ومع أنه لم يصتر كذلك فيما أتبع من المراجع على نصوص قاطعة تلقى ضوءا واضحا على أصل مشيخة الأزهر والوقت الذى بدأ فيه تطبيق هذا النظام . فإنه توجد مع ذلك قرائن عديدة ، تدل على أنه يرجع إلى ما قبل أواخر القرن الحادى عشر بكثير

ومن ذلك ما رواه صاحب كتاب « ذخيرة الأعلام » ، (١) في حديثه عن واقعة الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الحق السنباطى مع داود باشا الذى تولى ولاية مصر سنة ٩٤٥ هـ (١٥٣٨ م) ، فقد ذكر أنه حدث في شهر شعبان سنة ٩٥٠ هـ أن الشيخ ابن عبد الحق قال يوما لداود باشا وهو فى موكبه : إنه رقيق لا يجوز له أن

(١) هو كتاب « ذخيرة الأعلام » بتواريخ الخلفاء العلماء ، وأمراء مصر الحكام ، وقضاة قضائها فى الأحكام ، - مؤلفه الشيخ أحمد بن سعد الدين العثمانى العمرى من علماء أوائل القرن الحادى عشر الهجرى ، وهو مكتوب كله بالنظم (مخطوط بدار الكتب رقم ١٠٤ تاريخ) .

يثولى الأحكام ، وإن أحكامه باطلة ما لم يحصل على عتقه .. ثم يقول فى قصيدته التى يروى فيها تفاصيل هذه الواقعة :

لما صفى الباشا للكلام هم بضرب الشيخ بالحسام
قال له الجند فدع جندب الحسام فان هذا شيخ الاسلام الامام
وانحاز الجند للشيخ ، فأرسل الياشا نبأ هذه الواقعة إلى السلطان فأنعم عليه
بعتقه مع تبليغ الشكر إلى الشيخ . وسعى الباشا بعد ذلك إلى الشيخ واسترضاه
وقبل رجله ، ولم يقبل الشيخ منه مالا ولا هدية ، ولكنه أصبح من ذلك الحين
لا يرد للشيخ رأيا ولا شفاعا (١) .

والهمم فى هذه الرواية هونعت الشيخ ابن عبدالحق ، بشيخ الاسلام الامام ،
فانا نعرف أن لقب شيخ الاسلام كان يطلق قبل الفتح العثمانى على «قاضى القضاة»
الشافعى ، وقد كان آخر من لقب بهذا اللقب من المصريين قاضى القضاة شهاب الدين
أحمد بن عبد العزيز بن على المتوفى سنة ٩٤٩ هـ (٢) ، فلما ألغى الترك نظام القضاء
المصرى ، وأقاموا فى رئاسة القضاء قاضيا تركيا ، كان هذا اللقب يطلق فيما بعد
على أكابر العلماء الذين يصلون إلى مرتبة الزعامة العلمية أو على شيوخ الجامع الأزهر
والاغلب أن يطلق على هؤلاء الشيوخ .

فهل كان ابن عبد الحق شيئا للجامع الأزهر ؟ لقد جاء فى ترجمته أنه كان
واعظا بالجامع الأزهر . وقال معاصره الامام الشعرانى عنه ما يأتى : « لم نر أحدا
من الوعاظ أقبل عليه الخلائق مثله . كان إذا نزل من فوق الكرسي ، يقتل الناس
عليه ، وكان متفنتا فى العلوم الشرعية ، وله الباع الطويل فى معرفة مذاهب المجتهدين .
وكان من رؤوس أهل السنة والجماعة ، وكان قد اشتهر فى أقطار الأرض كالشام
والحجاز واليمن والروم ، وصاروا يضربون به المثل ، وأذعن له علماء مصر الخاص
منهم والعام ، ثم قال : « ولما مات اظلمت مصر لموته وانهدم ركن عظيم من الدين ،
وكانت وفاة ابن الحق ، حسبا ذكر صاحب الكواكب السائرة فى أواخر

(١) هذه القصيدة بأكملها فى المخطوط المشار إليه ورقة ١٥٠ و ١٥١ تحت
عنوان (واقعة ابن عبد الحق مع داود باشا) .

(٢) الكواكب السائرة فى أعيان المائة العاشرة (المخطوط) ج ٢

صفر سنة ٩٥٠ هـ (١)

لا يميل المؤرخون إلى القطع بأن عبد الحق كان شيخاً للجامع الأزهر .
ونستطيع القول بأنه يوجد ثمة في ترجمته وفيما نعت به صاحب الذخيرة ما يحمل
على الظن بأنه كانت له صفة الرياسة بالأزهر من مشيخة أو غيرها (٢) .

ومن ذلك ما رواه فون همار مؤرخ الدولة العثمانية في تاريخه عما حدث بمصر
من الاضطرابات في سنة ١٠٦٧ هـ (١٦٥٨ م) في عهد الوالي محمد باشا المعروف
بشاه سور زاده (ونقله سامى باشا في كتابه) إذ يقول : « مجرد هذا الوالى حملة
ضد كاشف الهنسى محمد بك فقتل هذا الأمير وجيء برأسه إلى القاهرة . وقد قتل
غيره من الأمراء ، وأدت زيادة الاضطرابات إلى أن عقد مجلس كان فيه القاضى وشيخ
الجامع الأزهر وغيرهما ، فقرر فيه الفتوى بضرورة محاربتهم لاستمرار مخالفتهم
الأوامر السلطانية ، فجرد عليهم وحاربهم » (٣) .

وهنا - نجد أنفسنا كما يقول عنان - أمام ذكر صريح « لشيخ الجامع الأزهر » ،
وإن كنا لا نعرف من هو هذا الشيخ ، وذكره يحىء في مناسبة تتقدم التاريخ الذى
الذى اصطلح على رد المشيخة اليه بنحو أربعين عاماً . ومن ذلك ما أورده الجبرقى في
ترجمة العلامة إبراهيم بن محمد ابن شهاب الدين بن خالد البرماوى المتوفى سنة ١١٠٦
هـ ، فقد ذكر صراحة أنه كان شيخاً للجامع الأزهر (٤) ، فمضى كان ذلك ، لا ريب
أنه تولى المشيخة قبل أن يتولاها الشيخ الخرشى في أواخر القرن الحادى عشر ، وقد

(١) راجع السكواكب السائرة (المخطوط المشار إليه) ج ٢ ص ١٧٩ ، ويلاحظ - كما
قال عنان - أنه توجد مفارقة بين تاريخ الوفاة في هذه الترجمة وبين واقعة ابن عبد الحق
مع داود باشا إذ قال صاحب الذخيرة إنها وقعت في شعبان سنة ٩٥٠ هـ أى بعد تاريخ
الوفاة ، فلا بد أنها وقعت قبل ذلك ، أو تكون الوفاة وقعت بعدها .

(٢) ذهب المغفور له أمين سامى فيما أورده عن واقعة ابن عبد الحق وداود
باشا نقلاً عن صاحب الذخيرة إلى أبعد من ذلك ، حيث وصف ابن عبد الحق بأنه
« شيخ الجامع ، أى الجامع الأزهر » (راجع كتاب تقويم النيل ج ٢ ص ١٩) .

(٣) كتاب تقويم النيل ج ٢ ص ٥٩

(٤) عجائب الآثار ج ١ ص ٧٠ .

توفي الشيخ الخرشي كما تقدم في سنة ١١٠١ هـ وتولى المشيخة من بعده الشيخ النشري المتوفى سنة ١١٢٠ هـ ، فربما كان البرماوى المتوفى سنة ١١٠٦ هـ قد تولى المشيخة قبلهما ، أى في أواخر القرن الحادى عشر حوالى سنة ١٠٨٠ إلى سنة ١٠٩٠ هـ .

فشيخة الأزهر إذا ترجع إلى أواخر القرن الحادى عشر فقط ، والشيخ الخرشي كان أول من تولاهما غالبا .

والمرجح أن هذا النظام يرجع إلى أواسط القرن العاشر ، وأنه يمت كما قدمنا بصلة إلى التغييرات التى أحدثها الترك العثمانيون فى الوظائف الدينية الكبرى ، وقد كان لشيخ الجامع الأزهر وعلماؤه نفوذ خاص يعتمد عليه ولالة الأمر كلها اقتضت الظروف والحوادث . وقد بلغ هذا النفوذ فيما بعد مبلغ الرياسة والزعامة فى أواخر القرن الثالث عشر ، ولاسيما وقت مقدم الحملة الفرنسية ، حيث كان لأكابر الشيوخ رأى بارز فى معظم الحوادث والشئون الداخلية ، وكانوا يعتبرون دائما ممثلى الأمة ، وكان منهم أعضاء الديوان الذى ألفه الفرنسيون لحكم مدينة القاهرة . وكان لهم نفوذ يتركز فى سير الحوادث فى ذلك الحين .

ومن المعروف أن العصر التركى هو أكثر العصور فى تاريخ مصر الإسلامية غموضاً واضطراباً ، وأقلها وثائق ومراجع ، لما حدث فيه من اضطلال الحركة الأدبية . وفقر المصنف عن التأليف ، وانصراف المؤرخين عن تناول الشئون العامة والأمور النافعة ، إلى ملق الحكام وتدوين سيرهم الشخصية .

فلم يكن للأزهر إذن شيخ من قبل عهدهم يتولى رياسته الدينية . ويدبر شئونه الإدارية . بل كان يتولاه الولاية العامة سلاطين مصر وأمراؤها ، كباقي المساجد الجامعة بالديار المصرية . ويباشر شئونه الداخلية مشايخ المذاهب الأربعة وشيوخ الأروقة يعاونهم خطيب المسجد ، والمشرف ومعاونوه من العمال والخدم . . . وبقي هذا النظام متبعاً فى الجامع الأزهر غالباً مدة حكم الفاطميين والأيوبيين والمماليك الأولى (البحرية) ، وفى عهد سلطنة الملك الظاهر بركات ، أول سلاطين المماليك الثانية (البرجية) عين للأزهر : « ناظر » سنة ٧٨٤ هـ (١٣٨٢) ، وكان « ناظر الأزهر » يختار من بين كبار موظفى الدولة ، وكان هذا « الناظر » هو الأمير « بهادر » الطواشى كبير المماليك السلطانية ، وكان « ناظر الجامع الأزهر » ينوب عن سلطان مصر ، أو حاكمها ، فى الإشراف على شئون الأزهر ، والقيام على تنفيذ الأوامر والأحكام (١٠ - الأزهر)

السلطانية ، والسهر على رعاية مصالح الجامع الأزهر ، ومصالح أهله من علماء وطلاب . وقد عرف من « نظار » هذا العهد المملوكي أيضاً الأمير « سودوب » القاضي وحاجب الحجاب ، ولى « نظارة الجامع الأزهر » سنة ٨١٨ هـ (١٤١٥ م) . . ولما استولى الاتراك العثمانيون على مصر سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) ساروا على نهج من سبقهم من سلاطين مصر وأمرائها ، لحافظوا على الأوضاع المرعية فى الأزهر ، واهتموا برعاية شئونه ، والسهر على مصالح أهله ، واقتدى الولاة العثمانيون بسلاطين آل عثمان فعرفوا لهذا المعهد العلمى الدينى الاسلامى حقّه من الرعاية والتقدير ، وجددوا به كل دارس ، وزادوا فى عمارته ، ووسعوا من رقعته ، وأوقف الامراء ، والولاة وكبار رجال الدولة والاعيان ، الكثير من الاموال والاملاك ، والعقارات على علمائه وطلبته ، فاستعنت إدارته ، وتشعبت مصالح أهله ، وأصبحت الحاجة ماسة إلى وجود شخص يتفرغ للإشراف على شئون هذا المعهد الدينية والادارية معا ، ويكون رئيساً لشيوخ المذاهب والاروقة ، وسائر علماء الأزهر وطلابه ، ومستولاً مباشرة أمام الولاة والسلاطين ، وحلقة اتصال بين الحكومة وأقسام الأزهر المختلفة ، فاستحسنّت « الدولة العلية » قبيل نهاية القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) أن يعين للأزهر : « شيخ عموم » يدير شئونه ، ويراقب أموره من تعاليم وغيرها ، ويلقب : « بشيخ الجامع الأزهر » .

ومنذ العهد التركى العثمانى والجامع الأزهر يحتفظ بهذه الوظيفة ، التى تطورت مظاهرها ، واتسعت اختصاصاتها على حسب تطورات الزمن ، ومقتضيات الظروف والاحوال ، حتى آلت إلى ماهى عليه الآن .

واليوم يختار « شيخ الجامع الأزهر » من بين جماعة كبار العلماء ، ممن تتوافر فيهم الشروط الآتية : أن تكون سنه خمساً وأربعين سنة على الأقل ، وأن يكون معروفًا بالورع والتقوى فى ماضيه وحاضره ، وحائزاً لشهادة العالمية منذ خمس عشر سنة على الأقل ، وأن يكون قد اشتغل بالتدريس مدة خمس سنوات على الأقل فى إحدى كليات الجامع الأزهر ، أو بالقسم العالى المقرر بالقانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ م ، أو يكون قد شغل منصب مفتى الديار المصرية ، أو كان عضواً بالمحكمة العليا الشرعية . ويعين « شيخ الجامع الأزهر » بأمر جمهورى ، ويصير من يعين شيوخاً للجامع الأزهر من غير جماعة كبار العلماء عضواً فى هذه الجماعة بحكم القانون .

شيوخ الأزهر :

وقد تولى مشيخة الأزهر كثير من الأئمة الأعلام ، وهم :

١ - الشيخ الخرشي المالكي - وترجمته في تاريخ الجبرتي الجزء الأول ص ٦٥ - وقد توفي الخرشي سنة ١١٠١ هـ (١) .

ويعد أول من تولى مشيخة الأزهر ، وهو الشريف الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخرشي المالكي ، والخرشي نسبة لبلدة يقال لها أبو خراش من البحيرة بالديار المصرية ، انتهت إليه الرياسة في مصر حتى لم يبق بها في آخر عمره إلا طلبته ، وكان متواضعاً عفيفاً واسع الخلق كثير الأدب والحياء كريم النفس حلو الكلام كثير الشفاعات عند الأمراء مهيب المنظر دائم الطهارة كثير الصمت كثير الصيام والقيام زاهداً ورعاً متقشفاً في مأكله وملبسه ومفرشه ، وكان لا يصلّي الصبح صيفاً وشتاء إلا بالجامع الأزهر ، وكان يقضى مصالحه من السوق بيده ومصالح بيته في منزله ، يتعم بشملة صوف بيضاء ، وكانت ثيابه قصيرة على السنة المحمدية واشتهر في بلاد الأرض من بلاد المغرب والتكرور والشام والحجاز والروم واليمن ، وكان يغير من كتبه من خزانة الوقف بيده لكل طالب مع السهولة إيثارة لوجه الله تعالى ، ولا يمل في درسه من سؤال سائل ، وكان أكثر قرأته بالأقبانية ، وكان له في منزله خلوة للعبادة ، ومن مشايخه : على الاجهوري وإبراهيم اللقاني ، ووالده الشيخ عبد الله الخرشي ، ومات في ٢٧ ذي الحجة ١١٠١ هـ ودفن مع والده بقرب مدفن سيدي محمد البنو قري بواسطة قراة المجاورين . وله شرحين على متن خليل ، وكتاب في الكلام وهو أول شيخ تولى مشيخة الأزهر الشريف ، وكان في العلم غاية لاتئال . . ويقول الشيخ منصور رجب من مقال نشره عنه في مجلة الأزهر :

أول شيخ تولى مشيخة الأزهر هو الشيخ محمد عبد الله على الخرشي المالكي المتوفى سنة ١١٠١ هـ نسبه إلى قرية من قرى مديرية البحيرة اسمها « أبو خراش » . وهذه القرية يقول عنها المرحوم على مبارك باشا في خطه (٢) : « إنها بقسم شبراخيت واقعة في بحرى الكوكبة بنحو ستمائة متر ، وفي قبلى « محلة نابت » بنحو ثمانمائة متر ، وأبنيتهما باللبن ، وبها جامع ضريح لولى عليه قبة ، وفي مشرقها ضريح سيدي عطية ، وبها إبعادية لمنصور باشا يكن ، وفيها - لعمدتها محمد عمر - دوار ومضيغة وزراعة متسعة نحو ألف فدان ، وبها بستان نضر ، وأكثر أهلها مسلمون » .

والشيخ الخرشي هذا ترجمه الشيخ على الصعدي العدوي في حاشيته على شرحه الصغير لمن خليل ، فقال : « هو العلامة الامام ، والقُدوة الهام ، شيخ المالكية شرقا وغربا ، قدوة السالكين عجا وعربا ، مربى المريدين ، كهف السالكين ، سيدى أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن على الخرشي ، ونسب عصبته بأولاد صباح الخير ، انتهت اليه الرياسة في مصر حتى لم يبق بها في آخر عمره إلا طلبته وطلبة طلبته ، وكان متواضعا عفيفا ، واسع الخلق ، كثير الأدب والحياء ، كريم النفس ، جميل المعاشرة ، حلو الكلام ، كثير الشفاعات عند الأمراء وغيرهم ، مهيب المنظر ، دائم الطهارة ، كثير الصمت ، كثير الصيام والقيام ، زاهد ورعا ، متقشفا في مأكله وملبسه ومفرشه ولا يصلي الصبح صيفا ولا شتاء إلا بالجامع الأزهر ، ويقضى بعض مصالحه من السوق بيده ومصالح بيته في منزله . ويقول من عاشره : ماضبطنا عليه ساعة هو فيها غافل عن مصالح دينه أو دنياه ، وكان إذا دخل منزله يتعمم بشملة صوف بيضاء ، وكانت ثيابه قصيرة على السنة المحمدية ، واشتهر في أقطار الأرض ، كبلاد الغرب والشام والحجاز والروم واليمن ، وكان يغير من كتبه من خزانة الوقف بيده لكل طالب ، مع السهولة إثارة وجه الله تعالى ، ولا يمل في درسه من سؤال سائل ، لازم القراءة سيما بعد شيخه البرهان اللقاني وأبي الضياء على الجمهورى . وكان أكثر قراءته بمدرسة الاقباضية . وكان يقسم متن خليل لصفين : نصف يقرؤه بعد الظهر عند المنبر كتلاوة القرآن ، ويقرأ النصف لثاني في اليوم الثاني ، وكان له في منزله خلوة يتعبد فيها ، وكانت الهدايا والندور تأتيه من أقصى بلاد الغرب وغيرها فلا يمك منها شيئا ، بل أقاربه ومعارفه يتصرفون فيها .

أخذ العلوم عن عدة من العلماء الأعلام كالعلامة الشيخ على الجمهورى ، وخاتمة المحدثين الشيخ إبراهيم اللقاني ، والشيخ يوسف القيشى والشيخ عبد المعطى البصير ، والشيخ يسى الشامى ، ووالده الشيخ عبد الله الخرشي ، وتخرج عليه جماعة حتى وصل ملازموه نحو مائة ، منهم العارف بالله الشيخ أحمد اللقاني ، والشيخ محمد الزرقاني ، والشيخ على اللقاني ، والشيخ شمس الدين اللقاني ، والشيخ داود اللقاني ، والشيخ محمد النفراوى ، وأخوه الشيخ أحمد ، والشيخ الشبراخيتى ، والشيخ أحمد الفيومى ، والشيخ إبراهيم الفيومى ، والشيخ أحمد الشرفى ، والشيخ عبد الباقي القلبنى والشيخ على المجدولى . ولما توفى في صبيحة يوم الأحد السابع والعشرين من شهر ذى الحجة سنة ١١٠١ دفن مع والده بقرب مدفن الشيخ العارف بالله سيد محمد البنوقرى

بوسط تربة المجاورين .
يقول : وقبره مشهور ، وما رأيت في عمرى أكثر خلقاً من جنازته إلا جنازة
الشيخ سلطان المزاحى ، والشيخ محمد البابلي .
وله مؤلفات ، منها شرحه الكبير على متن خليل ثمانية أجزاء ، وشرحه الصغير
على خليل أيضاً أربعة أجزاء ، وله جزء في الكلام على البسملة نحو أربعين كراسة ،
وغير ذلك .

هذا هو الشيخ محمد الخرشي أول شيخ من أبناء الأزهر تولى هذه الرئاسة
الدينية العامة . ولقد كانت مصر أول ما عرفت من مذاهب الفقهاء عرفت
مذهب مالك ، فلقد دخلها به عبد الرحيم بن خالد بن يزيد بن يحيى مولى جمع
وتوفي بالاسكندرية سنة ١٦٣ ، في أيام الليث بن سعد ، واشتهر بمصر هذا المذهب ،
ولم يزل مشتهراً حتى قدم محمد بن إدريس الشافعى فى سنة ١٩٨ . أما مذهب أبى
حنيفة فلم يكن أهل مصر يعرفونه كما يعرفون مذهب مالك والشافعى . والحنابلة
لم يسمع عنهم بمصر إلا فى القرن السابع .

وكان التفاف الناس فى ذلك العصر حول مذهب مالك والشافعى أكثر من
التفافهم حول مذهب أبى حنيفة ، حتى إن مدرسة محمد بك أبى الذهب قبيل عصر
الشيخ الخرشى بقليل لما وظف بها المدرسون وكانوا ستة عشر مدرسا ، كان منهم
سبعة من شيوخ الشافعية وستة من شيوخ المالكية ، وثلاثة من شيوخ الحنفية .
وكان الإقواء فى ذلك الوقت لا يقتصر على مذهب بعينه ، بل كان لكل مذهب
مفت . وكان المفتون يجلسون بعد دروسهم لإفادة الناس ، فكان بجامع محمد بك ثلاثة
أما كن برسم جلوس ثلاثة من المشايخ المفتين ، وكان منهم الشيخ أحمد الدردير مفتى
المالكية ، والشيخ عبد الرحمن العريشى مفتى الحنفية ، والشيخ الكفرأوى مفتى الشافعية .
وكان الأزهر يتولى شؤنه فى أول عهده رجل يسمى مشرف . وفى عهد المماليك
كان يتولى أمره رجل من كبار الموظفين يسمى ناظراً ، منهم الأمير الطواشى يهادر
المقدم على المالك السلطانية ، ولّى نظره فى سنة ٨٧٤ هـ وهو الذى أنجز مرسوم
السلطان الملك الظاهر بقوق الخاص يجعل أبناء الأزهر أسرة واحدة يرث بعضهم
بعضاً إذا مات أحدهم ولم يكن له وارث شرعى . ومنهم الأمير سودوب القاضى
حاجب الحجاب ، ولّى نظره سنة ٨١٨ . أما تلك الرئاسة الدينية العلمية فعرفها
الأزهر فى العهد التركى بلقب « شيخ الأزهر » . ولقد توالى على هذه الرئاسة منذ
إنشائها حتى الآن أربعون شيخاً ، وأولهم الشيخ الخرشى هذا .

٢ - وتقلدها على الأرجح بعده الشيخ إبراهيم بن محمد البرماوى الشافعى وبقي فيها إلى أن توفي سنة ١١٠٦ هـ .

٣ - الشيخ محمد النشردى المالكى وقد توفي عام ١١٢٠ هـ (١) وهو ثالث شيخ للأزهر

٤ - وخلفه الشيخ عبد الباقي القلبنى المالكى فى المشيخة والتدريس (٢) ، ولما مات تقلدها بعده الشيخ محمد شبن .

٥ - الشيخ العلامة شيخ الجامع الأزهر الشيخ محمد شبن المالكى . . توفي سنة ١١٣٣ هـ عن سبع وسبعين سنة (٣) .

٦ - الشيخ إبراهيم بن موسى الفيومى المالكى شيخ الجامع الأزهر . . تفقه على الشيخ محمد بن عبد الله الخرشى ، قرأ عليه الرسالة وشرحها ، وكان معيدا له فيهما . وتلبس بالمشيخة بعد موت الشيخ محمد شبن ، ومولده سنة ١٠٦٢ . . وأخذ عن الشبرا ملى والزرقانى والشهاب أحمد البشيدى وغيرهم كالشيخ الغرقاوى وعلى الجزايرلى الحنفى . وأخذ الحديث عن يحيى الشاوى وعبد الرحمن الأجهورى والشيخ إبراهيم البرماوى ، وله شرح على العزىة فى مجلدين ...

توفى سنة سبع وثلاثين ومائة وألف عن خمس وسبعين سنة (٤) .

٧ - ولما مات الشيخ الفيومى المالكى شيخ الجامع الأزهر عام ١١٣٧ هـ ، انتقلت المشيخة إلى الشافعية ، فتولاها الشيخ عبد الله الشبراوى . ويتحدث الجبرقى عن جاهه ومكانته ويذكر أسماء بعض شيوخه ، ومنهم : الشيخ خليل اللقانى ، والشهاب الخلبى ، ومحمد ابن عبد الباقي الزرقانى ، وأحمد النفرأوى ، والشيخ منصور المنوفى ، وصالح الحنبلى ، وسواهم (٥) .

وكان طلبة العلم فى أيام مشيخته فى غاية الأدب والاحترام .

ومن آثاره : مفاتيح اللطاف فى مدائح الأشراف ، وشرح الصدر فى غزوة

بدر (١) وتوفى سنة ١١٧١ هـ ، عن ثمانين سنة ، وصلى عليه بالأزهر (٥) .

وصار لأهل العلم فى مدته رفعة ومقام ومهابة عند الخاص والعام ، ولم يزل يلى ويدرس ويفيد ، وعد إماما عظيما . وكان مقبول الشفاعة ، وهاداه الأمراء ،

(١) ٢٠٨ ج ١ الجبرقى (٢) ٢٠٩ ج ٢ الجبرقى

(٣) ٧٣ ج ١ تاريخ الجبرقى طبعة ١٢٩٧ هـ

(٤) ٨٧ ج ١ الجبرقى

(٥) ٢٠٩ ج ١ الجبرقى

وعمر داراً عظيمة على بركة الازبكية بالقرب من الرويعي . ومن آثاره « شرح الصدر في غزوة بدر » ، و « مفاتيح الاطاف في مدائح الاشراف » .
وهو ديوان يحتوي على غزليات وأشعار ومقاطع ، وقد ذهب الجبرتي وغيره إلى أن مفاتيح الاطاف هذا كتاب غير الديوان ، وليس كذلك فانه يقول نفسه في مقدمه الديوان « وسميته مفاتيح الاطاف . . . » وهو القائل (١) لهذه القصيدة العذبة التي تسيل عذوبة ورقة المشهورة على ألسنة بعض المغنين :

بحقك أنت المنى والطلب وأنت المراد وأنت الأرب
ولى فيك يا هاجرى صبرة تحير فى وصفها كل صب
أبيت أسامر نجم السما إذا لاح لى فى الدجى أو غرب
وأعرض عن عاذلى فى هواك إذا نم يامنيتى أو عتب
أمولاي بالله رفقا بمن إليك بذل الغرام انتسب
فانى حبيبك من ذى الجفا ويا سيدى أنت أهل الحسب
ويا هاجرى بعد ذاك الرضا بحقك قل لى : لهذا سبب ؟
فانى محب كما قد عهدت ولكن حبك شئ عجب
متى يا جميل المحيا أرى رضاك وينهب هذا الغضب ؟
أشاع العذول بأنى سلوت وحقك ياسيدى قد كذب
ومثلك ما ينبغى أن يصد ويهجر صبا له قد أحب
أشاهد فيك الجمال البديع فياخذنى عند ذاك الطرب
ويعجبنى منك حسن القوام ولين الكلام وفرط الأدب
وحسبك أنك أنت المليح الكريم الجدود العريق النسب
أما والذى زان منك الجبين وأودع فى اللحظ بنت العنب
وأنت فى الخدر روض الجمال ولكن سقاء بماء اللهب
لئن جدت أو جرت أنت المراد وما لى سواك مليح يحب

٨ - الشيخ محمد بن سالم الحنفى الشافعى الخلقى الحسينى (١١٠٠ - ١١٨١هـ)
ولد فى حنفنا قرب بلبيس ، وقرأ بها القرآن إلى الشعراء . . ثم أكمله فى القاهرة
ثم اشتغل بحفظ المتون ، وأخذ العلم عن علماء عصره ، وأجازوه بالافتاء والتدريس ،
فدرس الكتب الدقيقة كالاشمونى وجمع الجوامع والمنهج وتختصر السعد ، وشهد له

معارضوه بالتقدم في العلوم . . وكان يتردد على زاوية سيدى شاهين الخلوقي بسفح الجبل متحنثا . . واشتغل بعلم العروض حتى برع فيه ، وعانى النظم والنثر ، وتخرج عليه غالب أهل عصره .

ومن تأليفه : حاشية على شرح رسالة العضد على السعد ، وعلى الشنشورى فى الفرائض ، وعلى شرح الهمزية لابن حجر ، وعلى مختصر السعد ، وعلى شرح السمرقندى للياسمينية فى الجبر والمقابلة .

وهو صاحب . . أحدثك حدوتة ، بالزيت ملتوتة ، حلفت ما آكلها ، حتى يجى تاجرها النخ .

وتوفى عام ١١٨١هـ (١) .

وكان قطبا وعلما شهيرا ، وأوحد أهل زمانه علما وعملا ، وهو الامام محمد بن سالم الحفناوى الشافعى الخلوقي ولد بحفنة قرية من قسم بلبليس من مديرية الشرقية بالقطر المصرى على رأس المائة الحادية عشرة وهو شريف حسبنى من جهة أم أبيه نشأ بالقرية المذكورة وحفظ بها من القرآن إلى سورة الشعراء وألزمه أبوه بالمجاورة بالأزهر فكمل حفظ القرآن ، ثم قدم مصر وحفظ المتون واجتهد فى تحصيل العلوم وأخذ من علماء عصره حتى مهر ، وأفاد حياة أشياخه وأجازوه بالافتاء والتدريس فدرس الكتب الدقيقة من غالب الفنون وكان فى ضيق من العيش فاشتغل بنسخ الكتب ، ثم من الله عليه بكرامات فترك النسخ فأقبلت عليه الدنيا وكان يتردد إلى زاوية الشيخ جاهين الخلوقي فى سفح الجبل ، وكان يمكث فيها الليالى متحنثا أى متعبدا وتخرج من درسه غالب علماء عصره ، وله مؤلفات كثيرة منها حاشية على شرح العضد للسعد وحاشية على الشنشورى فى الفرائض وحاشية على مختصر السعد وحاشية على شرح السمرقندى للياسمينية فى الجبر والمقابلة وحاشية على شرح العزى للجامع الصغير . . وكان كريم الطبع جدا وليس للدنيا عنده قدر .

٩ — الامام العلامة الفقيه شيخ الاسلام الشيخ عبد الرؤوف بن محمد السجيني الشافعى الأزهرى شيخ الأزهر . . تولى مشيخة الأزهر بعد الحفنى إلا أنه لم تطل مدته . . وتوفى سنة ١١٨٢هـ (٢) .

وقد أخذ العلوم عن عمه الشمس السجيني ولازمه ، وبعد وفاته درس فى موضعه

(١) ٢٨٩٠ — ٣٥٣ ج ١ الجبرقى

(٢) ٣١٦ ج ١ الجبرقى .

وبعد أن تولى مشيخة الأزهر سار فيها بشهامة وصرامة وتوفى سنة ١١٨٢، وصلى عليه بالأزهر ودفن بجوار عمه بأعلى البستان، واتفق أنه وقعت له حادثة قبل مشيخته على الجامع الأزهر بمدة وهي التي كانت سبباً لاشتهاره بمصر، وذلك أن تاجراً من تجار خان الخليلي تشاجر مع رجل خادم فضر به ذلك الخادم وفر من أمامه فتبعه هو واثنتان من أبناء جنسه فدخل الفار بيت الشيخ السجيني فدخل التاجر خلفه وضربه برصاصة فأصاب رجله من أقارب الشيخ فمات وهرب الضارب وطلبوه فامتنع عليهم وتعصب معه أهل خطته فاهتم الشيخ وجمع المشايخ والقاضى وحضر إليهم جماعة من أمراء الوجاقية وانضم إليهم الكثير من العامة وثار الفتنة وأغلقت الناس الأسواق واعتصم أهل خان الخليلي بدائرهم وأحاط الناس بهم من كل جهة وقتل بين الفريقين عدة أشخاص واستمر الحال على ذلك أسبوعاً، ثم اجتمعوا بالمحكمة بعد حضور على بك واجتمع الأمر على الصلح ونودى في صديقتها بالأمان، وفتحت الحوائت والأسواق.

١٠ - الشيخ الامام أحمد بن عبد المنعم بن يوسف بن صيام الدمهورى الأزهرى (١١٠١ - ١١٩٢ هـ).

ولد بدمهور وقدم الأزهر وهو صغير فجد في الطلب، وأجازه علماء المذاهب الأربعة، وولى مشيخة الجامع الأزهر بعد الشيخ الحنفى عام ١١٨٢ هـ. وله مؤلفات كثيرة، منها حلية اللب المصون بشرح الجواهر المسكون، والقول الصريح في علم التشريح، والزهر الباسم في علم الطلاسم، ومنهج السلوك إلى نصيحة الملوك. وكان مسكنه ببولاق وصلى عليه بالأزهر (١).

وكان يدرس بالمشهد الحسينى في شهر رمضان وهابته الأمراء لكونه قوالاً للحق أماراً بالمعروف، وقصدته الملوك من الأَطراف وهادته بالهدايا، ومن مؤلفاته شرح الجواهر المسكون ومنتهى الإرادات في تحقيق الاستعارات ونهاية التعريف بأقسام الحديث الضعيف والفتح الربانى بمفردات ابن حنبل الشيبانى، وطريق الاهتداء بأحكام الأمة والابتداء على مذهب الامام الاعظم وإحياء الفؤاد بمعرفة خواص الاعداد والرفائق الالامية على الرسالة الوضعية وعين الحياة فى استنباط المياه والوقف المئينى، والقول الصريح فى علم التشريح وإقامة الحجّة الباهرة على هدم كائنات مصر والقاهرة والزهر الباسم فى علم الطلاسم.. وله غير ذلك من غالب الفنون، وتوفى سنة ١١٩٢ هـ.

وكان منزله ببولاق، فخرج بمشهد حافل، وصلى عليه بالازهر ودفن بالبستان رحمه الله .
١١ - الشيخ عبد الرحمن بن عمر الجنى الازهرى ولد بقلعة العريش من أعمال
غزة وبها نشأ وحفظ بعض المتن ثم حضر في الازهر وتولى مشيخة رواق الشوام،
وعين مفتى الحنفية .

وأقيم وكيل للشيخ الدمنهورى ، فلما توفى الشيخ الدمنهورى تولى المشيخة ،
ولكن علماء الازهر لم يرضوا عنه وكتبوا للأمراء بأن مشيخة الازهر من مناصب
الشافعية ، وليس للحنفية فيها قديم عهد أبدا ، وخصوصا إذا آفاقيا ليس من أهل
البلدة ، ورشحوا للمشيخة الشيخ أحمد العروسى ، واستمر الاضطراب سبعة أشهر ،
ثم ثبت العروسى للمشيخة (١) . . وتوفى سنة ١١٩٣

١٢ - الشيخ أبو الصلاح أحمد بن موسى العروسى الشافعى ، ولى المشيخة وبقي
فيها إلى أن توفى في أواخر شعبان سنة ١٢٠٨ هـ ، ومولده ١١٣٢ هـ ، ومن تأليفه
شرح على نظم التنوير فى إسقاط التدبير ، وحاشية على الملوى على السمرقندى
١٣ - الشيخ عبد الله الشرقاوى الشافعى شيخ الجامع الازهر ، ولد بالطويلة
بشرقية بلبليس عام ١١٥٠ وتعلم فى الازهر ، وصار من شيوخه ومدرسيه

ولما مات الشيخ أحمد العروسى تولى مشيخة الازهر بعده ، وكانت تعارضت
فيه وفى الشيخ مصطفى الصاوى ، ثم انتهى الامر باسنادها إليه
وتوفى عام ١٢٢٧ هـ (٢)

كان لما ترعرع وحفظ القرآن قدم إلى الجامع الازهر وسمع الكثير من العلوم عن
الشهابين الملوى والجوهري والشمس الحنفى والشيخ الدمنهورى والسيد البليدى
والشيخ عطية الاجهورى والشيخ محمد الفارسى والشيخ عمر الطحلاوى ، وأخذ الطريق
عن الشمس الحنفى ثم عن الشيخ محمود الكردى ولازمه وحضر معه فى اذكاره ،
ودرس بالجامع الازهر وبمدرسة السنانية بالصناديقية وبرواق الجبرت والطيرسية
وتميز فى الالقاء والتحرير وأفتى فى مذهبه ، وله مؤلفات دالة على سعة فضله منها حاشية
على التحرير وشرح نظم الشيخ يحيى العمرى و متن العقائد المشرقية مع شرحها ،
وشرح رسالة عبد الفتاح العادلى فى العقائد ومختصر الشامل مع شرحه وشرح الحكم

(١) ٥٣ و ٥٤ ج ٢ الجبرى

(٢) ١٥٩ ج ٤ الجبرى وما بعدها

لابن عطاء الله وشرح الوصايا الكردية في التصوف وشرح ورد السحر للبكرى
وختصر معنى اللبيب في النحو وحاشية على شرح الهدى في التوحيد وطبقات فقهاء
الشافعية المتقدمين والمتأخرين وتاريخ مصر ، وله غير ذلك .. وكان في قلة من العيش
ثم بعد مدة أشهر ذكره ووصله بعض التجار بالهدايا ، فراج حاله وتحمل بالملايس
واشتري دارا بحارة كتامة وهي المعروفة الآن بالدوادارى قرب جامع العيني ، واستمر
حاله في تحسن إلى أن مات الشيخ أحمد العروسي فتولى بعده مشيخة الأزهر ، وكانت
تعارضت فيه وفي الشيخ مصطفى الصاوي ، ثم حصل الاتفاق عليه .. وقد أنشأ
رواق الشراقة بالأزهر لأسباب عديدة ، وحصلت أيامه حوادث الحملة الفرنسية
وتوفي في يوم الخميس ثاني شوال سنة ١٢٢٧ ، ودفن بمدفنه الذي بناه لنفسه بقرافة
المجاورين ، ثم عملت أتباعه وأولاده له مولدا في أيام مولد الشيخ العفني وكتبوا
بذلك فرمانا من الباشا .

١٤ - وتولى الشيخ محمد الشنواني مشيخة الأزهر بعد الشيخ الشرقاوي عام

١٢٢٧ هـ .

وقد توفي عام ١٣٣٣ هـ (١) . . وتولى المشيخة قصة ، هي أنه لما توفي الشيخ
الشرقاوي في السنة المذكورة طلع المشايخ إلى القلعة للباشا بعد وفاته بثلاثة أيام واستأذنه
فيمن يجعلونه شيخا على الأزهر ، فقال لهم اعملوا رأيكم واختاروا شيخا يكون خاليا عن
الاعراض وأنا اقلده ذلك فزلوا إلى بيوتهم واختلفت آراءهم ، فالبعض اختار الشيخ
المهدي الكبير والبعض اختار الشيخ الشنواني وامتنع الشيخ الامير عن المشيخة
وكذلك ابن الشيخ العروسي ، وكان الشيخ الشنواني منعزلا عنهم يقرأ درسه بجامع
الفاكهاني ويبيده وظائف خدمته وعند فراغه من الدرس يغير ثيابه ويكنسه ويغسل
القناديل ويعمرها ويكنس المراحيض فلما بلغه أنهم ذكروه تغيب .. ثم ان الباشا أمر
القاضي بهجت افندي أن يجمع المشايخ ويتفقوا على شخص يكون شيخا بالشرط المذكور ،
لجمع القاضي أكبر العلماء كالقويسي والفضالي ، إلا ابن العروسي والميشي والشنواني
فأرسلوا اليهم فحضروا ، ولم يحضر الشنواني فإرسلوا اليه رسولا فرجع بورقة ويقول :
ان له ثلاثة أيام غائبا عن داره وقال لأهله إن طلبوني فاعطوهم هذه الورقة ، فأخذ
القاضي الورقة ففحصها وقرأها فإذا فيها بعد البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم :
لحضرات مشايخ الاسلام اننا نزلنا عن المشيخة للشيخ بدوي الميشي ، فعند ذلك قام

الحاضرون قومة واحدة واكثرهم من الشوام وقالوا هولم يثبت له مشيخة حتى ينزل عنها، وقال كبارهم لا يكون شيخاً إلا من يفيد الطلبة، فقال القاضي ومن الذى ترضونه؟ فقالوا نرضى الشيخ المهدي، وقام الكل وصاحوه وقرأوا الفاتحة وكتب القاضي اعلاما بذلك، وركب المهدي إلى بيته في كبكة وحوله المشايخ والمجاورون وشربوا «الشربات» وهنتوه وانتظروا جواب الاعلام من الباشا فلم يأت، والمدبرون يدبرون شغلهم، وأحضروا الشيخ الشنوني من مصر القديمة وتمموا تدبيرهم، واحضروا الشيخ منصور اليافى ليعيدوه إلى مشيخة الشوام وجمعوا بقية المشايخ آخر الليل وركبوا في الصباح إلى القلعة فخلع الباشا على الشيخ محمد الشنواني فروة سمور وقرره شيخاً، وكذلك على السيد منصور اليافى وقرره على رواق الشوام كما كان، وأتى اليه الناس أفواجا بهنتونه بالمشيخة.

١٥ - الشيخ محمد العروسي. . وقد تولى المشية بعد الشيخ الشنواني وتوفى في عام ١٢٤٥ هـ (١).

١٦ - الشيخ أحمد بن علي الدموجي. . وتوفى في ٩ من ذى الحجة عام ١٢٤٦، وهو نسبة إلى قرية دموج قرب منها.

١٧ - الشيخ حسن بن محمد المطار، توفى عام ١٢٥٠ هـ
وكان أبوه فقيراً عطاراً له إلمام بالعلم وكان يستخدم ابنه هذا في صغار شئون الدكان ويعلمه البيع والشراء فاختلف إلى الجامع الأزهر خفية عن أبيه حتى قرأ القرآن وجد في التحصيل على كبار المشايخ كالشيخ الصبان والشيخ الأمير. ولما دخل الفرنسيون مصر فر إلى الصعيد كجماعة من العلماء. ولما رجع اتصل بهم فساكن يستفيد منهم ويفيدهم اللغة العربية وكان يقول: إن بلادنا لا بد أن تتغير أحوالها ويتجدد بها من المعارف ما ليس فيها ويتعجب مما وصلت اليه تلك الأمة من المعارف والعلوم وكثرة كتبهم وتحريزها وتقريبها لطرق الاستفادة. . ثم ارتحل إلى الشام وكان يقول الشعر دون اهتمام به كما هو عادة كثير من العلماء، ومن شعره:

انى لأكره فى الزمان ثلاثة ما إن لها فى عدها من زائد
قرب البخيل وجاهلا متفاصحا لا يستحى وتودداً من حاسد
ومن البلية والرزية أن ترى هذى الثلاثة جمعت فى واحد
وارتحل إلى بلاد الروم وأقام بها مدة وتأهل بها ثم عاد إلى مصر وعقد مجلساً

لقراءة تفسير البيضاوى، كان يحضره أكابر المشايخ . وله تأليف كثيرة منها :

١ — حاشية على جمع الجوامع نحو مجلدين .

٢ — حاشية على الأزهرية فى النحو .

٣ — حاشية على مقولات السجاعى .

٤ — حاشية على السمر قندية .

وله رسائل فى الطب ، والتشريح ، والرمل ، والزيارة وكان يرسم بيده المزاويل النهارية والليلية .

١٨ — الشيخ حسن القويسنى نسبة إلى قويسنا توفى سنة ١٢٥٤ هـ ، وكان مع انكشاف بصره مهيباً جداً عند الأمراء وغيرهم .

١٩ — الشيخ أحمد الصائم السفطى نسبة إلى سبط العرفاء قرية جهة الفشن بمديرية المنيا توفى سنة ١٢٦٣ هـ .

٢٠ — الشيخ إبراهيم الباجورى من الباجور بمديرية المنوفية توفى سنة ١٢٧٧ هـ ، وكان قويا فى علمه ضعيفاً فى إداراته ، وكان عباس الأول يزوره فى درسه وبعد موته بقى الأزهر مدة بلاشيخ بل بمجلس مؤلف من أربعة وكلاء تحت رئاسة الشيخ مصطفى العروسى . وهم : الشيخ العدوى المالسى ، والشيخ الحلبي الحنفى ، والشيخ خليفة الفاشنى ، والشيخ مصطفى الصاوى الشافعيان ، وكان هذا المجلس قد ألف لمباشرة أمور الأزهر بعد أن ضعف الشيخ الباجورى وكثرت حوادث الأزهر ، ولما كانت سنة ١٢٨١ هـ تقلد المشيخة الشيخ العروسى .

٢١ — تقلد الشيخ مصطفى العروسى كآبيه وجده المشيخة إلى عام ١٢٨٧ هـ . ولقد أبطال الشيخ العروسى كثيراً من البدع كالشهادة بالقرآن وعزم على ادخال الامتحانات بالأزهر ففاجأه العزل من المنصب فنفذ ذلك خلفه .

٢٢ — الشيخ محمد العباسى المهدي الحنفى (١٢٤٣ - ١٣١٥ هـ) .

حضر فى الأزهر ودرس فيه وتولى الافتاء عام ١٢٦٤ هـ وجلس للتدريس فى الأزهر أيضاً ، وتولى مشيخة الأزهر جامعاً بين هذا المنصب ومنصب الافتاء ، ووضع أول قانون لأصلاح الأزهر وعزل من المشيخة عام ١٢٩٩ وتولى بدله الشيخ الانبأى وانفرد هو بالإفتاء ، ثم استقال الانبأى فأعيد الشيخ المهدي للمشيخة ، ولكنه استقال بعد مدة فأعيد الشيخ الانبأى شيخاً وعين الشيخ محمد البنا مفتياً ، ثم أعيد المترجم له

إلى الافناء - وله الفتاوى المهدية (٦٧ - ٨٠ تراجم اعيان القرن الثالث عشر -
أحمد تيمور) .

وقد عاش الشيخ محمد المهدي الحنفي - وهو من شيوخ الأزهر الاجلاء - إلى أن توفي
عام ١٣١٥ هـ .

وكان المهدي العباسي الحنفي مفتي الديار المصرية ورئيس السادة الحنفية ، وقد
تقلد المشيخة أواخر سنة ١٢٨٧ هـ ، فسار فيها سيرا حسنا ودان له الخاص والعام وزاد
الامراء في تعظيمه ، وهو أول من تقلدها من العلماء الحنفية ، ولما تقلدها قلت على
يديه الشرور والمفاسد في الأزهر وكثرت به المرتبات من النقود والكساوى
والجرايات المتجددة ، وصار لاكثر أهل الأزهر مرتبات من المالية وغيرها ،
وأثرى كثير منهم بسببه ، وخلعت عليهم الخلع ودعوا في المجامع الشريفة ، وكان له
سير بليغ في صرف الاستحقاقات والمشي على شروط الواقفين وقوانين الحكام
وهو الذى سن امتحان التدريس للعلماء . . وذلك أنه استأذن ولي الأمر في
عمل قانون الامتحان ، واجتمع الرأى بينهم على تعيين ستة لذلك من أكابر العلماء من
كل أهل مذهب من المذاهب الثلاثة اثنان ، سوى مذهب ابن حنبل لقلته ، وجعل
الامتحان في احد عشر علما من العلوم المتداولة بالأزهر وهى ، الحديث ، والتفسير
والاصول ، والتوحيد ، والفقه ، والنحو ، والصرف ، والمعاني ، والبيان ،
والبديع ، والمنطق ، ومن يريد الامتحان لابد أن يكون قد حضر هذه الفنون
بالمجامع الأزهر وحضر كبار الكتب مثل : السعد وجمع الجوامع ، ثم يقدم طلبا
لشيخ الجامع يذكر فيها أنه يريد الدخول في حومة العلماء المدرسين وينتظم في سلك
المعلمين ويبين انه حضر كذا وكذا من الفنون وحضر مختصر السعد وابتدأ في جمع
الجوامع مثلا ، فيؤخر الشيخ تلك الرغبة عنده حتى يستجبر عن أحواله من
يعرف حقيقة أمره ، ثم يكتب للمشايخ باعطاء الشهادة في حقه بالكتابة فيشهد له
جمع من المشايخ اقلهم ثمانية ، ثم يعين له من كل فن درسا ويعطيه ميعادا يطالع فيه
كل فن في يوم وعلى رأس الأحد عشر يوما ينعقد مجلس الامتحان في بيت شيخ
الجامع (وصار ينعقد في الأزهر بالرواق العباسي) ، ويجعل مریدا الامتحان بمنزلة
الشيخ والمتحنيين بمنزلة الطلبة فيدرس وهم يسألونه وهو يجيبهم ولا يحضر في ذلك
المجلس غيرهم فاذا أجاب في كل فن كتب من الدرجة الاولى ، وإذا أجاب في أكثر
الفنون كتب من الدرجة الثانية ، وإذا أجاب في الأقل كتب من الدرجة الثالثة ، وإذا

لم يجب لم يؤذن له في شيء ، ثم تكتب الشهادة لصاحب الدرجة الاولى وترسل إلى الخديوى ، فتكتب له عريضة تشريف متوجة بختم الخديوى تكون معه ، ويخلع عليه فرجية وشريط مقصب يجعله في عمامته في موضع التشریفات ويكتب للجهات باحترامه ويخفف عنه في السفر نصف الاجرة ، وكان قد استحسن أن لا يمتحن في العام أكثر من ستة ، فاذا تراكت الطلبات من طالبي الامتحان نظر الشيخ في موجبات الترجيح كالشهرة بالعالمية أو الوجاهة أو سبق التاريخ أو كبر السن ... فكان هو أولى من سن قانونا لامتحان طلبة الجامع الأزهر ... وولد الشيخ المذكور بالاسكندرية سنة ١٢٤٣ وقد قدم مصر سنة ١٢٥٥ واشتغل بالعلم في سنة ١٢٥٦ وتولى الافتاء سنة ١٢٦٤ وكان يحضر في مقدمة السعد على الشيخ إبراهيم السقا وفيها جلس للتدريس ، ثم تولى المشيخة سنة ١٢٨٧ وانصرف عن المشيخة والافتاء ورجع اليهما مرتين ، ومن مؤلفاته الفتاوى المهدية الشهيرة المستعملة كثيرا في أيدى القضاة والمفتين ، وكان له من الاولاد اثنان من المدرسين بازهر وارباب المسكنة بمصر ، وهما الاستاذ الشيخ محمد أمين والشيخ عبد الخالق .. وتوفي الشيخ ليلة الاربعاء ١٣ رجب سنة ١٣١٥ ودفن بزاوية الاستاذ الحنفى بقرافة المجاورين ، ورثته العلماء والفضلاء بقصائد شتى قيل في تاريخ بعضها « جزاؤك يامهدى في جنة الخلد » ، وقال بعضهم في مراثيه

عليه دمع الفتاوى بات منحدرا وللمحارب حزن ضاق عن حد
فيها المسائل قد باتت تؤرخه مات المجيب الامام المقتدى المهدى

٢٣ - الشيخ محمد الامباني الشافعى ، وقد تولى المشيخة عام ١٢٩٩ ، ثم تركها وعاد إليها الشيخ محمد المهدى الحنفى ثانية ، وبقى فيها إلى أن استقال منها في ١٣٠٤ هـ وتقلدها بعده الشيخ محمد الامباني ثانية ، وبقى فيها إلى أن استقال منها عام ١٣١٣ هـ .

ولد الشيخ المذكور بالقاهرة سنة ١٢٤٠ وحفظ القرآن الشريف والمتون بالجامع الأزهر ، وفي سنة ١٢٥٣ شرع في تلقى العلوم فاجتهد في الطلب وأخذ عن شيخ الاسلام الشيخ البجورى والشيخ إبراهيم السقا والشيخ مصطفى البولاتى وأضرابهم وشغل ليله ونهاره بالمطالعة حتى فاق اقرانه وتمكن تمسكنا زائدا ، ودرس في سنة ١٢٦٧ وقرأ جميع الكتب التى تدرس في الأزهر ، وكتب عليها تقارير وحواشى . . ومنها تقرير على حاشية العطار على الأزهري ، وتقرير على حاشية السجاعى على الفطر ، وتقرير على حاشية الأمير على شرح الشذور ، وتقرير على حاشية السجاعى على شرح ابن عقيل ، وتقرير على شرح الأشموني ، وتقرير على التجريد حاشية

مختصر السعد، وتقرير على جمع الجوامع وتقرير على حاشية البجورى على السلم وتقرير على آداب البحث وتقرير على حواشى السمرقندية وتقرير على مختصر السنوسى وحاشية على رسالة الصبان، وحاشية على مقدمة القسطلانى شرح صحيح البخارى، وحاشية على رسالة الدريد فى البيان وتقرير على حاشية البرماوى على شرح ابن قاسم فى فقه الشافعى .. ومنها فتاوى فقهية، ورسالتان فى البسملة صغرى وكبرى، ورسالتان فى «زيد أسد» صغرى وكبرى ورسالة فى علم الوضع، ورسالة فى «من حفظ حجة على من لم يحفظ» .. وله غير ذلك من التأليف النفيسة، وبالجملة فقد جمع بين العلم والعمل والدنيا والدين، وقد تخرج على يديه كثير ممن تصدروا للتدريس .. والانباى نسبة لاهل انباة وهى تجاه بولاق مصر من الشاطىء الغربى للنيل ولم يكن الشيخ منها وإنما نسب اليها لكون والده كان منها واشتهر بالنسبة اليها وكان والده من أكبر التجار بالقاهرة، ولما توفى الشيخ حزنّت عليه العلماء وأظهرت الأمة الحزن عليه، ورثته الشعراء بقصائد كثيرة.

٢٤ - الشيخ حسونة النواوى الحنفى (١٢٥٥ - ١٣٤٣)

تعلم فى الأزهر وصار مدرسا فى دار العلوم ومدرسة الادارة (الحقوق) ثم عين رئيسا لمجلس الأزهر الأعلى عهد الشيخ الانباى - ولما أقبل الشيخ الانباى عام ١٣١٣ عين المترجم له شيخا للأزهر

وأضيف إليه منصب الافتاء ب وفاة الشيخ محمد المهدي العباسى المفتى عام ١٣١٥ وأقبل أول عام ١٣١٧ وأقيم ابن عمه الشيخ عبد الرحمن القطب النواوى شيخا للأزهر والشيخ محمد عبده مفتيا. وتوفى ابن عمه بعد شهر من ولايته على الأزهر سنة ١٣١٧، فعين الشيخ سليم البشرى شيخا له عام ١٣١٧ ولما أقبل آخر عام ١٣٢٠ ولى الشيخ على الببلاوى على الأزهر، واستقال فى ٩ المحرم عام ١٣٢٣، وعين بعده الشيخ عبد الرحمن الشربى شيخا ثم استقال فى ١٦ ذى الحجة عام ١٣٢٤، فعين النواوى شيخا للأزهر للمرة الثانية، واستقال من المنصب عام ١٣٢٧، فأعيد الشيخ سليم للمشيخة، (٥٦ - ٦٣ أعيان القرن الثالث عشر - أحمد تيمور)

وسن الشيخ قانونا لاهل الأزهر، وفى أواخر مشيخته أسس مجلسا لادارة الأزهر بأمر الخديو، وسن قانونا لاصلاح الأزهر .. وكان بعد استعفاء الشيخ الانباى عن المشيخة تولاها فى سنة ١٣١٢ بأمر الخديو وكانت جملة كبار العلماء قدموا التماسا بطلب المشيخة فلم يلتفت الخديو إليهم، ثم سن قانونا آخر مشتملا على ستة أبواب تشتمل على

اثنين وستين مادة .. ولنفكر بعض أبوابه .

الباب الاول في الادارة العمومية ، وفيه تشكيل مجلس إدارة الأزهر من خمسة أعضاء غير الرئيس منهم ثلاثة من أفاضل علماء الأزهر واثنان من العلماء الموظفين بالحكومة وانعقاده على الأقل كل خمسة عشر يوما مرة واختصاصه بتصدير القرارات والقواعد التي يكون بموجبها سير التدريس وضبط الطلبة والاعمال وكل ما له علاقة بالأزهر وغير ذلك .

الباب الثاني في شروط الانتظام في سلك طلبة الأزهر ، ومنه أن لا يعتبر من طلبة العلم في الأزهر إلا من بلغ من السن خمس عشرة سنة على الأقل وأن يكون له دراية بالكتابة والقراءة وأن يكون حافظا لنصف القرآن ، ويتعين حفظ كله على كفيف البصر ، وغير ذلك .

الباب الثالث في التعليم ، ومنه منع قراءة الحواشي والتقارير منعاً باتاً في جميع العلوم في الأربع سنوات الاول وبعدها تخيير الطلبة والاساتذة في النظر في الحواشي ، أما التقارير فلا يجوز استعمالها إلا بقرار من مجلس الإدارة ، وغير ذلك .

الباب الرابع في الامتحان ، وفيه انقسام الامتحان إلى قسمين : الاول امتحان شهادة الاهلية لمن أمضى ثمان سنوات فأكثر في الأزهر وحصل ثمانية علوم على الأقل ، ويؤلف لجنة الامتحان من ثلاثة من العلماء تحت رئاسة شيخ الجامع الأزهر ، أما امتحان شهادة العالمية فلن أمضى اثنتي عشرة سنة ، وتؤلف لجنة الامتحان من ستة من أكابر المدرسين من كل مذهب اثنان والدرجات التي يمنحها الطالب : أولى ، وثانية ، وثالثة .. ثم تكوين مجلس إدارة الأزهر وفي مقدمته صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ، وكان برئاسة الشيخ حسونه النواوي لإجراء مقتضيات هذا القانون ، فقرر قواعد الانتساب والانتظار والاستحقاق في الجرايات والتدريس والمساحات والعلوم ، وأوجدوا في الأزهر نهضة علمية عظيمة ، واحضروا للعلوم الرياضية امهر المدرسين ، ووضعوا امتحانا سنويا ، وهرفوا ستمائة جنيه مكافأة للناجحين في أى فن كان ، وتقدم طلاب الأزهر تقدما كبيرا . . وانضمت للشيخ وظيفة الافتاء سنة ١٣١٥ بعد وفاة الشيخ المهدي بعد ما قام وكيلا عنه مدة ، وهو ثاني من جمع بين الافتاء والمشيخة الأزهرية من الخنفية . . وفي مشيخته انشئت المكتبة الأزهرية ، وبني الرواق العباسي ، واكثر من امتحان طالبي التدريس ، وزيد في مرتبات

العلماء ومشايخ الأروقة والحاترات من الأوقاف ، وحرف عن الافناء والمشيخة في ٢٥ محرم سنة ١٣١٧ ، وولد الشيخ سنة ١٢٥٥ بنواى قرية من أعمال أسيوط بمركو ملوى وقدم الأزهر وأخذ عن كبار المشايخ وتربى على يده كثير من المدرسين ودرس بجامع القلعة وألف كتابا فى الفقه الحنفى يدرس بها .. ومن أولاده الشيخ محمد حسونة من علماء الأزهر .

٢٥ - السيد على البيلوى المالكي (١٢٥١ - ١٣٢٣ هـ) حضر فى الأزهر ودرس فيه ، وتولى نظارة دار الكتب عام ١٢٩٩ هـ ثم عين شيخا لمسجد الحسين سنة ١٣١١ هـ ، وأقيم نقيباً للإشراف عام ١٣١٢ هـ .

وعين شيخا للأزهر عام ١٣٢٠ هـ بعد استقالة الشيخ سليم البشرى - وظل فى المشيخة إلى أن استقال منها أول عام ١٣٢٣ هـ (٨١ - ٨٥ أعيان القرن ١٣ - أحمد تيمور) .

٢٦ - الشيخ سليم البشرى المالكي ، وظل فيها إلى أن أقيل منها فى ذى الحجة ١٣٢٠ هـ ، بسبب حادث مسجد السيدة نفيسة مع حاكم مصر وقتئذ .

ولد الشيخ بمحلة بشر سنة ١٢٤٨ ، وهى قرية من مديرية البحيرة بمركز بلاد الأرض شرقى ترعة الخطاطبة بالقطر المصرى ، وقدم إلى مصر بعد ما حفظ القرآن الكريم واشتغل بالعلم على مذهب الامام مالك رضى الله عنه ، وجد فى التحصيل على كبار العلماء كالشيخ البجورى والشيخ عlish واضرابهما حتى مهر ، ودرس فى سنة ١٢٧٢ ، ودرس جميع الكتب المعتادة بالأزهر مرات عديدة وتخرج من درسه كثير من أكابر ومشاهير العلماء المدرسين بالأزهر كالشيخ الفاضل الشيخ محمد راشد أمام المعية والمرحوم الشيخ البسيونى البينبانى والمرحوم الشيخ محمد عرفه ، وغير هؤلاء من افاضل المدرسين بالأزهر ، ولما عين شيخاً للجامع الزينى وكان خالياً من المدرسين رتب نحو السبعة من العلماء للتدريس به منهم من يقرأ الحديث ومنهم من يقرأ الفقه على الاربعة المذاهب ومنهم من يقرأ الاخلاق وغير ذلك ، وطلب لهم مرتبات من الاوقاف ، ورتب لهم ذلك حتى صار ذلك الجامع كانه قطعة من الأزهر ، وفى ١٣٠٥ هـ صار شيخا للملكية وكانت قد ألغيت نحو خمس سنوات بعد الشيخ عlish فأحياما الشيخ وقد جمع بين المشيختين . ، ومن تأليفه تحفة الطلاب فى شرح رسالة الآداب ، وحاشيته على رسالة عlish فى التوحيد . وكان ابنه الشيخ عبد العزيز البشرى من أفاضل العلماء والكتّاب ، وتوفى عام ١٩٤٣

- ٢٧ - السيد على محمد البيلالوى المالكى وقد بقى فيها إلى أن استقال منها فى أوائل محرم سنة ١٣٢٣ هـ .
- ٢٨ - الشيخ عبد الرحمن الشريفى ولى المشيخة فى ١٣ محرم ١٣٢٣ هـ وبقى فيها إلى أن استقال منها فى ذى الحجة ١٣٢٤ هـ .
- ٢٩ - الشيخ حسونة النواوى للمرة الثانية ، واستقال فى السنة نفسها فتولاها مرة ثانية .
- ٣٠ - الشيخ سليم البشرى ، وتوفى سنة ١٣٣٥ هـ .
- ٣١ - محمد أبو الفضل الجزاوى ولى المشيخة إلى سنة ١٣٤٦ هـ ، ثم خلفه فى ذى الحجة ١٣٤٦ هـ ٢٢ مايو ١٩٢٨ المراهى .
- ٣٢ - الشيخ محمد مصطفى المراهى ، ولى المشيخة إلى أن استقال فى سنة ١٣٤٨ هـ اكتوبر سنة ١٩٢٩ .
- ٣٣ - محمد الاحمدى الظواهري (المتوفى فى ١٣ مايو سنة ١٩٤٤) ، وقد عزل من المشيخة فى ٢٣ محرم ١٣٥٤ هـ - ٢٦ ابريل ١٩٣٥ .
- ٣٤ - الشيخ محمد مصطفى المراهى للمرة الثانية .
- وظل فى المشيخة الشيخ المراهى رحمه الله . . حتى توفى فى ١٤ رمضان عام ١٣٦٤ هـ - الموافق ٢٢ أغسطس عام ١٩٤٥ . . وقام بأمر المشيخة بعده الشيخ محمد مأمون الشناوى وكيل الأزهر فى ذلك الحين . . ولما استقال من الوكالة خلفه للشيخ عبد الرحمن حسن فى وكالة الأزهر والاشراف عليه .
- ٣٥ - ثم عين الشيخ مصطفى هبد الرازق - شيخا للأزهر فى ٢٨ ديسمبر ١٩٤٥ هـ - وظل فيها حتى توفى فى منتصف فبراير عام ١٩٤٧ (١٣٦٤ - ١٣٦٥ هـ)
- ٣٦ - وعين الشيخ محمد مأمون الشناوى فى المشيخة عام ١٣٦٧ هـ ، ١٨ يناير ١٩٤٨ وظل فيها حتى توفى فى ٢١ من ذى القعدة عام ١٣٦٩ هـ ، ٤ سبتمبر عام ١٩٥٠ ، وامتاز عهده بضعف أثر العصبية فى الأزهر ، وبالقضاء على الفتن والاضطرابات وبزيادة البحوث الإسلامية الوافدة على الأزهر ، وزيادة العلماء الذين أرسلوا إلى الافطار الإسلامية ، وبمكافة الأزهر فى المجتمع ، وبإلغاء البغاء وتحديد الخمر وجعل الدين مادة رسمية فى المدارس ، وبارتفاع ميزانية الأزهر إلى نحو مليون وثلث ، وبكثرة خريجي الأزهر فى مدارس الحكومة . . وأنشئ فى عهده معهد محمد على بالمتصورة ، ومعهد منوف ، وضم معهد سمنود إلى الأزهر . وكذلك

معهد الشيوم والمنيا . . وقد شيعت جنازته إلى مقرها الأخير يوم الثلاثاء ٥ سبتمبر عام ١٩٥٠ (١) .

٣٧ - وعين بعده الشيخ عبد المجيد سليم شيخا للأزهر في يوم الاحد ٢٦ من ذى الحجة ١٣٦٦ هـ ، ٨ أكتوبر عام ١٩٥٠ ، وظل في المشيخة إلى أن أعفى منها في اليوم الرابع من سبتمبر عام ١٩٥١ ، لمناهضته للحكومة القائمة وعدم الاستقرار والهدوء في الأزهر ، وذلك في ٤ سبتمبر عام ١٩٥١ .

٣٨ - وأسندت المشيخة - إلى الأستاذ الأكبر الشيخ إبراهيم حمروش . . وفي عهده قامت الحركة الوطنية لمناهضة الانجليز والاستعمار ، وكان للشيخ مواقف مشهودة في هذه الحركة . . وقد ظل في المشيخة إلى أن أعفى منها في اليوم العاشر من شهر فبراير عام ١٩٥٢ .

٣٩ - وأسندت المشيخة في هذا اليوم نفسه إلى الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم للمرة الثانية . . وقد ظل فيها حتى استقال منها في ١٧ سبتمبر ١٩٥٢ (٢) ، وقد توفى عليه رحمة الله في صباح يوم الخميس ١٠ صفر ١٣٧٤ هـ - ٧ أكتوبر عام ١٩٥٤ وكان رحمه الله مثلاً كريماً في الغيرة على الأزهر واصلاحه ، وترك فيه آثاراً كثيرة ، وكانت له شهرة عالمية في الإلمام بشق العلوم والمعارف الاسلامية . . وقد ترك فراغاً كبيراً لا يسد ، كما ترك تلاميذ ومريدين يذكرونه بالخبر والاجلال والوفاء .

(١) راجع كتابي « الاسلام ومبادئه الخالدة » الذي ترجمت فيه للشيخ العناوى وذكر في الكثير من دراساته الاسلامية .

(٢) نص استقالة الشيخ سليم : بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد المجيد سليم شيخ الجامع الأزهر إلى السيد الرئيس اللواء أركان حرب محمد نجيب القائد العام للقوات المسلحة ، رئيس مجلس الوزراء . . سلام الله عليكم ورحمته . أما بعد ، فقد علمت أن الحكومة لم تر اجابتي إلى مطلبي بشأن المناصب الأزهرية الأربعة ، ولما كنت لا أستطيع القيام بواجبي على النحو الذي أعتقد أنه يرضى ربي إلا بتحقيق ما طلبت ، فإنني أبعث اليكم بهذا الكتاب راجياً أن ترفعوا استقالتي من مشيخة الجامع الأزهر إلى مجلس الوصاية المؤقت ، والله أسأل أن يوفقني وإياكم إلى ما فيه الخير للأمة ولدين الله القويم ، والسلام عليكم ورحمة الله . . القاهرة في يوم الأربعاء ٢٧ من ذى الحجة سنة ١٣٧١ هـ - ١٧ من سبتمبر سنة ١٩٥٢ م .

٤ - الأستاذ الأبرار الشيخ محمد الأخضر حسين، وقد تولى المشيخة بعد الشيخ عبد المجيد سالم، وبدأ عمله بإحالة وكيل الأزهر الشيخ عبد الرحمن حسن إلى المعاش وتعيين الشيخ محمد عبد اللطيف دراز والشيخ محمد نور الدين الحسن وكيانين، وبالقضاء منهجى السكرتير العام ومدير المعاهد - واستمر فى المشيخة إلى أن استقال منها فى أوائل يناير ١٩٥٤

٤١ - الأستاذ الأبرار الشيخ عبد الرحمن تاج، وقد تولى المشيخة بعد الشيخ محمد الأخضر حسين فى يوم الجمعة ٢ جمادى الأولى ١٣٧٣ هـ - ٨ يناير ١٩٥٤، وبدأ عمله بإحالة الوكيلين الشيخ دراز والشيخ نور الدين الحسن إلى المعاش، وبتخفيض سن الإحالة على المعاش العلماء الأزهر إلى الخامسة والستين، وإحالة أعضاء جماعة كبار العلماء الذين بلغوا هذه السن إلى المعاش كذلك.

والشيخ تاج مولود عام ١٨٩٦ بأسىوط ونال العالمية عام ١٩٢٣ وشهادة التخصص عام ١٩٢٦، وسافر عام ١٩٣٦ إلى فرنسا، حيث عاد منها عام ١٩٤٣ بلقب دكتور، وحصل على عضوية جماعة كبار العلماء ١٩٥١ م.

الفصل الثانى

تراجم لبعض شيوخ الأزهر

الشيخ محمد الأحمدي الظواهري

توفى رحمه الله فى ١٣ مايو عام ١٩٤٤، وقد تولى المشيخة خمس سنوات كان الأزهريون والشيخ فيها فى نضال مستمر، مع ما كسب الأزهر فيها من استتباب الدراسة وقوة الروح العلمية.

ولى مشيخة معهد طنطا، فى سن مبكرة، وبقي شيخا له، إلى أن نقل شيخا لمعهد أسىوط، فى أكتوبر - ١٩٢٣ فأحسن الناس استقباله وراقهم فيه نخامة مظهره، وفصاحة منطقه، وسخاء يده. وسرهم أن يروا الشيخ العلماء مهابة خاصة. ولكن الشيخ فى أسىوط، لم يكن يفارقه الحزن إلا قليلا، لأنه نقل إلى أسىوط، وهو غير راض بنقله، لذا كان كثير المرض، كثير السفر قليل الاهتمام بالحياة.

وله على معهد أسبوط فضل كثير ، إذ نقل الدراسة من المساجد وأخذ الطلاب من اقتراش الحصر ، واستأجر للدراسة قصورا ضخمة واسعة ، في مناطق عامرة . وتنازل للحكومة عن مستشفى الحيات ، وأخذ بدله تلك البقعة التي أقيم عليها المعهد الجديد ، على شاطئ النيل بالخرام ، سنة ١٩٢٤ . وحينما وضع الحجر الاساسى فى بناء المعهد ، سنة ١٩٣٠ كان الشيخ شيخنا للأزهر .

ولما عين الأستاذ المراغى ، شيخنا للأزهر سنة ١٩٢٨ وشاع الخبر فى أسبوط ، اتفق أن أصيب الشيخ الاحمدى بمرض شديد ، أنار حوله الاقويل ، ولكنه شفى منه ، وبعد قليل نقل شيخنا لمعهد طنطا ، فى يوليو - ١٩٢٧ . وفى أكتوبر ١٩٢٩ استقال الشيخ المراغى ، وعين الشيخ الاحمدى ، شيخنا للأزهر .

وفى ٢٨ ابريل ١٩٣٥ استقال من وظيفة المشيخة وعين الشيخ المراغى مكانه ... ويقول الدكتور عثمان أمين عنه من كلمة له :

« يرجع اتهامى بالشيخ الظواهري إلى ما قرأته عند لأحد المستشرقين ، فى النسخة الفرنسية لدائرة المعارف الاسلامية ، تعريفا بكتاب له عنوانه « العلم والعلماء » نشر بطنطا سنة ١٩٠٤ ، وقد أحسبت أن اقتطف من مقال ذلك المستشرق ما ترجمته إلى العربية : « إن روح الاخلاص والصفاء التى تظهر فى هذا الكتاب لتعد نادرة حتى بيننا نحن المسيحيين ، فبالك وجودها فى الاسلام الذى دب فيه الجود ، ومن العجب جدا فى هذا الكتاب الجمع بين وجهة النظر الاسلامية والاحساس بفائدة ما يأتى من مصادر أخرى . فالمؤلف يرى أنه يجب أن يأخذ المسلمون ليس عن أوروبا فحسب ، بل عن الصين واليابان أيضا . ويرى أن من بين المواد التى ينبغى دراستها الدعوة للاسلام ، ويرغب المؤلف فى عقد المؤتمرات السنوية لبناء فكرة الجامعة الاسلامية ثم يعين وسائل الثقافة التى تتطلبها لجان من العلماء ، واخراج دائرة معارف ، ونشر التعليم الجامعى بين أفراد الامة ، كما قال إنه يجب تطهير الاسلام من الخزعبلات والعوائق التى تبطله . والكتاب على كل حال برهان ساطع على عقيدة الكاتب الراحلة وإيمانه بالمثل العليا » .

أغراني هذا الوصف الذى قرأته فى باريس بالبحث عن الكتاب فى مصر . فلما قرأت الكتاب بنفسى انكشف لى منه أمران : أولهما أن مؤلفه كان من تلاميذ الأستاذ الإمام محمد عبده : فهو يذكره فى الكتاب ضراحة ، وهو يهتج فى التعليم

نهجه ، ويدعو الأزهرين إلى ترسم خطاه ، وثانيهما أن هذا الشاب كان فيلسوفا ناشئا ، وإن لم يكن يعلم ذلك عن نفسه ، فانه حين تكلم في كتابه عن الكمال الروحي وعن الصوفية عاج هذه الأمور بروح فلسفية ، ولعل الفلسفة أخذت سبيلها إلى نفسه ، دون وعي ظاهر منه عن طريق أستاذه محمد عبده .

ويرجع توثق الصلة بين الاستاذ والتلميذ إلى سنة ١٩٠٢ حين تقدم الظواهري لنيل شهادة العالمية إلى لجنة الامتحان المنعقدة برئاسة محمد عبده ، فأجاد في الاجابة لجادة أعجب بها الاستاذ الامام ، فأثنى عليه على مسمع من الحاضرين ، ويقال لانه طلب له شيئا من شراب الخروب وقال له : « لقد فتح الله عليك يا أحمدي ، والله إنك أعلم من أيك ، ولو كان عندي أرقى من الدرجة الاولى لاعطيتك إياها . » وهذه الحادثة نفسها دلالتان : الاولى أنها تشير إلى ذكاء الاحمدي الظواهري وسعة علمه اللذين اشتهر بهما منذ نشأته ، والثانية أنها تشير إلى ما اتصف به الاستاذ الامام من الانصاف وقوة الاخلاق : فقد كان بينه وبين الشيخ إبراهيم الظواهري - والد الشيخ الاحمدي - خلاف في الرأي والمنازعات ، لان إبراهيم الظواهري كان من الشيوخ المحافظين الميالين إلى تصديق الكرامات والاعتقاد بقصص المجازيب والاولياء ، وكان الشيخ محمد عبده يستنكر ذلك ، لكنه لم يتأثر في حكمه على الابن بما كان بينه وبين أبيه .

وفي مكتبته ذخيرة من العلم المخطوط بيده ، هي مجموعة من مؤلفات كتبها في شبابه منها « خواص المعقولات في أصول المنطق وسائر العقليات » ، و « التفاضل بالفضيلة » ، و « الوصايا والآداب » ، و « صفوة الاساليب » ، و « حكم الحكماء » ، و « براءة الاسلام من أوهام العوام » ، و « مقادير الاخلاق » ، ولكن مخطوطا منها استوفقني لطرافته ، وعنوانه « الكلمة الاولى في آداب الفهم » . وقد أراد به أن يكون بمثابة ضابط عقلي أو قانون كلي ، لرفع الخلاف القائم في كيفية فهم المتأخرين لاقوال المتقدمين من المؤلفين في العلوم الدينية . وقد جاء في مقدمة المخطوط : « لقد دعاني داعي الاستكمال والتمسك بأذيال الامثال إلى مطالعة أسرار الدين للوصول إلى عين البقين ، والنهوض من مرقد الوهم وظلمات الجهالة إلى مراقى الفهم ونور الحق المبين ، . . . » بيد أنه قد تباينت الطرق ، وتنازعت الفرق ، واختلفت أهواء الخلاف في كيفية الوصول إلى مراقى أنظار الاول ، وإصابة الغرض المقصود من عباراتهم ، وتفرقوا شيعا في تقرير المسائل ، فكانت همة قوم فيما يرجع إلى المعاني

الاصلية ، ومال قوم إلى الخطابة والمجدل ، وآخرون إلى التخريج على المعنى البعيد أو التنبيه على احتمال جديد ، وتنافس البعض في الاستشكال والتغليب ، حتى إنه لينيل إلى الناظر في طرائقهم أن الحقيقة صعبة المنال ، وأن اليقين مطلب محال . . فدفعت ذلك إلى أن أضع علما شاملا وقانونا جامعيا به تستفاد حقائق المعاني من أصداف الكلام ، ويجمع الناظرين على أقوم طريق به يمكن الوصول إلى تمام المعنى بحيث يوقف القارئ البصير في وقت قصير على كل ما في الحواشي والتقارير . ويرفع الخلاف القائم في كيفية الفهم ، ويزيل التشويش والابهام ، ويمكن أهل العلم من الانتصار على جيوش الاوهام . .

وقلنا تحمس الظواهري في شبابه لاعلاء شأن الازهر وإصلاح المسلمين ، كما يتضح من كتاب « العلم والعلماء » ، فأصابه من جراء ذلك ما أصاب غيره من المصلحين ، كما يتضح ذلك من مذكراته التي نشرها ابنه بعنوان « السياسة والازهر » . ويتبين من الرسالة التي نشرتها مشيخة الازهر هذا العام لمناسبة المعرض المصري الأخير أن أكثر ما استحدثت من منشآت وما تم من إصلاحات في الازهر الحديث كان للظواهري فيه أثر بارز . . وبمقتضى القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ الذي صدر في عهد مشيخته أنشئت المكلمات الازهرية الثلاث ، وبمقتضى القانون رقم ٣٧ لسنة ١٩٣٢ الذي صدر في عهده أيضا نظم التخصص ، وغيرت مناهج التعليم في الجامعة الازهرية لكي تتماشى مع التقدم العلمي الحديث . وبذلك دخلت الازهر على يد الظواهري دراسات لم يكن للازهريين عهد بها من قبل ، كاللغات الأجنبية ، من شرقية وغربية والاقتصاد السياسي والقانون الدولي الخاص ، وأصول القوانين ووسائل الدعوة إلى سبيل الله ، والخطابة واللقاء والمناظرة ، وعلم النفس والتربية البدنية وغيرها ، ويتبين من رسالة مشيخة الازهر أيضا أن الظواهري قد سبق إلى التفكير في إيفاد بعوث من الازهر للدعوة للإسلام في الخارج ، فأوفد بعثتين للصين والحبشة وأنشأ مجلة « نور الاسلام » ووضع مشروع الابنية الفخمة للجامعة الازهرية الحديثة ، وقد تمت في عهده ثلاث من عمائرها الكبرى .

وللشيخ الاحمدى أثر ظاهر في ميدان آخر نحب أن لا يفوتنا التنويه به هنا . ويتجلى ذلك الاثر في تقرير محفوظ بوزارة الخارجية المصرية عن المؤتمر الاسلامي الذي دعا إليه الملك ابن سعود ، وعقد في مكة سنة ١٩٢٦ ، ويتبين منه أن الشيخ الظواهري استطاع وهو رئيس وفد مصر في ذلك المؤتمر أن يكون واسطة العقد

بين المؤتمرين ، وأن يكون رسول سلام وتوفيق بين المتنازعين في موضوع الحرية المذهبية في أرض الحجاز ، كما استطاع بقوة حجته وإقناعه أن يستصدر من المؤتمرين قرار يصرح على رؤوس الأشهاد بوحدة مصر والسودان . وما يجدر ذكره في هذا المقام أن عبد الخالق ثروت وزير الخارجية المصرية وقتئذ قال حين علم بنجاح الشيخ الظواهري في ذلك المؤتمر : « لم أكن أعلم أن الأزهر يخرج سفراء في السياسة » .

الشيخ محمد مصطفى المراغي

علم من أعلام الفكر الاسلامي المعاصر ، وشخصية نادرة من أشهر الشخصيات الاسلامية في القرن العشرين . ورجل غريب بين زملائه وأقرانه في العصر الذي عاش فيه ، وزعيم روحى ألقى إليه مقاليد الأزهر فترة طويلة .

ذلكم هو الشيخ محمد مصطفى المراغي ، تلميذ محمد عبده ، والعالم الأزهرى الواسع الافق ، العميق الثقافة ، وقاضى القضاة المصرى في السودان ، ورئيس المحكمة العليا الشرعية ، وشيخ الأزهر من عام ١٩٢٨ إلى عام ١٩٢٩ م ثم من عام ١٩٣٥ حتى عام ١٩٤٥ م (١٣٦٤ هـ) حيث وافاه أجله المحتوم .

كان المراغي مثالا نادرا في الاعتزاز بالنفس ، والشعور بالكرامة ، والايمان بالاصلاح ، وفي عهد توليه مشيخة الأزهر ، وضع أساسا قويا لصرح الأزهر العلمى برعايته لاقسام الدراسات العليا فيه ، وتشجيعه لطلابها وخريجها ، وإشرافه على مواسمها العلمية ، ومناقشته لرسائلها . وكان الشيخ المراغي ذا فكة قوية عن الثقافة الحديثة ، ورغبة حافزة في صبغ الأزهر بصبغتها . وقد عمل على إخراج جيل جديد من العلماء المثقفين بشق الثقافات ، ونجح في ذلك إلى حد بعيد ، وكانت صلات المراغي بأقطاب المجتمع والسياسة والفكر والادب في عهده عوناً له على بلوغ آماله في إصلاح الأزهر ، وقد جاهد جهادا خشنا للنهوض بهذه الجامعة الاسلامية الكبرى ، ولبث روح الحياة والاصلاح فيها . وكانت مكانته في نفوس الجماهير من العلماء والطلاب تساعده على الاصلاح . وكان أكثر الأزهريين تقديرا للكفايات من العلماء والطلاب وتشجيعا لها ، كانوا يأخذون عليه تدخله في السياسة ، وقيام إدارته في الأزهر على العصبية ، ولكن ذلك شئ تافه لا يقاس بجانب ما أحدثه في الأزهر من ثورة وحياة وتجديد .

لقد انتهت بعد المراغي الاجتماعات في المناسبات الدينية التي كانت تضم الالوف

من القادة والعلماء والطلاب والجماهير . وحوربت وعطلت أقسام الدراسات العليا في الأزهر . وساءت أمور الأزهر ، وضعف نشاطه العلمي .

استقال رحمه الله من مشيخته الأولى في آخر سبتمبر سنة ١٩٢٩ على أثر تأخر صدور المرسوم الملكي بقانون الأزهر الجديد ، وقد حاول رئيس الوزراء آنئذ وهو المرحوم محمد محمود باشا إقناعه بالعدول عنها ، ولكنه لم يقبل ، وصدر المرسوم الملكي بتعيين الشيخ الظواهري شيخاً للأزهر في أوائل أكتوبر سنة ١٩٢٩ .

وأذكر أنه لما تولى المراغى مشيخة الأزهر للمرة الثانية ، استقبله الأزهر استقبالاً كريماً ، وأقام له حفلة تكريم في يوليو عام ١٩٣٥ برأى معرض الجيزة بالقاهرة حضرها حشد كبير من الشخصيات الكبيرة ورجال الدين ، ودعى ممثلو طلبة المعاهد الدينية لألقاء كلمات في هذه الحفلة ، وكنت ممثلاً لطلاب معهد الزقازيق الديني ، وكان يمثل الاساتذة الامتداد الكبير الشيخ محمود النواوى وكنت قد أعددت حينئذ كلمة لألقائها في الحفلة ، ولكن عدل عن إلقاء ممثلي المعاهد لكلماتهم ، لضيق الوقت وكثرة الخطباء ، وكان من هذه الكلمة التي أعدتها حينئذ ، وأنا طالب في السنة الرابعة الثانوية بمعهد الزقازيق الديني :
وفي هذا اليوم الخالد والحفل الحاشد تتحدث الاجيال عن الأزهر الشاخ وشيخه الجديد حديثاً ملؤه الإعجاب والاحلال ، لأنه حديث الأرواح ونجوى القلوب .

أما الأزهر فهو الأزهر كما يعرفه الخاصة والعامة وكما يعرفه المسلمون في مشارق الارض ومغاربها وكما تعرفه الاجيال الغابرة والاجيال الحاضرة .. هو محط الرحال ، وكعبة الامان ، ومجمع الدين والعلم والأدب ومفخرة مصر والشرق والعرب ، هو قلب الاسلام الخافق ولسانه الناطق ، وعلمه المرفوع ، هو تلك الجامعة العظيمة التي أضنى عليها الزمان ثياب الجلال واسبل عليها الخلود ستور الجمال ، حفظت للاسلام مكانته ورفعت للدين رايته ومدت على العربية ظلها الممدود ، وحملت لواءها المعقود ، وخرجت أئمة الهدى ومصابيح الحكمة وشعت منها أشعة النور في كل بقعة ومكان - فالأزهر x هو دعامة الاخلاق وحصن الفضيلة ومفخرة القاهرة وصرح مصر الخالدة ، بل هو معجزة الدهور وآية القرون .. ومادام للأزهر وجود فله رسالة في الحياة تضارع في جلالها رسالة الانبياء ووحى المرسلين ، وان استمدت آيتها من آيتهم ، وهداياها من هديهم .

رسالة الأزهر هي العناية بنشر الدين ، والسهر على مصالح المسلمين ، واحياء الاخلاق

الفاضلة، وإقامة المبادئ العادلة التي جاء بها القرآن الكريم، وإيقاظ الشرق الراقدين غفلته، ليكون مبهط الوحي ومبعث النور ومصدر الهداية ورسول الحضارة، وقائد العالم كما كان الأزهر في أيامه الماضية .

وإذا كان للأزهر مكانة وجلالة ومهمة ورسالة، فله رئاسة جليلة نصبها الإسلام عنه وكلا وأقامها الأزهر له كفيلاً، فالتفت حولها القلوب، وشايعتها الأرواح وآوى إليها الخائف والمظلوم والمكروب .

ولقد أدت مشيخة الأزهر للشرق والإسلام خدمات جليلة، حفظت تراث السالفين وسهرت على تهذيب الناشئين، وأطفأت نار الشك ببرد اليقين .

ولما طفر التعليم المدني في مصر أقبل عليه الناس وجحدوا ما للأزهر من فضل وجليل، وطفقوا ينعون عليه جهوده، ويعيبون عليه جهوده، حتى هزتهم صيحة الإصلاح من رجل الإصلاح الأول حكيم الإسلام وفقيد الشرق المغفور له الإمام محمد عبده، فعارضها المعارضون وسخر منها الجامدون، ولم يقدرها إلا أفراد قلائل كان من بينهم شاب ذكي وفني نابه اقتنى أثر أستاذه الحكيم، هو الشيخ المراغي .

وجاء من خطبة فضيلة الأستاذ الشيخ على سرور الزنكلوني في حفلة تكريم الأستاذ المراغي عام ١٣٥٤ - ٣ يوليو ١٩٣٥ ما يلي : « الأزهر كما تحدث عنه التاريخ وكما تصورناه نحن حين رحلنا إليه في نعومة الأظفار، وكما يعرفه المصريون وغير المصريين حين ينظر بياهم، ويحجون إليه لطلب العلم . هو هذه الشخصية الكبرى البارزة في العالم، والتي ينعكس منها على طلابه ورواده نور العلم وجلال الدين والتي عاشت ألف سنة إلا قليلاً، وهي تصارع الأحداث والأحداث تصارعها بما لم يقو على احتماله أضخم بناء في التاريخ، ولولا سر الله الخفي لتلاشى، فهو الذي حفظه ولا يزال يحفظه ويمجد مجده إلى اليوم . . إن الأزهر كما تواضع عليه الناس هو الذي تحيا عليه علوم الإسلام والقرآن، وهي أسمى ما تستكمل به النفس الإنسانية قواها . والأزهر بمقتضى وضعه وطبيعته يجب أن يكون خالصاً لله وحده، فاذا أملت به الأحداث وسلطات عليه تيارات الأهواء الملتوية فله فيه نصيب كبير: دينه، وعلومه . .

وهذا الشباب الغض من الطلاب الذين يبعثون إليه بنية صادقة ليتفقهوا في دين الله ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون، لله فيهم النصيب الأوفر، والله غيور على دينه، وعلى وحيه . وعلى هذا الشباب الغض الذي يحب الخير ولا يريد

إلا الخير .. ومن هنا تدركون سر بقاء الأزهر وثباته على كثرة ما نزل به من أحداث ... ماهى مشيخة الأزهر؟ لا أريد أن أتعرض إلى مشيخة الأزهر بالنظر إلى ماورثته عن العواصم الإسلامية من خلافة العلم والدين ، ولا إلى ماقامت به من جلائل الأعمال في عصور مصر المختلفة ومواقفها المشرفة في وجوه الظالمين ، فذلك للتاريخ وحده ، ولكنني أتحدث عنها الآن بالنظر إلى طبيعتها وإلى ما يفهمه الناس فيها قبل أن يحتكم الهوى وينتشر الفساد . إن مشيخة الأزهر الكبرى هي التي تقوم بمعونة الاساتذة والطلاب على حراسة الدين وحياء تعاليمه ، فإذا فكر العقل تفكيراً مستقيماً ولم يلتفت إلى زخارف الحياة الكاذبة ، فلا يستطيع أن يدرك الجلال الحق إلا في كنف هذه الرعاية السامية ، لأن شرف الأشياء بشرف غاياتها ، ومشيخة الأزهر تقوم على حراسة ما به تؤدي وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام ووظيفة الرسل إذا أدت على وجهها فكلها خير وكلها سعادة ، فإذا تنكب الأزهر الطريق يوماً ، فليس ذلك من طبيعة الدين الذي يقوم على حفظه ، ولا من طبيعة علومه التي هي نور للعقل وقوة للإنسان ، وإنما منشأ هذا التنكب هو القوى التي تتسلط عليه وتوجهه إلى طريقها ، وإذن لا تلوموا الأزهر مادام غير قائم على قدميه بنفسه ، وإنما اللوم على من يمتسكون أمره ويوجهونه حيث تأبى طبيعته أن توجهه... إن أعدل ميزان تعرفون به الفرق في كل عصر بين رجل الأزهر القائم على حراسة دين الله وبين عبد الشهوات الجاحمة وإن تربع بين الأترهين ونال أكبر مناصبهم أن ترى عزة النفس وخشية الله ماثلتين في رجل الأزهر خصوصاً إذا عظمت المحنة واشتد البلاء ، أما عبد الشهوات فتراه دائماً مغموراً بخشية الناس والطمع فيما بأيديهم . وقلب المؤمن الصادق في إيمانه لا يتسع لخشيتين ، فأظهر مظاهر الإيمان العميق خشية الله وحده إذا اشتد الخطب ، وأظهر مظاهر الإيمان الرقيق الذي لا يزن مثقال ذرة أن يخشى صاحبه الناس أشد من خشية الله ، وإن كثرت وتفرعت صور عبادته لأنها في ميزان الدين والعلم ليست أكثر من صور كاذبة تولدها العادة أو الرياء .. إن الحقائق لا يغيرها ولا ينقص من جلالها الذاتي ما قد يطرأ عليها من أمراض وعلل تدفعها يد الشهوة على غفلة من أهلها ، ولهذا يعاقب الله حراس الحقائق أولاً فأولاً ، بمقدار غفلتهم وإهمالهم ، ثم يكتب النصر لهم في النهاية إذا ما انتبهوا .. أما المبطلون المفتونون باستشراء الضعف ليمتنعوا بباطلهم فلا يعاقبهم الله أولاً فأولاً ، وإنما يمهلم لتجلى حكمة الله في قوله : « سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ، وأملى لهم أن كيدى متين » . إن من

الغرور وعدم الانصاف أن يقال: ما فائدة الأزهر وأين جلال مشيخته ؟ . وأقوى رد على هذه الغفلة وهذا الغرور أن نقول لأصحابها: اذن ما فائدة علوم الحياة كلها ؟ وهي اليوم تولد الجشع في قلوب الأمم وتقلبها سباعاً كاسرة وحيوانات مفترسة . . فالدنيا خير كله والعلم خير كله بمقتضى طبيعتهما فليعلم أن يتنباها إلى من يعمل على تغيير وضعهما ، فإذا حرص الاشرار على أداء وظيفتهم بمقتضى طبيعهم ، فحرص الاخيار يجب أن يكون أشد وألزم . . هذا هو الأزهر على ما يجب أن يكون وهذه هي مشيخته كما نفهم عظمتها وجلالها . فإذا ظهروا بما في غير مكانهما فالمصريون شركاء في المسؤولية أمام الله وأمام التاريخ ، لأن العلماء غير معصومين . والأمم الحية هي التي تقوم على حراسة قواها الطبيعية والمعنوية ، ولا ترتفع المسؤولية عن الأمم إلا إذا كانت في طفولتها أو في شيخوختها ، وقد أدت الأمة المصرية والحمد لله واجبتها نحو مشيخة الأزهر . . وقد ألقى المراضى كلمة في حفلة تكريمه جاء فيها :

أحمد الله جل شأنه على ما أولانيه من الكرامة بهذه المنزلة في نفوسكم ، وأشكر الحضرات الداعين المحتفلين برهم وكرمهم وعاطفة الحب الفياض البادية في قلوبهم وفعلهم في شعرهم ونثرهم ولحضرات المدعوين تشریفهم واحتمالهم مشقة الحضور الذي أعربوا به عن جميل عطفهم وحبهم .

ويسهل على قبول هذه المنن كلها واحتمالها إذا أذتم لي في صرف هذه الحفاوة البالغة عن شخصي الضعيف واعتبارها كلها موجهة إلى الأزهر الشريف الذي تجلونه جميعاً ، وتعتبرونه بحق شيخ المعاهد الإسلامية في مصر وغيرها من البلاد .

ولئن دل هذا الاجتماع بالقصد الاول على غرض التكريم فقد دل بالإشارة على ما هو أسمى من غرض التكريم .

دل على أن الأزهر خرج عن حالته التي طال أمدها ونهض يشارك الأمة في الحياة العامة وملابساتها وعزم على الاتصال بها ليفيد ويستفيد ، وهذه ظاهرة من من ظواهر تغير الاتجاه الفكري الذي نشأ عن تغير طرائق التعليم فيه وعن شعوره بأن في الحياة معارف غير معارفه القديمة يجب أن تدرس وتعرف ، وطرائق في التعليم يجب أن تحتذى ويتهدى بها . ومنذ أربعين سنة اشتد الجدل حول جواز تعليم الحساب والهندسة والتاريخ في الأزهر وحول فائدة تعليمها لعلما الدين ومنذ أربعين سنة قرأ لنا أحد شيوخنا كتاب الهداية في الفلسفة في داره على شرط أن نكتب الامر لئلا يتهمة الناس ويتهمونا بالزيغ والزندقة . . والآن تدرس في كلية أصول الدين الفلسفة

القديمة والحديثة ، وتدرس الملل والنحل ، وتقارن الديانات ، وتعلم لغات أجنبية شرقية وغربية . ومن الحق علينا ألا ننسى في هذه المناسبة والحديث حديث الأزهر والأزهريين ذلك السكوب الذي انبثق منه النور الذي نهتدى به في حياة الأزهر العامة ، ويهتدى به علماء الاقطار الاسلامية في فهم روح الاسلام وتعاليمه ، ذلك الرجل الذي نشر الحياة العلمية والنشاط الفكري ووضع المنهج الواضح لتفسير القرآن الكريم وعبد الطريق لتذوق سر العربية وجمالها وصاح بالناس يذكرهم بأن العظمة والمجد لا يبنيان إلا على العلم والتقوى ومكارم الاخلاق ، ذلك الرجل الذي لم تعرفه مصر إلا بعد أن فقدته ولم تقدره قدره إلا بعد أن أمعن في التاريخ ، ذلك هو الأستاذ الامام محمد عبده قدس الله روحه وطيب ثراه ، وقد مر على وفاته ثلاثون حولاً كاملة ، ومن الوفاء بعد معنى هذه السنين ونحن نتحدث عن الأزهر أن نجعل لذكره المكان الاول في هذا الحفل ، فهو مشرق النور وباعث الحياة ، وغين الماء الصافية التي نلجأ إليها إذا اشتد الظلم ، والدوحة المباركة التي نأوى إلى ظلها إذا قوى لفتح الهجير والأزهر كما تعلمون هو البيئة التي يدرس فيها الدين الاسلامي الذي أوجد أمماً من العدم ، وخلق تحت لوائه مدينة فاضلة ، وكان له هذا الاثر الضخم في الارض فهو يوحى بطبعه إلى شيوخه وابنائهم واجبات انسانية ، ويشعرهم بفروض صورية ومعنوية ، يعدون مقصرين آثمين أمام الله وأمام الناس إذا هم تهاونوا في اداها وانهم لا يستطيعون اداء الواجب لربهم ودينهم ولمعهدهم وأنفسهم إلا إذا فهموا هذا الدين حق فهمه ، وأجادوا معرفته ، وفهموا روح الاجتماع ، واستعانوا بمعارف القدامى ومعارف المحدثين فيما تمس الحاجة اليه بما هو متصل بالدين ، أصوله وفروعه ، وعرفوا بعض اللغات التي تمكنهم من الاتصال بأراء العلماء والاستزادة من العلم وتمكنهم من نشر الثقافة الاسلامية في البلاد التي لا تعرف اللغة العربية ، هذا كله يحتاج إلى جهود تتوافر عليه وإلى التساند التام بين العلماء والطلبة والقوامين على التعليم ، ويحتاج إلى العزم والتصميم على طي مراحل السير في هدوء ونظام وحب وصدقنية وكمال توجه إلى الله وحب للعلم لا يزيد عليه إلا حب الله وحب رسوله .

والمسلمين في الأزهر آمال ، ومن الحق أن يتنبه أهله لها وهي :

أولاً — تعليم الأمم الاسلامية المتأخرة في المعارف وهدايتها إلى أصول الدين وإلى فهم الكتاب والسنة ومعرفة الفقه الاسلامي وتاريخ الاسلام ورجاله ، وقد كثرت

تطلع هذه الأمم إلى الأزهر في هذه الأيام وزاد قاصدوه منها أفراداً وجماعات، واشتد طلبها للعلماء الأزهر يرحلون إليها لأمانه الدين وهي بيانه ونشره .

ثانياً — إثارة كنوز العلم التي خلفها علماء الاسلام في العلوم الدينية والعربية والعقلية وهي مجموعة مرتبطة بعضها ببعض ، وتاريخها متصل الحلقات ، وقد حاول العلماء كشفها فنقبوا عنها وبذلوا جهوداً مضنية وعرضوا نتائج بعضها صحيح وكثير منها غير صادق ، وعذرهم أنهم لم يدرسوا هذه المجموعة دراسة واحدة على أن بعضها متصل بالآخر ، كما هو الحال في دراسة الأزهر . فاذا وفق الله أهل الأزهر إلى التعمق في دراسة هذه المجموعة دراسة قديمة حديثة ودراسة المعارف المرتبطة بها وأتقنوا طرق العرض الحديثة أمكنهم أن يعرضوا هذه الآثار عرضاً صحيحاً صادقاً بلغة يفهمها أهل العصر الحديث وإذا فاك يكونون أداة اتصال جيدة بين الحاضر والماضي ويطلعون العالم على ما بهر الانظار من آثار الاقدمين ، وأعتقد أن التعليم الأزهرى على النحو الذى أشرت إليه هو الذى يرجى لتحقيق الأمل ، وأنه مدخر لأبنائه إن شاء الله .

ثالثاً — عرض الاسلام على الأمم غير المسلمة عرضاً صحيحاً في ثوب نقي خال من الغواشى المشوهة لجماله ، وخال بما أدخل عليه وزيد فيه من الفروض المتكلفة التي ياباها الذوق ويمجها طبع اللغة العربية .

رابعا — العمل على ازالة الفروق المذهبية أو تضيق شقة الخلاف بينها ، فان الأمة في محنة من هذا التفرق ومن العصبية لهذه الفرقة ، ومعروف لدى العلماء أن الرجوع إلى أسباب الخلاف ودراستها دراسة بعيدة عن التعصب المذهبي يهذى إلى الحق في أكثر الاوقات ، وان بغض هذه المذاهب والآراء قد أحدثتها السياسة في القرون الماضية لمناصرتها ونشطت أهلها وخلقت فيهم تعصباً يساير التعصب السياسي ، ثم انقرضت تلك المذاهب السياسية وبقيت تلك الآراء الدينية لا تتركوا إلا على ما يصوغه الخيال وما افتراه أهلها ، وهذه المذاهب فرقت الأمة التي وحدها القرآن وجعلتها شيعا في الأصول والفروع وتبع عن ذلك التفرق حقد وبغضاء بين من يلبسون ثوب الدين ، وتبع عنه سخط مثل ما يقال في فروع الفقه الصحيح ان ولد الشافعي كفء لبنت الحنفي ، ومثل ما يرى في المساجد من تعدد صلاة الجماعة وما يسمع اليوم من الخلاف العنيف في التوسل والوسيلة وعذبات العائم وطول اللحى حتى ان بعض الطوائف لا تستحي اليوم من ترك مساجد جمهرة المسلمين .

إن من الخير والحق أن نتدارك هذا ، وأن يعنى العلماء بدراسة القرآن الكريم والسنة المطهرة دراسة عبدة وتقدير ، لما فيها من هداية ودعوة إلى الوحدة ، دراسة من شأنها أن تقوى الرابطة بين العبد وربّه ، وتجعل المؤمن رحب الصدر هاشا باشا للحق مستعدا لقبوله عاطفا على إخوانه فى الانسانية كارها للبغضاء والشحناء بين المسلمين .. قد أتهم بأن تخيلت ، نخلت ، ولا أبالى بهذه التهمة فى سبيل رسم الحدود ، ولقت النظر اليها وفضل الله واسع وقدرته شاملة ، وما ذلك على الله بعزيز .

والآن وقد أوضحت بالتقريب آمال المسلمين فى الأزهر ، ترون أن اللعب الملقى على عاتق الأزهر ليس هين الحبل ، فانه فى حاجة إلى العون الصادق من كل من يقدر على العون : إما بالمال أو العقل ، أو بالمعارف والتجارب ، وكل شىء يبذل فى طريق تحقيق هذه الآمال هين ، إذ أنت الجهود بهذه الثمرات الطيبة المباركة . .

ولقد ولد الشيخ محمد مصطفى المراغى فى اليوم التاسع من شهر مارس سنة ١٨٨١ فى المراغة من أعمال مديرية جرجا بمصر العليا وحفظ القرآن الكريم بمكتب القرية وتلقى على أبيه بعض العلوم ثم التحق بالأزهر ، واتصل بالأسستاذ الامام محمد عبده فتقف نفسه عليه فى دروس التفسير التى كان يلقها بالرواق العباسى .

ونال شهادة العالمية عام ١٩٠٤ ، وكانت سنة إذ ذاك أربعة وعشرين سنة ، وكان بذلك من أصغر الحاصلين على هذه الشهادة يومذاك .

وكان تاريخ دخوله امتحان الشهادة العالمية هو ١٢ ربيع الثانى ١٣٢٢ هـ ، وقد أعجب به الامام محمد عبده إعجابا شديدا .

ولم يسكن رحمه الله ، من الماكفين على تناول علوم الأزهر وحدها وإنما كان يضيف اليها ما يشعر به هو نحو العلم من احتياجات ، شأن الشبان الفائقين ، فلقد أخذ دراساته الشخصية ، من بطون الكتب ، ومن منابعها الاصلية فى المخطوطات والهوامش والمتون .. كما كان عاكفا على دراسة الادب ، ودراسة الفلسفة وعلم الكلام ، وما ذلك إلا استجابة منه للوقوف على روح الثقافة ، ولذلك فقد نشأ صاحب عقلية مرنة مبسوطة ، تمضى إلى الدقائق وما يخفى امره على الكثيرين .

ولا جرم بعد ذلك أن يشيع اسمه بين الطلبة الذين أقبلوا حول حلقة بالجامع الأزهر ، وهو يلتقى عليهم الدروس بعد تخرجه ، ببطيقة جديدة ، كان هدفها البحث عن الحقيقة ، ووسيلتها التعرّيج بعقلية السامع إلى فنون الادب وأشتات الفلسفة وأشاج الكلام .

ورشح بعد لمنصب كبير ، هو منصب القضاء لمديرية دنقلة في السودان ، ذلك المنصب الذي ساعده على تسليق الحواجز السياسية ، واعلاء شأن كلبة الدين والحق بين الشمال والجنوب ، فتعلمه عليه الكثيرون من أبناء الجنوب ، بعد أن استساغوا لذة الوطنية الاسلامية من شروح الشيخ الجليل لقضايا الوطن بين خصاصه وصفوة تلاميذه في السودان ، وكان يعنى بذلك المسلك أن رجل الدين إنما هو من رجال السياسة يدلي بدلوه فيها دون انغاس ، حتى يكون القائد إلى تحقيق الوطنية الاسلامية ، وفقا لتعاليم الدين ، لانهيارا إلى المعتقدات السياسية .

لقد كان الشيخ المراغى - رحمه الله - يعرف رسالة رجل الدين تماما ، وهي رسالة العالم الذي يعمل للحياة كلها ، وللوطن الاسلامي كله ، فلا يصدر رأيا إلا إذا كان الرأي لبننة في بناء هذا الوطن الكبير .. ومن ذلك ، أن سلاطين باشا يوم أن عرض عليه قبول منصب قاضى قضاء السودان - قبل أن يتولى منصب رئيس المحكمة الشرعية العليا - اشترط لقبول المنصب أن يكون تعيينه فيه بأمر يصدره خديو مصر ، لرجال السلطة الانجليزية في السودان .

وفي عام ١٩٢٣ عين رئيسا للمحكمة العليا الشرعية ، فواجه بمنصبه ذلك تلك الحوائل التي تمنى أن يقضى عليها بالحكام وكانت المحاكم الشرعية في ذلك الوقت تحكم في قضايا الزواج والطلاق وسائر الاحوال الشخصية ، وفق القول الراجح من مذهب أبي حنيفة . ولما كانت هناك أحكام أخرى تحقق التيسير على المتقاضين ، فقد رأى أن يؤخذ بهذه الاحكام ، وأن يعدل قانون المحاكم الشرعية .

وكان من رأيه الأخذ برأى ابن تيمية ومحمد بن القيم الجوزية في جعل الطلاق الثلاث في لفظ واحد طلقة واحدة ، وما كاد يجهر بهذا الرأي في مشروع أعده ، حتى استهدف لحملة عنيفة من بعض العلماء ورجال القضاء الشرعى .

ولكن تاريخه في العلم ، والدراسة ، وتشربه من روح الامام الاكبر الشيخ محمد عبده مكنته من الثبات للمعركة ، والعمل على تيسير القضاء ، وتم له ما أراد . ولعل ما كتبه في الرد على العلماء الذين تناقشوا معه في تفسير تعاليم الاسلام في المحاكم الشرعية بما يشرح عقلية الرجل المبسوطة في ثقافة الاسلام الممدودة في بطون أسفار العلوم الاسلامية ، قال رحمه الله :

أثار مشروع قانون الزواج والطلاق حركة فكرية اجتماعية دينية، فنشط العلماء للبحث والاستنباط والرجوع إلى كتب الشريعة المطهرة، وتطبيقها على القانون، ونشط غيرهم إلى بحثه من الوجهة الاجتماعية، وما لنا لا نغيبط بهذا، وقد تستمر هذه الحركة، ويتجدد نشاط الفقه الاسلامي بعد ركوده في المتون والشروح، وتوجه اليه الانظار وتولد فكرة تهذيبه باختيار ما صح دليله وما قام البرهان على أن فيه مصلحة للناس من أقوال أئمة الهدى وفقهاء الاسلام.

وقد يقضى على تلك الفكرة الخاطئة فكرة وجوب تقليد الأئمة الاربعة دون سواهم سواء أوافقت مذاهبهم أم خالفها مصلحة المجتمع.

أما جهوده في إصلاح الأزهر والعناية باعادة سالف مجده اليه كأقدم جامعة في التاريخ، والجامعة الكبرى التي قامت على حفظ التراث الاسلامي ولغة القرآن فحديث معاد.. ويقول فيه الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم:

«لقد كان المراغي ذا فطرة سليمة صافية، يدها ذكاء شديد، واستعداد طيب، وكان بما أفاده وخرجه تخرجاً قوياً تلذته على الرجلين العظيمين المغفور لهما الشيخ أحمد أبي خطوة والشيخ محمد عبده، فعنهما اكتسب الاستقلال في التفكير والميل إلى الحرية، والقصد في الاعتقاد بما يراه أهل التقليد، وكان له مع هذا كله قدرة عظيمة على التعبير عن أفكاره، في لفظ رائق وأسلوب قوى وبيان فصيح، وهذا هو السر في أنه ظهر بين شيوخ الأزهر مبرزاً قوياً، مجلجلاً مدوياً، وإن لم يكن أكثر علماً من الشيخ أبي الفضل ولا من الشيخ الشربيني.

إن العلم كسائر ما وهبه الله للناس، منه مبارك فيه، يجلب به النفع، ويسرى من صاحبه إلى غيره سهلاً مفيداً، ومنه ما ليس كذلك، وليست العبرة على كل حال بالقلة أو الكثرة، وقد كان المغفور له الشيخ المراغي كالمغفور له الأستاذ الامام الشيخ عبده من أصحاب العلم النافع المبارك فيه.. ثم قال:

لقد كنت أنا والشيخ المراغي صديقين حميمين، كلانا يحب صاحبه، ويقدر فيه مواهبه، ولم تكن هذه الصداقة عارضة بل كانت أصيلة، مرت بها عهود، وأعمال مختلفة اشتركنا فيها، ولكننا مع ذلك اختلفنا بعد لائى من مشيخته الثانية للأزهر، وكان خلافتنا معروفاً للخاصة والعامة من الأزهريين وغيرهم، وسببه الجوهرى ميله رحمه الله إلى ناحية السياسة الحزبية وشدة نفورى من ذلك، فاني أرى أن الخبر

كل الخير في أن يتجنب العلماء السياسة الحزبية ، وينأوا عن مكابدة الحزبية ومتاعها التي تفضي إلى ما لا يحمد من العواقب ، ولكن هذا الخلاف لم يخرجني ولا به عن الجادة ، وما ينبغي أن يكون عليه أهل العلم من المودة والنصيحة ، فكنت أبدأ له ودي ونصيحي ، وأنقد مع ذلك بعض تصرفاته التي أرى أن مبعثها غالبا هو ذاك ، وكان يتقبل ودي ، ويبادلني إياه ، ويعتذر عن عدم مشاطرتي الرأي فيما أنقده فيه ، أو يبدى من المبررات ما يراه لفعله . وعلى كل حال لم يكن هذا الخلاف بالذي يقطع ما بيننا من محبة وتعاون ، بل كان خلاف الشرفاء والحمد لله .

لقد كان رحمه الله في عهد مشيخته الأولى مؤيدا تمام التأييد ، وكنت مهجبا بأرائه وأفكاره الإصلاحية وطريقته في الإدارة ، وتركيزه قواه وما آتاه الله من مواهب في الأزهر وإصلاح شأنه ، ولقد كنت أعاونه معاونة قوية ، وقد ظلمت أقوم على رئاسة قسم التخصص وأنا في منصب الافتاء مدة طويلة ، أشرفت فيها على تخريج مئات من العلماء الأفوياء الذين يحملون الآن على عوانتهم أهم أعباء الأزهر ، وكنت أشارك معه في كثير من اللجان العلمية : كالجنة الأحوال الشخصية ولجنة مناقشة الرسائل العلمية التي كان يتقدم بها طلاب شهادة العالمية من درجة أستاذ ، وقد كانت هذه اللجنة تعقد أحيانا في الرواق العباسي ، ويشهدها — والمناقشات العلمية على أتم ما تكون قوة ودقة — علماء الأزهر وطلابه والراغبون في العلم والبحث من غير الأزهريين .. وكما كان يتجلى في هذه المناقشات الحرة ذكاء الشيخ المراغي وعلمه وقوة تفكيره وإخلاصه للفكرة العلمية وحرصه على تبين الحق ، وضرب المثل لا البناء الأزهر في تقبله والنزول على حكمه .

وكتب الاستاذ محمد فريد وجدي بمناسبة وفاته يقول : رزئت أسرة العلم في العالم الاسلامي كله بوفاة عميدها ، غير مدافع ، الشيخ مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر ، فلا نقول : كان لها أثر بالغ في النفوس ، ولكننا نقول : إنها كانت كارثة على الجهود النبيلة التي يبذلها العارفون بأمور الأزهر ، ويعملون على إحلاله المسكنة التي تناسب عظمة الاسلام ، وتمثله على حقيقته في نظر العالم . نعم إن البذر الذي وضعه رحمه الله ، لينتج هذا الاثر الفخم ، بطيء النمو ، ولكنه

هو الدواء الوحيد لداء المسلمين في مشارق الارض ومغاربها . لئلا نغنى باصلاح
الازهر ترتيب الدروس في أوقاتها ، وتوزيع مقررات الدراسات عليها ، وتعيين
المدرسين الاكفاء لتدريسها ، ومراعاة كفاياتهم في تحديد مراتبهم ، كل هذه
الشؤون أعراض لا تمت إلى اللباب في شيء ، وإنما لإصلاحه الصحيح ينحصر في أن
يصبح جهة دينية يسندها العلم وتؤيدها الفلسفة ، بحيث يتفق ذلك وحقيقة الاسلام
ومعناه ، ولا يدع في صدره مستشكل اعتراضا بأن الازهر يمثل عهدا لا يمت إليه اليوم
أحد بسبب . هذا الاصلاح ، إن لم يصل إليه الازهر في يوم من الايام ، في غير تطرف
ولا تعسف ، تلمس المسلمون ما يمثل مطالب روحهم في مكان آخر ، أو — وهو
الأرجح — اندفعوا في تيار الفلسفة المادية لا يلوون على شيء ، على مثال غيرهم
من الامم الاخرى . إن الشيخ المراغي كان يجيد فهم هذه الناحية من نفسية
المعاصرين ، وكان يعمل في سبيل الوصول إلى ما أشرنا إليه في تودة ورفق ، صابرا
على ما يحتوش هذه التودة ، بما يخيل أنها الوقوف بل القهقري بل الانحلال الذريع ،
والحقيقة كانت غير ذلك لمن يتأملها تحت ضوء النظر البعيد ، والتفكير العميق في
مستقبل العقيدة الاسلامية .

كان المراغي يعلم أن العالم المتمدن اليوم انتهى إلى حد من عقائده ، أملت عليه
فلسفة بوختر وهايكل ومواخوت النخ ، وأن العالم الاسلامي يترسم خطواته شبرا
بشبر ، مدفوعا بطبيعة الدراسات العلمية التي لا بد له منها ، وكان يعلم أن الازهر في
حالته التي هو عليها لا يصلح أن يقف حائلا دون هذا التطور ، وأنه لا بد له من
انقلاب ذريع يطرأ عليه ليصبح جديرا بالمهمة التي أرادها مؤسسوه منه في كل عهد
فإذا يفعل ؟ وليس بين يديه من يحسبون بهذا الخطر سوى عدد نزر ، لا يكفون
لاحداث انتقال خطير ، يتأدى به إلى غرضه بالسرعة المرجوة ؟

اضطر لان يسير وتيدا ، والسير الوئيد في مثل هذا العهد جريمة . فإذا يعمل
والاحوال حوله تجري في تيار معاكس ؟ وكثيرا ما رأى أن الاولى به التخلي عن
وظيفته ، لولا أن للشعب كان يرى أن ليس لهذه المهمة العالمية غيره فيتمسك به .
فالذي يهم العارفين اليوم أن يخلف المراغي من يشاركه في هذا الشعور
ويجري على سنته فيه ، مشجعا العوامل التي تكسب الاسلام المظهر الذي صورناه

في مقدمة هذه الكلمة ، ولا شيء ينتج هذا الأثر أكثر من تشجيع الارساليات إلى أوروبا ، والاستكثار من خريجيها في كليات الأزهر ، وكل ما نطلبه أن ينتخب الذين يرسلون إلى أوروبا من ذوى العقليات الواسعة ، ومن الذين لا يحجب عنهم الحقائق ما يسدل عليها من حجب مهللة ، والذين يعرف عنهم ميل إلى الترقى العقلى ، وعدم الجود على الورائة . وهذه الناحية في المراعى كانت أظهر مافيه ، وهى أكرم جميع نواحيه ، وأحقها بالاحترام ، لأن ثمرتها تمثيل الاسلام ديننا يصح أن تعصم العقلية العصرية بجاه من وخزات الشكوك والريب ، فى عهد الفلسفة الحسية .

فان كانت الثمرة المرجوة لما تنضج ، ومظاهرها غير مشجعة ، فانها لا بحالة ستصل إلى حالة النضج ، إذا صادفت من يسلك طريقة الشيخ الراحل .

توفى رحمه الله فى ليل الثلاثاء بممستشفى المؤاساة فجأة ، وكان أوى اليه ليستجم ، فأبلغ الأمر إلى ولى الأمر فزار المستشفى وقرأ له الفاتحة ، وكان لوفاته أثر مؤلم فى نفوس الناس كافة ، وخاصة فى نفوس الذين كانوا ينتظرون أن يظهر الأزهر على يديه بمظهره الجديد .

الشيخ مصطفى عبد الرزاق

ولد رحمه الله عام ١٨٨٥م بآبى جرج من أعمال مديرية المنيا ، وهو الابن الثانى من أولاد المرحوم حسن عبد الرزاق باشا ، وبعد أن أتم تعليمه الأولى حفظ القرآن الكريم وجوده ، ثم التحق لطلب العلم بالأزهر الشريف وتخرج فى سنة ١٩٠٦ وحصل على شهادة العالمية من الدرجة الأولى بين زملائه الشافعية . وعين للتدريس فى مدرسة القضاء الشرعى ، وفى سنة ١٩٠٩ سافر إلى فرنسا والتحق بجامعة السربون ليضم إلى ثقافة الشرق ثقافة الغرب ونذبه مسيو لايير لتدريس بعض المباحث الاسلامية بجامعة ليون ، ثم عاد من فرنسا فى أوائل الحرب الكبرى وعين سكرتيرا لمجلس الأزهر وكان ذلك فى سنة ١٩١٦ وفى سنة ١٩٢١ عين مفتشا فى المحاكم الشرعية ، ثم عين سنة ١٩٢٧ أستاذ للفلسفة بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول وظل فى كرسى الأستاذية حتى اختير فى سنة ١٩٣٨ وزيرا للاوقاف فى وزارة المغفور له محمد محمود باشا الثانية واخبر عدة مرات فى وزارات مختلفة لتولى هذا المنصب حتى انتقل المغفور له الشيخ المراعى شيخ الأزهر إلى جوار ربه ، فاختير لهذا المنصب وهو وزير الاوقاف وصدر الأمر الملكى بتعيينه شيخاً للأهر فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٤٥ ، وظل فى هذا المنصب حتى لقي الرفيق الأعلى

ثم اختير أمير الحج في العام الذي توفي فيه ، فكان خير مبعوث لمصر بين أبناء البلاد الإسلامية عند البيت الحرام . ويقول عنه الأستاذ محمد فريد وجدي حين وفاته :
 انتقل إلى عالم الأرواح الخالدة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبدالرازق ، شيخ الجامع الأزهر ، وهو أصبح مايكون جسما وعقلا ، فكان لهذه الفجاءة أثر في النفوس لم نشهد مثله لأحد قبله ، لأن الناس كانوا أحوج مايكونون إلى مثله في هذا العهد من الانتقال ، وفي هذا الدور من الاعتراك بين القديم الحديث ، وكان الأستاذ بشخصيته الممتازة ، وسعة أفقه الثقافي خير من يدرك آثار هذا العهد في حياة الأمم ، وأصلح من يوكل إليه أمر التوفيق بينهما لمصلحة الدين والدنيا معا . فلا غرو إن ساور الطلع كل نفس تنتظر عهد الاستقرار والهدوء والتقدم . لم أرفق من قابلت من القادة والاعلى أكرم خلقا في غير استكاته ، ولا أهدأ نفسا في غير وهن ، ولا أكثر بشاشة في غير رخوة ، من الشيخ مصطفى عبد الرزاق ، وكل ذلك إلى حزم لا يعتوره لوث ، واحتياط لا يشوبه تنطع ، وأناة لا يفسدها فتور ، وإدماح على العمل ينسب معها نفسه ، وهي صفات كبار القادة . وعليه المصلحين ، بمن خلقوا المعالجة الشئون المعقدة ، وحسم المنازعات الشائكة ، والتوفيق بين المطالب المتنافرة ، وهذه مواقف كما تقتضى مضاء العزيمة ، تحتاج إلى هواة الاناة ، وكما تستدعى سرعة البت ، لا بد لها من القدرة على إزالة الحوائل ، وقد بما قالوا : رب عجلة أورثت ريتا ، ورب إقدام جر إلى نكوص ، فكان بما حباه به بارئه من هذه المواهب النادرة ، كفاء المهمة التي وفق المسئولون في إسنادها إليه ، وكنت لا أشك في أنه بما جبل عليه من حب الإصلاح ، وما اتصف به من الصفات التي سردناها آنفا ، سيصل إلى حل مشكلة الأزهر حلا حاسما ، يعيش تحت نظامه آمنة شر العوادي ، وفي منجاة من عوامل القلق والاضطراب . ذلك أنه بما تضلع من إلمام بنظم الجامعات ، وما حصل من علم بمقوماتها وحاجاتها ، لتضيقته في صميمها سنين طوالا من حياته طالبا ومدرسا ، يعرف من أسرار حياتها وبقائها وبواعث عللها وأعراضها ، مالا يعلمه إلا الافلون ، والأزهر لا يخرج عن جامعة قديمة في دور انتقال ، تتفاعل لتتناسب والعهد الذي تعيش فيه ، فهي في حاجة إلى أن تحصل على المقومات التي تواتر بهذا التناسب ، وهو لا ينحصر في زيادة ميزانيتها ، ولا في تهذيب برامج دراستها ، ولكنه يتعداها إلى ما هو إيجاد المجال الحيوي لخريجها . وهو أمر

لا يستطيع حله إلا بعد تمهيد الطريق اليه ، ورفع العقبات دونه ، والشيخ الراحل لما اتصف به من بعد النظر ، وتخير الظروف ، كان أجدر الناس باصابة هذا الغرض البعيد ، ولكن الله آثر له الدار الآخرة ، فكان ما أراد ، وترك الامر لمن يخلفه ، والله في ذلك حكمة ، وهو يتولى الصالحين .

ولد فقيدنا أجزل الله ثوابه في قرية أبي جرج بمديرية المنيا سنة (١٣٠٤) هـ الموافقة لسنة (١٨٨٥) م وتلقى التعليم الاولى فيها ، ثم بعث به والده إلى الازهر فلبث فيه اثنتي عشرة سنة . ولما نال درجة العالمية فيه أسندت اليه مهمة التدريس في مدرسة القضاء الشرعي . ثم رأى أن الأولى به أن يتم ثقافته بالمعارف الغربية ، فأمر بارس ، والتحق بجامعة (السوربون) المشهورة ونال إجازة في الأدب الفرنسي والفلسفة ، وانتقل من السوربون إلى معهد الدراسات الاجتماعية العليا لينال حظا من معارفها . ثم دعاه الأستاذ لامبير إلى ليون ليلقي محاضرات في الشريعة الاسلامية ، ويقوم بتدريس اللغة العربية هناك ، فلم تمنعه هذه الاعمال من متابعة دراساته في الفلسفة والأدب الفرنسي . وفي هذه الاثناء تقلد للأستاذ جوبلو ، الذي كان مرجع علم المنطق في فرنسا إذ ذاك ، ولما عاد إلى مصر سنة ١٩١٦ ، عين سكرتيرا لمجلس الازهر الاعلى ، ثم مفتشا للمحاكم الشرعية سنة ١٩٢١ . وفي سنة ١٩٢٧ عين أستاذا للمنطق والفلسفة الاسلامية بجامعة فؤاد ، واليه يرجع الفضل في إحياء المصطلحات العربية القديمة واستعمالها في تعليم فروع الفلسفة .

وبما هو جدير بالذكر أن جميع مدرسي الفلسفة في عهدنا الحاضر بجامعة فؤاد والاسكندرية من تلاميذه ، ولم تنقطع صلاتهم به ، وقد أسندت اليه وزارة الأوقاف مرتين ، ولما توفي الأستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغي ، وعز وجود من يملأ مكانه ، أسندت المشيخة إليه في ٢٧ من ديسمبر سنة ١٩٤٥ .

ومن مؤلفاته العديدة :

- ١ - ترجمة فرنسية لرسالة التوحيد تأليف الشيخ محمد عبده ، وضعها بالاشتراك مع الأستاذ ميشيل ، وحلاها هو بمقدمة طويلة .
- ٢ - رسائل صغيرة بالفرنسية عن المرحوم الأثرى الكبير بهجت بك ، وعن معنى الاسلام ومعنى الدين في الاسلام .
- ٣ - كتات التمهيد لتاريخ الفلسفة
- ٤ - فيلسوف العرب والمعلم الثاني . لاسلامية .

٥ - الدين والوحى فى الاسلام .

٦ - الامام الشافعى .

٧ - الامام محمد عبده ، وهو مجموع محاضرات ألقىت فى الجامعة الشيعية سنة ١٩١٩ . . . وكلها مؤلفات تعتبر غاية فى الإفادة .

وله كتب لم تنشر ، منها مؤلف كبير فى المنطق ، وكتاب فى التصوف ، وفصول فى الأدب تقع فى مجلدين كبيرين . وكان رئيسا لمجلس إدارة الجمعية الخيرية ، التى كان والده من مؤسسيها ، وكان عضوا فى مجمع اللغة العربية ، والمجمع العلمى المصرى .

وفى ٢٧ مارس عام ١٩٤٧ أقيمت حفلة لتأيينه فى جامعة فؤاد الاول ، ألقى فيها لطفى السيد وعبد العزيز فهمى والدكتور حسين هيكل ومنصور فهمى وإبراهيم دسوقي أباطة وطه حسين وامين الخولى والعقاد وسواهم كلمات وقصائد فى الاشادة بمناقبه . وألقى الشيخ محمد عبد اللطيف دراز فى الحفلة كلمة جاء فيها :

عرفت مصطفى عبد الرازق سكرتيراً عاماً لمجلس الازهر الاعلى ، وعرفته موظفاً فى وزارة العدل بعد إبعاده عن الازهر بسبب موقف وطنى كريم ، وعرفته أستاذاً فى الجامعة ، ووزيراً ، وشيخاً للجامع الازهر ، وخالطته أطول مخالطة ، وخبرته أشد الخبرة فى كل ما ينبغى أن يعرف حديق عن صديق ، وأخ عن أخ ، فاشهد ما تقلب به دهر ، ولا حاد عن عهد ، ولا زال عنه من خلق الرجال ما يزول عن المسترجلين والمتعاضمين ، إذا دالت الدولة ونبا الزمان وتقطعت بهم الاسباب ، فهو راض وإن سخط غيره ، وهو سميع وإن تعسر الزمان .

كان مصطفى عبد الرازق مثقفاً ، ولكن أية ثقافة هى ؟ هى الثقافة الاسلامية التى أفنى العمر فى تصويرها والدعوة إليها ، وحمل الامة عليها جمال الدين الافغانى ومحمد عبده وعبد الرحمن السكواكى ومحمد مصطفى المراغى وغيرهم من قادة النهضة وأئمة الاسلام فى هصرنا القريب . كان هو المثال الذى تمثلت فيه هذه الثقافة الحية الناهضة الجامعة بين خير ما فى الشرق وخير ما فى الغرب من تراث الاسلام الطاهر ، وثمرة العقول الناضجة ، وبهذا نعلم مقدار خسارتنا وخسارة الازهر والاسلام بفقد هذا الرجل . كان مصطفى عبد الرازق مؤمناً ، وإيمانه هو الذى كون له

هذه النفس القوية العظيمة ، فإن الثقافة وحدها لا تصنع النفوس ، فنحن نرى بعض المثقفين يتخذون من ثقافتهم طريقاً لمجرد كسب العيش ، وهى فى البعض الآخر طريق إلى الشرور والمآثم والفتن ، تشقى ولا تسعد ، وتدمر ولا تعمر ، وتهلك الحرث والنسل ، ويبغى بها الناس بعضهم على بعض ، ويسعون بها فى الأرض فساداً ، فما أبعد الفرق بين هذه الثقافة وبين كرائم الإيمان ! . تلك مادية صرف ، وليس من هذا فقط كان فسادها فقد تنفع المادة وتصلح ، ولكن فسادها كان من أن الشيطان تولى زمامها فصرها عن غايتها المثل وأركسها فى الشهوات والاهواء . أما مواهب الإيمان فهى نفحات قدسية تملأ القلب هداية ونورا ، وسكينة وثباتا ، وأمانا وسلاما ، ومحبة ورضا ، وأمل فى الله ومراقبة له ، وعملا لوجه ربك ذى الجلال والاکرام . وهذه هى السعادة التى جاء بها المرسلون وجاهد فى سبيلها المصلحون ، وسعد بها المؤمنون ، فإذا هيمت النفس طيبة نبيلة أن تجمع بين هبة الدين الحق والعلم الصحيح ، فقد أشرقت بنور على نور ، ونور الإيمان بالله يملأ القلب ، ونور العلم يهتدى به العقل فى الوصول إلى الحق . وكذلك كان فضل الله ونعمته على فقيدنا الكريم عليه رحمة الله : جمع الله له من خير ما يحمده لعباده الصالحين ، ففتح له سلامة الفطرة ، فكان من أسلم الناس نفسا ، ومنحه سداد العقيدة فكان من أنفذ الناس بصيرة فى الدين ، ومن أشدهم استمساكا به واعتصاما بهديه ، ومنحه العلم الصحيح والمعرفة الواسعة فكان من أجمع الناس لعلوم الشرق والغرب ، تمثلها عن خبرة ودراية وإمامة ، وهو بهذا من الأمثلة الكاملة فى الشرق للثقافة الإسلامية الكاملة .

فإذا أراد الأزهري مثالا أعلى لا بنائه وإذا أراد الأزهري مثالا أعلى لشيوخه ورؤسائه ، فإن مصطفى عبد الرزاق هو المثل الذى يعز نظيره ويندر وجوده . وهل هناك أدلة على بنوته الأصلية للأزهري من أن ثقافته الحديثة لم تحل بينه وبين أزهريته فى جميع مراحل حياته ، وبقي ابناً للأزهري فى روحه وعمله وفى وفائه لأصدقائه ؟ وقد بالغ فى التمسك بأزهريته إلى حد أنه وقد تقلد منصب الوزارة لم يستطع أن يغير زيه الأزهرى وقد قيل منه ذلك على روى . وهل هناك دليل على تأصل الروح الأزهرى فى نفسه أظهر من هذا ؟ إن الطلبة الأزهريين الآن يحاولون أن يخلعوا أزياءهم ليبرزوا فى صورة أخرى زعموا أنها هى الموافقة لروح العصر ، فكيف نقول فى رجل سافر إلى أوروبا وتولى من المناصب وخالط من الأشخاص والهيئات والبيئات ما كان يلح فى دعائه إلى تغيير زيه فلم يجد منه ذلك كله إلا إباء

وامتناعا واعتصاما بكل ما يدل على أنه ابن الأزهر ؟ ومسألة الزى عندنا مسألة شكلية ، ولكنني قصدت أن أشير إلى مظهر الأزهرية الأصيلة في نفس مصطفى عبد الرازق ، وهذه الأزهرية الصحيحة هي التي مكنت له أن يجمع بين ثقافة الشرق والغرب فلم يختلفا عليه ، ولم يستعص عليه أمرهما كما استعصى على غيره . وإذا تحدثت متحدث عن مصطفى عبد الرازق فلن يستطيع أن يغفل الحديث عن سماحة نفسه وعطفه على المحتاجين ، وإن كان حديثه معادا ، لأن في تكرار هذا الحديث متعة لنفس المتحدث ونفوس السامعين ، يعرف هذه السماحة كل موطن من المواطن التي عاش فيها الفقيد موظفا وغير موظف ، في الجامعة وفي الأزهر ، يعرف الطلبة الذين كاد الفقر أن يحول بينهم وبين غايتهم ، فكان مصطفى عبد الرازق هو الذي يكفهم ، وهو الذي يفرج عنهم — بفضل الله عليهم وعليه — هذه الشدة ، وتعرفه عائلته فقيرة أخى عليها الدهر ، فكان مصطفى عبد الرازق غوثها ومددها وعائلتها ، يخفى ذلك عن الناس ، ولو استطاع لاختفاه عن نفسه ، حتى لا تعرف شماله ما تنفق يمينه .

وفي مارس عام ١٩٤٧ أيضا أقام معهد المنيا الديني حفلة تأبين للمغفور له الأستاذ الاكبر الراحل ، ألقى فيها صاحب الفضيلة الشيخ محمود أبو العيون خطبة بليغة جاء فيها : فجع الأزهر في شيخه فجأة ، فكانت صدمة الفجعة فيه شديدة ، صدمة روعت القلوب ، وأذهلت النفوس ، وأدهشت العقول . وقعت الواقعة في وقت كان الأزهر يستشرف بواكير أعمال شيخه الجليل وإصلاحاته التي وضع أسسها في أيامه القليلة التي قضاه بين ربوعه .. إن الشيخ مصطفى كان يحمل على أطواء قلبه التناقض بالخير للأزهر والاسلام بنود العمل المجيد ، والنهضة الصالحة للجامعة الأزهرية بما يكفل لها الحياة الأزهرية القيمة ، والمستوى الرفيع بين جامعات الأمم المتحضرة . وكان طموحه وهدفه أن ييسر للأزهر النهوض برسائله الدينية والاجتماعية ، ونشر السلام والطمانينة في هذا العالم المملوء بالشور والقلق الروحي .

كان يجمعنا اليه ويضع الاقتراح في مسألة معينة من مسائل الإصلاح في الأزهر ، وتداول الرأي فيها ويدلى هو برأيه كالمستفهم ، وفي النهاية يستقيم الامر على الأساس الذي ارتآه في نفسه وفي سريره . وهكذا دواليك ، حتى اجتمع من ذلك جملة مسائل الإصلاح الذي اتواه ، ووضع أساسه ، وأزمع لإجرائه . وفي الحق : انه ما كان يقطع برأي دون الإجماع منا على استحسانه ونفعه ، وكان سبيله في الإقناع

الرفق واللين ، والحجة الناطقة ، والبرهان الواضح . وضع مرة مسألة أمامنا : فقيدنا العظيم ، ووكيل الأزهر ، ومديره ، والمائل أمامكم . تداولنا الرأي في المسألة فكان رأي مخالفاً للجميع في صلابته . فابتسم المغفور له ابتسامة عميقة الإحساس ، ثم قال : لعل لفلان حجة يكون فيها مقنع لنا . وما زال بي يلطف ويرق ، ويعالج ويقنع ، حتى جرتني إليه وأساس قيادي ، فكسنت في صف الجماعة . وكان شيخنا كثير الحلم والانتانة . وأذكر أنه عرض من بعض الطلبة شيء مخالف قبيل وفاته مما يستفز صدر الحليم ، فرعد وزمع ، وتمعر وجهه على غير عادته ، فقلت : سيدى أين غاب عنك حلمك ، ولم تغيرت عادتك في هذه المرة ؟ ! فقال مبتسماً ، وفي صوت مرنان : ومن ذا الذى ياعز لا يتغير ؟ إن الأزهر حين لجمع في شيخه الاكبر ، فإنما لجمع في أسمى وأطيب وأعرق الخلال الكريمة التى لو وزعت على جماعة كثيرة لوسعتهم جميعاً ، وكان أجل ما فى خلاله الوفاء ، الوفاء الخالص المتصل ، لا صدقاته وولاداته ، والعفاة المحرومين الذين اتصلوا به ، وكان إلى جانب الوفاء الكرم والسماحة ، كرم النفس ، وسماحة الصدر إلى حد التضحية بكل نفس فى سبيل ذلك . وفى جانب الوفاء والكرم والسماحة والحياء .

ومن كلماته كلمة ألقاها بمناسبة اختياره رئيساً فخرياً لجمعية المحافظة على القرآن الكريم بعد وفاة الشيخ المراغى ، قال فيها :

« للقرآن مصقلة القلوب كما ورد فى الحديث ، وما أحوج قلوبنا إلى ما يصقلها ويجلو منها الصدا ! والقرآن هدى ونور ، فهل إلا القرآن لما يغشى العالم اليوم من ظلام وضلال ، والقرآن من بعد هذا ثقاف للألسن ، يقوم عوجها ، ويصلح عجمتها ، ويغذى من البلاغة مادتها ، فمن عمل على تنشئة أطفالنا على حفظ القرآن وترتيله ومدارسته ، فإنما يصلح القلوب ، ويقوم الأخلاق ، ويخدم العربية ، وما أشرف ذلك مقصداً وأعظمه نفعاً ! ويتقاضانا الوفاء بمناسبة أول احتفال سنوى بعد وفاة الرئيس الفخرى السابق رضى الله عنه أن نذكر ما أثره الباقيات فى خدمة القرآن الكريم : كان رحمه الله مسلماً صادقاً ، وكان يحب القرآن حباً جماً ، وقد عنى فى أكثر دروسه الدينية بالتفسير فى أسلوب يلائم جلال كتاب الله ، ويوطد أسباب فهمه لأذواق الأجيال الحاضرة ، كما كان يصنع من قبل أستاذنا الامام الشيخ محمد عبده . . ووجه الأزهر إلى العناية بالدراسات العالية لعلوم القرآن ، وقد أنشأ معهد القراءات والتجويد ، والمرجو أن يتابع الأزهر السير فى هذه السبيل ، فيقوى

معهد القراءات ويكمّله ، وينشئ إلى جانبه دراسات عالية للحديث وعلومه ، حتى يستوفى الأزهر جميع الوسائل التي تعدّه لأن يكون كعبة المسلمين في كل ما يتصل بالقرآن والحديث . وفي مجلة الأزهر دراسة عن الشيخ مصطفى عبد الرزاق الشاعر (١)

الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مأمون الشناوي

١٨٨٠ — ١٩٥٠ م

كان رحمه الله من أمثل العلماء في خلقه ودينه وورعه وتقواه .. ولد عام ١٨٨٠ ونال العالمية من الأزهر الشريف عام ١٩٠٦ وعين مدرسا بمعهد الاسكندرية الديني ثم اختير للقضاء الشرعي عام ١٩١٧ ، وفي عام ١٩٣٢ اختير شيخا لكلية الشريعة في عهد الاحمدى الظواهري شيخ الأزهر الشريف ، وفي عام ١٩٣٤ منح عضوية جماعة كبار العلماء ، ثم اختير وكيلا للأزهر عام ١٩٤٤ ؛ في ١٨ يناير ١٩٤٨ اختير شيخا للأزهر بعد وفاة شيخه الشيخ مصطفى عبد الرزاق ، واستأثرت به رحمة الله في ٤ سبتمبر ١٩٥٠ وقد ترك رحمه الله آثارا عديدة في الأزهر ، وتلاميذ عديدين معجبين بفضلهم وعلمه ! وفي عهده أنشئ معهد المنصورة الديني وسواه من المعاهد الدينية ... وقد ترجمت له بإفاضة ، وذكرت كثيرا من آثاره العلمية والدينية في كتابي «الاسلام ومبادئه الخالدة» ، فلا داعي لإطالة الحديث عنه في هذا الكتاب .

الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم

كان الأستاذ الأكبر عبد المجيد سليم من العلماء القلائل الذين قل أن شهد لهم الأزهر مثيلا : في سعة الافق ، وجلال الخلق ، وعظمة النفس ، وقوة النزوع إلى المثل العليا ، فهو بحق خلف عظيم لاسلاف كرام .

تلمذ على الامام محمد عبده ، فتخرج عالما قديرا ، وشيخا جليلا ، ومالبا أن يجعله مواهبه وكفائته وشخصيته علما بين زملائه العلماء . وشاهد الاحداث الكبرى في تاريخ الوطن الديني والفكري والاجتماعي والسياسي ، واشترك فيهما وجهها وهاذايا وشغل الكثير من المناصب الدينية الجليلة في الأزهر والقضاء الشرعي والافتاء ، وكان لآرائه الدينية صداها البعيد في العالم الاسلامي كافة ، ثم عهد اليه بالاشراف على

الدراسات العليا في الأزهر الجامعي ، ثم صارت اليه رئاسة لجنة الفتوى ، فكان له في كل ناحية أعمال خالدة مأثورة .. وإصلاح الأزهر الجامعي في شتى أطواره المختلفة في العصر الحديث مدين لفضيلته بالرأى والتوجيه .

وقد ولد الشيخ عبد المجيد سليم في ١٣ أكتوبر ١٨٨٢ ، وتخرج من الأزهر عام ١٩٠٨ ، حاملا العالمية من الدرجة الأولى .. وشغل وظائف التدريس والقضاء والافتاء ومشيخة الجامع الأزهر . ومسك في الافتاء قرابة عشرين عاما . وله من الفتاوى ما يربو على خمسة الفا

ولقد تولى مشيخة الأزهر مرتين ، أقبل في أولها لأنه نقد الملك .

وقد ركز نشاطه في السنوات الاخيرة في الاشتغال بجماعة التقريب بين المذاهب الاسلامية ، وقد جعلت هذه الجماعة من اهدافها أن تتفاهم الطوائف الاسلامية اعلى ما ينفع المسلمين ، وان تعمل على نسيان الخلاف واستلال الضمائن من بينهم ، وله في هذه الناحية كتابات ورسائل ومراسلات بينه وبين كثير من علماء البلاد الاسلامية ، فلم يقتصر فضله على العلم في مصر ، ولكنه تجاوز ذلك إلى آفاق الاسلام ، وإلى كل الطوائف ولفضيلته عدة رسائل مخطوطة ، وقد أثر عنه الشجاعة في قول الحق والجهار به أمام الحكام دون خوف أو حذر ، وقد استقال من الافتاء عام ١٩٤٦ حين وجد حكومة ذلك العهد تريد التدخل في شئون الأزهر ، وقال لرئيس ديوان الملك حين حذره من الخطر الذي سيلحقه : « لأنني مادمت انردد بين بيتي والمسجد فلا خطر علي » . عين فضيلته في مشيخة الأزهر للمرة الأولى يوم ٢٦ ذى الحجة عام ١٣٦٩ هـ - الثامن من شهر اكتوبر عام ١٩٥٠ وأعني من المنصب في ٤ سبتمبر ١٩٥١ ثم تولى المشيخة لثاني مرة في ١٠ فبراير ١٩٥٢ واستقال من المنصب في ١٧ سبتمبر ١٩٥٢ ، وتوفي عليه رحمة الله في صباح يوم الخميس ١٠ من صفر ١٣٧٤ هـ - ٧ من اكتوبر ١٩٥٤ ، تاركا ذكريات إسلامية لا تنسى .

الاستاذ الأكبر الشيخ إبراهيم حمروش

ملء القلوب والاسماع ، وحديث الخاصة والعامة ، وشخصية تكاد من جلالها وتواضعها تعد مع الخالدين الأوائل من كبار أئمة الاسلام .. حجة في علوم الدين واللغة والأدب ، وإمام في المعقول والمنقول ، وشيخ كثير من علماء الأزهر المعاصرين ، تلبذو عليه ، ونهلوا من معين علمه الفياض ، واستمعوا لأحاديثه وآرائه في اللغة والبلاغة والأدب ، وفي علوم الشريعة وأحكامها ، وفي دقائق الاجتماع والتاريخ ، فكان لهم من

ذلك علم غزير ، ومدد فياض . ، ومجلسه العامر يفيض بالجديد الطريف من معارفنا الحاضرة ، وبالتقليد القديم من علوم الأوائل ومعارفها ، وإلى جانب ذلك النكتة الرائقة والفكاهة الشائقة ، والآداب الرفيعة ، في سمت الصالحين الورعين ، والزاهدين العابدين ، مع التقوى والتواضع ، وغفة اللسان ، وطهارة القلب ، وبقطة الضمير . وهو صوفي ورع ، محب لآل البيت ، كثير الإجلال لذكركم ، مع التوكل على الله والتباعد عن السياسة . وهو من أرومة عربية طيبة ، من عرب إقليم البحيرة ، حفظ القرآن ، وجاور في الأزهر ، وتلمذ على الامام محمد عبده ، وقال العالمية من الدرجة الأولى ، وشغل منصب التدريس في الأزهر ، ثم في مدرسة القضاء الشرعي ، ثم تدرج في مناصب القضاء ، ثم اختير شيخاً لمعهد أسيوط ، فشيخاً لمعهد الزقازيق ، فعميداً لكلية اللغة العربية ، فشيخاً لكلية الشريعة . . ثم أسندت إليه رئاسة لجنة الفتوى بالأزهر الشريف ، ثم منصب المشيخة العظمى ، والامامة الكبرى للإسلام والمسلمين . إلى جانب عضويته في مجمع اللغة العربية منذ نشأته حتى اليوم ، ولقد عاش طول حياته يحلم بإصلاح الأزهر ويعمل مع العاملين لهذا الهدف ، ويشترك في جميع اللجان التي ألفت لذلك .

ولقد تخرج الشيخ إبراهيم حمروش من الأزهر ، عام ١٩٠٦ ، وعين مدرسا في الأزهر ، ثم اختير للتدريس في مدرسة القضاء الشرعي ١٩٠٩ ، ومكث مدرسا بها حتى سنة ١٩١٦ ، ثم عين قاضيا في المحاكم الشرعية ، وظل يرقى في مناصبها ، إلى أن اختير عام ١٩٢٨ شيخاً لمعهد أسيوط ، ونقل بعد شهر شيخاً لمعهد الزقازيق ، ولما أنشئت الكليات الأزهرية اختير عام ١٩٣٢ شيخاً لكلية اللغة العربية ، وفي عام ١٩٤٤ اختير شيخاً لكلية الشريعة ، ثم استقال من منصبه عام ١٩٤٦ احتجاجا على السراى لتدخلها في شئون الأزهر ، وعين عام ١٩٥٠ رئيسا للجنة الفتوى . . وهو عضو في المجمع اللغوي بالقاهرة منذ إنشائه عام ١٩٣٢ .

والاستاذ الأكبر مكانته الكبيرة في قلوب الأزهريين دفهو حيثما حل وحيثما كان موضع التجلد والاحترام والتقدير ، من كل أزهري وكل مسلم . . ومكانته العظيمة في العالم الاسلامي في غنى عن البيان .

وإن معاهد الأزهر وكلياته لتفخر بجموده في تنظيمها وفي توجيهها لأداء رسالتها ، ولقد نال مكانته المرموقة بما فطر عليه من نبل خلق وعظمة شخصية وسعة علم وصلاح وإيمان

كان في الوظائف الكبرى التي تقلدها مثالا عاليا للرئيس اليقظ العادل ، والامام الراعى الساهر ، والشيخ الحكيم المدبر ، والعالم الخاني على طلاب العلم وشيوخه . وقد تولى الشيخ حمروش مشيخة الازهر للمرة الاولى في ٤ سبتمبر عام ١٩٥١ وكانت له مواقف خالدة في الحركة الوطنية المصرية الاخيرة ، وأعفى من منصبه في ١٠ فبراير عام ١٩٥٢ لاشتراكه في الحركة الوطنية التي قام بها الشعب وقيادته للبطايرة الشعبية التي خرجت تهتف بحرية مصر ، ومقالاته عن وجوب محاربة الاستعمار ، وأذكر أنه لما تولى المشيخة للمرة الاولى استقبل في الازهر استقبالا حافلا ، وهنائه بهذه الايام :

عاد للدين مجده وسلامه	وحى الدين هذه ايامه
ودع الازهر للغداة لياليه	ه ، ونادته بالمنى أحلامه
تلك آماله الكبار ، وهذا	شيخه الاكبر الحكيم إمامه
يشهد الله أنه كاهل الدين ،	والازهر العريق سنامه
إن (إبراهيم) الملاذليت الله	تسعى بسعيه أعلامه
أمة وحده ، وفي الله مسماها ،	وللحق عزمه ومقامه
أمل المسلمين ، والنور يهدي	ليس إلا للسكرات اعتزاه
يا إمام الاسلام بايعك الازهر	شيخا له ، وأنت سلامه
تلك آماله إليك ، وهذا	في يدك السكريمتمين زمامه
وعلى منكبيك يرد جلال	صبيغ من نسج الصالحات وسامه
سر على يمن الله تحرس بيت العلم	في يمنى راحتك وسامه
جمعت حولك القلوب وهذا البية	مت جذلان من هداك ابتسامه

والشيخ حمروش ، هو البقية الباقية من علماء الازهر الاعلام ، ومن الجيل القديم ، الذين يعتز بهم الازهر الحديث ، والذين ليس لهم ظهير في العلم والغيرة على شئون الاسلام والعروبة ، أمد الله في حياته . . وما من أزهري اليوم إلا وهو من تلامذته ، أو من تلامذة تلامذته . .

ومن كلماته هذه الكلمة التي القاها في الازهر في ذكرى الهجرة وهي : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين : شاعت في الاثم السابقة خرافات وعقائد باطلة لم تسكن وليدة بحث ودرس ونظر واستدلال ، وإنما هي أقوال ملفقة بما يائخذها الخلف عن السلف ، ويقلد فيها الاينام

آباءهم، من غير فهم ولا روية، وهى موضع تقديرهم، ومحل اعتبارهم، وأشد الناس تمسكاً بها ومحافظة عليها المترفون، لأنهم يعتقدون أن في الدين زوالاً لهيبتهم وذهاباً لعظمتهم، قال تعالى، وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون، . وقد أرسل الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة بدينه الذي ارتضاه لخلقه، واختاره لعباده، من يوم مبعثه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فكان موقف أمة منه موقف الأئمة السابقة من رسلها، ولم تستحدث الأيام خلقاً، ولا حالت من الزمن العهود.

بدأ محمد صلى الله عليه وسلم، بدعوة العرب، وكانوا وقتئذ أقل الناس حظاً وأشقاهم عيشاً، وأيديهم ضلالة، بأسمهم بينهم شديد، يقتتلون لأقل الأمور وأحقر الأسباب، وكانوا متفرقين لا تجمعهم وحدة، ولا يشملهم نظام، وكان يجاور العرب دولتان عظيمتان: دولة الفرس، ودولة الروم الشرقية، استولت كل واحدة منهما على ما جاورها من بلاد العرب، وجعلت عليه حاكماً من العرب، يعمل لها وينفذ إرادتها، ويرعى مصالحها، وبهذا الوضع كان العرب محصورين في جزيرتهم، قانعين بما فيها من مفاوز وصحراوات. دعاهم صلى الله عليه وسلم إلى خير الأمور، وأفضل الأعمال: دعاهم إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة الأصنام، لأنها لا تضر ولا تنفع، ولا تعطى ولا تمنع، ولا تدفع عن نفسها أذى، ولا تميظ قذاة، ولا تخلق حصاة، ومع ظهور الحجة ووضوح البرهان، وتنبههم للحق في كثير من الآيات، قال تعالى: «يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له، إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له، وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه، ضعف الطالب والمطلوب، إلى غير ذلك من الامثال التي صرفها الله تعالى في كتابه، ومع كل ذلك لم يؤمنوا به، بل كذبوه أشد تكذيب وبالغوا في الإنكار، وقالوا: «إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون». ومن جهلهم زعموا أن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى عبادة الله، وترك عبادة الأصنام، لم تكن إلا لانه صلوات الله عليه يكره الأصنام، ويريد الانتقام منها، لأن بعضها اعتراه بسوء، وألحق به ضرراً، فقالوا: «إن نقول إلا اعتراك بعض آهتنا بسوء، فكان ذلك صراعاً بين الحق والباطل، وبين الحجة والبرهان، والجهل والظلمانيان، ولم يقفوا عند التكذيب والإنكار، بل تجاوزوا ذلك إلى إيذائه وإيذاء من شرح الله صدورهم للإسلام، فقبلوا دعوته، وآمنوا برسالته. وفازوا بشرف السبق،

وكلما بالغوا في الإيذاء ، بالغ صلى الله عليه وسلم في الصبر ، واجتهد في الدعوة . وكان صلى الله عليه وسلم شديد الحرص ، عظيم الاهتمام بكثرة الأعوان والأنصار ، ليتمكن بذلك من أداء مهمته ، وتبليغ رسالته ، فكان عليه السلام يتلقى من أقبلوا إلى مكة في موسم الحج ، فيدعوهم إلى الاسلام ، ويقرأ عليهم القرآن ، فأجابه أحد ، ومنهم من رد عليه رداً قسيحاً . وقد اجتهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقابلة الوفود ، ولم يصرفه إيذاء قريش عن دعوته ، ولا الرد القبيح عن السعي في إدراك طلبته ، فكان يقابل الوفود في كل موسم ، ففي موسم التقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجماعة من الخزرج ، ولما عرض عليهم الاسلام قبلوه ، فكان ذلك الاجتماع مقدمة النجاح ووسيلة الفوز ، فانهم لما عادوا إلى اهلهم بالمدينة ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والدين الذي يدعو إليه ، فأسلم منهم كثيرون ، وفي موسم آخر حضر جمع من مسلمي المدينة والتقى بهم رسول الله وبايعوه ، إن هاجر إليهم ، على أن يمنعه عما يمنعون منه نساءهم وأبنائهم ، وبعد ذلك أمر صلوات الله عليه ، أصحابه بالهجرة إلى المدينة والحق بإخوانهم ، وقال لهم : **إن الله قد جعل لكم إخوانا وداراً آمنون بها** ، فخرجوا أرسالا ، رجالاً ونساء ، إلا من حيل بينهم وبين الهجرة من المستضعفين ، ولما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صارت له شعبة وأصحاب من غير بلدهم ، وخرج أصحابه من المهاجرين إليهم ، وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم ، اتهمروا على قتله قبل الهجرة حتى يأمنوا حربه . ولما علم رسول الله ما أجمعت عليه قريش وعرف الليلة التي يريدون الفتك به في صباحها ، توجه صلوات الله عليه إلى أبي بكر ، وأخبره أن الله أذن له بالهجرة ، فسأله الصحبة ، فأجابه ، **إياها واتعدا على الهجرة في تلك الليلة** ، وقد أمر النبي صلوات الله عليه على ابن أبي طالب أن ينام مكانه في تلك الليلة ويتسجى ببرده لئلا يرتاب أحد في وجوده ، وأصبحت فتيان قريش ينتظرون خروجه صلى الله عليه وسلم للفتك به ، فإذا بعلى يخرج إليهم ، فعلوا أنهم باتوا يحرسون علياً . ولما علمت قريش بذلك ثارت نائرتهم وأخذوا يقتصون الأثر ، وجعلوا لمن يأتي به حياً مائة من الإبل ، وهاجر صلى الله عليه وسلم بإذن الله وفي رعايته وحفظه إلى أن بلغ المدينة ، ولما استقر بالمدينة أخذ ينشر دعوته ويبليغ رسالته إلى أن بلغ كل ما أمر بتبليغه ، وبذلك تمت الشريعة ، وكل النظام الذي وضعه العليم الحكيم .

والشريعة التي بلغها سمو بالعقول عن التقليد ، واتباع القول بلا دليل ، وأمر
 بالنظر فيما بث الله في الآفاق من آيات . ونصب في الكون من دلائل تدفعها إلى
 الاذعان بوجود الله ، وبما له من صفات الكمال : من القدرة التامة والعلم المحيط
 والتفرد بالسلطان فيما عداه ، يمضى فيه حكمه وينفذ قضاؤه ، وعبادة وخشوع
 وتقرب وخشوع . شكرا لمن خلقهم ، وأسبغ عليهم النعم الظاهرة والباطنة ،
 وتهذيب نفوس ، وتطهير قلوب ، وبعد عن الآثام والذنوب ، وتزه عن الصفات ،
 وصدق في القول ، وإخلاص في العمل ، وأمر بالمعروف ، ونهى عن المنكر ،
 وشجاعة ونجدة ، وإعداد عدة لارهاب الأعداء ، ومساواة فكلمهم عند الله سواء ،
 لافرق بين عظيم وحقير وغنى وفقير ، لافضل لأحد على أحد إلا ببقوى الله والتقرب
 منه ، ومساعدة الضعفاء والمحتاجين ، وتعاون وتناصر ، وتواد وتراحم وتعاطف
 وطاعة الله ورسوله وأولى الأمر من المسلمين . الى غير ذلك مما أمرت به الشريعة .
 وحثت عليه . ورغبت فيه . وقد أعد الله تعالى للذين يعملون الصالحات سعادة الدنيا
 والآخرة ، قال تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في
 الأرض كما استخلف الذين من قبلهم . وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم . وليبدلنهم
 من بعد خوفهم أمنا » . وقال تعالى : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات
 الفردوس نزلا » . وقد عملت الأمة بتلك الشريعة ، فأنت أعمالها الصالحة أكلها ،
 وأثمرت ثمرتها في بناء الأمة على أسس متينة ، وأخلاق عظيمة ، وربطت بينها
 برباط التعاون والمساواة والألفة والمحبة ، والدين والخلق ، فاتحدت بعد تفرق ،
 وقويت بعد ضعف ، وسعدت بعد شقاء ، وعزت بعد ذل . فمعظم قدرها وعلا
 شأنها ، وأحكم أمرها ، فغيرت وجه التاريخ ، وفسكت الحصر الذي ضربته دولة
 الفرس ودولة الروم . وفتحت بلاد الأعداء الذين كانوا يسكدون لها ويعملون
 على مضايقتها . ولا زالت الدولة الاسلامية تنتقل من فتح إلى فتح ومن نصر إلى نصر ،
 وعاشت قوية عزيزة ، تقدرها الأمم ، ويرهبها الأعداء ولما انحرفت عن العمل
 بالدين ، واتباع هدى سيد المرسلين ، اعتراها الضعف والوهن ، فلانت قناتها .
 وفهمت هيبتها .

الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين

عين الشيخ محمد الخضر حسين شيخاً للأزهر في يوم الأربعاء ٢٧ من ذي الحجة

١٣٧١ هـ - ١٧ سبتمبر ١٩٥٢

وكان أحمد تيمور في مقدمة الذين قدروا فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر السابق حين قدم مصر من أكثر من ربع قرن - وقد عثر السيد خليل ثابت رئيس لجنة نشر المؤلفات التيمورية بين آثار العلامة أحمد تيمور على ترجمة لحياة الشيخ محمد الخضر حسين - هذا نصها :

ولد بمدينة نفطة بالقطر التونسي في ٢٧ رجب سنة ١٢٩٣ واشتغل بالعلم وحفظ القرآن الكريم وقرأ بعض الكتب الابتدائية في بلده ، وفي آخر سنة ١٣٠٦ رحل مع أبيه وأسرت به إلى القاعدة التونسية فاشتغل بالطلب ثم دخل الكلية الزيتونية سنة ١٣٠٧ فقرأ على أشهر أساتذتها وتخرج عليهم في العلوم الدينية واللغوية ونبغ فيها وفي غيرها ، فطلب لتولى بعض الخطط العلمية قبل اتمام دراسته فأبى وواظب على حضور حلقات الأكابر مثل الشيخ عمر ابن الشيخ والشيخ محمد النجار وكانا يدرسان التفسير والشيخ سالم بوحاجب وكان يدرس صحيح البخاري .

ثم رحل إلى الشرق في سنة ١٣١٧ ولكنه لم يبلغ طرابلس حتى اضطر إلى الرجوع بعد أن أقام بها أياماً فلأزم جامع الزيتونة يفيد ويستفيد ، إلى سنة ١٣٢١ هـ ، فأنشأ فيها مجلة - السعادة العظمى - ولاقى في سبيل بث رأيه الإسلامي ما يلاقيه كل من سلك هذا السبيل . وفي سنة ١٣٢٣ ولى القضاء في مدينة بنزرت والتدريس والخطابة بجامعها الكبير ، ثم استقال ورجع إلى القاعدة التونسية ، وتطوع للتدريس في جامع الزيتونة ، ثم أحيل إليه تنظيم خزائن الكتب بالجامع المذكور - وفي سنة ١٣٢٥ اشترك في تأسيس جمعية زيتونية ، وفي هذه المدة جعل من المدرسين المعينين بالجامع المذكور . وفي سنة ١٣٢٦ جعل مدرساً بالصادقية وكلف بالخطابة في مواضع لإنشائية بالحدونية ، ولما قامت الحرب الطرابلسية بين الطليان والعثمانيين كان من أعظم الدعاة لإعانة الدولة ونشر بجريدة الزاهرة قصيدته الشهيرة التي مطلعها :

ردوا على مجدنا الذكر الذي ذهباً يكفى مضاجعنا نوم دها خقبا

ثم رحل إلى الجزائر فزار أمهات مدنها ، وألقى بها الدروس المفيدة ، ثم عاد إلى تونس وعاد دروسه في جامع الزيتونة ونشر المقالات العلمية والأدبية في الصحف وفي سنة ١٢٣٠ سافر إلى دمشق ماراً بمصر ثم سافر إلى القسطنطينية فدخل يوم

إعلان حرب البلقان فاختلف بأهلها وزار مكاتبها ، ثم عاد إلى تونس في ذى الحجة من هذه السنة ونشر رحلته المفيدة عنها وعن الحالة الاجتماعية بها ببعض الصحف ، ثم جعل عضواً في اللجنة التي ألقتها حكومة تونس للبحث عن حقائق في تاريخ تونس ثم ترك ذلك لما عزم على المهاجرة إلى الشرق فرحل إليه ، ونزل مصر وعرف بعض فضائلها ثم سافر إلى الشام ثم إلى المدينة المنورة ثم إلى القسطنطينية ثم عاد إلى دمشق معيناً مدرسا للغة العربية والفلسفة بالمدرسة السلطانية بدمشق ، وبقي كذلك إلى أن اتهمه مدة الحرب العظمى جمال باشا حاكم سوريا بكتهم حال المتأمرين على الدولة واعتقله ستة أشهر وأربعة عشر يوماً ثم حوكم فبرئ . من التهمة فأطلق سبيله في شهر ربيع الثاني سنة ١٣٣٥ ومن شعره في حبسه وكانوا حالوا بينه وبين أدوات الكتابه :

غل ذا الحبس يدي عن قلم كان لا يصحو عن الطرس فناما
هل يذود الغمض عن مقلته أو يلاقى بعده الموت الزواما
أنا لولا همة تحددو إلى خدمة الاسلام آثرت الحساما

ثم استمر على التدريس بالمدرسة بدمشق إلى أن دعي إلى القسطنطينية سنة ١٣٣٦ . ثم هاجر إلى استنبول بعد عام وعمل محرراً بالقلم العربي بوزارة الحرية ، ثم أرسلته الحكومة إلى ألمانيا للقيام بعمل سياسي وهو تذكير الاسرى هناك بظلم فرنسا ثم رجع إلى الشام فدرس الفقه بالمدرسة السلطانية العربية . . وبعد أن احتلت فرنسا الشام بعشرة أيام هاجر إلى مصر في عام ١٣٢٩ هـ . ثم نال الشهادة العالمية بالأزهر وتولى التدريس بكلية أصول الدين والتخصص اثنتي عشرة سنة .

وتولى رئاسة تحرير مجلة الأزهر ولواء الاسلام ورئاسة جمعية الهداية الاسلامية واختير عضواً بهيئة كبار العلماء ١٩٥١ ، وهو إلى ذلك عضواً بمجمع اللغة العربية منذ أنشئ . وقد استقال فضيلته من المشيخة في ٢ جمادى الاولى ١٣٧٣ هـ - ٨ يناير ١٩٥٤

انتهى الجزء الاول ، ويليه الجزء الثاني

وأوله الباب الرابع : أعلام من الأزهر في العصر الحديث

محمد عبده والإصلاح الديني

فهرست الكتاب

الصفحة	الموضوع
٣	تصدير
٤	المقدمة
٦	الباب الأول : الأزهر خلال عصور التاريخ
٦	الفصل الأول مصر الاسلامية قبل انشاء الأزهر
١٠	الفصل الثاني مصر في ظلال الفاطميين
١٥	الفصل الثالث تأسيس الأزهر
٢٨	الفصل الرابع الأزهر في ظلال الفاطميين
٣١	مشاركة الأزهر في الحياة العقلية
٤٣	الأزهر جامع الدولة الرسمي
٥٠	الأزهر وتجديد مبانيه
٥٦	الفصل الخامس الأزهر في عهد الأيوبيين
٦١	العلماء وهل للأزهر أثر فيهم ؟
٦٣	الفصل السادس الأزهر في ظلال المماليك
٧٦	الفصل السابع الأزهر في ظلال العثمانيين
٨٥	الأزهر والحركة العلمية في هذا العهد
٨٩	الأزهر وتاريخنا القومي
٩٢	الفصل الثامن بعد الحكم العثماني
٩٢	الأزهر والغزو الفرنسي لمصر
٩٥	جهاد الأزهر الوطني
٩٩	عمر مكرم الأزهرى
١٠٤	خول العلماء في قرنين
١١٠	الباب الثاني : من تاريخ الأزهر الحديث
١١٠	القوة الشعبية في الأزهر
١١٤	الأزهر يسير في حياته العلمية
١١٦	جهاد الأزهر في الثورة العراقية
١١٨	الأزهر يغذى ثورة عراقى

الموضوع	الصفحة
قوانين الأزهر	١٢٥
بعد الثورة العراقية	١٢٥
الأزهر والحركة الوطنية عام ١٩١٩	١٢٨
د بعد الثورة	١٣٠
د والثورة المصرية الثالثة	١٣٤
النوابغ الدين تخرجوا من الأزهر	١٣٤
أشهر رجال الأزهر في القرن الرابع عشر الهجري	١٣٥
نظرة إلى المستقبل	١٣٦ ✓
الباب الثالث شيوخ الأزهر	١٣٩
الفصل الأول مشيخة الأزهر وشيوخه	١٣٩
د الثاني تراجم لبعض شيوخ الأزهر	١٦٥
الشيخ الاحمدى الظواهرى	١٦٥
الشيخ المراغى	١٦٩
الشيخ مصطفى عبد الرازق	١٨١
د مائون الشناوى	١٨٨
د عبد المجيد سليم	١٨٨
د إبراهيم حمروش	١٨٩
د الخضر حسين	١٩٥

استدراك

ص س	الكلمة	صحتها
٩٤ ١٦	وأظهر	وخلفه منو وأظهر
٩٤ ٢٨	وزعت	فرض

من مطبوعات المؤلف

- الذكر الحكيم
مذاهب الأدب
رائد الشعر الحديث
فصول في النقد
الحياة الأدبية في العصر الجاهلي
البديع لابن المعتز
الحياة الأدبية بعد ظهور الاسلام
ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان
بنو خفاجة وتاريخهم السياسي والأدبي - ٩ أجزاء
الايضاح في البلاغة - ٦ أجزاء
فن الشعر - جزآن
الشعراء الجاهليون
عبد القاهر والبلاغة العربية
الاسلام وحقوق الانسان
الاسلام رسالة الاصلاح والحرية
الشعر العربي : أوزانه وقوافيه
وحدة القصيدة في الشعر العربي
التشبيه في شعر ابن المعتز وابن الرومي
حكمومة القاضي الجرجاني في النقد
موقف النقاد من الشعر الجاهلي
مرشد البيان
تهذيب الآجرومية
فصيح ثعلب
شفاء الغليل للشهاب الخفاجي
مقامات الحريري للشريشي - ٤ أجزاء
قواعد الشعر لثعلب
رسائل ابن المعتز

الأزهر في ألف عام

موسوعة تاريخية كبرى ، في تاريخ الأزهر ، وأعلامه ، ورسالاته ،
ومناهج الدراسة فيه ، ونشاطه العلمي ، والفكري ، والروحي ،
وذكرياته القومية ، ومواقفه الوطنية ، خلال ألف عام أو يزيد ..
٧٠٠ صفحة - ثلاثة أجزاء - كل جزء ثلاثة أبواب كبيرة

مجموع المنعم خفاجي

الأزهر في ألف عام

الجزء الثاني

١٣٧٤ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الطبعة الأولى

١٣٧٤ هـ ١٩٥٤ م

حقوق الطبع محفوظة لل المؤلف

المطبعة المنيرية بالآزهر

اعلام من الأزهر في العصر الحديث

الشيخ محمد عبده

وأثره في الإصلاح الديني

١٢٦٦ هـ - ١٩٠٥ م

ولد الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، في إحدى قرى مديرية البحيرة . وفي مكتب القرية حفظ القرآن وتعلم القراءة والكتابة ، ثم انتقل إلى الجامع الاحمدى في طنطا ، فإلى الجامع الأزهر بالقاهرة ، لتلقى العلم ، على أن طرق التدريس التي كانت متبعة حينذاك في الأزهر لم ترقه . حتى إذا جاء السيد جمال الدين الأفغانى إلى مصر ، اختلط به ، وأخذ عنه كثيرا من مبادئ الفلسفة والمنطق ، وتدرّب على الكتابة في الصحف السياسية . فلما نفى السيد الأفغانى بعد ذلك من البلاد ، كان مما قاله لمريديه : « قد تركت لكم الشيخ محمد عبده ، وكفى به لمصر عالما » .

وعمل الأستاذ الإمام مدرسا في المدارس الأميرية ، ومحررا في « الوقائع المصرية » . وتولى الكتابة في بعض دواوين الحكومة . حتى قامت ثورة العربيين فانهم بممالأتهم ونفى من مصر ، فأقام بسوريا ست سنين لقي خلالها كثيرا من الدروس . ثم نزح إلى باريس حيث أصدر مع السيد جمال الدين جريدة « العروة الوثقى » . وبعد العفو عنه وعودته إلى مصر عين مستشارا في محكمة الاستئناف الأهلية ، وعضوا في مجلس إدارة الأزهر ، ثم أسند إليه منصب مفتي الديار المصرية . وبعد الشيخ محمد عبده حامل لواء الإصلاح الديني في العالم الإسلامى في العصر الحديث ، فقد قضى حياته في تنقية الدين من الشوائب التي طرأت عليه ، وتقريب المسلمين من أهل التمدن الحديث ليفيدوا من مآرمد نيتهم ، وكذلك اشتهر بصراحتة في فتاواه الدينية ، وتفسيره القرآن بما يطابق أحكام العقل ، ويحل الاسلام من قيود التقليد ، وقد طالما هاج عليه جماعة الجامدين وأنصار بقاء القديم على قدمه ، ولكنه لم يعبأ بهم ، ومضى في سبيله قدما لتحقيق برنامجه الاصلاحى العظيم .

تولى الأستاذ الامام منصب القضاء فعين في ٧ يونية ١٨٨٨ نائب قاض
بمحكمة بها ، ثم رقى قاضيا من الدرجة الثانية بمحكمة المنصورة ، فقاضيا من الدرجة
الاولى بمحكمة مصر من ٧ يناير ١٨٩٢ ، وفي ٢١ نوفمبر ١٨٩٥ رقى نائب مستشار
بمحكمة الاستئناف ، - ولم يكن يوجد غيرها - وظل بها إلى أن وقع عليه الاختيار
مفتيا للديار المصرية في ٥ يونية ١٨٩٩ .

كان الأستاذ الامام قاضيا بمحكمة عابدين - وكانت أهم محاكم العاصمة في ذلك
الحين - فاطمان الكافة إلى قضائه ، وقال فيه ذوو الرأي من أهل عصره : « إنهم
لا يذكرون أن كرسي القضاء في تلك المحكمة قد ازدان بمثله وإن الوقار والهيبة والجلال
كانت تفيض في أفقها » ، وقال فيه أحمد شيوخ المحامين رحمة الله عليه : « كان محمد
عبد به يصدر الحكم ويشفعه أو يسبقه بدروس ومواعظ يلقها على المحكوم عليه
امام الجمهور لبقاء يشعر الجماهير والمحكوم على نفسه أنهم في حضرة أب ومصلح كبير
وترجع صلة محمد عبده بجمال الدين الأفغانى (١٢٥٤ هـ - ١٨٣٩ م - ١٣١٤ هـ
٩ مارس ١٨٩٧) إلى شهر المحرم عام ١٢٨٨ هـ - ٢٢ مارس ١٨٧١ ، حين نزل
جمال الدين مصر ، وكان يعرفها من قبل قليلا ، ولكنه في هذه المرة اندمج في حياتها
الادبية والاجتماعية ، وتردد على دار إبراهيم بك المولىحى ، وكانت قائمة في حارة
الامير حسين بشارع محمد على ، وهى في ذلك الوقت ندوة المفكرين والعظماء والقادة ،
فلما أجرى عليه رياض باشا زفافا شهريا قدره عشرة جنيهات مقابل بقاءه في مصر ولو لم
يؤد عملا ، استأجر منزلا في حارة اليهود ، ويقول الشيخ محمد عبده : إن طلاب العلم
عرفوا الأفغانى عند ذلك و « اهتموا إليه واستوروا زنده فأورى ، واستفاضوا
بحره ففاض درا ، وحملوه على تدريس الكتب فقرأ من الكتب العالية في فنون
السلام الأعلى والحكمة النظرية الطبيعية وعقلية ، وفي علم الهيئة الفلسفية وعلم التصوف
وعلم أصول الفقه الاسلامى ، وكانت مدرسته بيته من أول ما ابتدأ إلى آخر ما اختتم .
وفي هذه المرة بقى جمال الدين في القاهرة فترة أطول ، وهى الفترة التى كون فيها
مدرسته وبث فيها رسالته ، واتصل بتلاميذه وصفه الشيخ محمد عبده .

بقى الشيخ جمال الدين يدرس ويدعو دعوته الاصلاحية ، ويشارك في كل أمر
ذى خطر من حياة مصر في ذلك العهد أكثر من ثمانى سنين حتى نفى الشيخ من مصر
في سنة ١٢٩٦ هـ إلى الهند مرة أخرى

ويقول الشيخ مصطفى عبد الرازق : لم يكن الشيخ محمد عبده أول من أحدث في

الازهر حركة تجديد ، فإن حركة التجديد الأولى ترجع إلى عهد قبل ذلك ، ومن مظاهر هذه الحركة اختيار شيوخ الازهر من الاذكياء ذوى الوجة وحسن السياسة من غير مراعاة لما كانت تجرى به التقاليد فى هذا الباب ، فإن الشيخ مصطفى العروسى الذى ولى مشيخة الازهر من سنة ١٢٨١ هـ إلى ١٢٨٧ هـ - ١٨٦٤ - ١٨٦٩ م والشيخ محمد العباسى المهدي الذى اختير على أثره شيخا للازهر سنة ١٢٨٧ هـ - ١٨٧٠ م لم يكونا من أسن شيوخ عصرهما ، ولا من أوفرهم شهرة بالتدريس والعلم .

وقد ابطال الشيخ العروسى كثيرا من البدع الدينية وأقال جماعة ممن يدرسون فى الازهر بلا استحقاق وعزم على عمل امتحان لمن يريد التدريس ففجأه العزل من منصبه ، وجاء من بعده الشيخ المهدي فوضع سنة ١٢٨٨ هـ - ١٨٧١ م أول قانون للازهر يحصر مواد الدروس ويبين طريقة الامتحان ، وفى عهده عفى باصلاح الازهر ليصل بذلك إلى اصلاح المحاكم الشرعية .. فالغرض من هذا الاصلاح كان تخريج قضاة المحاكم الشرعية تخريجا نظاميا تتم به المشاكلة مع صورة التخرج لقضاة المحاكم المدنية .

وهذا الاتجاه فى اصلاح الازهر هو بعينه ما أعرب عنه عباس فى خطبته بقصر عابدين فى حفلة الانعام بالخلعة على الشيخ عبد الرحمن الشربيني شيخ الازهر سنة ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٥ م وهى الخطبة التى استقال على أثرها الشيخ محمد عبده وصديقه الشيخ عبد الكريم سليمان من مجلس إدارة الازهر . قال الامير - على ما جاء فى الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام - : إن كل ما يهيم الحكومة من الازهر شيان : الاول استتباب الامن فيه وهو ما أوصى به دائما ، والثانى تخريج القضاة الشرعيين ، .. ويوشك أن يكون كل تغيير فى الازهر توجه الحكومات قائما على مثل هذا الاساس أما الشيخ محمد عبده فقد أراد بنهضة الازهر غاية هى الجديرة بأن تسمى اصلاحا . كان الشيخ محمد عبده يرى أن صلاح الامة لا يكون إلا باصلاح عقولها وقلوبها بالعلم الصحيح والدين الصحيح والسبيل إلى ذلك إحداث نهضة دينية وعلمية معا ، والازهر هو أخصب مكان لهذه النهضة فان الحياة إذا انبعثت فيه سرت مسرعة فى جسم الامة وفى الشرق الإسلامى كله ، وقد اتصل الشيخ محمد عبده بالحدادى عباس الثانى وأوحى إليه أن ينهض لاصلاح الازهر نهضة قوية تحيى الشرق الإسلامى لأن الازهر قبلة المسلمين فى اقطار الشرق المختلفة واقنعه بان ذلك يرفع شأن مصر فى الشرق كله ويجمعه حول الشعب المصرى ويخلد له فى المصلحين ذكرا .

واستمع عباس لنصح الناصح فتوجه بكل عزمه لاصلاح الأزهر على مبادئ الشيخ محمد عبده ، وفي ٧ رجب سنة ١٣١٢ هـ - ١٨٩٥ م صدر أمر عال بتشكيل مجلس إدارة للأزهر من اعضائه اثنان من موظفي الحكومة هما الشيخ محمد عبده والشيخ عبد الكريم سلمان

وأخذ مجلس الادارة في وضع ما لا بد منه من نظم تقرر العدل وتمحو ما كان سائدا من الفوضى ، وتبعث على الجهد في تحصيل العلم النافع وترشد إلى أساليب الدرس القويمه كل ذلك في غير مساس بحرية التعليم ، وبلا أسراف في العناية بالاشكال والصور ويقول الشيخ عبد الكريم سلمان في كتاب أعمال مجلس إدارة الأزهر عند الكلام على مشروع نظام التدريس والامتحان الذي وضعه المجلس : « وفي كل باب من هذه أحكام فسيحة تتوجه كلها إلى مقصد واحد هو تحصيل جواهر العلوم الدينية في زمن محدود بطريقة سهلة التناول والتحلي بشرة تلك العلوم وهي محاسن الاخلاق والأعمال » وكتاب الشيخ عبد الكريم سجل مفصل لأعمال مجلس الادارة يهدي القارئ إلى الفرق بين وجهة الاصلاح في عهد الشيخ عبده التي كانت ترمى إلى أحداث نهضة عليية دينية يكون الأزهر حامل لوائها ، وبين الاتجاهات الاخرى

ومن حضر بعض عهد الامام في الأزهر شهد ذلك المعهد العتيق الهرم يبعث من مرقد حيا يضطرم بالشباب والامل وراى نهضة صحيحة في الدراسات الادبية ودراسة العلوم العقلية وعلوم الدين والعلوم الحديثة . نهضة تحتفظ بأحسن ما في معارف الأزهر وتقاليده التعليمية وتقتبس خير ما في النظم والمعارف الحديثة وأخذ الشيخ محمد عبده يثبت في العقول مذاهبه وآراءه في كتبه ورسائله وفي دروسه ومحاضراته التي كانت تجتذب بطرافتها وسمو أفكارها وخلاصة بيانها كل الطبقات المثقفة من أزهريين وغير أزهريين . وجملة مذهبه الديني أن الاسلام دين بساطة ويسر يلائم الفطرة ويوافق العقل وأنه قد جاء بعقائد سليمة لاتعمل على متناول الفكر الانساني وجاء باصول للفضيلة والخير تغري بالصالحات وتوفر للانسان حريته وكرامته وتبعثه للنشاط والسكال في كل نواحي الحياة

فهل رأيت تسامحا مع الفلاسفة والحكماء أوسع من هذا ؟ وهل يليق بالحكيم أن يكون من الحق بحيث يقول قولاً لا يحتمل الايمان من وجه واحد من مائة وجه ؟ كانت العقول المتعطشة إلى الحرية تنهافت على هذا الداعي إلى حرية العقول ، وتثور على قيودها وأغلالها ، لكن أكثر العقول قد ألقت سجنها واطمانت إليه فهي تنزعج

لهذه الصيحة الجديدة وتدفعها بكتنا اليدين . وأصبح الأزهر ميدانا لصراع محتوم بين مذهب الشيخ محمد عبده ومذهب الشيوخ الجامدين ، وكان هذا الصراع نفسه آية حياة وانتعاش وتنبه فكري .

وانشأ الشيخ عبده في بضع سنين جيلا طموحا للفهم المستقل ، عزوفا عن التقليد يشعر بالكرامة الانسانية ويلتمس المثل العليا في الحياة الدنيا وفي الآخرة . وكان ذكر الشيخ عبده يطير في الافاق مقرونا بذكر النهضة الاصلاحية التي استرعت الانظار ، وقد تحركت نوازع الحقد والحسد في انفس لا ترضى عن الشيخ ولا عن دعوة فكادوا له من كل سبيل ، حتى اضطر إلى الاستقالة من منصبه في الأزهر في مارس سنة ١٩٠٥ م - المحرم سنة ١٣٢٣ هـ .

وتوفي الشيخ في الحادي عشر من يوليو عام ١٩٠٥ - ٧ جمادى الأولى ١٣٢٣ هـ بعد جهاد طويل في سبيل إصلاح الأزهر ، وفي سبيل الإصلاح الديني والاسلامي في كل وطن عربي ولا سيما في مصر قلب الاسلام الخافق .

سعد زغلول في الأزهر

جاور سعد في الأزهر عام ١٨٧٥ وهو في سن الخامسة عشرة وحضر الأزهر يصحبه شقيقه الشناوى سعد زغلول الذى تولى أمره بعد وفاة أبيه ، وأوصى به طالبين يكبران سننا وهما : الشيخ حسن البلهي والشيخ محمد أبو رأس الذى وصل فيما بعد إلى شيخ معهد دسوق ، وتوطدت الصلة بينه وبين الهلباوى الأزهرى الذى كان يسبقه في الدراسة وكان يسكن معه في منزل واحد في غرفة أمام غرفته . حضر سعد دروس محمد عبده وبواسطته اتصل بحمال الدين الأنغاني ، وقضى سعد في الأزهر خمس سنوات نبغ فيها ، ثم عين محررا بالوقائع سنة ١٨٨٠ م .

ويقول زميله الهلباوى عنه : اشتهر سعد بين زملائه طلبة الأزهر باليسر وسعة اليد . فقد كانت عائلته من أكبر العائلات في الريف المصرى ومن أعظمها جاها وسلطانا في موطنها . وقد كان سعد هو الطالب الوحيد الذى يلبس الجبة والقفطان في (شلتنا) ، فكنا نفتخر به وبجيبته وقفطانه وتباهى بملبسه أمام الطلبة الآخرين . . ولا عجب في ذلك فقد كنت أنا مثلا البس (الزعبوط) الذى لازمني طول مدة دراستي حتى تخرجت في الأزهر فتوظفت وأنا البس (الزعبوط) . .

وكان سعد يعبر دروسه الاهتمام الاول ولم يكن له دراية بشئون المنزل - شأن

طلبة الازهر - فأهمل ما كله وملبسه رغم النقود والملابس لديه ، ولاحظ ذلك شقيقه الشناوى افندى فخصص له زميلين من زملائه عهد اليهما فى اعداد طعامه وقضاء لوازمه . وكان يعطيها أجرا خاصاً نظير هذه المهمة ، فاذا تصادف يوما أن شغلها شاغل عن القيام بخدمته حارسعد وأسقط فى يده . . فكسنت أتطوع لخدمته شفقة وعظفاً عليه ، إذ كان قاصرا صغير السن .

وقد يعرف أن المغفور له سعد زغول درس فى الازهر ولكن كثيرين منا لا يعرفون إلى أى مدى وصل فى دراسته ، ولا كيف تلقى علومه ودروسه .

لقد زامل سعد زغول فى الازهر فرقة كان فى طلبيتها ولم يبق من زملائه فى هذه الفرقة على قيد الحياة إلا فضيلة الشيخ عبد المعطى الشرشيمى العضو السابق فى جماعة كبار العلماء وهو العضو الوحيد الذى استقال من الجماعة منذ انشائها إلى الآن لأن جماعة كبار العلماء لم يكن من قبل يشترط فيها مدة قانونية يحال بعدها العضو إلى المعاش .

وقد تلقى سعد وعبد المعطى وزملاؤهما الفقه على مذهب الامام الشافعى فى أوائل حياتهم الدراسية فى زاوية العدوى بالقرب من الجامع الازهر ثم انتقلوا إلى الجامع الازهر لاستيفاء دراستهم فيه .

وقد أوغل سعد فى علوم الازهر ودراساته وضرب فيها بسهم وافر ، ولم يبق بينه وبين أداء امتحان الشهادة العالمية إلا أن يتقدم لهذا الامتحان .

ولكنه لم يتقدم لهذا الامتحان مكتفيا بما أحرز من ثقافة وما حصل من علوم ، وانصرف إلى التحرير فى الوقائع المصرية مع أستاذه الامام محمد عبده ثم إلى ميدان المحاماة بعد ذلك ، وعكف سعد على دراسة اللغة الفرنسية وهو فى سن متقدمة وحصل على إجازة الحقوق .

وقد كانت دراسة سعد فى الازهر خير معاون له فى حياته ، خصوصا بعد اتصاله بالامام محمد عبده ، وتوجهه وجهة أخرى تختلف فى ذلك الوقت عما درج عليه الازهريون فى حياتهم الدراسية .

وقد بلغ من شغف الطالب سعد زغول بعلوم الازهر أن ألف كتابا فى الفقه ، قدره أساتذة الازهر واثنوا على كفايته وصفاء ذهنه ، وقد طبع هذا الكتاب ونشر ونفذ بعد طبعه .

وكان المغفور له الشيخ المراغى شيخ الازهر الاسبق يحتفظ فى مكتبته بنسخة منه

وذات يوم كان لطفي السيد باشا يزور صديقه المرحوم الشيخ المراغى فى داره
بمحوان وجرى الحديث فى شئون العلم والفلسفة على دأبهما فى ذلك .

وتناول الحديث الزعماء والعلم فقال لطفي باشا : إن بين الزعماء السياسيين نوابغ
لو تفرغوا بعض الوقت للتأليف والانتاج لافادوا فائدة عظيمة .

وهنا بتسم المرحوم الشيخ المراغى وقال لصديقه : هل تعلم أن المرحوم سعد زغلول
باشا ألف كتابا فى الفقه ؟

وشغف لطفي بالاطلاع على هذا الكتاب فقام الشيخ المراغى إلى مكتبته
وجاء بهذا الكتاب إلى لطفي باشا الذى تناوله كما يتناول المنهوم الطعام ، وقلب
صفحاته وقلب الكتاب وهو يقول : عجيبه .

واذاح لطفي باشا غلاف الكتاب وقرأ اسمه ، وقد كتب الناشر تحت عنوان
الكتاب مايلى : ألفه الفقير إلى الله تعالى الشيخ سعد زغلول الشافعى المذهب من
طلاب الأزهر الشريف

ثم قضى لطفي باشا وصديقه الشيخ المراغى بعض الوقت فى دراسة فصول الكتاب
وفى ذكريات طريفة عن صديقهما المغفور له الشيخ سعد زغلول باشا .

ولسعد فى الأزهر ذكريات كثيرة شهد بعضها المنزل رقم ٢٠ فى درب الأتراك
بحى الأزهر المتداعى للسقوط اليوم .

وفى الدور الأرضى من هذا المنزل وقف سعد زغلول يتراقع ذات ليلة . .
ولعلها كانت المرافعة الأولى فى حياته ، ومن أجل غرامة قدرها مليون ! وقد تحمس
فى دفاعه ؛ وحى وطيس المناقشة بينه وبين ممثل الاتهام إبراهيم الهلباوى ، فلم
تنته الجلسة إلا فى الخامسة صباحا ! أما المرافعة فهى أن سعد زغلول كان خامس
خمس ميسكنون غرفة واحدة ، ويطلبون العلم فى الأزهر ، وكانوا يضيئون غرفتهم
بقنديل يشعل بالزيت ويكلفهم طول الشهر عشرة مليات ، يدفع كل منهم نصيبه فيها .
ولكن إبراهيم الهلباوى رأى أن يضايق (سعدا) من باب المداعبة ، فخرض بقية
المشايع ضده متهميا إياه بأنه أكثرهم انتفاعا بالقنديل لأنه أكثرهم قراءة بالليل ولذا
حق عليه أن يدفع أربعة مليات . !

وفى آخر الشهر فوجئ سعد بالثورة ضده ومطالبته بالفرامة ، وظن الهلباوى
أنه ربح المداعبة ، ولكن سعدا المحاور المداور ، شرع يدافع عن نفسه ، وضرب

لهم مثلاً غاية في الطرافة إذ قال : لو أن رجلاً علق على باب بيته فانوساً ليضيء له ، فانتفعت بهذا الضوء غازلة أو ناسجة وهي في منزلها ، وزاد انتاجها ، فهل يعني هذا أن للرجل الحق في مقاسمتها انتاجها الذي زاد ؟ كلا بالطبع ! وهكذا حالكم معي فقدنيلكم مشعل طول الليل ، قرأت عليه أو لم أقرأ . . . وليس لكم أن تطالبوني بأكثر مما يدفعه أي واحد منكم . !

وأخيراً الجميع . ثم جاءت القوانين الحديثة فايدت مبدأه بحق الارتفاق وهو حق قانوني معروف . !

وفي حارة (القرد) المتفرعة من شارع (المقرزي) خلف الأزهر منزل متهدم تنام تحت أنقاضه قصة طريفة من قصص سعد زغول والهلباوي وثالث (من بلدياتهم) كان اسمه الشيخ (بسطاويسي) لم يقدر له من الشهرة والمجد ما قدر لزميليه ، فقد كان الفرسان الثلاثة ، يسكنون غرفة أجرتها ستة قروش ولكنهم عجزوا في شهر ما لا زمة طارئة عن سدادها . . . وفشلت كل المفاوضات التي حاولوا أن يقيموا بها صاحبة المنزل لتأخير الدفع ، فاندبرتهم بأنها سوف تلقى في الصباح بكل متاعهم وكتبهم في عرض الحارة الضيقة . ! واجتمع الفرسان تحت القنديل للتداول وخطرت لسعد زغول فكرة بسطها عليهم ، فصفقوا لها ثم ناموا دون تفكير في كارثة الصباح . ! ودخلت صاحبة المنزل في الصباح تهدد وتوعد ومدت يدها تنفذ وعيدها ولكنها لم تلبث أن هدأت ثورتها وخفت حدتها واغرورت عيناها بالدموع ، لقد كان (الشيخ بسطاويسي) يتأوه من الحى في فراشه . . . وكانت صاحبة البيت لا تطيق أن ترى غريباً مريضاً ، فقد توفي لها ابن في بلاد الغربية . !

ونجحت الحيلة ، لكنها كانت بالنسبة للشيخ (بسطاويسي) مقبلاً . . . فقد اضرت المرأة على أن تعالجه بنفسها ، وراحت تسقيه الوانا من الوصفات البلدية ، كالحنظل المنقوع والخل وغيره . !

وبعد أيام وصلتهم النقود وحاول (بسطاويسي) أن يغادر الفراش واسكن الفراش رفض أن يتركه فقد مرض بالحى فعلاً . !

وقد ظل (الشيخ بسطاويسي) يتندر بهذه القصة حتى توفي سنة ١٩٤٥ . !
ويتلخص تاريخ سعد زغول الأزهرى فيما يلي :
ولد سنة ١٨٥٩ ، وفي ٥ أكتوبر سنة ١٨٨٠ عين الشيخ سعد زغول الطالب

بالأزهر الشريف محرراً بقلم الوقائع المصرية بمرتبة قدره ٨٠٠ قرش في الشهر (وهو حسن السير والسلوك بمقتضى شهادة المرحوم الشيخ محمد عبده) .
وفي أول فبراير سنة ١٨٨٢ منحه ١٣٣ قرشاً علاوة شهرية فصار راتبه الشهري ٩٣٣ قرشاً .

وفي ٣ مايو سنة ١٨٨٢ صدر الأمر بنقل سعد زغلول إلى وظيفة معاون بنظرية الداخلية ومنحه ٥٦٧ قرشاً علاوة لا يبلغ ماهيته (١٥) جنيهاً في الشهر اعتباراً من ٢٦ أبريل سنة ١٨٨٢ .

وفي ٦ سبتمبر سنة ١٨٨٢ فصل سعد زغلول من وظيفة التحرير بالوقائع المصرية لأنه عين ناظراً لقلم القضايا بمديرية الجيزة ابتداء من ٧ سبتمبر سنة ١٨٨٢
وفي ٢٧ يونيو سنة ١٨٩٢ عين نائب قاضي بمحكمة استئناف مصر الأهلية براتب قدره ٤٥ جنيهاً في الشهر .

وفي أول فبراير سنة ١٨٩٤ صدر الأمر بمنحه ١٥ جنيهاً علاوة شهرية لا يبلغ ماهيته ٦ جنيهاً .

وفي أول يناير سنة ١٨٩٧ منحه خمسة جنيهاً علاوة شهرية .

وفي ٨ أبريل ١٨٩٩ أنعم عليه برتبة (المتاين)

وفي ١٢ يونيو سنة ١٩٠٤ أنعم عليه بالنيشان المجيدي الثالث .

وفي أول يناير سنة ١٩٠٦ عدلت درجته وجعل راتبه ١٠٠٠ جنيه في السنة

وفي ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٠٦ عين سعد زغلول (بك) المستشار بمحكمة الاستئناف

الأهلية ناظراً للمعارف العمومية بدلاً من حسين غفري باشا

وفي ١٢ نوفمبر سنة ١٩٠٦ أنعم عليه برتبة (الميرمران) الرفيعة .

وفي ١٨ يناير سنة ١٩٠٨ أنعم على سعد زغلول باشا وزير المعارف العمومية

بالنيشان المجيدي الأول .

وفي ٢٣ فبراير سنة ١٩١٠ عين سعد زغلول باشا ناظراً للحقانية .

وفي ٢٧ يناير سنة ١٩٢٤ عين رئيساً لمجلس الوزراء وأنعم عليه برتبة

الرياسة الجليلة .

وفي ٢٣ مارس سنة ١٩٢٥ انتخب رئيساً لمجلس النواب .

وفي ١٠ يونيو سنة ١٩٢٦ عين رئيساً لمجلس النواب للمرة الثانية .

وفي ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢٧ توفي إلى رحمة الله .

أزهريون نابهن

ومن الذين حضروا في الأزهر أو تلبذوا على شيوخه ، من الجيل الماضي :
 الشيخ زين المرصني الشافعي توفي عام ١٢٠٠ هـ وكان من علماء الأزهر وتولى منصب
 كبير المفتشين بوزارة المعارف (٨٦ - ٨٧ أعيان القرن ١٣ لأحمد تيمور)
 الشيخ مصطفى السفطلي الأزهرى عين في وظائف التدريس بالمعارف وتوفي عام
 ١٣٢٧ هـ (٩٨ - ١٠٢ المرجع) .

أحمد تيمور باشا (١٢٨٨ - ١٨٧١ - ١٣٤٨ هـ - ١٩٣٠) ، وكان عالما حجة
 بمجاعة في شتى العلوم . ومن أساتذته الطويل والشنقيطي وسوام (١)
 الشيخ أحمد مفتاح (١٢٧٤ - ١٣٢٩ هـ)
 طلب العلم بالأزهر ، ثم التحق بدار العلوم وعين مدرسا فيها . ومرت عليه
 أحداث كثيرة (٢)

ومن علماء الأزهر الشيخ محمد البسيوني البيباني ، وقد اختير إماما للجمعية ، ثم
 مدرسا للغة العربية بمدرسة الإدارة - الحقوق - وقد كان أستاذ شوقي في اللغة والأدب
 وتوفي في ١٣ ربيع الآخر ١٣١٠ هـ ٣ نوفمبر ١٨٩٢ ، وله كتاب « حسن الصنيع في
 المعافى والبيان والبديع » ، وكان من تلاميذه كذلك أحمد زكي (باشا) .

ومنهم الشيخ حسين المرصني المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ - ١٨٨٩ م وهو أستاذ
 البارودي في الأدب والشعر واللغة ، وكذلك تلبذ عليه عبد الله فكرى باشا .. وأشهر
 مؤلفاته « الوسيلة الأدبية للعلوم العربية » وقد طبع في جزئين وشهرته ذائعة ، وله
 كتاب « الكلمات الثمان » ، وكتاب « دليل المسترشد في الإنشاء » .

ومن الذين درسوا في الأزهر الشيخ على الليثي شاعر اسماعيل المتوفى ١٣١٣ هـ -
 ١٨٩٦ م ، وكان مولده في بولاق مصر سنة ١٢٣٦ هـ ، وتعلم بالأزهر ،

ومن الذين درسوا في الأزهر كذلك المرحوم مصطفى لطفى المنفلوطى الأديب
 الكبير (١٨٧٦ - ١٩٢٤) صاحب الكتب المشهورة الذائعة بين الأدباء والمتأديبين
 ومن أشهرها: النظرات، العبرات، الشاعر ، ماجدولين ، الانتقام ، في سبيل التاج ، الفضيلة
 ومنهم كذلك عميد المحاماة إبراهيم الهلباوى ، وكان من أشهر الخطباء في العصر
 الحديث ، وتوفي عام ١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠ م .

(١) ١٥٧ - ١٦٣ تراجم أعيان القرن ١٣ لأحمد تيمور)

(٢) ١٤٥ - ١٥٤ أعيان القرن ١٣ لأحمد تيمور .

ومنهم الشيخ عبدالعزيز البشرى نجل الشيخ البشرى شيخ الأزهر السالف ، وكان أديبا كاتباً ناقداً متذوقاً ، وله كتاب « المرأة » ، ومختارات البشرى وغيرهما ، وكان من أعلام القضاء الشرعى . وتوفى نحو عام ١٩٤٠ .

ومن الأزهريين فى النشأة العلمية من يعاصروننا أو كانوا يعاصروننا إلى عهد قريب : الدكتور طه حسين ، وأحمد أمين ، وزكى مبارك ، وعبد الوهاب عزام ، والشيخ محمد أبوزهرة ، وأحمد حسن الزيات ، والدكتور أمين الخولى ، والشيخ عبد الوهاب خلاف ، والشيخ مصطفى خفاجى ، وسواهم من الشخصيات المعاصرة المعروفة فى مصر والعالم الإسلامى .

الشيخ محمد رشيد رضا

فى ٢٣ جمادى الأولى ١٣٥٤ هـ - ٢٢ أغسطس عام ١٩٣٥ م توفى الشيخ محمد رشيد رضا (١) ، وكان الشيخ قد تجرد رحمه الله لخدمة الإسلام ، ووقف له كل ما وهبه الله من علم وقوة وصبر ومثابرة ، وليس يؤسف الناس من وفاته خفوت صوت من أرفع الأصوات فى الدفاع عن الإسلام فحسب ، ولكن من خلو مكان رفيع كان يشغله أيضاً بين العاملين على تطهير عقول المسلمين من البدع التى اعتبرها عامتهم من الدين وليست منه فى شىء .

نعم إن ثورة المرحوم السيد رشيد على البدع لا يوجد لها نظير إلا فى أفراد من السلف الصالح ، فقد صمد لها صموداً أشفق عليه منه حتى الذين كانوا يشاطرونه رأيه من العارفين ، ولكنهم لم يؤثروا الشجاعة التى أوتىها ، فباتوا يتوقعون له الشر المستطير وقد لقي منه ما لو لقيه سواء لصدده عن السبيل ، ولكن ثبت للبعاضين ، واستبسل فى الكفاح أيما استبسال ، حتى استطاع بفضل إخلاصه وصبره أن يحدث فى الصفوف المتراسة حىاله ثغرة اقتحمها على منائيه وفى اثره جمهور غفير ممن كانوا لا يجرءون على مواجهتهم مجتمعين ، فأصبحنا وللجنة الصحيحة أنصار مجاهدون ، وحيال البدع خصوم مجاهدون .

فلو فلم يكن لفقيد العلم السيد رشيد غير هذا الموقف لخلد ذكره فى تاريخ المسلمين ، فما ظنك به وقد أسقط دولة التقليد ، تلك الدولة التى قضت على المسلمين بأن ينقسموا شطرين شطرا جمدا على ما هم عليه من التقاليد المنافية لروح الدين ، وقوما مرقوا من الإسلام واتخذوا لهم طريقاً غير طريق المؤمنين ، فلو كان دام سلطان

(١) فى مقتطف عدد أكتوبر عام ١٩٣٥ كلمة عن رشيد رضا بقلم الشيخ محمد شاكر

التقليد لقضى على كل مفكر أن يفنى في حزب المقلدين ، وهى كارثة جدير بكل من يعرف حقيقة الاسلام أن يذوب قلبه أسفا منها .

فكان السيد رشيد البطل المعلم فى هذا الوطن الشريف ، تلقى فيه بصدره كل ما يتلقاه المصلحون من الجامدين ، وكان لجهاده أثر بعيد فى تبصير المسلمين بسماحة دينهم ، وبقاء باب الاجتهاد فيه مفتوحا إلى يوم يبعثون .

وكان تلميذ الأستاذ محمد عبده ، وحامل لواء الاصلاح الدينى من بعده ، ولا بدع فان أربعين سنة قضاهما الفقيد الكريم فى تحرير المنار يفسر كتاب الله على طريقة الامام ويسط أحاديث الرسول على نهج السلف ، ويحرر الفتاوى فى المسائل الدينية المختلفة ، ويقطع السنة المبشرين والملحدن بالأدلة النواهض ، ويجلو عن الشريعة ظلام الشبه بالعقل النير ، ويزيد فى ثروة الأدب الإسلامى بالمصنفات القيمة ، حرية أن تحله من من قلوب المؤمنين موضع التجارة ، وتبوءه من صفحات التاريخ مكان الأئمة .

ولد الفقيد فى قرية (القبلون) إحدى قرى لبنان القريبة من طرابلس ، فتلقى العلم طفلا ويافعا فى هذه المدينة ، ثم هاجر إلى مصر ، فدخل الأزهر واتصل بالامام محمد عبده اتصالا وثيقا ، فأشار عليه أن يصدر (المنار) فكانت سجلا لآراء الأستاذ الاجتهادية فى حياته ، واستمر أراء لدعوته الاصلاحية بعد مماته . ثم أسهم فى النهضة العربية واتصل بجمعياتها السرية فى أطوارها المختلفة من سنة ١٩٠٨ إلى قيام الحرب الكبرى . فلما أعلنت الهدنة عاد إلى سورية فانتخب رئيسا للوئتمر السورى الذى نادى بالأمير فيصل ملكا ، ثم ظل فى خدمة هذه الدولة العربية الجديدة حتى نل عرشها الفرنسيون سنة ١٩٢٠ ، فارتد إلى القاهرة ليحرر المنار ويعالج التأليف ، فاصدر طائفة من الكتب القيمة أشهرها تكملة تفسير الامام على هديه ووجيه ، ثم الجزء الأول من تاريخ الامام وكان قد أصدر منه جزءه الثانى فيما قاله ، والثالث فيما قيل فيه ، ثم كتابه « الوحي المحمدى » .

وكان علما من أعلام الدين والعلم ، وتلميذ محمد عبده الوفى ، والرجل الذى قضى حياته فى خدمة الاسلام وترائه إلى أن توفى فى ٢٢ أغسطس ١٩٣٥ - ٢٣ جمادى الأولى عام ١٣٥٤ هـ .

مات فبكته مصر والعروبة والاسلام والشرق ، وأقيمت بجمعية الشبان المسلمين حفلة تأبين له فى أول إبريل ١٩٣٦ ، خطب فيها جمهور من العلماء والأدباء . وقال فيه العالم العلامة الشيخ على سرور الزنكلونى فى حفلة تأبينه :

كان لصاحب المنار منذ عرفته مصر وجود قوى ، وشخصية بارزة ، امتد صوتها إلى الاقطار العربية والاقطار الشرقية ، بل كان لهذا الصوت أثر في بعض الأمم التي ليست شرعية ولا إسلامية ، لأن الابحاث التي تعرض لها صاحب المنار وأن اتصلت بالشرق وبالاسلام اتصالاً قويا ، فانها متصلة بالغرب أيضا ، لان عيون الغرب لاتنام عن المسلمين ولا عن الشرقيين .

استغل صاحب المنار طوال حياته بقضية الاسلام وقضية العرب ، وبما يتصل بالاسلام من أمر الخلافة ، وما يتصل بالعرب من هجمات الاستعمار ، ولم تحرم مصر من نزعاته السياسية في ظروفها المختلفة ، فكان بهذا كله لمصر ، وللشرق وللاسلام والمسلمين وليس في وسعي ان أوفي صاحب المنار حقه في مثل هذا الموقف ، ولكنني أردت ان اساهم مع المساهمين ، وفاء لحق الصداقة ، وتقديراً لتلك الشخصية النادرة .

عرفت المغفور له صاحب المنار منذ ابتدأ الاستاذ الامام - رضوان الله عليه - دروسه في الازهر ، ولم يكن صاحب المنار في ذلك العهد يدهشنا وجوده العلمي ، لان طلاب الشيخ جميعا كانوا يفترون من بحر واحد ، وأن تفاوتت مراتب جهودهم واستعدادهم . ولم يكن لصاحب المنار ميزة في ذلك الوقت سوى أنه كان يكتب ما يلقنه أستاذنا علينا ، وقد كان مثل هذا العمل في نظر الازهرين عملاً عادياً لا أثراً لموهبة خاصة ، ولا لنبوغ ممتاز . تأخينا وتأخى معنا السيد رشيد بحكم صلة الدرس العامة ، وبقدرها ، وكان هذا لا يمنع بعضنا من توجيه النفس إلى السيد رشيد ، توجيهها خاصا كلما ظهر السيد رشيد بمواهب ممتازة ، قد يطول الحديث عنها ، حتى هوجم الاستاذ الامام في آرائه الدينية والاصلاحيه ، مهاجمة عنيفة ، من كل القوى التي توفرت لها عوامل السكيد والاستبداد ، وإذا بالسيد رشيد يبرز في وجوده القوى لمناصرة الحق ، والوقوف في وجه هذه الجيوش الخاشدة ، فاخذ السيد رشيد يواجه خصوم الشيخ بقلبه ولسانه ، وينشر في مجلة المنار آراء استاذه واتجاهاته ، وكان يتلقاه من دروس شيخه ، وما كان يعلق عليها بعبارات من عنده تدل على كمال الفهم واستقلال الفكر ، وكذلك كان أمر السيد رشيد في كل ما كان يكتب من مقالات ، وما يدون من ابحاث ! لأن أسلوب الاستاذ الامام خلق ممتازا ، وسبقي ممتازاً . مات الاستاذ الامام ، والسيد رشيد في نفوس إخوان الشيخ وابنائهم منزلة سامية ، ومع سمو هذه المنزلة لم يخطر ببال أحد ان السيد رشيد سيرث الشيخ فيما كان يدعو اليه ، وأنه سيرفع صوته في بلاد الاسلام النائية ، ولكن إني الله سبحانه

إلا أن يسير السيد رشيد بخطى واسعة إلى الامام ، وقد ر الله لصوته وهو على منبر مناره أن يدور في بلاد الاسلام والشرق ، ولم يصب جهاده في سبيل العلم والدين بعد وفاة شيخه مع كثرة المخاطر شيء من الوهن والفتور . ولا جرم أن هذه الميزة هبة إلهية لا تمنح إلا للقليل من افئاذ الرجال ، لان حياة الاستاذ الامام كانت قوية في مصر وفي غير مصر . لهذا كان بقاء صاحب المنار أكثر من ثلاثين عاما بعد وفاة شيخه في وجوده القوي ، يصد عادية حيوش الباطل التي لم تفتر ولم تنم ، دليلا ملموسا على أنه من الافئاذ الذين بخل التاريخ بالكثير من أمثالهم ، ولعل أكبر شاهد على ذلك ان مهمة السيد رشيد العلية لم يستطع إلى الآن أن يقوم بها فرد أو جماعة على كثرة العلماء والكاتبين . ان اصاحب المنار - رحمة الله عليه - من حياته العلمية آثارا كثيرة ، وجوانب قوية ، لا أستطيع أن أوفيها حقها . وقد أردت أن تكون كلمتي فيه الآن مقصورة على علمه بالقرآن وبأسرار القرآن ، لان صلتى به لم تنأ كد الامن درس التفسير على الاستاذ الامام ، ولان آثاره في تفسير القرآن هي أقوى الآثار واطهرها في الاقناع والالزام ، ولان مفسر القرآن إذا أخلص وصدق ! استحق الثناء الخالد ، لأنه بصدقه وإخلاصه يشرف عقله على الوجود ، وعلى ما وراء الوجود ، وقد تحق ذلك للسيد رشيد رحمة الله عليه ، فالقرآن كتاب الوجود ، وكتاب ما وراء الوجود ، وكل من جهله ، واتجه إلى غيره مهما كان قويا في نظر نفسه ، وفي نظر أمثاله ، فحياته غير صادقة ، وسعاداته لاضمان لها ، ولا استقرار ، بل المسلمون إذا أخلصوا للقرآن فهما وعملا ، وعرضوا جواهره السماوية على عقول البشر ، فقد ملسكروا كل شيء ، لأن العقول من مادة السماء ، ومادة السماء إذا تركزت في الأرض محال أن يطغى عليها شهوات النفس الترابية . والانسان إذا أهمل فهم القرآن والتبصر فيه ، وقد أحاط بما في الأرض علما ، فليس من الله ولا من الوجود الحق في شيء ، فحصر العقل في جزء صغير من الوجود يستخدمه في حياته المادية لا يصور الحقيقة ، ولا يحقق معنى الحياة والسعادة إذ الحياة الانسانية مسبوقة بوجود لانهائي وبعدها وجود لانهائي ، ومن حق العقل أن يفكر طويلا في ذلك لوجود اللانهائي ، وهذا لا يتم إلا يفهم القرآن . ومن أجل ذلك يقول الله تعالى : « يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون » ، ويقول : « وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون » . إن لأهل القرآن وانصاره مرتبتين . المرتبة الأولى - هي فهم معانيه الصحيحة وامتزاجها بالعقل والروح والنفس ، فيشع منها النور والقوة بحيث يعملان عملهما في الوجود بقدر

الطاقة البشرية ، وهذه هي مرتبة النبي صلى الله عليه وسلم ، ومرتبة الصديقين من أصحابه وأمه إلى يوم الدين .

والمرتبة الثانية هي فهم معانيه فهما صحيحا ، وامتزاجها بالعقل ، وبالنفس في أغلب أحوالها ، وهذه هي مرتبة كبار العلماء والصالحين مع ما في كل من المرتبتين من المنازل المتفاوتة بتفاوت الاستعداد ، وصفاء الجوهر . وإني أو من إيماننا قويا بأن السيد رشيد قد تمت له المرتبة الثانية في أرقى منازلها ، وأرجو أن يكون له نصيب من المرتبة الأولى . ولذا علمتم أن القرآن هو كلام الله ، وأنه كتاب الوجود . تعلمون مقدار ما بذله وتبذله العقول في استخراج جواهره منذ أنزل إلى اليوم ، ولا يتم للعقل استقصاء كل ما فيه وتحديد به بالدقة مادام الوجود قائما ، ولكن العقل يأخذ منه ما استكمل به وجوده ، وطما أينته في الدنيا والآخرة على قدر فهمه . ومن هنا تعددت آراء المفسرين لاختلاف وجوه النظر ، ولذلك كان تفسير القرآن في أكثر العصور ورفن علم وجدل ، مع أن التفسير يجب أن يكون زيدا مستخاضا بالمقاييس العلمية الصحيحة المستمدة من الفن والبحث ، كما أن التفسير الذي لا يعتمد على مقاييس العلم والعقل ، لا يسمى على الحقيقة تفسيراً للقرآن الكريم . ويجب أن يدخل في مقاييس العلم ما يستظهره العقل من أسرار الوجود بالدلائل القاطعة ، وليس من التفسير مظاهر الحياة التي تعتمد على نزعات النفس في إنسانيتها الضعيفة المضطربة . وهذا هو ما فوق إليه الراحل الكريم في تفسيره للقرآن ، وفي علاجه للأبحاث الدينية ، فقلما كان يتعرض السيد رشيد لمبحث ما يتصل بالقرآن اتصالا جوهريا إلا بقدر ما تمس له الحاجة . وكثيراً ما كان يتعرض لأقوال المفسرين ، وما يستدلون به ولكنه لم يترك القرآن في المكان الذي تتجاذبه فيه الآراء كما فعل أكثر المفسرين ، بل كان في تفسيره يستخلص القرآن للعقل مؤيدا باللغة والشواهد والأدلة من ظواهر الوجود . وأول من فتح هذا الطريق وعبد الأستاذ الامام رضى الله عنه ، وقد سار فيه تلميذه صاحب الذكري شوطا بعيداً انتهى فيه إلى آخر سورة يوسف عليه الصلاة والسلام ، وقد فسر من القرآن على هذا المنوال الحكيم اثني عشر جزءا ، وهي أصعب أجزاء القرآن فهما واستنباطا وكان آخر آية فسرهما من سورة يوسف ومات على أثر تفسيره لها قوله تعالى : « رب قد آتيتني من الملك ، وعلمتني من تأويل الأحاديث ، فاطر السموات والأرض ، أنت ولي في الدنيا والآخرة ، توفقي مسلما ، وألحقني بالصالحين » .

(٢ - الازهر - ثاني)

وقال في رثائه الشاعر الحاج محمد الهراوى :

أى صرح هوى وحصن حصين ولواء طوته أيدى المنون
وكتاب فى الرشد يهذى إلى الرشد وسيف مهند مسنون
مات رب المنار والأمر لله وما مات غير داع أمين
عاش لله مخلصا فى جهاد نصف قرن مبارك فى القرون
ومضى باليراع يدعو إلى الحق وبالقلب واللسان المبين
لا يطيق السكون فى جرح الد ين ويمضى برج أهل السكون
لم يدع راحة له أى حين وهو فى حاجة لها كل حين
طاح بالقلب حين أودى به الجرم وجهد الغيور نار أتون
فقد العلم منه أى كتاب فقد الدين منه أى معين
شعر الناس باحتياج إليه بعد أن لم يروا له من قرين
عز عن صاحب المنار حمى الش أم وعز الأحباب فى دقلون ،
بلدة فى ذرى طرابلس قرت من طرابلس غرة فى الحبين
بلدة انجبت إلى الشرق قوما هم نجوم الهدى وأسد العرب
غاب عنها منارها فتوارت من جوى الحزن بالسحاب الجون
بعثنى جماعة الفضل فى مصر رسول القريض فى التابين
بعثنى لأندب العلم والدين وأبكيهما بدمع سخين
بعثنى وساقها حسن ظن فى ضعيف ينوء تحت الظنون
ولعمري لو لم تكن بعثنى لرأتى بالدمع غير ضنين
فلقد كان بى حقيقا وكانت بيننا عروة الود المتين
عقدت بيننا المودة قربى زاد توثيقها توالى السنين
شيتنى مواقف الحزن تترى ورثاء الحنن أثر الحدين
ووقوفى على الربوع الخوالى وبكائى المكان بعد المسكين
والتياعى على أيامى تخلت هن حماها يد الكفيل المعين
ويتامى تذوق فى العيش بؤسا بعد خفض من الزمان ولين
برح الحزن والجوى بفؤادى قرح الدمع والبكا من جفونى
من مجرى من بعدها ومقبلى من وقوفى بطرف باك حزين ؟
يا غريب الديار لم تفقد الأهل فما مصر غير أم حنون

جنتها عالما وطالب علم فتلفتك في الحشى والعيون
ياربيب الامام في مجلس العلم وفي موطن الهدى واليقين
كنت اوفى بنيه حفظا لذكراه وأبقى على الوفاء المصون

الشيخ محمد شاكر

١٢٨٢ هـ - ١٨٦٦ م - ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩

تعلم الشيخ محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر في الأزهر ، وكان من أسرة أبي
علياء من أشرف الصعيد . وولد بمدينة دجرجا ، في منتصف شوال من سنة ١٢٨٢ هـ
مارس سنة ١٨٦٦ ، (١) وقد تخرج من الأزهر . وفي منتصف رجب سنة ١٣٠٧ هـ
- ٤ من مارس سنة ١٨٩٠ عين أمينا للفتوى مع مفتي الديار المصرية أستاذه الشيخ
محمد العباسي المهدي . وفي السابع من شعبان سنة ١٣١١ هـ - ١٣ من فبراير سنة
١٨٩٤ ولي منصب نائب محكمة مديرية القليوبية ، ثم عين في منصب قاضي قضاء السودان
في ١٠ من ذي القعدة سنة ١٣١٧ هـ - ١١ من مارس سنة ١٩٠٠ ، ثم عاد شيخا للمعهد
اسكندرية في ابريل ١٩٠٤ ، وفي أواخر سنة ١٣٢٤ هـ ندب للقيام بأعباء مشيخة الأزهر
نيابة عن الشيخ عبدالرحمن الشربيني شيخ الأزهر إذ ذاك ، فجمع بين ذلك وبين مشيخة
المعهد الاسكندري ، حتى كان التاسع من ربيع الآخر سنة ١٣٢٧ - ٢٩ من ابريل
سنة ١٩٠٩ ، حيث صدر أمر بتعيينه وكيلا للجامع الأزهر ، وفي عهد وكالته صدر
قانون النظام في الأزهر سنة ١٩١١ م الذي قسمت بمقتضاه الدراسة إلى مراحل لكل
منها نظام ومواد خاصة ، وعهد اليه بتطبيق القانون الجديد ، فأنشئ القسم الأول
وعين شيخا له مع بقائه وكيلا للجامع الأزهر . وقد أنشأ معهدين في اسبوط وقنا .
واختير عضوا في جماعة كبار العلماء ، وفي سنة ١٩١٣ عين عضوا في الجمعية التشريعية ،
ولما اشتعلت الثورة المصرية سنة ١٩١٩ م صال فيها وجمال ، وأذكاها بقلبه ولسانه
ورأيه ، حتى إذا وافت سنة ١٩٣١ أعرض عن الدنيا ولزم داره لمرض الفالج الذي
أصابه ، وظل ينتظر المنون حتى دعاه مولاه ، فلباه في صباح الخميس الحادي عشر من
جمادى الأولى سنة ١٣٥٨ ، التاسع والعشرين من يونيه سنة ١٩٣٩ .

مشايخ السادة المالكية

كانت العادة بالأزهر الشريف أن للسادة المالكية شيخاً عليهم ، ودرجته قريية من
درجة شيخ الجامع ، وأما السادة الحنفية والسادة الشافعية والسادة الحنبلية فكان

(١) راجع مجلة الأزهر في بحث للأستاذ محمد كامل النقي عن الشيخ .

شيخهم هو شيخ العموم ، ومن عهد قريب صار للسادة الحنفية شيخ ، وصار للحنابلة شيخ كذلك ، ولناأت بذكر مشايخ السادة المالكية ، فمن تولى مشيخة السادة المالكية إمام المحققين ، وعمدة المدققين ، العلامة الشيخ على العدوى المنسفي الصعدي المالكي ولد ببني عدى سنة ١١١٢ هـ وقدم إلى مصر وحضر دروس مشايخ عصره كالشيخ الحفني واضرابه وكان له كرامات عجيبة وله مؤلفات مفيدة وهو أول من خدم كتب مذهب المالكية بالحواشي وأول من درس بمسجد محمد بك أبي الذهب وكان يدرس بالأزهر وبمسجد الغريب ويوم الجمعة بمسجد مرزه بيولاقي ، وكان على قدم السلف في التقوى والاشتغال بالعلوم . . وتوفي سنة ١١٨٩ هـ ودفن بالبستان .

ثم تولاهما أبو البركات سيدي أحمد الدردير العدوي المالكي الأزهرى الخلوقي ، وولد ببني عدى سنة ١١٢٧ هـ وحفظ القرآن الشريف وقدم إلى الأزهر وحضر دروس مشايخ عصره كالشيخ على الصعدي والشيخ الحفني واضرابهما وألف وأفاد وتأليفه أشهر من أن تذكر ، وكان شيخاً لرواق الصعايدة وتوفي سنة ١٢٠١ هـ ودفن بزوايته التي أنشأها بخط الكعكيين وهو مشهور يزار .

ثم تولاهما عالم عصره ، ووحيد دهره بلا خلاف سيدي محمد الأمير الكبير صاحب التأليف العديدة في كل فن معقول ومنقول ، ولد سنة ١١٥٤ بسنبو وهي بلد من قسم ديروط بمديرية أسيوط وختم القرآن الشريف بها وهو ابن تسع سنين ثم التحق بالأزهر وحصل ودرس ولم يدع فناً إلا أتقنه ودرسه حتى فقه الحنفي والشافعي ، وله تأليف جمة في فنون كثيرة وهي بجوامع الكلم ، وكان توجه في بعض المقتضيات إلى دار السلطنة وألقى هناك دروساً حضره فيها العلماء وشهدوا بفضله واستجازوه ورجع إلى مصر معظماً مبجلاً ومعه كتب توصية للبasha والأمراء وقد أنعم عليه من الدولة وكانت تائيه الصلات من سلطان المغرب وتلك النواحي وكان كلامه حكيماً ، ومن كلامه :

دع الدنيا فليس بها مرور يتم ولا من الأحزان تسلم
ونفرض أنه قد تم فرضاً فإن زواله أمر محتم
وكن فيها غريباً ثم هيء إلى دار البقا مافيه مغنم
وإن لا بد من لهُو فلهو بشيء نافع والله أعلم

وسبب تلقيبه بالأمر أن جده الأقرب أحمد بن عبد القادر كان له أماره حكم في بلاد الصعيد وأصله من المغرب وتوفي عليه سحائب الرحمن والرضوان يوم الاثنين

عاشر ذى القعدة سنة ١٢٣٢ هـ ، ودفن أمام ضريح الشيخ العفيفي ، وبما قيل في رثائه تمثلا :
 حلف الزمان ليأتين بمنله حنثت يمينك يا زمان فكفر
 ثم تولاه ابنه الشيخ محمد الأمير الصغير ، ثم تولاه الشيخ إبراهيم الملواني ،
 ثم تولاه الشيخ عبد الله القاضي ، ثم تولاه شيخ الشيوخ الجامع بين العلم والتقوى
 فرع الشجرة النبوية وخلاصة السلسلة الهاشمية الشيخ عليش ، وقد ولد رحمه الله بالقاهرة
 بحارة الجوار بجوار الجامع الأزهر في شهر رجب سنة ١٢١٧ هـ ، وحفظ القرآن واشتغل
 بالعلم بالأزهر وأدرك الجهابذة كالشيخ الأمير الصغير واصله والشيخ مصطفى البولاق
 والشيخ البناني صاحب التجريد وكثير من كبار العلماء ودرس سنة ١٢٣٢ ولم يدع
 فنا إلا درسه وتخرج من درسه جل أهل الأزهر أو كلهم وتوفي عام ١٢٩٩ هـ وتوفي
 ابنه الشيخ عبد الله عليش عام ١٢٩٤ هـ . ثم الغيت مشيخة المالكية بعده خمس
 سنوات حتى تولاه الشيخ سليم البشري .

الشيخ البحراوى

هو الشيخ عبد الرحمن البحراوى الحنفى الأزهرى ، ولد بكفر العيص قرية على شط
 النيل بمديرية البحيرة ، وكانت ولادته سنة ١٢٣٥ هـ ، وقدم لمصر وقرأ القرآن بالأزهر
 وجوده فيه ، وفي سنة ١٢٤٩ شرع في حفظ المتداول من المتون ، وفي سنة ١٢٥١ حضر
 دروس المشايخ فتنقى الفقه والتفسير والحديث عن الشيخ محمد السكتي وأهل طبقة وتلقى
 علوم الأدب والمنطق والتوحيد عن الشيخ إبراهيم السقا والشيخ مصطفى البولاق
 والشيخ إبراهيم البيجورى واصله ، وكتب بيده كل كتاب حضره فضلا عما كان
 يكتبه للاقتيات بضمنه لأنه كان في قل من العيش وقد اجتهد في التحصيل وسهر الليالي
 مع جودة قريحته حتى تأهل للتصدر للتدريس في سنة ١٢٦٤ وشهد بفضله أعيان الأزهر
 ولم يزل متصدرا للتدريس مع حسن القائه وعذوبة ملحه وكان محترما عند أولى الامر
 وفي سنة ١٢٧١ نيط به تصحيح للفتاوى الهندية بالمطبعة الكبرى ببولاق مصر وبعد
 تمام الطبع تولى قضاء اسكندرية سنة ١٢٧٧ ثم رفع من قضائهما سنة ١٢٨٢ فعاد
 للتدريس بالأزهر وفي سنة ١٢٨٩ عين للفتوى بالمجلس الخصوصى وفي سنة ١٢٩٣
 عين رئيس المجلس الاول بالمحكمة الشرعية المصرية الكبرى ، ثم بعد ذلك تولى افتاء
 الحقانية ، ثم رفع وعاد للتدريس بالأزهر ، وله من التأليف تقرير على شرح العيني
 وحاشية على شرح الطائى ، وله كتابات على اغلب كتب المذهب الحنفى وتخرج من
 درسه كثير ممن تولى القضاء ومن درس بالأزهر ، ومن أجملهم الاستاذ الفاضل الشيخ
 محمد نجيت المطيعي .

الشيخ محمد بن حنيت المطيعي

في اليوم الحادي والعشرين من شهر رجب ١٣٥٤ هـ - الثامن عشر من شهر أكتوبر ١٩٣٥ استأثرت رحمة الله بالعلامة ، الشيخ محمد بن حنيت المطيعي ، فقضى مبكياً عليه من مئات الألوف من العلماء والطلاب في جميع بلاد المسلمين ، الذين كانوا يرون فيه المثل الأمل للاطلاع الواسع والافادة والفتيا . . ولد رحمه الله في بلدة المطيع من أعمال أسيوط سنة ١٢٧١ هـ - ١٨٥٦ م ، وحفظ القرآن وحصل رحمه الله العلم بالأزهر فتخرج في علوم الشريعة والعربية ، ونال فيها شهادة من الدرجة الأولى سنة ١٢٩٤ للهجرة أي منذ نحو اثنتين وثمانين سنة ، وأكب من ذلك العهد على التدريس والافادة بهمة يندر أن يصادف لها مثيل في حياة العلماء العاملين . ثم ندب للاشتغال في القضاء عام ١٢٩٧ هـ فتنقل في وظائفه حتى بلغ أعلى درجاته ، مظهراً في كل منها من الكفاية ما لا يكون إلا للعلماء الراغبين . . ومن المناصب التي شغلها قضاء مصر نيابة عن القاضي التركي ، وفي عام ١٩١٤ عين مفتياً للديار المصرية ، وبعد سبع سنوات بلغ السن القانونية لوظائف الحكومة ، فترك الاشتغال بالقضاء وعكف على الدرس والتدريس والافتاء . فكانت داره مثابة للمستفتين والمستفيدين ، وكان لا يبخل على أحد بفتيا ، حتى إذا كان بعيداً عنه تكلف له كتابة الفتوى وأرسلها إليه بالبريد .

وكانت شهرته قد تجاوزت مصر إلى العالم الإسلامي كله ، فكانت ترد إليه الاستفتاءات تترى في مختلف المسائل ، ومنها مسائل تحتاج إلى مراجعات كثيرة معنية ، فكان لا يرضى بنفسه عن القيام بها فيحررها ويرسل بها للمستفتين .

وبما انفرد به أنه كان قد استخدم كتاباً لنقل فتاواه وتولى إرسالها إلى طلابها في مختلف الاقطار ، متحملاً مكافأتهم شهرياً وأجر ما يرسله بالبريد من الكتب والرسائل .

وقد عرف رحمه الله بالزعامة في علم الأصول ، فكان يرجع إليه جلة العلماء فيما يشكل من مسائله ، ويصادفون لديه لكل مشكلة جلاً ، كأنها مرت به من قبل فعالجها وانتهى إلى ما يحسن السكوت عليه من أمرها . . وكان خاتم طبقة من العلماء المحققين الذين تميزوا في حياة الأزهر بالتبسط في العقائد ، والتعمق في الفقه ، فانهت اليه الامانة فيهما حيناً من الدهر . كما كان — غفر الله له — من أشد المعارضين لحركة الإصلاح التي قام بها الامام محمد عبده . دفعه إلى تلك المعارضة النائرة دوافع المنافسة من جهة ، وتحريض أولى السلطان من جهة أخرى ، وكان في الشيخ زكاة شاهدة ،

ودعابة لطيفة ، وطموح إلى مساماة الامام في منصبه ونفوذه وشهرته ، حرك فيه الاخذ بنصيب من الأدب والثقافة العامة . ولعله كان أعلم أهل جيله بدقائق الفقه الحنفى ، وأبسطهم لساناً في وجوه الخلاف بين أصحاب الشافعى وأصحاب أبى حنيفة .

وكان ميلاده في المطبعة من أعمال أسيوط في ١٠ محرم عام ١٢٧١ هـ ، وشب على الذكاء والعقل وحفظ القرآن المجيد ، ثم حفظ متن الاجرومية في النحو ومتن العشماوية في فقه المالكي وحضرهما على حضرة الاستاذ الشيخ محمد عنتر الكبير والد الشيخ محمد عنتر أحد علماء الازهر ، ثم طلبت نفسه الشريفة التوجه إلى الازهر لتحصيل العلوم من معدنها فقدم لمصر في أوائل سنة ١٢٨١ واشتغل بالتحصيل مقلداً مذهب أبى حنيفة النعمان فحضر على مشاهير الازهر كالشيخ الدرستوى والشيخ عبد الغنى المالوانى والشيخ عبد الرحمن البحرأوى والشيخ حسن الطويل والشيخ الدمهورى والشيخ المهدي والشيخ عبد الرحمن الشربيني والشيخ جمال الدين الافغانى حتى حضر غالب الكتب المعتاد قراءتها بالازهر من فقه ونحو وحديث وأصول وتفسير وبلاغة ومنطق وحكمة وغير ذلك على المشايخ المذكورين وغيرهم من كبار الازهر ولازم الاجتهاد إلى ان مهر وامتحن للتدريس وحاز الدرجة الاولى ودرس سنة ١٢٩٢ ولازم تدريس كتب المنطق والحكمة والتوحيد إلى سنة ١٢٩٥ ثم درس الفقه والنحو إلى سنة ١٢٩٧ وفيها تولى قضاء مديرية القليوبية ثم قضاء مديرية المنيا ثم قضاء محافظة بورسعيد ثم قضاء محافظة السويس ثم قضاء مديرية أسيوط ثم تولى تفتيش نظارة الحفانية ثم قضاء اسكندرية ثم تولى رئاسة المجلس الشرعى بمحكمة مصر الكبرى ثم عضوية المحكمة العليا بها ، ومع ذلك كان حفظه الله ملازماً لتدريس العلوم في كل جهة تولى بها مع همة ونشاط ، ولم يزل يدرس الكتب العالية مع القيام بكامل شؤونه وأعماله ، وله تأليف عديدة ، منها حواشى الخريدة ، وجواش على شرح العقائد العصرية ، وارشاد الأمة في أحكام أهل الذمة ، وحسن البيان في ازالة بعض شبه وردت على القرآن ، والدرر البهية في الصلاة السكالية لدفع شبه وردت على تلك الصيغة ، ومقدمة شفاء السقام المسماة بتطهير الفؤاد من دنس الاعتقاد وسواها

الشيخ حسين والى

كان مقرراً أن تنعقد لجنة الفتوى بالازهر في الساعة الرابعة من مساء يوم السبت ٦ من ذى الحجة سنة ١٣٥٤ الموافق ٢٩ من فبراير سنة ١٩٣٦ برئاسة فضيلة رئيسها

المغفور له الشيخ حسين وإلى ، وما كادت تبرغ شمس ذلك اليوم حتى فوجيء أعضاؤها ، كما فوجيء الناس عامة بنعى رئيسها العظيم ، وما كادت تحين الساعة المحدودة لانعقاد الجنة ، حتى كان شيخها الجليل يعبر الطريق من منزله إلى الأزهر الشريف يحمل فوق الاعناق ، مشيعا بقلوب مكحومة ، وزفرات حارة ، ودموع منهرة . فذاق أعضاء لجنة الفتوى الذين خبروا الفقيد عن كئيب ، فعرفوا فيه العلم الغزير ، والخلق الكريم ، والعقل الراجح ، والفكر الثاقب ، والجلد على البحث ، والشغف بالاطلاع ، والدقة في تلمس الحق ، ذاقوا آلام الحزن العميق على هذا المصاب الجلل . . ويقول عنه الشيخ عبد الجواد رمضان : هو السيد حسين وإلى بن العلامة السيد حسين وإلى بن السيد إبراهيم وإلى ، ينتهى نسبه إلى الامام أبى عبد الله الحسين بن على ، رضى الله عنهما . ولد في منية أبوعلى من أعمال مركز الزقازيق في مديرية الشرقية ، في رجب الفرد سنة ١٢٨٥هـ ، نوفمبر سنة ١٨٦٨ ، وطلب العلم في الأزهر ، منتسبا إلى رواق معمر ، إلى أن نال شهادة العالمية سنة ١٣١٧ هـ - ١٨٩٩ م . وأذن له بالتدريس في الأزهر سنة ١٩٠٠ ، ثم ندب للتدريس في مدرسة القضاء الشرعى سنة ١٩٠٧ . ثم عين مفتشا في الأزهر والمعاهد الدينية سنة ١٩١١ ، ثم وكيلا لمعهد طنطا سنة ١٩١٤ ، ثم سكرتيرا عاما للمجلس الأعلى بالأزهر سنة ١٩٢٠ ، وبقي في هذا المنصب إلى أن ألقى في ديسمبر سنة ١٩٢٦ ، وفي ٧ من شهر ربيع الأول سنة ١٣٤٣ (٦ من أكتوبر سنة ١٩٢٤) عين في هيئة كبار العلماء بمرسوم جاء فيه : « عين في هيئة كبار العلماء كل من حضرات . الشيخ محمد مصطفى المراغى الحنفى المذهب رئيس المحكمة العليا الشرعية ، والشيخ حسين وإلى السكرتير العام لمجلس الأزهر الأعلى والمعاهد الدينية ، والشيخ محمد الحلبى ، والشيخ سيد على المرصفى ، الشافعى المذهب ، . وتوفى - طيب الله ثراه - في ٢٨ من فبراير سنة ١٩٣٦ ، وهو عضو في مجلس الشيوخ ، وفي المجمع اللغوى . وما تزال أصداء جولاته تدوى في قبابها فيتجاوب بها آفاق العروبة في مشارق الأرض ومغاربها إلى اليوم والسيد حسين وإلى ، أحد الأقطاب الذين سما حظهم من التبحر في علوم اللغة العربية وآدابها ، وأخذوا بأفاقها وشعابها ، على جميع الباحثين والمتأدبين ، في عصر النهضة ، فلا يسبقهم سابق ، وإن ناصام شواذهم في أقطار الشرق العربى معدودون معروفون . هم الأئمة وسائر الناس على أنوارهم مقتدون .

لاجرم أن مواهب السيد حسين والى ، جديرة بأن تبوئه هذه المنزلة الرفيعة التى لاترام ، فلقد كان - إلى تبحره فى علوم الأزهر - كاتباً قديراً ، وشاعراً أخلاقياً . يكتب كما يكتب حمزة فتح الله ، والسيد توفيق البكرى ، والشدياق الخ ، ويشعر كما يشعر حمزة فتح الله ، والسيد توفيق البكرى ، وآل اليازجى ، وغيرهم من كبار الكتاب وخول الشعراء ، فى مصر والشام والعراق ، ويصاوم المؤلفين والباحثين فى وزارة المعارف وغيرها ، وينقدم ، وينال منهم ويوجههم فيستجوبون ، ويفتقون فى اللغة والأدب ، فيقطع كل قول ، ويخفت كل صوت . ذلك بأنه كان مطلعاً فقيهاً لغوياً ، ذواقة ، هاضماً لما علم ، واثقاً بما يقول . . والإيمان بالرأى أقوى أسلحة الشجاع . وكان من الطبيعى أن ينال السيد حسين والى من الشهرة عند الخاصة والعامة كفاء هذه المواهب المتوافرة ، بيد أنه غض من شهرته شمائل ، هى فى شرفها وعنفورها أنفوس جوهر ، وأعز قيمة ، وأرفع جمالا من كل شهرة . وكان السيد حسين والى غالياً فى التعصب للقديم ، يعتز به ، ويحافظ عليه ، ويرعاه فى دينه ، وفى سمته ، وفى لغته ، وفى كل ما يحيط به ، حتى لقد سمي أولاده : أسامة ، ولوى ، ونزار ، والفراة . يحدوه إلى ذلك نسبه الشريف ، ونشأته الأزهرية ، ووقار ألبسه الله منه رداء فضفاضاً ، ثم نزعة صوفية عميقة ظهرت فيه طول حياته .

الشيخ محمد الفحام

تخرج الأستاذ رحمه الله فى الأزهر ، وبعد نيله شهادة العالمية التحق بخدمة القضاء الشرعى ، وتقلب فى وظائفه سنين كثيرة عرف فيها بسداد الرأى والحزم ، ثم نقل من القضاء إلى الامامة الخاصة للملك ، ثم خرج منها إلى مشيخة معهد الاسكندرية ، فكانت له فيها آثار ظاهرة ، ونظم مفيدة ، وسمعة بين الناس طيبة رشحته إلى تقليد وكالة الجامع الأزهر . وكان قد تملأ خبرة بإدارة الأعمال ، وبالزمان وأهله ، وبقيادة الموظفين ، فكان يخوض معهم فى الإدارة العامة عباب الأعمال المختلفة ، ويمضى معهم الساعات الطويلة مناقشة وبحساً وتحقيقاً وثباتاً ، ويقابل فى أثناء ذلك الوافدين عليه فيسعون بتألفه وطلاقة وجهه ، لا يكاد يفرغ من هذا العمل المتواصل آناً يسترد فيه ما فقدته من قواه حتى موعده الانصراف .

لبث على ذلك بضع عشرة سنة ، ولولا صفات متأصلة فيه من المضاء والمرونة

المستندة إلى الباقية ، لاصطدم طوال هذه المدة التي اجتاز الأزهر فيها أزمات خطيرة ، وعقبات كآداء ، بعواثير لا تذلل ، ولكنه رحمه الله عاجلها على أسلوبه بالموازنة والمياسرة ، وتمكن بذلك أن يستبقى الإدارة العامة قائمة تؤدي واجباتها الديوانية خلال هذه الأزمات الشديدة .

أصابه رحمه الله قبل نحو شهرين من وفاته ، مرض عضال أصاب الطحال والقلب ، بذل كثير من الأطباء جهد العلم في معالجته فاستعصى ، وما زال رحمه الله يضعف حتى أسلم الروح في مساء السبت ١٨ من جمادى الأولى سنة ١٣٦٢ (الموافق ٢٢ من مايو سنة ١٩٤٣) .

الشيخ يوسف الدجوى

في مساء الثلاثاء ٤ صفر سنة ١٣٦٥ هـ - ٨ يناير سنة ١٩٤٦ ، توفي الشيخ العلامة ، يوسف الدجوى الأزهرى النابغة الكفيف البصر ، وعضو جماعة كبار العلماء وكان الأستاذ الدجوى من العلماء الراسخين في العلوم التي تدرس في الأزهر أخذها عن أئمتها مثل الشيخ هرون عبد الرازق والشيخ أحمد الرفاعى الفيومى والشيخ محمد طعموم والشيخ أحمد فايد الزرقانى ، والشيخ رزق البرقاى ، والشيخ سليم البشرى ، والشيخ البحيرى ، والشيخ العدوى ، وكلهم من أقطاب الجامعة الأزهرية الذين صانوا رسالتها إلى هذا العصر الحديث .

ولد الدجوى فى قرية دجوة التابعة لمركز قليوب فى سنة (١٢٨٧) من أب عربى ، وأدخله والده الأزهر فى سنة (١٣٠١ هـ) ونال الشهادة العالمية فى سنة (١٣١٧) بنجاح عظيم كان مدعاة لأن يزوره فى داره الشيخ راضى الحنفى من كبار العلماء وهناك على ما أصاب من توفيق . وما فعل ذلك إلا من شدة إعجابه به ، وإكباره لشأنه ، وتوقعه له حياة عليية تشرف الأزهر والأزهريين ، وقد صدق حدسه ، فإن الأستاذ الدجوى لم يلبث أن ظهرت مواهبه ، وتجلت خصائصه ، فصار مرجعا للمستهدى والمستفتى فى جميع البلاد الإسلامية .

ولما أسست المشيخة الأزهرية مجلة الأزهر كان من أول من وقع اختيارها عليهم ليحرروها الشيخ الدجوى رحمه الله ، فكتب فيها البحوث الممتعة فى الدين والتفسير والحكمة ، وبقي على موافاتها ببحوته إلى عهده الأخير .

ومن ميزات الشيخ رضى الله عنه أنه كان يأنس إلى البحوث النفسية الحديثة في أوروبا ويرأها خير أداة لكسر شوكة الماديين ، وقد اعتمد في كتاباته على ما حققوه منها وكان لا يخشى في مجاهرته بذلك لومة لائم .

وقد ترجم له قلم ترجمة بمجلة الأزهر كتابه القيم (رسائل السلام) إلى اللغة الانجليزية ، فطبعت المشيخة الأزهرية منه عشرة آلاف نسخة بعث كثيرا منها لمن لا يستطيعون فهم العربية وللأجانب الراغبين .

كان مفسر الأزهر ومحدثه ، بل فيلسوفه وكاتبه ، وخطيبه ، كما كان موضع ثقة الجماهير الاسلامية في شتى الاقطار ، تتوارد إليه استفتاءاتهم من جميع الجهات ، وتصلهم مقالاته النافعة بمجلة الأزهر وغيرها من المجلات والصحف العربية والافرنجية ومؤلفاته الممتعة (١)

ومنها كتاب سبيل السعادة الذى ألفه عام ١٩١٢م فى فلسفة الاخلاق الدينية وأسرار الشريعة الاسلامية ، والرد على الطبيعيين ، وقد قرظه إمام اللغة المرحوم الشيخ حمزة فتح الله بكلمة طويلة منها : « أحسن يا شيخ الدين ، وأديت فرض الكفاية عن علماء المسلمين ، وشفيت السقام ، ورويت الاوام » .

ومن مؤلفاته رحمه الله : الجواب المنيف فى الرد على مدعى التحريف فى الكتاب الشريف ، أخرجه عام ١٩١٣م ، رد فيه على القس الانجليزى (كولد ساك) الذى طعن القرآن الكريم ونقص من شأن الاسلام ، فأتى الشيخ على مزاعمه فهدمها من أسسها ، وظل يتابع حملاته على كتاب هذا القس حتى صودر . ومن مؤلفاته النادرة رسالة فى تفسير قوله تعالى : « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون » ، لم يتقيد فيها بما قاله المفسرون ، بل ذهب فيها كل مذهب ، وتصرف فيها كل متصرف ، ودعا فيها علماء المسلمين شرقا وغربا للاجتماع والتشاور لاستنباط أسرار القرآن قبل أن يتهددوا بالخطر ... ومنها رسالة فى علم الوضع ، أخرجها عام ١٩١٧م وقد نالت الجائزة الاولى من لجنة خص الكتب العلمية ... ومنها مذكراته فى الرد على كتاب الاسلام وأصول الحكم ، وكلماته فى السلفيات الحاضرة ، وقد طبع هذه الكلمات علماء دمشق ونشرت هناك ... ومنها صواعق من نار فى الرد على صاحب المنار . ومنها هداية

(١) من كلمة لنجل الشيخ - الشيخ أحمد يوسف الدجوى الاستاذ بمعهد القاهرة - نشرت فى مجلة الأزهر .

العباد إلى طريق الرشاد . جمع فيه من محاسن الدين الاسلامى الشيء الكثير ، وقد انفرد فيه بأشياء لم يسبقه بها غيره . ومنها كتاب رسائل السلام ورسل الاسلام ، انتهى من تأليفه عام ١٩٢٢ م على أثر تكليف مشيخة الأزهر له بإخراجه بمناسبة اعتناق الألوف المؤلفة من أهل أوروبا وأمريكا ، الدين الاسلامى ، وقد ترجمته مشيخة الأزهر باللغة الانجليزية وطبع بالمطبعة الاميرية ، وأرسل إلى الجهات النائية .

وقد وجهت صحيفة الاهرام الغراء فى نهاية عام ١٩٣٩ م نصحتها وإرشادها إلى زعيمى دول المحور المهر هتلر والسوڤيور موسوليني باتباع ما جاء بهذا الكتاب والعمل بالتعاليم الموجودة بين دفتيه ، إذ أنها تدعو للوئام والسلام . ولا يفوتنا أن نذكر فى هذه الكلمة ما كان يقوم به من المحاضرات العلمية فى تفسير آى الذكر الحكيم ، وحديث النبى الكريم ، عقب صلاة الفجر بالرواق العباسى بالأزهر ، وكان جملة العلماء ، ومثقفو الطلبة حريصين على تلقى هذه المحاضرات ، للارتشاف من منهل الامام السكوثر العذب ، يبادرهم إليها ، سيادة السيد المجددى ، وزير الافغان المفوض بمصر سابقا ، وقد كتب بعض المستشرقين ، عند استماعه هذه المحاضرات ، مقالات ممتعة ، نشرتها صحف فرنسا بعنوان (سجنسر وبأكون ، فى الأزهر الشريف) الخ

أما ناحيته العملية ، فتشمل فيما قام به من تأليف الجمعيات الاصلاحية الدينية ، التى منها جمعية النهضة الاسلامية لمناهضة المبشرين الذين استشرى فسادهم ، وعم ضررهم حتى ضجت البلاد من شرهم ، فكانت جمعية موفقة أدت واجبا خيرا أداء ، وانتشرت فروعها فى جميع الانحاء ، فوفقت هذا التيار الجارف . ومنها الجمعية العظمى لمساعدة منكوبى حرب الاناضول ، بمناسبة الحرب التركية اليونانية ، وأسندت رئاستها إليه أول مرة ، وبمناسبة تأسيسه لها أرسل إليه الخليفة عبد المجيد كتاب شكر وثناء وتقدير . ولم يقتصر نشاط الشيخ على ما تقدم ، بل لم يله الجهاد العلمى عن الجهاد الوطنى ، فكانت له مواقف المشهودة فى خدمة أهداف البلاد الوطنية ، ومن تلك المواقف احتجاجه لدى العميد الانجليزى على اعتقال المرحوم الزعيم الخالد سعد زغلول وصحبه المجاهدين المخلصين ، إذ قال : « عجبنا لسياسةكم العنيفة كيف يفوتها أن شدة الضغط تولد الانفجار ، وأن تقليم الاشجار لا يزيد لها إلا تيجاجا ونماء ، وأن النفوس الانسانية متى امتلأت بشئ استعذبت الموت فى سبيله ، ولا تظنوا يا جناب اللورد أن هذه احتجاجات تفوه بها اللسن ، وإنما هى قلوب متأججة وأرواح مشتعلة وأعصاب متنبهة . فاعملوا إنما عاملون ، ولا ييأس من روح الله

إلا القوم الكافرون ، . وقد نشرته الصحف في حينه . ومن مواقفه التي تشهد له بالفخر والارحية والاقدام والشجاعة ، ذلك الكتاب الذي رفعه إلى ملك الانجليز طالبا به تخفيف حكم الاعدام الذي صدر على شاب من شباب الازهر وهو - الشيخ محمد الشافعي البنا - وقد استجيب طلبه . كما أن الاستاذ الدجوى كان محاضرا ممتازا تدعوه الجمعيات الإسلامية لالقاء محاضرات علمية اجتماعية . إلى غير ذلك من مواقفه المجيدة ، وأعماله الحميدة .

كتبت عنه مجلة « هدى الاسلام » ، تقول : قد وقف (الدجوى) أمام المضللين الذين عرفوا أنفسهم بـ (المبشرين) وقفات جبارة أحبطت جميع مساعيهم وحطمت آمالهم القوية من جهتين :

أولا : بكشف أغراضهم وبيان ضلالهم وبطلان عقائدهم ومبادئهم .
ثانيا : بيان صلاحية الشريعة الإسلامية للازمنة والامكنة ، وأنها الشريعة الكافلة لحياة البشر ، وله في ذلك رسائل ومقالات كثيرة تشهد له بفائدتها شدة وقعها في النفوس ، ومع ذلك فهو متعقب حركات المضللين وسكناتهم لا يدع لهم حيلة إلا فضحها ، وهذه المثابرة أنتجت فكرة المقاومة ويسرت سبيل الغلبة ، ولو لم يتداركوا أمرهم ويبدلوا خطتهم القديمة ، لما سمعت لهم صوتا في بلاد الاسلام . وعلى كل فالهمم متضافرة والعزائم متعاونة على ملاحقتهم ومكافحة أفكارهم ، فللدجوى يد فعالة في كل حركة إسلامية لا تعرف الهوادة واللين ، وهو خير مثال للأهال الوقور ، وله مؤلفات عديدة تشف عما انطوت عليه نفسه من الحكمة والسياسة الدينية والزرغيب في الدين وتصوير حقائق الاسلام إلى غير ذلك من المباحث القيمة التي انفرد بها ، ولا تخلو منها مكتبة عامرة ، ومع ذلك فقد كان دائما على الكتابة والنشر ، حريصا على استثمار حياته ، والمتتبع له يعتقد اعتقادا جازما بأنه قد جعل حياته كلها وقفا لخدمة الأمة الإسلامية .

والدجوى أسلوب جذاب في الكتابة ، وهذه الجاذبية كما قلنا ليست بنت التصنع والتزويق وإنما من تواضع صاحبها ونوادر المعاني العالية ، تتخذ لها القوالب الموافقة ، فيأتي المبنى منطبقا على المعنى ، وعلى الرغم من ذلك فأسلوبه لا يتبدل مهما تبدلت مواضعه .

وقد تكون بعض مقالاته فهرس مقالات خصبة متمعة . فكتباته كانت أشبه بالالهام والخواطر بصرف النظر عن بعض الدواعي التي تدعوه إلى الكتابة

حتما ، وهذا السر في أن كتابة الدجوى تأخذ مفعولا كبيرا في العقليات لأنها ابتعدت عن التصنع والزخرفة الفارغة ، وله قدرة جليلة على حسن الاختيار من بدائع المنقول . فهو يعرف كيف يقتطف لباب الغير وأروع الحوادث من كتب المتقدمين وكذلك يعرف كيف يختار لها المناسبة ويعطيها موضعها اللائق بها ، فكثير من الناس لا يعرفون كيف يستفيدون من تلك العبر والحوادث وهي بين أيديهم . فلاغربة إذا هم لم يفيدوا بها وإذا فهموها فربما سولت لهم أنفسهم أن يستغلوا تأويلها في مآربهم الخاصة كما جرى على هذه الطريقة كثير من تجار النفاق . وأنت إذا قرأت منقول الدجوى ، اطمأنت نفسك إليه وارتاحت من عناء البحث والتنقيب وتعقيب المطولات ، فإنه إذا نقل حفظ الامانة وأشار إلى خلافها كما أنه يبني عليه المعقول البديع الذي يخلب الالباب ، وينادم الافكار الحرة المجردة من قيود التعصب الاعمى والتقليد الطائش ، وتسكاد نلبس تحكمه في محوله تحكما ينطبق على الواقع ويلائم الاحوال .

ولع بالعلوم الدينية صغيرا ولم يكن ولعه مقصورا على الكسب والدرس ، بل أفسح لدماعه التجول والمناقشة والنقد للرواية والدراية فظهر نبوغه بين أقرانه ورمقته عيون الحاسدين فلم تنل منه شيئا إنما زادته جرأة وحرية أوسع ، ثم جمع بين العلم والزمان فرأى مفهوم العلم عند بعض الناس يناقض حاجة العصر . حيث إن بعض العلماء عاجزون عن التوفيق بينهما وذلك لان فهمهم استمد من حالات قديمة تختلف كل الاختلاف عن الاحوال الراهنة . وقبلا ، أما اليوم فيحارب وليثبت ولهذا كان (الدجوى) يسعى في التوفيق ليوحد رأى العلماء ويكون منهم جهة مناضلة بقوة العلم الحقيقي ، ليقضوا على الادعاء الكاذبين ، فهو بطل العلم وحامل لواء نهضته .

هذه ناحيه من جهاده تريك تأثيره القوى وما كان له من الكلمة النافذة في حياته عند المفكرين والجماهير .

الشيخ عبد الحكيم عطا

كان مولده سنة ١٨٦٥ في د نواى ملوى - أسيوط ، من أسرة كريمة ، فوالده المرحوم الشيخ عطا عبد الفتاح كان عالما جليلا مشهورا بالتقوى ، والعلم الجرأة في الحق ، وله مقام عظيم لدى الكبراء والعظماء ، وكان المرحوم محمد باشا سلطان يجل الشيخ ويحترمه ، حتى ألح عليه في الانتقال من بلدته . والاقامة في د بنى أحمد بالمنيا ،

فأستجاب دعوته . وتوارث آل سلطان باشا حب أبناء الشيخ وإكبارهم . وفي بلدة بنى أحمد . كان الشيخ عطا . يلقى دروسه لأبناء الأعيان ، وقد تلمذ له ولده الناشئ . عبد الحكم ، حتى إذا كانت سنة ١٨٧٩ أرسله إلى الأزهر فأخذ عن العلماء الاعلام وأبتدأ نجمه يتألق بين طلاب العلم في الأزهر .

وقد حصل على العالمية الممتازة ، سنة ١٨٩٥ ولفت الأنظار عامئذ ، إلى كفاءته وذكائه وعلمه ، وأشادت بذكره صحافة ذلك العهد . ثم اتخذ مكانه بين المدرسين في الأزهر ، فعمرت دروسه ، وغصت بالمئات من تلاميذه ، المعجبين به ، الناهلين من علمه . ومكث يدرس في الأزهر قرابة الثلاثين عاما ، ورفض غير مرة . أن يلى الوظائف ، وصدف عن التمتع في بحبوحة المرتبات . متلذذا بخدمة العلم وتخريج العلماء . حتى عرض عليه أستاذه المرجوم الشيخ أبو الفضل ، بإلحاح ، مشيخة القسم الثانوى سنة ١٩٢٠ فغضض لامر شيخه ، ومن وقتئذ بدأ حياته الإدارية ، فولى مشيخة القسم الثانوى والقسم العالى ، وجميع بينهما فى بعض الأوقات .

وفى سنة ١٩٢٨ ، فى عهد مشيخة الشيخ المراغى الأولى ، عين شيخا لمعهد أسيوط ، فبقى به سنة . ثم نقل إلى معهد الزقازيق عام ١٩٣٠ ، وقد أحيل إلى المعاش بعد حين . وكان من العلماء المقدمين ، فى هيئة كبار العلماء ، وهو بحق شيخ الشيوخ بلامراء لكثرة من أخذ عنه من الأساتذة . . والشيخ أحمد حميدة شيخ معهد أسيوط اليوم ، كان امتحانه فى العالمية من ثلاثين عاما أمام الشيخ عبد الحكم . ولقد كان فى علمه دائرة معارف إسلامية أزهرية ، فقد حفظ كتاب الله ، وفهم دقائقه ، واستوعب كتب السنة ، وألم بالكتب الأزهرية صغيرة وكبيرة ، متونها وشراحيها وحواشيها ، إلماما عجيبا ، كأنه استظهرها عن ظهر قلب . وذلك راجع إلى قوة عقله ، وشدة ذكائه وجلده وصبره على البحث والدرس .

وفى إداراته ، كان مثال الأخلاص ، كل همه أن يتجه الأساتذة والطلاب ، بكليتهم ، نحو الثقافة الأزهرية الصميمة ، وأن يجعلوا وقتهم بأجمعه وقفا على تحصيل العلم ، لذلك كانت نتائج معاهده فى مقدمة النتائج .

أما خلقه وتقاه ، فكان فيهما على سنن السلف الصالح ، لا يعرف مداواة هذا العصر ، ولا رياه . ديدنه الصدق والصراحة ، والتواضع والحلم ، والعطف على المحتاجين . . وبعد حياة حافلة ، عامرة بالخير ، لقي الله فى ١٠ ذى الحجة سنة ١٣٥١ هـ (١٩٣٢) وصلى عليه بالأزهر ، واستقر جثمانه هنالك ، فى جوار العلماء

والصالحين ، بقرافة المجاورين . ولم يعقب ، الشيخ رحمه الله أبناء ، ولكنه ترك ثلاث بنات أصغر بهن في حياته ، إلى الشيخ محمد على سلامة ، المدرس بكلية أصول الدين ، والشيخ قطب أبو العلا المدرس بالمدارس الثانوية ، ومحمود أفندي حسن من أعيان تله - المنيا . وقد قرت عينه بأسيوط قبل وفاته ، ومنهم الاستاذ محمود محمد سلامة ، والمهندس عزت سلامة بالهندسة ، وغيرهما .

الشيخ محمود الدينارى

كان مولده فى دقاى - بنى سويف ، سنة ١٨٧٥ ، وبين ربوعها نشأ وحفظ القرآن الكريم ، ثم مكث سنة فى طنطا يحود حفظه وقراءته ، وفى سنة ١٨٨٨ ألحق بالازهر الشريف وبقي ينهل العلم من أعذب مناهله ، حتى سنة ١٩٠٤ وفيها نال العالمية ، بدرجة ممتازة .

وفى هذه السنة عين مدرسا فى الازهر ، ثم اختير مدرسا بمعهد الاسكندرية ليكون من حراس النظام الناشئ بها . واستمر به إلى سنة ١٩١١ ثم نقل مراقبا للقسم النظامى الجديد بالازهر ، فكان عوننا وظهيرا للاستاذ الشيخ محمد شاكر على تركيز النظام . وفى سنة ١٩٢٠ عين شيخا للقسم الاولى ، فعضوا فى مجلس إدارة الازهر ، ثم أضيفت إليه مشيخة القسم المؤقت ، وفى سنة ١٩٢٥ عين شيخا للقسم العالى ، ثم اختير مفتشا للمعاهد الدينية عام ١٩٢٨ فى عهد الاستاذ الشيخ المراعى وفى ديسمبر سنة ١٩٢٩ عين شيخا لمعهد أسيوط ، فظهر فيه حزمه وكفايته ، وسار المعهد فى عهده سيرا حميدا ، وأحبه الاساتذة والطلاب جميعا ، وظهرت فى المعهد روح الجسد والنظام . وفى ديسمبر سنة ١٩٣٠ زار الملك فؤاد أسيوط ووضع الحجر الاساسى فى بناء المعهد الجديد ، وكان الشيخ موضع رعاية :

وفى يونيه سنة ١٩٣١ نقل شيخا لمعهد طنطا ، فعالج الروح النائرة فى الطلاب بحكته ، ثم عنى بإنشاء جمعيات المحافظة على القرآن الكريم ، فى طنطا وما حوالها . حتى جعلها فى مقدمة جمعيات القطر ، موردا وإنتاجا .

وفى سنة ١٩٣٤ قدم رسالة فى (البلاغة) ، عين على إثرها عضوا فى جماعة كبار العلماء ، وفى سنة ١٩٣٦ أنعم عليه بكسوة التشرىفة الاولى . ولقد كان من المشهود لهم ، بالقوة فى العلم ، والدقة فى الإدارة ، كما عرف بالدهاء

وحسن السياسة ، وهو كفء قليل النظير ، تتجلى كفاءته في كل عمل يسند إليه ، وهو مع ذلك رجل يقدر الناس رجولته ويعجبون بها ، ويحلوونه ، ويحبونه .. وجمهرة كبيرة ، من أساتذة الأزهر والمعارف ورجال القضاء ، مدينون للشيخ ، بالاستاذية ، عارفون بفضل حافظون عهده .. ثم استجاب نداء ربه ، بعد هذا الجهاد المبرور ، في فجر يوم الجمعة ٢٧ رمضان سنة ١٣٥٥ هـ (ديسمبر سنة ١٩٣٦) بمدينة طنطا ، ثم نقل جثمانه الطاهر إلى القاهرة ، حيث هدا هداة الخلود ، في قراقة المجاورين ، في ظلال من رضوان الله .

الشيخ محمد سليمان السرتي

عين مدرساً بالمعاهد ، عام ١٩٠٧ ، وتنقل بين وظائف التدريس والمراقبة ، حتى عين شيخاً لمعهد دسوق ، فبقي فيه بضع سنين . وفي ١٢ يونيو سنة ١٩٣١ عين شيخاً لمعهد أسيوط ، وهو الذي جمع الدراسة من الدور المتفرقة . إلى مكان واحد ، هو المدرسة الابتدائية القديمة ، وبفضله ابتدأ العمل في بناء المعهد الجديد ، بعد تعطيله ، وفي عهده انتقل المعهد من تلك الأماكن المستأجرة ، لدراسته وإدارته ، إلى ذلك الصرح المشيد ، المشرف على نهر النيل ، وله بأسيوط مواقف مشهودة ، في الغيرة على الدين ، ومن أجل آثاره ، جمعية المحافظة على القرآن الكريم ، فقد أسسها وتعهدها ، حتى نمت وترعرعت .. والمدرسة الإسلامية الابتدائية بأسيوط - التي أنشأها المؤلف - ان تنسى تشجيعه لها ، وفضله عليها ، وكانت له صلات طيبة بالاهلين ، وكلهم محب له ، معجب بصراحته ، وجراته ، وفصاحة منطقه ، وكثيراً ما كان يخطب الناس في المساجد ، والمحافل ، في الشؤون الاجتماعية الهامة ، والحادثات الإسلامية المهمة ، وقد نقل شيخنا لمعهد الزقازيق ، في فبراير سنة ١٩٣٥ ، فشيخا لمعهد الاسكندرية ، ثم نقل شيخنا لمعهد طنطا ، وفي طلابها بعض الثورة ، فحاول علاجهم ، ولكن زمامهم أفلت من يده ، فاحيل إلى التقاعد في ١٩ يونيو سنة ١٩٣٧ ، وعمره نحو ٦٤ سنة .

الشيخ عبد المجيد اللبان

كان رحمه الله من أمثل العلماء خلقا ، وأقوام ديناً ، وأصحهم عقيدة ، وأرفعهم شخصية ، مات وهو في نحو السبعين من عمره ، وذلك نحو عام ١٩٤٠ م ، وكان يشغل منصب شيخ كلية أصول الدين ، حيث ظل شيخا للكلية منذ إنشائها عام ١٩٣٢ (٣ - الأزهر - ثاني)

إلى وفاته ، وكان مع ذلك عضواً في مجلس الأزهر الأعلى ، وعضواً في جماعة كبار العلماء ، وعضواً في كثير من اللجان التي ألفت لإصلاح الأزهر ، وتعديل مناهج الدراسة فيه ، وسوى ذلك ، وكان رحمه الله قبل أن يشغل منصب « شيخ كلية أصول الدين » يتولى منصب شيخ القسم العالي في الأزهر . وقد تخرج على يديه آلاف العلماء الذين كانوا يحبونه حب الابن لأبيه ، والتلميذ لأستاذه ، وعند ما بدأ لأول مرة امتحان أقسام الأستاذية في الأزهر ، التي تعد خريجياً للتدريس في الكليات الأزهرية ، كانت لجان الامتحان برئاسة ثلاثة شيوخ من كبار الشيوخ في الأزهر ، وهم الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مأمون الشناوى ، والشيخ عبد المجيد اللبان ، أجاز الله لهما ثوابه ، والأستاذ الأكبر الشيخ إبراهيم حمروش أطال الله في حياته ، وكانت للشيخ اللبان رحمه الله مواقف محموده ، وذكريات لا تنسى ، وكانت عصبية المراعى رحمه الله تناهضه ، لأنها كانت تعتقد أن الشيخ يعمل ليكون شيخ الأزهر المرتقب بعد المراعى . وكان الشيخ اللبان يحرص كل الحرص على أن تبقى للأزهر تقاليد ومقوماته وخصائصه ، وكان يرى أن الطفرة في الإصلاح قد تؤدي إلى نكسة ، ولذلك كان خير عماد للأزهر في تطوره ، وملاذاً لشيوخه الحذرين الخائفين من نتائج الطفرة والسرعة .

وكان للبان مكانة كبيرة عند الحكام ، ومنزلة عظيمة لدى أولياء الأمور ، وكانوا يستشيرونه دائماً في أمور الأزهر وإصلاحه ، ولما تولى المراعى مشيخة الأزهر لثاني مرة ، وأقيمت حفلة لتكريمه في ٣ يوليو ١٩٣٥ ، كان الشيخ اللبان رئيس لجنة الاحتفال .. وكان في مطلع كل عام دراسي يستقبل اليوم الأول بخطبة بليغة يلقيها على الطلاب والأساتذة ، يضمنها نصائح وتجارب وخبرته الواسعة . وقد بدأ الشيخ حياته العلمية بعد تخرجه من الأزهر الشريف مدرساً في معهد الاسكندرية الديني ، حيث مكث مدة طويلة ، كان فيها محبوباً مكرماً من الشعب والحكام والمسؤولين ، ودارت الأيام حتى أصبح شيخاً للقسم العام فشيخاً لكلية أصول الدين ، إلى أن توفي رحمه الله تاركاً ذكريات أزهرية طيبة لا تنسى على مر الأيام .

الشيخ عبد الوهاب النجار

عمل بعد تخرجه من الأزهر - عليه رحمه الله - مدرساً في وزارة المعارف المصرية . وقد غضب عليه وزير المعارف فنقله من مدرسة عابدين إلى مدرسة أسوان ، وهو مدرس حديث العهد بالوظيفة إثر اشتراكه في جمعية مكارم الاخلاق الاسلامية

فاستقال من وظيفته . وسافر بعد فترة إلى السودان مدرسا في كلية غردون ، ثم هاد إلى مصر فعين بمدرسة البوليس والادارة بعد فترة قضاها في المحاماة ، ثم اختير مدرسا بمدرسة دار العلوم إلى أن أحيل إلى المعاش ، ثم عين ناظرا لمدرسة عثمان باشا ماهر ونذب مدرسا بكلية أصول الدين . وهو في جميع هذه الوظائف كان الداعي إلى الدين بالبرهان الساطع ، والبيان الناصح ، الواقف لأعدائه بالمرصاد ، يرد كيدهم ويبطل سعيهم . ولما وجد منبر من منابر الدعوة الإسلامية إلا كان الشيخ من أبطاله . وأبرز ما في تاريخ الشيخ اشتراكه في جمعية الشبان المسلمين ، ونهوضه بجزء عظيم من عملها العلمي والاداري عضوا فوكيلا ، ثم سفره إلى الهند في بعثة أزهرية لدراسة أحوال المسلمين وغيرهم هناك ، وتمكين الروابط بين مسلمي الهند وطوائفهم . وللشيخ في التأليف العلمي آثار قيمة : فله كتاب (قصص الانبياء) وهو كتاب استقصى فيه قصص الانبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن وغيره وجرده بمعلقها من ضلالات وأوهام . وله كتاب « تاريخ الخلفاء الراشدين » . وله غيرهما آثار دينية وأدبية وتاريخية ، حفلت بها المجلات والصحف طول حياته (١) ، وتوفي رحمه الله في ١٩ - ٧ - ١٩٤١

الشيخ عبد الرحمن الجزيري

كان بعيد الاثر في الإصلاح الديني والتهذيب العلمي . فقد كان مما اضطلع به وظيفة التفتيش على الأئمة والخطباء بمساجد الاوقاف ، في عهد ساءت فيه حال الخطابة الدينية بالمساجد ، وشكا الناس من طريقة إلقاءها ، وضيق موضوعاتها ، التي كانت تدور غالبا حول النهي عن السرقة وشهادة الزور وتحريم الربا وشرب الخمر . فما زال الشيخ يلاحظ ويرشد حتى استطاع أن يخرج الخطابة عن هذا المحيط الضيق ، ويجعلها تلمس حياة الناس وما يجري بينهم ، مما ينفع الحياة ويبعد من الله . ثم أحيل إلى المعاش فنذب في كلية أصول الدين مدرسا بها تقديرًا لعله وفضله . وقد يستطيع أحد تلاميذه ، وهم كثير ، أن يتحدث عن كفاية الشيخ وإخلاصه وإتقانه لعلمه .

وللشيخ في ناحية التأليف العلمي امتياز خاص ، فقد كان كثير الإنتاج في تحقيق وتدقيق . ومن يقرأ كتاب الفقه على المذاهب الأربعة ، وهو في أربعة مجلدات ، يعجب لمواهب الشيخ في هذا الباب ، ويدهش كيف واثته الفرصة على أن يقرأ الفقه

في المذاهب الأربعة ثم يجمع ويهذب ويكتب . وللشيخ غير هذا الكتاب كتب كثيرة ، منها : أدلة اليقين ، وتوضيح العقائد ، والاخلاق . هذا عدا ما للشيخ من مقالات نشرت في مناسباتها بالصحف والمجلات (١)

الشيخ محمد عبدالله أبو النجما

كان المرحوم الشيخ محمد عبد الله أبو النجما من أفذاذ العلماء ، ومن أمثلهم خلقا ودينا وورعا ، وحجة ثبنا في علوم الدين والعربية ، وكان يسيطر على قلوب تلامذته ومريديه : بأدبه الجم ، وتواضعه الماثور ، وصلاحه النادر ، وعفة لسانه ، وقوة بيبانه ، وشجاعته في قول الحق والجر به . وكانت محاضراته ودروسه في كلية اللغة - في النحو والصرف وأصول الفقه والحديث والتفسير وغيرها - ميدانا لتسابق العقول ، وشحن المملكات ، وتربية المواهب . ولا يزال إخوانه وأبناءؤه في العلم يذكرون ذلك بالوفاء والتقدير وعرفان الجليل . أية موهبة كان يضمها لها به ، وأي دين كان ينطوى عليه قلبه ، وأي عقل كنا نعتز بالانصات لتفكيره والتأدب بأدبه . كان رحمه الله من خيار أساتذته في طلب العلم : والده المغفور له الشيخ عبدالله أبو النجما ، العالم الكبير ، والازهرى النابغة ، الذي اختير للتدريس بمعهد الاسكندرية الديني (١٩٠٨ - ١٩٢٢ م) ، وعند إنشاء أقسام التخصص في الأزهر اختير لتدريس الفقه والاصول فيها . وكان من خيار شيوخه في الله : العارف بالله الشيخ منصور أبوهيكل ، وولده الشيخ عثمان ، وقد وصل عليهما الشيخ ، والشيخ عبد الخالق الشبراوي الذي كان ملازما له ، والشيخ عبد الحميد ابراهيم . وسواهم من أولى الصلاح والولاية .

وكانت لذة البحث والعلم عند الشيخ واضحة جليلة في جميع أطواره ، فكان يلازم والده في غدواته وروحاته ، ويناقشه في مسائل العلم والدين حتى حين تناول الطعام وفي أوقات الراحة ، وكثيرا ما كانت تعقد الندوات العلمية في منزل والده فيشارك فيها سامعا ومناقشا .

وقد ولد رحمه الله عام ١٨٩٧ في قرية « كفر عيسى » من بلاد مركز فاقوس ، ونال العالمية بتفوق كبير عام ١٩٢٥ ثم عين مدرسا في المعهد الابتدائي الازهرى ، ونقل للتدريس في المعاهد الثانوية ،

ثم مدرسا في كلية اللغة العربية منذ إنشائها عام ١٩٣١ ، إلى أن نقل وكيلا لمعهد القاهرة ، ففتشا بالازهر ، فوكيلا لكلية اللغة العربية .

وفي ٨ مارس عام ١٩٤٩ شعر الفقيد الكبير بتعب واجهاد ، فاستراح في منزله يومين استأثرت به بعدهما رحمة الله تعالى في ١٠ مارس سنة ١٩٤٩ ، غسرت كلية اللغة العربية بوفاته علما من أعلامها ، وركنا من أقوى أركانها ، وأذهلت لوعة المصاب فيه عقول تلامذته ومريديه وعارفيه فضله .

فرحمه الله رحمة واسعة ، وجزاه على ما قدم من صالحات خير الجزاء .

وللشيخ كتاب في علم أصول الفقه ، يجمع صواب الرأي ودقة الملاحظة وعمق الدراسة ، وقوة الملكة . وكان شيخنا رحمه الله يدرس هذا العلم وهذا الكتاب .

محمود أبو العيون

طويت ب وفاة أبي العيون صفحة خالدة من الايمان والحماسة والكفاح والوطنية ووورى الرجل في رسمه ، وفقدنا فيه أمة في رجل ، ومصلحا قل أن يجود بمثله الزمان . كان أبو العيون مضرب الأمثال في الغيرة الدينية ، والجهاد الوطنى ، وحب الإصلاح . . . وكانت الصحف والمجلات تنساب إلى أحاديثه في مختلف المناسبات . وكان في الازهر ركنا من أركانه ، وعلما من أعلامه ، أحبه الجميع ، وقدروا فيه العفة والنزاهة وطيبة القلب وحلاوة اللسان .

ولد رحمه الله عام ١٨٨٢ من أسرة كريمة ، عرفت بالورع والتقوى والعلم ، وحفظ القرآن الكريم ، ثم التحق بالازهر ونال العالمية عام (١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م) . وعين مدرسا بمدرسة ابتدائية ، ثم اختير للتدريس في الازهر عام ١٩٠٩ . وبدأت قصة كفاحه منذ عام ١٩١٢ م حين قامت الحرب الطرابلسية .. وكتب في ثورتنا الوطنية سنة ١٩١٩ م وما بعدها أروع الصفحات وأكرم الآيات . وقد اتجه إلى الرذائل الاجتماعية يحاربها ، فأعلن الحرب على البغاء والخمر ، وعلى المجون ، وعلى التبذل والاستهتار في المصاييف والشواطىء . وكان أبو العيون كثير الاعتزاز بكرامته ، ولازال يذكر بالفخر قصة خطف أحد رجال البوايس لعمامته . دون أن يعرف شخصيته ، أثناء حصار المعهد الازهرى الدينى عام ١٩٤٦ ، واحتجاجه المشهور على رئيس الوزراء ، ولم نذاره له بأن طربوش رئيس الوزراء بعمامة أبي العيون ، واعتذار رئيس

الحكومة له — وكان النقرأش باشا — في مأدبة غداء أقامها لها أحمد عبد الغفار باشا . . ولأبي العيون كتب قيمة في تاريخ مصر والإسلام ، تدرس في الأزهر . وله مقالات وبحوث مشهورة . في محاربة البغاء جمعها في مؤلفات . . وقيل وفاته نشرت بمجلة « الإخمسة » الجامعية حديثا وطنيا بعنوان « دم الانجليز - الذين يحاربوننا في القنال - غير معصوم » . . رحم الله أبا العيون ، لقد كان رجلا ، وكان بطالا ، وكان مؤمنا بربه ودينه ، وكان من الخالدين . تخرج الشيخ من الأزهر عام ١٩٠٩ ، وعمل مدرسا بوزارة المعارف ، ثم نقل إلى الأزهر وتقلب في وظائفه ، واشترك في الثورة المصرية عام ١٩١٩ وحكم عليه بالسجن ، وعين بعد الثورة مفتشا بالأزهر ، ثم اختير عام ١٩٣٥ شيخا للمعهد أسيوط ، ونقل في ١٩ مايو ١٩٣٥ شيخا للمعهد الزقازيق ، ثم نقل منه بعد سنوات شيخا للمعهد طنطا ، فالإسكندرية ، ثم اختير سكرتيرا عاما للأزهر ، وتوفي عليه رحمة الله في ٢٨ صفر ١٣٧١ هـ - ٢٠ نوفمبر عام ١٩٥١ م ، وهو من مواليد دشلوط مركز ديروط من أعمال مديرية أسيوط . . ومواقفه في محاربة البغاء والسفور والعري على الشواطئ مشهورة .

وقد أقيمت بدار الشبان المسلمين حفلة تأبين لأبي العيون يوم الجمعة

٢٨ - ١٢ - ١٩٥١ .

ويقول فيه الاستاذ أبو الوفا المراكشي (١) : جل مصاب الوطن ، وفدحت خسارته فيك ، فلقد كنت في الرعيل الأول من المجاهدين لحريته واستقلاله ، وجهادك صفحة خالدة في تاريخك ، يعرفها المجاهدون الأحرار ويقدرونها لك ويضعونك بها في الصف الأول من المجاهدين الصادقين . لقد كنت في طليعة العاملين في جحر النهضة الوطنية ، عرفتك المنابر العامة في الأزهر وغيره خطيبا مبرزاً من خطباء الثورة ، واستضافتك السجون كما استضافت غيرك من قادة الثورة ومحركيها ، وشاركت في المظاهرات بشخصك ، وعرضت نفسك للحراب والرصاص ، ولقيت ما يليق الأحرار من تشريد ، وكسب تجار الوطنية ما كسبوا من مال وجاه ، ولم تكسب إلا ما ادخره الله لأمثالك من المجاهدين المخلصين . وكنت بين الأدباء من مواطنيك أديبا بمقازاً ، واضح الأسلوب مشرق الديباجة ، جزل العبارة تصل إلى غرضك في لباقة وكياسة ، عفاً في عبارتك وخصوصتك ، لم تدنس قلبك بما لا ترضى عنه أصول المناظرة وقواعد

الآداب . وماهى ذى جولتك فى مجلات الأدب الراقية ، وأنديته الوفية تشهد بطول
باعك فى الأدب وتبريزك فى فنونه ، وتضعك فى الطليعة من أدباء العربية ، ولن
نسى لك جزالة أسلوبك وقوة روحك وشخصيتك فى مؤلفاتك التاريخية لطلاب المعاهد
الدينية ، وفى مقالاتك بمجلة الأزهر والهلل وغيرهما من المجلات الراقية ذات
الطابع الأدبى الخاص .

ومن قصيدة للشيخ عبد الجواد رمضان فى رثائه :

شيعوا كواكب التقي والرشاد	وطلوا راية الهدى والجهاد
حين قالوا : أبو العيون تردى	فجعت أعين العلا فى السواد
قائد مات ، والبلاد جنود	ثأرات ، تنزو إلى القواد
حرة تنشد الحياة ، وتدعو	من بنها ، بكل حر مفادى
ياقريع الخطوب فى كل هول	يالواء الكفاح فى كل عادى
كيف طاح اللواء ، قللى ، متى ط	حت ، وما طحت فى زحام الجلال
كم قدرته عزيزاً كريماً	خضبت وجهه دماء الأعداى
واقنحت الصفوف تزخر بالو	ت ، مشيحا ، تصيح : تحيا بلادى
فى الرعيل السباق من حاملى اله	ب ، ومن كل أريحى جواد
نزلت مصر منهمو فى السويدا	، فهزت نفوسهم للطراد
رفعوا راية الجهاد وهبوا	حين نادى الجهاد . كالآساد
لا يبالون بالحديد وبالنا	ر ، وبالموت ، فى سبيل المراد
لحف نفسى عليك ، فارقت مرما	ك ، إلى غير رجعة أو معاد
الهدى والجهاد فى يوم منعا	ك ، توارى سناهما فى الحداد
فعزاء لمصر فيك ، إذا أغنى	عزاء لدى الكبود الصوادى
وسلام عليك فى جنة الخلد ،	مجيدا ، من عترة أجماد

ومن قصيدة لفضية الشيخ أحمد شفيح السيد الاستاذ المساعد فى كلية اللغة العربية فى
رثائه أيضا :

طويت صحيفة عالم موهوب	قاد الطلائع وهو غير هبوب
ومجاهد فى الله حق جهاده	لم يخش من سجن ولا تعذيب
الثورة الكبرى ذكت نيرانها	ببراعه وبيانه المشبوب
قلو استمعت إليه فى عزائها	لرأيت أى مناضل وخطيب

كم ذا يجلجل صوته فيهننا كالعاصفات تهز كل قضيب
وتخال من عجب نمر بيانه ناراً تلظى في نهي وقلوب
في كل مجتمع وكل صحيفة ذوب البراعة من بنان أريب
هو واحد حرس الفضيلة جاهدا لم يلف من ند له وضرب
يامدكي العزمات في أبنائه ومواصل الإرشاد بالتهذيب
مترقفا في كل ما يديه من نصح بلا لوم ولا تثريب
وشعاره في حكمة : لا تفضن لكنه للحق جدد غضوب
في كل ناحية ترى آثاره كالغيث شوبوبا على شوبوب
أوفى على السبعين وهو مجاهد بذ الشباب بعزيمة ودهوب
الدين أول ناكل بمكافح قد كان عدته لكل عصيب
لو كان في الأعلام مثلك داعياً هان المصاب لنا كل محروب
يامن رأى بطل الجلاد بجندلا في غير ميدان وغير حروب
واها لحدنان الحياة فإنه يأتي من الأحوال كل غريب
يا يوم نعي (أبي العيون) تركتنا ربيع النهار بحالك غريب
فالليل بمدود الرواق نخيم والصبح آذن ضوءه بمغيب
وترى العنادل أمسكت لهواتها شجناً ، وللغربان شر نعيم
لله أي شهادة كتبت له حين الجهاد فنال خير نصيب
أدى رسالة ربه حتى إذا هتف الحمام أجاب خير مجيب
هبنى يراعك أقض حق ماثر كالشمس لكن غير ذات غروب

وقد توفي رحمه الله يوم الثلاثاء ٢٨ صفر ١٣٧١ هـ - ٢٠ نوفمبر ١٩٥١ ،
وشيعت جنازته في اليوم التالي في موكب رهيب إلى الأزهر الشريف . ونعته الأهرام
إلى العالم الاسلامي ، فقالت :

في موجة طاغية من الالم ، تنعى (الأهرام) إلى العالم الاسلامي أجمع ، فقيد
الشرق والاسلام صاحب الفضيلة العالم الجليل الشيخ محمود أبو العيون السكرتير العام
للجامع الأزهر ، فقد فدحت الفجيعة بوفاته ليلة أمس على اثر حادث أليم ، ففقدت
مصر والشرق بفقدته عالماً من خيرة العلماء العاملين ، ومجاهداً من صفوة المجاهدين
الخلصين ، ومصلحاً سلكته جهوده الإصلاحية التامة في الخالدين .

لقد درج الفقيد العظيم في حجر الأزهر يافعا يتلقى العلم عن شيوخه الاجلاء ، ويقف

في الطليعة من طلابه النجباء ، حتى نال شهادة العالمية في عام ١٣٢٦ هجرية (١٩٠٨ ميلادية) واختير عقب ذلك مدرسا في الأزهر حتى روى الانتفاع بكفائته في التوجيه العلمي ، فأُسندت إليه مهمة التفيتش في سنة ١٩٢٥ ثم ندب شيخا لمعهد أسيوط سنة ١٩٣٥ وعين بعد ذلك شيخا لمعهد الزقازيق فشيخا لمعهد الاسكندرية ، وقد ظل في هذا المعهد حتى اختير سكرتيرا عاما للجامع الأزهر والمعاهد الدينية .
ومع حرصه الفريد طيب الله ثراه على أن يخص العلم وأهله بالنصيب الأول من وقته وجهده ، فقد استخلص جانبا من الوقت والجهد لما عمر به قلبه الكبير من رغبة قوية في الإصلاح الاجتماعي ، فكانت له جولاته الخالدة على صفحات الأهرام في مكافحة البغاء وفي غير ذلك من النواحي الاجتماعية التي يعني بها أئداده من العلماء المصلحين .

وحين نهضت مصر نهضتها الوطنية الكبرى سنة ١٩١٩ كان الفقيد أكرم الله مثواه في مقدمة الصفوف ، يخطب ويكتب ويحفز الهمم ويشحذ العزائم ويدعو إلى الجهاد لاسترداد المغصوب من حقوق البلاد ، حتى لقد غدت مواقفه الوطنية في ذلك الحين موضع التنويه والتقدير في كل مكان .

ومن مقالاته الرائعة مقال نشرته الهلال عنوانه « اتهم رجال الدين ، جاء فيه :
« اتهم رجال الدين في الماضي القريب ، لأنهم قصروا في أداء رسالتهم من تبليغ حكم الله للمسلمين في الأحداث التي زحزحت الدين عن مكانه ، وعطلت تنفيذ في القضاء والأحكام ، وتطبيقه في الحوادث التي تخالف الشريعة وتناقضها .

في سنة ١٨٨٥ استبدل القانون الفرنسي بالشريعة الحنيفية الغراء التي سار عليها المسلمون أجيالا بعد أجيال في أزهر عصور الاسلام ، فلم يحرك علماء ذلك العهد ساكنا ، ولم ينكروا ذلك الحدث العظيم في الاسلام ، وإذا كانوا قد أنكروا فلم يسجل التاريخ لهم أنهم أودوا - أو نفوا من الأرض - في سبيل إنكارهم لذلك التبديل والتغيير في شرع الله .

ونظم الاجتلال الانجليزى بعد استقراره البغاء ، وجعله رسميا ، وأصبحت المسئلة في بلاد الاسلام تمتن حرقة الزنا علنا ، تحت حماية الحكومة والقانون ، وبين سمعها وبصرها ، فلم يحرك رجال الدين ساكنا ، ولم يرو التاريخ أنهم غضبوا لله وللحق وللأعراض تستباح وتنهك ، أو أنهم أنكروا تشريع هذا الرجس .

وشاع الربا ، واستعملت الحكومة الربح والفائدة رسميا ، وسمحت بهما للجمهور وتأسست له المصارف الأجنبية والوطنية في طول البلاد وعرضها فلم نسمع أن العلماء أنكروا ذلك الاثم ، أو أنهم غضبوا لتشريعہ وتنظيمه .

وأباححت الحكومة الخمر والميسر ، وانتشرت الحانات ، وأنواع القمار ، في النوادي والأمكنة العامة ، وفي المدن والقرى والطرق ومنازل الأثرياء ، فلم نعرف عن رجال الدين أنهم عارضوا الحكومة معارضة جدية في أنها أحلت ما حرم الله وفي عهدنا الحاضر ذاع الفساد ، وتحللت الأخلاق ، واستشرى الداء ، وخلعت المرأة العذار ، وهجرت المنزل وغالطت الرجال على شواطئ البحار - عرايا - وفي النوادي العامة ، وفي الحفلات الزاخرة بالمجانة والعبث والهوى والعريضة ، ونبذت التقاليد الصالحة الموروثة ، وهجر الدين ، وزال طابعه في مقدرات البلاد ومعنوياتها ولم يدرس دراسة تعليمية تطبيقية نافعة في المدارس والجامعات . وقعت تلك الأحداث الخطيرة الفاجعة ، فلم ترحمة العلماء ورجال الدين يجمعون جموعهم ، ويرفعون عقائرهم بالانكار والاحتجاج على أولى الأمر من أجل هذه المنكرات الشائنة ، وهذه المقابح الظاهرة ، وما رأينا أحدهم غامر وجاهد في سبيل الله ، حتى ناله الضر في نفسه أو رزقه ، لم نر شيئا من ذلك ولم نسمع به ، بل كل ما فعله هو أن نكتب في الصحف ، وأن نرفع العرائض الفاترة لأولياء الأمر ، وهم لا يحركون ساكنا ، ولا نحرك نحن ساكنا كذلك ، زعما بأننا أدينوا واجبنا بالخطابة والعرائض وبالكلام وعلى الورق .

وتفرقت البلاد أحزابا وشيعا ، وانشقت على نفسها أقساما وفرقا ، وتزعم كل فريق زعيم يدعو إلى شخصه ، وإلى تولى الحكم دون الآخرين ، حتى نسى القوم قضية الوطن ، وإصلاح أداة الحكم وشؤون البلاد ، ورجال الدين يتفرجون على الموقف ، على حين أن الله أمرهم بإصلاح ما فسد من أحوال المسلمين ، وورق ما تصدع من أمورهم ، إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون ، فلم نجتمع ولم ندع المتخاصمين إلى الصلح ، والمتنازعين إلى التفاهم والمتفرقين إلى الاتحاد ، والمديرين إلى الرجوع إلى الحق ، ولم نقل كلمة الدين في الخالف ، حتى بقى إلى أمر الله ، وحتى نفقد البلاد من البلاء المسلط عليها ، والمحيط بها من كل جانب ، لم نفعل ذلك ، بل إن جماعتنا نفسها في حاجة إلى إصلاح ذات بينهم ، والعمل على جمع كلمتهم ، وتأليف قلوبهم .

إني أتهم رجال الدين - وأنا منهم - وعزيز على أن أتهم نفسي ورفاقي وعهدي بهم أن يكونوا رجال ورع وتقى ، ورشاد وهدى ، ومن بحث له عن الاشتراكية في الاسلام :

لا ريب أن في الاسلام يؤيد الملكية الفردية ، والاقتصاد الاسلامي اقتصاد رأسمالي ، له شأنه في الاسلام ، بل هو يقوم على الأسس الثلاثة : المصلحة الشخصية كهدف ، المزاحمة كوسيلة ، الحرية كشرط . ولكن قيام الملكية في الاسلام على هذه الأسس ليس على إطلاقه ، بل يصاحبها في كل اتجاهاتها العامل الأخلاقي ، فهو في تلك الأركان الثلاثة عنصر جوهري فيها لازم لها ، إن هدف الاسلام هو تكوين مجتمع مثالي ، فالعامل الأخلاقي يسير معه جنباً إلى جنب ، بل يكون رائده ، فإذا انحرف السلوك الاجتماعي رده العامل الأخلاقي بقوة إلى الاستقامة ليكون ضابطاً عاماً في مصلحة المجتمع ، وعلى هذا الاعتبار نجد أن العيوب التي أخذت على الأسس الثلاثة في الاقتصاد الفردي الشائع في أمريكا وفي أوروبا ليس لها أثر في الاقتصاد الاسلامي ، لأن المصلحة الشخصية في الرأسمالية الفردية في الغرب تحرف كل شيء يقف في طريق الإنتاج أو العبث به ، فهي لا تنبأ بالعامل الأخلاقي ، ولا بمصلحة المجتمع ، بل هي تنكره ، ولا تعرف عليه . أما الرأسمالية في الاسلام ، فإن مصلحة المجتمع عنصر لا غنى عنه فيها ، كما أن الاسلام دين له منهج ثابت هو تطهير المجتمع من عوامل الفساد ، ويمتاز بطابعه الذي يقرن الاعمال بالخلق والعقيدة ، فلا ضرر ولا ضرار .. وهو يناهض تكديس الثروات ، وتجميعها في يد فئة قليلة ، وحرمان الاكثرية من ضرورات العيش ، ورنق الحياة ، وما كانت الناحية الروحية في القرآن الكريم إلا تهديداً للآثم ليعيش الناس في ظلال الاخوة والمساواة والمودة والامن والاطمئنان ، ويكون التعاون بينهم على الجد والتفاني في الصالح العام ، لذلك وضع دستوراً ثابتاً واضحاً يجعل الثروات رأسماليات متوسطة وصغيرة ، تحث المسلمين على الانفاق في أكثر من سبعين آية ، وفرض الزكاة في مال الاغنياء للترفيه عن الفقراء والمساكين ، ولقد قاتل الخليفة أبو بكر منكرها وما منعها ، وجعل الاسلام لإطعام الفقراء ، والتصدق على المساكين كفارة لكثير من الهفوات كما في حنث اليمين ، وفي إفطار رمضان عمداً أو لغدر ، وفي الظهار ، وفي محظورات الحج . كما شرعه في مناسبات كثيرة مثل يومى عيد الفطر والاضحى وغيرهما من المواسم الدينية . في كل هذه الاحوال وغيرها جعل الاسلام التخفيف من ويلات

الفقراء ، والعطف على المساكين ، من سمات تلك المواسم والاحوال .
أضف إلى ذلك النظام الارثي في الاسلام ، فإنه يحطم الثروة ويفتتها تفتيتا لا مثيل
له في أى قانون آخر . فالقانون الانجليزى يحصر الثروة فى البكر من الاولاد ،
ويحرم من عداه ، وبعض القوانين الاخرى تجيز الوصية لائى كائن بجميع المال ،
سواء أكان وارثا أم غير وارث حتى للكلاب والقطط ، وسائر الحيوان ،
أما الاسلام فيوزع أنصبا الارث توزيعا واسعا . فيعطى للقرابات أنصبة متفاوتة ،
ولا يسمح لصاحب الثروة أن يتصرف فيها بالوصية إلا بالثلث ، والثلث كثير ،
وهذا كله محافظة على التوازن الاقتصادى ، ويقول الله تعالى فى سورة الحشر : « كيلا
يكون دولة بين الاغنياء منكم » .

فأنت ترى أن الاسلام قد نحى بالاقتصاد منحى عادلا ، رعاية منه للصحة
الاجتماعية ، واجتنابا لطغيان الاغنياء « إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى » . وهكذا
نجد الدين الاسلامى قد وقف موقفا رائعا فى توزيع الثروة وتجزئتها إلى ملكيات
متوسطة وصغيرة من غير إكراه ، ليقى المجتمع شروق البطر من الاثرياء ، والحقه
والبغضاء من الفقراء .

والمزاحمة هى وسيلة فى الاقتصاد الغربى ، وكانت عيبا من عيوبه ، وهى أيضا
وسيلة للاقتصاد الاسلامى لكنها ليست عيبا فيه . فهى مختلفة فى النظامين ، فاقبل
من أنها تؤدى إلى دخول الرأسماليين فى السوق بغير أسلحة متكافئة ، وأن المنافسة
فى معركة الحياة الاقتصادية ليست متساوية كما هو معروف فى الاقتصاد الغربى
- هذا الذى قيل - منى فى الاقتصاد الاسلامى ، فالاسلام قد قرب أصحاب الملكيات
بعضهم من بعض بما شرعه فى نظام الوصية والارث والزكاة ، وجعل الارث أنصبة
متعددة ، وشمول الزكاة ثمانية أصناف « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين
عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب والغارمين ، وفى سبيل الله وابن السبيل » .
ونضيف إلى ما قدمنا تحريم الربا لكيلا يثرى أحد من عمل على حساب غيره ،
وتحريم لعب الميسر لكيلا يثرى أحد بطريق الحظ . هذه الاعتبارات كلها إذا زوعيت
كعهد المسلمين من قبل لاتدع أحدا محروما من سلاح يزاحم به مضار الحياة ، فى
الارث يدور دولاب تجزئة رأس المال باستمرار ، ولايجىء عام جديد حيث يبدأ
صندوق الزكاة لإتري المال يدور فى أيدي جميع الأصناف ، حتى من أثقلتهم الديون ،
فإن صندوق الزكاة يدفع عنهم مغارمهم ، ويسلحهم من جديد ليدخلوا السوق آمنين

مظلمتين ، فأى ضمان للناس بعد هذا ؟ وما عيب الرأسمالية فى الاسلام ؟
أما الحرية التى هى شرط فى الاقتصاد الرأسمالى الغربى ، وعدت من عيوبه ، فإن
هذا العيب منتف فى الاقتصاد الإسلامى ، فالحرية فى الاقتصاد الغربى تسير مطلقة
لا تقف عند حد ، حتى انقلبت تلك الحرية إلى فوضى ، مما اضطر أصحابها إلى إتلاف
الحاصلات أحيانا للاحتفاظ بالأسعار العالية ، أما هذه الحرية فى الاقتصاد الإسلامى ،
فمقيدة بقيدین هما : العامل الاخلاقى والمصلحة الاجتماعية ، ويتدخل ولى الأمر
فى السوق حين يرى تسكب التجار أصول التعامل ، ويضرب بيد من حديد على أيدي
المحتكرين المتحكمين فى الأسواق ، والعازفين عن المصلحة العامة ، وكان عمر بن الخطاب
يمشى فى الأسواق ومعه الدرة يؤدب بها ذوى الاثرة والطامعين فى الكسب الحرام .
والحسبة معروفة فى الاسلام ، وكان رجالها يقام لهم فى الأسواق وزن واعتبار .

فأى نظام نجده نزيها وعادلا كنظام الاقتصاد فى الاسلام ؟ إن الاسلام قد امتاز
فى نظامه عن الشيوعية والاشتراكية ، فالاقتصاد الإسلامى رأسمالى فردى من نوع
خاص ، قد جمع خير مالىدى الشيوعية والاشتراكية ، وتجنب عيوبهما ، ولكن كثيرا
من أخذوا بزيف المدنية الغربية يشيدون بالاشتراكية التى تضمنت المساواة فى لذة
العيش ، وبسطة الحياة ، من غير تفرقة بين سوقة وسادة ، وأغنياء وفقراء ، وهى
مذاهب وضعية خاضعة للتجارب والتعديل والتغيير ، كما هو حادث فعلا ، والاشتراكية
الصحيحة المعقولة فى الاسلام الذى يضمن للعاجز العيش ، وللعامل الكسب ، وللفقير
القوت ، وللريض الصحة ، وللعالَم كله أمنا وسعادة . الاشتراكية الصحيحة المعقولة
هى فى الاسلام الذى يشعر المسلمين بأنهم أسرة واحدة ، وأنهم جميعا كآسنان المشط
وأنهم تشكافا دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وأنهم كالجسد الواحد إذا اشتكى
منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر .
هذه هى الاشتراكية فى الاسلام فأين منها تلك المذاهب الحديثة المادية
المتداعية الواهنة ،

الشيخ عبدالحليم قادم

فى ديسمبر عام ١٩٥٣ توفى المغفور له الشيخ عبدالحليم قادم استاذ كرسى التفسير
فى كلية اللغة العربية بالأزهر الشريف ، وقد عرفت الشيخ قبل هذا التاريخ بنحو
سته عشر عاما حينما دخلت عليه فى لجنة من لجان الامتحان الشفوى ، فسألنى وأجبت ،
ثم بعد حين رأيت تقديره لى فى الشهادة التى استلمتها ، وفى عام ١٩٤٠ كنت فى الفرقة

الأخيرة ، وكان الشيخ يدرس لنا بلاغة عبد القاهر الجرجاني في كتابيه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز ، فلم أر ذوقاً أصفى من ذوقه ، ولا بياناً أنصع من بيانه ، ولا تحليلاً لأسرار كتابه عبد القاهر في النقد الأدبي مثل تحليله . . . ومن قبل ذلك طالعت كتابين مطبوعين للشيخ : أحدهما في المنطق ، والثاني في الحديث . فوجدت فيهما المؤلف ذا مواهب نادرة قلما تكتمل في عالم ، من عمق الدراسة ، وكثرة الاحاطة بالآراء والمراجع ، ودقة الفهم ، وبراعة التعبير ، وزرت الشيخ في منزله في فترات متباعدة فوجدت نفسى حيال شخصية لطيفة جذابة تختلف عن شخصية الشيخ العلمية ، وكان يقيم في منزله كل أسبوع حلقة علمية يدرس فيها كتب الاخلاق والتصوف والتفسير والحديث وفي مقدمتها الاحياء للغزالي ، وكانت هذه الحلقة عامة للمستمعين من الناس ، وفي مقدمتهم أهل (منشية الصدر) الذين كان الشيخ يسكن بينهم . . . ثم كنت مدرسا بمعهد الرقازيق الدينى ، وكان الشيخ شيخا للمعهد ، فوجدت من الشيخ خبرة واسعة بشئون إدارة معهد كبير مثل هذا المعهد ، كما كنت أجد من لطفه مع الأساتذة ، وحنوه على الطلاب ، ما لا يتسع المقام لتفصيله ، وكان الشيخ من قبل مفتشاً عاماً بالأزهر فكانت له أعمال محودة في التوجيه العلمى والدينى .

وقبيل وفاته مرض مرضاً خطيراً ألزمه الفراش ، واستمر فى العلاج ومقاساة المرض ، إلى أن استأثرت به رحمة الله فى أواخر عام ١٩٥٣ . . تاركاً وراءه ذكريات لاتنسئ ، وتراثاً عالياً عزيزاً على كل من طالع فيه .

وقد درس الشيخ فى معهد الاسكندرية الدينى ، ونال العالمية عام ١٩٢٤ من الدرجة الأولى ، وعين مدرساً فى الأزهر ، ثم اختير مدرساً فى كلية اللغة منذ بدء إنشائها ، ثم اختير مفتشاً ، فشيوخا لمعهد الرقازيق الدينى ، فاستاذاً للتفسير فى كلية اللغة العربية .

عبد العزيز المراغى

هو شقيق المراغى شيخ الأزهر ، توفى صباح الخميس ١٦ نوفمبر عام ١٩٥٠ م . غلبا بوفاته نجم لامع ، وتوارت ومضات أمل ضاحك . وقد لاقى ربه بعد مرض لم يمهله ، ولم يشفق عليه ، وهو شاب القلب ، ففى الفؤاد ، يقظ الرأى ، متوثب الرجاء يقول عنه صديقه الأستاذ محمود رزق سليم

كان عبد العزيز واسع الأفق فى نواح من الحياة كثيرة ، فقد هيأت له ملابساته

مع ذكائه وفطنته - أن تكشف له كثيرا من حقائقها ، كما دفعته إلى تجربة الأمور وملاحظتها . فاكسب من وراء ذلك مرانة وخبرة ، وحنكة وحسن بصر بالأمور ومعالجتها . وقد كان منذ صغره شغوفا بأخيه الأستاذ الشيخ المراغي ، يرى فيه نموذجا يقتدى به . وقد جمعت بينهما ظروف الحياة ، أكثر مما تجمع بين شقيتين . فرحل معه إلى السودان ، وتعلم بكلية غردون . ثم عاد إلى مصر فاندمج في سلك طلاب الأزهر ، مبرزا بينهم حتى تخرج منه بأرقى شهاداته حينذاك . وأرسل في بعثة علمية إلى إنجلترا ، فلبث بها زهاء خمسة أعوام ، ازداد فيها علما بالحياة ، ومعرفة بمذاهبها ومآتيها . وتخصص في دراسة التاريخ الاسلامي وتاريخ الأديان ، وهما من أهم المواد الثقافية صقلا للأذهان ، ودعمًا للتجارب وتبليغا إلى الحق .

ولما بلغ أخوه الأكبر مرتبة المشيخة الجليلة ، للمرة الثانية ، كان عبد العزيز - وبخاصة بعد عودته من إنجلترا - أشد سواعده القوية ، ومن أقرب مستشاريه إلى نفسه ، فعمل معه شيئا من العبء ، على مقدار طاقته وجهده . وطبعى أن يصبح في ذلك الحين ، موضعاً للأمل والاملين ، كما كان محطاً للنقد والناقدين .

وقد استطاع عبد العزيز في هذه الحقبة - وهو على كسب من أمور الأزهر - أن يدرسها ظاهرها وباطنها ، صريحها ومؤولها ، وأن تتكشف له منها مواضع الداء وأن يقدرها الدواء . ولا أغلو حينما أذكر أن حبيب عبد العزيز على الأزهر ، وشغفه به ، وأمله القوي أن يسمق بنيانه ، وترتفع أركانه ، كان شيئا فوق مكنة الطالب الذي يعشق معهده ، ويتمسب له

وقد عرف فيه إخوانه دماثة الخلق ، والمرح ، وبشاشة الوجه ، وابتسامة الثغر ، وعفة اللفظ ، كما كان مطاوعا لكل ذى حديث ، ولو كان فيه إملال . لا يصدده عنه إلا بكيس ورفق ، وربما نعى عليه بعض خلطائه أنه يلقى عدوه كما يلقى صديقه ، فلا برم ولا تشكر - وما كانت هذه منه إلا لرحابة صدره وحسن سياسته ، وحببه لتلافي ما يستطاع باللطف تلافيه . ولذلك ظل كثير من يقدونه ويحملون عليه ، ييجلون له لذاته ، ويحبونه لشخصه ، ويلقونه لقاء الإخوة الكرام

ولما اختير إماما للمعية الملكية تفتحت له من الحياة سبل جديدة ، ازداد بها مرانة ومعرفة ، وأخذ بخطو ويرز نحو الصفوف الأولى بين رجالات الوطن . وكان إذ ذاك حركة دائبة ، يؤدي واجبه الديني ، ويلقى دروسه وخطبه ، ويذيع في المدياع ، ويكتب في المجلات ، في الأمور الدينية والاجتماعية والتاريخية

وقد كان عبدالعزيز عالما أزهريا ، بالمعنى الذى يفهمه التاريخ والعرف . ومرجع ذلك - فيما أعتقد - إلى حبه العميق للأزهر ، وما فى الأزهر من علم ، وما له من تقاليد .

وأهم خصوصيات العالم الأزهرى - فضلا عن معرفة الشريعة الغراء - حبه الجدل والمناقشة ، وقدرته على سوق الحجة والدليل ، وعدم تسليمه الخصمه فى سهولت ويسر . وقد كان عبد العزيز فى ذلك ، من الطراز الأول ، لا يكاد المرء يدخل معه فى نقاش حتى يفيض بالاعتراض والاستشهاد ، وبالتدليل والتعليل ، والموازنة ، حتى يصل إلى قرار الحق . يشهد بذلك تلاميذه الكثيرون فى كليات الأزهر ، وأصدقاؤه ، أعضاء لجنة الفتوى وكان زميلا لهم ، قد لمسوا فيه هذه الخصوصية ، خلال عضويته بها .

وكان ضليعا فى معرفة الشريعة السمحة وأحكامها ، خبيرا بمذاهب أئمتها على اختلافهم ، بصيرا بمذاهب السكالميين من فقهاؤها . وقد أخرج كتابا فى حياة « تقي الدين ابن تيمية الحرانى » ، ألقي فيه ضوا على جهاد هذا العلامة فى سبيل دينه ، موضحا عقيدته ، مبينا أنها عقيدة السلف ، وأنها بعيدة عن مزائق المبتدعة من مطرفى الحنابلة وقد كان مؤرخا واعيا لتطورات التاريخ الإسلامى وتقلب دوله ، منقبعا عن ذلك فى كتب التاريخ الإسلامى : العربى منها وغير العربى .

وكان أدبيا متذوقا . فقد أوتي حافظه قوية كنت أعظمه عليها ، ملته بشقى عصور الأدب وتقلباتها وحوادثها إلاما محمودا ، وكثيرا ماتجود بالآيات والطرف الأدبية والأمثال ونحو ذلك ، عند أدنى مناسبة . . وكان يطرب للدعابة اللطيفة والنسكته الرائعة - ولو على حسابه - ويأخذ حينذاك سبيله إلى المرح قائلا : « لقد قتلنا كثرة الجد » ، ولكنه سرعان ما ينحدر إلى سوق الحكم ، والنهى على الدنيا ، مع الرضا والاستسلام لقضاء الله وقدره .

وكان كثير البحث عن مظان اللغة ، يحفظ من ألفاظها عددا تكسز فيه المعانى ، أو يعبر عن المعانى الغريبة أو المستحدثة ، ويعنى بالالفاظ الطوافة فى اللغات ، وما كسبته فى كل لغة من المعانى . وأغلب الظن أن فى مسجلاته كثيرا منها

ولا نقول جديدا إذا نوهنا بدروسه الدينية وخطبه المنبرية ، فإنه أسبغ عليها صمة من التجديد ، وغذاها بما تفيض به نزعتة الأدبية وثقافته الواسعة ، فخرجت

بجديد أسلوبها ومعناها ، عصرية بريئة من السمات التقليدية القديم . ومنذ سنوات أخذ على عاتقه إخراج كتاب من أهم كتب الحديث والفقه والقضاء الإسلامى ، وهو كتاب (أخبار القضاة) لمحمد بن خلف بن حيان ، المشهور بوكيع . استعار نسخته الشمسية الوحيدة ، وأنفق فيها النفيس من وقته ، والمرجو من راحته ، حتى استقام له تقديمها إلى المطبعة . فأنجزت منها جزءين وبقي جزءان .

وقد عنى فى الكتاب بالتصحيح والتعليق وشرح الغامض وتخريج الأحاديث ، بما يشعر بعلو الغزير وأدبه الجم وإحاطته بمسائل الفقه ومواضع الحديث ومظان الأدب . وبما يشعر بصبره وبإلحاحه فى سبيل خدمة دينه وشريعته .

وقد توفى بعد الشيخ بقليل أخوه الأكبر الشيخ أحمد مصطفى المراغى صاحب « تفسير القرآن الكريم » المسمى تفسير المراغى ، وسواه من الكتب ، وذلك عام ١٩٥٢ .

الشيخ فكري ياسين

هو أحد علماء الأزهر الأجلاء .. كان رحمه الله هينا لنا مذهب النفس ، بعيدا عن اللغو واللغو ، وكانت همته مصروفة إلى زيادة مادته العلمية ، بمعالجة المسائل الاجتماعية الكبرى بالتحليل الدقيق تحت ضوء الدين والعلم ، فكان فى كل مايكتبه مفيدا لقارئه يأتى له بشىء جديد ، وهذه ميزة علمية نادرة .

ولد - رحمه الله تعالى - ببلدة قصر هور مركز ملوى فى ٢٤ يناير ١٨٩٧ ، وهو من أسرة مشهورة بالعلم ، فوالده كان من العلماء ، وجدده كان عالما .

وقد تعلم فى الأزهر ، ونال الشهادة العالمية النظامية منه سنة ١٩٢٥ ، ودرس فيه علوم اللغة والأدب على المرحومين الشيخ سيد على المرصفى - الذى كان معروفا بشيخ اللغة فى ذلك الوقت - والشيخ مصطفى عبد الرزاق ، والشيخ مصطفى القاياتى ، وتلقى كثيرا من العلوم الأخرى ، مثل الفقه والأصول والبلاغة والنحو والتصريف وعلوم القرآن والسنة والفلسفة والمنطق وغيرها عن كثير من علماء الأزهر البارزين فى ذلك العصر ، من أشهرهم الشيخ محمد بخيت والشيخ محمد حسنين والشيخ حسين والى وكان يزاول الكتابة والتحرير فى الصحف والمجلات وهو طالب ، وكانت أول

مقالة نشرت له في جريدة النظام عن إصلاح الأزهر ، ثم واصل الكتابة بعد ذلك ، إلى أن جاءت الحركة الوطنية في سنة ١٩١٩ فاشتراك فيها واعتقل ، واذك فيه روح الحمية والنشاط ، وزاد اقباله على الكتابة ومتابعته لها ، وكانت أكبر عنايته في الكتابة موجهة في ذلك العهد إلى إصلاح الأزهر ، وإلى الشؤون الاسلامية ، وحرية الوطن في جهاده المقدس آنذاك ضد الغاصب المحتل ، ولقد كان هذا الجهاد باعثا لزملائه في الأزهر على أن يعتبروه رائدا لهم في المناذاة بالآراء الإصلاحية ، وقد جر ذلك عليه متاعب كثيرة ، فلقد كان أول طالب في الأزهر أحيل مع زملاء له على المجالس التأديبية سنة ١٩٢٤ ، ولقد رأى طلاب الأزهر في ذلك الحين أن تكون لهم لجنة تمثلهم وتسكلم باسمهم ، فاختاروه رئيسا لهذه اللجنة ، وكانت مهمتها الدعوة إلى إصلاح الأزهر .

وفي سنة ١٩٢٦ عين مدرسا في الأزهر ، وأسند اليه تدريس مادي الادب والتاريخ فوضع في المادة الاولى مؤلفا في جزأين ، ووضع في المادة الثانية مؤلفا في ثلاثة أجزاء ، واختير إلى جانب ذلك سكرتيرا لجمعية الهداية الاسلامية ، ومحررا بمجلتها ، وفي سنة ١٩٣١ فصل من الأزهر مع عدد كبير من العلماء ، فصلهم المرحوم الشيخ الظواهري ، وكان منهم الشيخ الزنكوني والشيخ العدوي والشيخ دراز والشيخ شنتوت والشيخ فكري ، ولقد كان هذا الفصل سببا قويا في نشاطه فأخذ ينشر آراءه في الجهاد والبلاغ والكوكب والسياسة اليومية والاسبوعية والوادي ، وفي فبراير سنة ١٩٣٥ ، أعيد إلى التدريس في الأزهر وندب مع قيامه بالتدريس في القسم الثانوي سكرتيرا للجنة الفتوى ، وفي سنة ١٩٣٨ اختير مدرسا بكلية الشريعة ثم وكيلا للمعهد قنا ، ثم أعيد إلى كلية الشريعة ، وجاء الشيخ مصطفى عبدالرازق فنقل من السكينة إلى معهد الزقازيق ثم أعيد إلى السكينة مرة أخرى حتى جاء المغفور له الأستاذ الاكبر الشيخ مأمون الشناوي ، وكان قد خبره وعرف فيه مقدرته العلمية ومواقفه في ميدان العلم والادب وهو شيخ لكلية الشريعة فاختاره مراقبا مساعدا لمكتب البحوث والشقافة بالأزهر .

وقد كتب في جملة موضوعات علمية نافعة منها « غريب القرآن » و « أعلام القرآن » و « التجارة في الاسلام » والفقه والفقهاء ، وفي بحوث قيمة أخرى ، ووضع رسالة في الحديث لم تطبع بعد . وقد قام بالكتابة في السنة المحمدية عن الاحاديث النبوية . في مجلة لواء الاسلام من أول إنشائها إلى يوم وفاته ، كما قام بالتحرير في باب السنة المحمدية أيضا بمجلة الأزهر ، وقد كتب أكثر من ألف مقال في الصحف في مصر وفي صحف سوريا وتونس والعراق والبلاد

الشرقية .. وكان رحمه الله كريم الخلق عف اللسان محبا لطلابه محبوبا عندهم رحيبا بأهله وأقاربه عطوفا عليهم .

وقد توفي - طيب الله ثراه - في الساعة الرابعة بعد عصر يوم الثلاثاء ٢١ من ربيع الثاني سنة ١٣٧٠ - الموافق ٢٩ من يناير سنة ١٩٥١

الشيخ نافع الخفاجي حفيد العلامة الشيخ نافع الخفاجي الكبير

ولد في يوم الجمعة ٢ شوال سنة ١٣٢٢ ، الموافق ٩ ديسمبر سنة ١٩٠٤ ، ثم تعلم الكتابة وحفظ القرآن الكريم ، وذهب إلى المعهد الأحدي بطنطا سنة ١٩١٩ ليتعلم فيه وأخذ منه الابتدائية عام ١٩٢٣ ، ثم كان قد أنشئ في ذلك الحين معهد فالتحق به واستمر في دراسته إلى أن أصيب بمرض عصبي عضال كان يحول بينه وبين المشي وحده فأخذ يعالج نفسه منه ولكن العلاج لم يجد شيئا ، اللهم إلا في تأخير زحف المرض على صحته ، ثم أخذ الثانوية من الخارج من معهد الزقازيق عام ١٩٢٨ الموافق سنة ١٣٤٦ هـ ، ثم التحق بالقسم العالي بالأزهر ونال منه شهادة العالمية في يونيو سنة ١٩٣٢ الموافق سنة ١٣٥١ هـ .

وعاد العالم بعد ذلك فأقام بالقرية يطالع في أسفار الادب وينظم القريض ويعالج نفسه من مرضه العضال ، ثم تزوج في سبتمبر سنة ١٩٣٩ ، ووافاه أجله المحتوم في ١٣ أغسطس سنة ١٩٤٠ - الثلاثاء ٩ رجب سنة ١٣٥٩ هـ . وكان شاعرا مجيدا نماذج من شعره - قال في الغزل :

رويداً مهجتي هذا الأنين	لعمري كاد يقتلني الحنين
أحن إلى مغان شمت فيها	بروق الصدق يتلوها الهتون
مغان ليلها عندي قصير	يقصر طوله نوم رصين
وإن غاب الكرى فالسهد حلو	بأخذان تساليهم فنون
ندامى لا يجالسهم بئس	يجوس خلال جدهم المجنون
من السمر البرى لنا مدام	تطير به من الرأس الشجون
ومن ضحكائنا نغم لذيذ	كقرع الكأس يتبعها رنين
تخالس دهرنا لمحات أنس	فتسهل في مسالكنا الحزون
ونحنى من فم الدنيا ابتساما	كفصن الزهر تجلوه الفصون
ووجه زماننا حسن بشوش	تلاشت من نضارته الغصون

وقال من قصيدة عنوانها «أين الصباح؟» :

طلت يا ليل فآين الصباح	والكرى خاضع عيني وراح
طلت يا ليل على مغرم	مسبل الدمع طويل النواح
رب ليل لم يكن شملنا	يتلاقى فيه والديك صاح
وسواء طلعت أم لم تطل	ليس يا ليل عليك جناح
لست أنسى فيك حسن اللقاء	وعلينا منك ستر وجناح
واجتماع فيك أخفيته	عن رقيب وعدول ولاح
فيك من ليلي شبيه لها	قر يحكي وجوه الملاح
فيك شهب كالحاظ المها	تلك في قلبي، وذى في البطاح
في سكون الليل كم آهة	من فؤاد أن وجدا وناح
في سكون الليل كم عاشق	هاجت الذكري عليه الجراح
في سكون الليل كم مدنف	بخفايا السر لليل باح
لا تلوخوا الليل في طوله	أيها العشاق أين السماح؟
يحمل الطيف لأهل الهوى	إن يكن جفن الحب استراح
يكتم السر ويخفي الجوى	عن وشاة السوء خوف افتضاح
أيها الليل لك الشكر من	كل قلب فيه حب صراح
يانجوم الليل لا تنسرى	أن عيني والكرى في كفاح
فاحمل عني سلامي لمن	هو لي روح وروح وراح

وقال من قصيدة أخرى :

بحسبك ما أشكو وما أتوجع	زفير وآهات وسهد وأدمع
فيا للنوى، لا بارك الله في النوى	وقلبي من حر النوى ينقطع
فبتنا جميعا ثم أصبح شملنا	شتيتا كأن لم يحتو الشمل بجمع
تكلفنا الأيام مالا نريده	وطبع الليالي صدع ما يتجمع
لقيت هوأنا في الهوى وسل الدجى	ونجم الدجى إن كنت في الليل أجمع
ولى مهجة ذابت من الوجد والجوى	وطارت بخارا أينما هب يتبع
رعى الله عهدا كان بالأمس ناظرا	غدا وهو مطموس المعالم أصلع
شربنا كئوس الحب حتى ثمالها	ولم يبق في قوس الصباية منزع
ولم نرتكب في الحب ذنبا يسوءه	سوى أن نفسينا إلى الطهر تزع

وإن أنسى م الأشياء لا أنسى قوله
فقلت وما أدراك والعزم في الحشا
فقلت له : حيناً ، فقال : يخيفني
فقلت تجلد قال جهدي وإنما
وقال في شكوى الزمان :

أواه من عثرات الحظ أواه
لا الحزن يجدي ولا حظي يساعفني
أرزاء شتى إذا ما خلت أصغرها
تترى دراكا كطير طاب موردها
يلج صرف الليالي في معاكستي
خطوب دهرى لا تنفك تذكرني
فالحنن والسهل في سيري سواسية
كلما قلت لما استحكمت فرجت
إن غاب عني شقاء جاء مصطحبا
ما حيلتي وهي الدنيا وسلطانها
نصيب كل امرئ في عكس همته
ورب ذي عزيمة تنبو مضاربه
ونابه النفس سوء الحظ أخذه
وكم حريص له من عليه صفة
هي المقادير لا سعى ولا كسل
انظر إلى قطع الشطرنج إذ نحتت
كم يبدق مات لم يذنب وصاحبه
كذلك الكون لم تعلم عواقبه
الدهر علني الشكوى فقمت بها
أشكو الزمان وفي الشكوى رفاهية
وقال :

حرام على عينيك أن تتنازعا
فؤادي إلى أن صار نهياً موزعا

أفر من النوى ليإذا باختيارها
أرى لك لحظا كالقذيفة لو رمى
بعينيك ومض كالشهاب إذا هوى
إذا نظرت عينك أبصرت فيهما
لحاظك من حظي سوادا وقوة
أخاف نفارا حين أرجو تعطفها
دلالك أخشى أن يكون ملالة
حنانيك إنى قد تسكنت سعادتي
ظننت هنائي في الهوى فائتته
سهاد وأشواق وسقم وحسرة
ولو كان لى فى الجاذبية حيلة
فلو رمت سلوى بالنوى لتوترت
يؤيد الهوى قبضا بقلبي كلما
وللحب مغناطيسه واجتذابه
فيضعف ذا بالبعد والحب شأنه
بحسبك يا ليلي غرام زرعته
سفحت دموعى فى غرامك مرغما
فماكدت ألقى نحو وجهك نظرة
سحرت فؤادى وامتلكت زمامه
عتبت على قلبي جواه وذله
سكرت غراما وانتشيت صبا به
ومن عجب آلام حبي لذينة
أحب ولا أرجو من الحب غاية
وحسبى إذا أغفيت طيف يزورنى
أقبل فاه أو أضم خياله
أحبك يا ليلي بدون ملالة
وأنت الملهى والغصن والدرى والطلا

فتقطعنى اليسرى فأرجع موجعا
يميل من العشاق ليثا وأخذعا
فيحرق أكبادا ويحرق أضلعا
لذاذة نفسى والعذاب المبرقا
وأبيضه يبدو ويذهب مسرعا
وأخشى فراقا حين أبغى تجمعما
وحبك أخشى أن يكون تصنعما
وذبت غراما واحترقت تفجعما
فلم أر إلا لوعة وتصدعا
فيا أسفى لى سافضى توجعما
لكنت من السلوى جمادا وأفضما
حبال الهوى لكنها لن تقطعا
بعدت كحل كلما شد قطعا
يخالف قانون التجاذب موضعا
يزيد احتياجا لو تباعد موضعا
فأثبت أشجانا وأثمر أدمعا
على حين أنى ماهويتك طيعا
إلى أن غدا قلبي من الحب مترعا
وأطلقت عبدا فى جمالك مولعا
فتار وكادت أضلعي أن تصدعا
وأعيت يأسا واشتفيت تطلعا
ولو لى آمال لعشت بمتعا
سوى أن أرى وجه الحبيب وأسمعا
فأقطف من خديه وردا تضوعا
فإن زاد بى وجدى صحوت وودعا
وأنت دجى بدر وشمس ضحى معا
تبارك ربى فى جمالك مبدعا

عبدتك يا ليلي وحسنك دلي على الله حتى لا أضل فاخذعا وقال :

ذهبت ومن رام المعالي يذهب
سمعت إلى العليا غاية طاقتي
سبحت على بحر المجرة ما خراً
رصدت السهي حيناً فابصرت طالعي
فيا طالعي بالله هل من هناة
وهل مطمئن أنت أم أنت خائف
وهل لي إلى النعمى سبيل موصل
أتسعدني الآمال بعد مطالها
إزاء شقائي مطعم الصاب كالجنى
ولولم أصادف سوء حظي وشؤمه
يسمونه حظاً وجداً وطالعا
مقادير شقي والمقدر واحد
له المثل الأعلى وفي كل ذرة
هنالك شيء كل فكر يمسّه
هو الله سماء الطبيعي قوة
ومن شأنه فينا الظهور بفيضه
أجهل روحى ثم أعلم ربها
سننظر وجه الله في الخلد ظاهراً
نراه بإحساس بديع مخصص
هنالك يبدو كل حسن مذمماً
عن المثل والأضداد جل جلاله
وما الكون إلا ذرة فوق ذرة
فكل بكل في نظام مدبر
بدائع لإحكام وإتقان صانع
تمنيت موتاً ليس فيه جحيم
وكيف حياة المرء ناء بعينه
وكيف حياة المرء عى طليبه

وأبت ولم أظفر بما أطلب
ورحت إلى أفلاكها أتوب
عباباً من الآمال أطفو وأرسب
جميلاً ولكن فيه سر محجب
تألق لي أم أن برقك خلب
تفر من النحس البغيض وتهرب
وهل لي من البؤسى مناص ومهرب
ويدنو من الآمال ما أترقب
ونور نهاري من مشاكبه غيب
لعشت سعيداً لم يضق بي مذهب
وأما المسمى فالقضاء المغيّب
مشيئته كالسيف بل هي أثقب
من الكون سر بالتأله يعرب
ويلسه الوحشى والمتنذب
وطبعها ، وفي علم الأثير ترب
وآثاره ، والشان فينا التعجب
ضلال غريب والتشبهت أغرب
كما هو يجلوه الجلال فضطرب
يطيب خيالاً والتحقق أطيّب
وكل ارتياح غير ذلك متعب
وراجى سوى التوفيق منه مخيب
سما وأفلاك وأرض وكوكب
جماد وحى ، كل شيء مرتب
فسبحانك اللهم أنت المحجب
ولاً فعيشا لست فيه أعذب
وجهر الأبي في صدره يتلهب ؟
وأعضله الداء العقام العصوصب ؟

برمت بآمالى وعفت تجلدى ومل جليس ما أقول وأكتب
ولو نلت من عين العناية نظرة فامرئى عذب وما بعد أعذب

أزهريون في سجل التاريخ

ومن أظهر الشيوخ الذين فضوا عنهم : الشيخ سيد على المرصفي أمام علماء اللغة والأدب في مصر ومن هيئة كبار العلماء ، وصاحب (شرح السكامل) ، وشرح (ديوان الحماسة) ، وشرح (أسرار البلاغة) ، وغيرها . . وقد توفي في ١٢ فبراير سنة ١٩٣١ .

ومنهم الشيخ عبد العزيز البشري نجل الشيخ سليم البشري شيخ الأزهر السابق والقاضي الشرعي النابه ، والمؤلف الكاتب المحدث اللبق الممتاز ، وصاحب (المرأة) (والختار) وسواهما ، وقد توفي في ٢٥ - ٣ - ١٩٤٣ .

وللأزهر فضل على كثيرين ، من جلسوا في حلقاته العلمية ، وإن لم يكملوا انقائهم فيه ، وهؤلاء عدد كبير لا يحصون ، ومن أوائلهم الشيخ أحمد على السكندري ، وقد توفي في ١٩ إبريل ١٩٣٨ ، وكان عضوا في المجمع اللغوي بالقاهرة ، وأقام المجمع في ١٣ يناير ١٩٣٩ حفلة تأبين له وللستشرق الإيطالي نلينو (١٨٧٢ - ١٩٣٨) بدار الأوبرا . .

والسكندري كان طالبا بالأزهر ، وتخرج من دار العلوم ، ثم عمل مدرسا في المدارس الأميرية ، فتأظرا لمدارس المعلمين . وكان يؤمن باللغة العربية ، وبقدرتها على استيعاب المعاني المتجددة التي تأتي بها الحضارة ، حتى في الكيمياء والطب ، واختير عضوا في المجمع اللغوي بعد إنشائه بقليل ، وله كثير من المؤلفات العميقة ، ومن بينها كتاب في الأدب العباسي ، كما أنه اشترك في تأليف الوسيط ، وفي كتب أخرى

صور من الأزهر القديم والحديث

— ١ —

أوقاف قديمة للأزهر :

في كتاب الخطط للمقريزي (١) نص سجل الوقف الذي وقفه الحاكم ، بمقتضى بعض أملاكه بمصر والقاهرة على الجامع الأزهر ودار الحكمة وبعض المساجد الأخرى ، وقد مضى تلخيص لهذا السجل في هذا الكتاب (٢)

— ٢ —

السيوطى الأزهرى :

فى عام ٨٦٧ هـ ألقى السيوطى العالم الأزهرى بعد تخرجه من الأزهر أول درس له . وقد عرض له الشيخ مصطفى عبدالرازق فى حديث له فى محرم عام ١٣٦٥ هـ وما جاء فى مكتبته عنه :

منذ حوالى خمسمائة عام ألقى العالم الشهير « جلال الدين السيوطى ، المتوفى سنة ٩١١ هـ أول درس من دروسه حين أجلس للتدريس ، بحضور شيوخه وكبار القضاة والافاضل فى عهده ، وقد ألقى هذا الدرس فى جامع شيخون المسجد المعروف فى هذه العاصمة . وفى دار الكتب الأزهرية مخطوطة تجمع مؤلفات ورسائل للجلال السيوطى رحمه الله ، وورد فى هذه المجموعة أنها بخط المؤلف . وما حوته هذه المجموعة رسالة جاء فى أولها : « تصدير مبارك ألقيته يوم أجلس للتدريس بجامع شيخو ، رحمه الله ، بحضرة شيخنا قاضى القضاة شيخ الاسلام علم الدين البلقينى وجماعة من القضاة والافاضل ، وذلك يوم الثلاثاء تاسع ذى القعدة سنة ٨٦٧ هـ ، وقدمضى من عمرى ثمان عشرة سنة وأربعة أشهر وثمانية أيام والحمد لله . » وهذا الدرس الذى

(١) ج ٤ ص ٤٩١ - ٥١ - الطبعة الأهلية .

(٢) ص ٢٨ - ٣٠ ج ١ الأزهر فى ألف عام .

القاء الشيوطى فى مفتتح عهده بالتدريس هو فى تفسير آية من سورة (الفتح) الكريمة وهذا التصدير على صغر حجمه يفيد الباحثين فى تطور الدراسات الاسلامية وأساليبها ، وفى الطرق التى كانت تعتمد عليها مدارس المسلمين فى إجازة طلابها وتخريجهم . وقد بدأ المؤلف درسه بذكر المراجع التى طالعها فقال : « طالعنا على هذا التصدير الكشاف وتفسير الإمام الرازى وتفسير الامام ابن العربى والبحر لأبى حيان وأسباب النزول للواحدى وتفسير السجواندى وينبوع الحياة لابن ظفر وصحاح الجوهرى ، والخطبة إلى آخر الصلاة من كلام الامام الشافعى رضى الله عنه يعنى من خطبة « الرسالة » ، ... وبعد أن حمد الله بما حمد به الامام الشافعى فى صدر « الرسالة » ، وصلى على النبي وآله قال : « رضى الله عن السادة الصحابة أجمعين وعن إمامنا الشافعى المطلبى وسائر الأئمة وعن سيدنا ومولانا شيخ الاسلام ووالده شيخ الاسلام وسائر مشايخنا والسادة الحاضرين وجميع المسلمين ، ثم قال : « أما بعد فقد قال الله تعالى : « إنا فتحنا لك فتحا مبينا ، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، ويتم نعمته عليك ، ويهديك صراطا مستقيما ، وينصرك الله نصرا عزيزا ، الكلام على هذه الآية من جهات : الأولى سبب النزول ومكانه وزمنه ، والثانية علم اللغة ، والثالثة علم الاعراب ، والرابعة علم المعانى ، والخامسة علم التفسير .

أقول : قدمت أولا الكلام على النزول وما يتعلق به ، ومناسبة تقديمه ظاهرة ، وثبتت باللغة وقدمتها على الاعراب ، لأنها تبين المعنى ، والاعراب قرعه ومتوقف على معرفته ، وثلت بالاعراب وقدمته على المعانى الذى هو ثمرة الاعراب ، ثم تلاه المعانى ، ولما انتهيت من الأدوات ذكرت المقصود بالدات من الآية وهو التفسير وبيان المراد ، ثم ختمت بالنهاية وهو علم التصوف ، وهذا ترتيب حسن لطيف ، وبدأ بالكلام على سبب النزول وما يتعلق به نقلا عن الواجدى ، ثم تسكلم عن اللغة فبين معنى النصر والبيان والمغفرة والذنب والنعمة والهدى والصراط المستقيم والعزیز . وذكر بعد ذلك ما يتعلق بالآية من جهة الاعراب ، ثم ما يتعلق بها من جهة علم المعانى . ثم قال : وأما ما يتعلق بها من جهة التفسير ، قوله : (إنا فتحنا) ، فى المراد بالفتح هنا أقوال : أحدها فتح مكة واختاره الفخر الرازى ومن الجميع وأبو حيان ، والثانى عام الحديدية عند انفسكا كه منها ، والثالث قاله بجاهد فتح خير وفى بعض الآى ما يدل عليه ، والرابع قال الضحاك : والمراد فتح الله بالاسلام والنهضة والدعوة بالحجة والسيف ، ولا فتح أبين منه وأعظم ، وهو رأس الفتوح

كلها ، إذ لا فتح من فتوح الاسلام إلا وهو عنه ومشتق منه . الخامس قال غيره : المراد نصر الله تعالى على أهل مكة بعد أن أوحى إليه : إنك تدخلها أنت وأصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت . قوله : « ما تقدم من ذنبك وما تأخر » قال ابن عباس : ما تقدم قبل النبوة وما تأخر بعدها . وقال غيره : ما وقع وما لم يقع على طريق الوعد بأنه مغفور له . وقال سفيان : ما تأخر هو ما لم يعله ، وقال آخر : المتقدم والمتأخر معا ما كان قبل النبوة . وقال آخر تأكيد للبالغة كما تقول : أحبك من عرفك ومن لم يعرفك . وقال آخر ما تقدم من ذنبك يعني من ذنب أبيك آدم وحواء ، وما تأخر : ذنوب أمتك . وقال آخر : المعنى لو كان لك ذنب قديم أو حديث لغفرناه . قوله : « ويتم نعمته عليك » قيل بالنبوة والحكمة ، وقيل بفتح مكة والطائف وخيبر ، وقيل بخضوع من استكبر ، والصحيح بدخول الجنة .

قوله : « ويهديك » المراد يثبتك على الهدى كما في قوله : « يا أيها النبي اتق الله » « يا أيها الذين آمنوا آمنوا » وأمثال ذلك . قوله (ضراطا مستقما) المراد به هنا الاسلام ... وآخر جملة في هذه الرسالة هي (وأما من جهة علم التصوف) ، ثم يتلوها بياض بالأصل مقداره نحو ثلاثة أسطر بخط السيوطي الدقيق . وإذا كان لم يصل إلينا ما كتبه السيوطي في تصديره عن التصوف فإن بعض المؤلفين أشار في تحديد معاني الفتح إلى معنى هو أقرب إلى معاني الصوفية . قال الراغب في كتابه (المفردات في غريب القرآن) : وقوله : « إنا فتحنا لك فتحا مبينا » قيل عن فتح مكة ، وقيل بل عن ما فتح على النبي من العلوم والهدايات التي هي ذريعة إلى الثواب والمقامات المحمودة التي صارت سببا لغفران الذنوب ، ولعل هذا المعنى هو الذي عبر عنه بعض المفسرين بالالهام .

الحفنى شيخ الأزهر :

كان شيخ الأزهر الشيخ الحفنى (١١٠٠ - ١٦٩٨ م - ١١٨١ - ١٧٦٧ هـ) شجاعا في الحق شجاعا نادرة : تخاضع على بك الكبير مع طائفة كبيرة من الأمراء وتفاقم بينهم الشر حتى أوشك أن ينتهى إلى الحرب . واجتمع لذلك كبار القوم ومعهم الشيخ الحفنى . فعارض الميل إلى الحرب معارضة شديدة ، لما يصيب الناس من شرها . وقال للأمراء : إنكم خربتم البلاد ، بحربكم وخصامكم . ثم أرسل إلى

على بك ، وكان خارج القاهرة ، كتابا شديدا فيه زجر وعظة ونصيحة . وقد انفرد على بك بعد ذلك بحكم مصر ، وفتح الشام والحجاز ، وكان مع ذلك لا يستطيع مخالفة الشيخ . وله مع الأمراء والولاة مواقف من الشجاعة والصلابة يطول بنا الحديث عنها . وكان لا يتم أمر من أمور الدولة ، إلا بعلمه وإذنه . وكانت له مهابة عظيمة حتى لا يستطيع كثير من جلسائه أن يتوجه إليه بسؤال ، وكانت على إحدى عينيه نقطة ، ومع ذلك لم يدرك أكثر الناس ذلك ولم يلحظوه . لأنهم كانوا يعضون الطرف عند النظر إلى وجهه .

تولى المشيخة بعد الشيخ الشبراوى ، الذى مات فى آخر سنة ١١٧١ هـ ... وكان إلى ذلك كله ظريفا وشاعرا ، يقول الشعر ، والمواليا . كان له رفيق اسمه الشيخ حسن شمة ، رآه مرة يكتب ، فسأله ما ذا يكتب ؟ فقرأ عليه الشيخ « شمة ، هذا البيت :
قالوا تحب المدمس ؟ قلت بالزيت حار والعيش أبيض تحبه ؟ قلت والكشكار فضحك الشيخ وقال له : أما أنا فلا أحبه بالزيت حار ، بل بالسمن . وأنشده :
قالوا تحب المدمس ؟ قلت بالمسلى والبيض مشوى . تحبه ؟ قلت والمقلى وله شيء غير قليل من المواليا ، بعضه فى الغزل . وكله رفيق جميل فيه عاطفة وعذوبة . وله شعر رفيق جميل أيضا ، منه :

فلو فقتشوا قلبى لأنفوا به سطرين ، قد خطا ، بلا كاتب

العلم والتوحيد فى جانب وحب آل البيت فى جانب

وهذان البيتان ، يمثلان حياته إلى حد كبير ، فقد كان عالما كبيرا مخلصا للعلم ، ومتصوفا مؤمنا طاهر السيرة .

ومن شعره هذان البيتان الرقيقان . اللذان يفيضان يسرا وإيمانا ورضاء ، وصفاء وروحانية :

خبز ، وماء ، وظل هو النعيم الأجل

جحدت نعمة ربى إن قلت لى مقل

وقد عمر الشيخ طويلا . حيث مات ظهر يوم السبت السابع والعشرين من ربيع الأول سنة ١١٨١ (١٧٦٧) .. وكان يوم وفاته يوم هول وبكاء . وقال فى الوالى راغب باشا : إنه كان سقفا على أهل مصر ، يمنع عنهم نزول البلاء (١) .

الاجازات العلمية في الأزهر القديم

ذكر القلقشندي في صبح الأعشى صور طائفة من الاجازات التي كان يصدرها أكابر العلماء لتلاميذهم أو لمن يتقدم إليهم من الطلاب ، كاجازة التدريس والفتيا والرواية وغيرها (ج ١٤ ص ٣٢٢ وما بعدها) ، وتصدر هذه الاجازة بعد اختبار الطالب فيما طلب الاجازة فيه .

١ - وهذه صيغة إجازة بالفتيا والتدريس على مذهب الامام الشافعي ، أصدرها العلامة سراج الدين أبو حفص عمر الشيربازي الملقب لأبي العباس القلقشندي صاحب كتاب صبح الأعشى سنة ٥٧٧٨ هـ ، وكتبها القاضي تاج الدين بن غنوم موقع الحكم بالاسكندرية ، وذلك بعد البسملة والديباجة :

« ولما كان فلان - أدام الله تسديده وتوفيقه ، ويسر إلى الخيرات طريقه - بمن شب ونشأ في طلب العلم والفضيلة ، وتخلق بالأخلاق المرضية الجميلة ، وصحب السادة من المشايخ والفقهاء ، والقادة من الأكابر والفضلاء ، واشتغل عليهم بالعلم الشريف اشتغالا يرضى ، وإلى نيل السعادة - إن شاء الله - يفضى ، استخار الله تعالى سيدنا وشيخنا وبركتنا ، العبد الفقير إلى الله تعالى ، الشيخ الامام العلامة ، الحبر الفهامة فريد دهره ونسيجه وحده ، جمال العلماء ، أوجد الفضلاء ، عمدة الفقهاء والصلحاء سراج الدين ، مفتي الاسلام والمسلمين ، أبو حفص عمر بن الملقن . . . الخ . »

« وأذن وأجاز فيه لفلان المسمى فيه ، أدام الله معاليه ، أن يدرس مذهب الامام المجتهد المطلق العالم الرباني ، أبي عبد الله محمد بن إدريس المظلي الشافعي ، ورضى الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة مثقله ومثواه ، وأن يقرأ ما شاء من الكتب المصنفة فيه ، وأن يفيد ذلك لطالبه ، حيث حل وأقام ، كيف شاء متى شاء وأين شاء ، وأن يفق من قصد استفناه خطأ ولفظا ، على مقتضى مذهبه الشريف المشار إليه ، لعله بديانته وأمانته ، ومعرفته ودرايته ، وأهليته لذلك وكفايته . . . » وكتب في تاريخ كذا . »

٢ - وهذه صيغة إجازة أصدرها الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الدايم إلى ولده أبي العباس المسمى نجم الدين أبي الفتح ، متضمنة لإتقانه لحفظ كتاب (المنهاج) في الفقه للثوري ، وذلك سنة ٨١٣ هـ جاء فيها بعد الديباجة : « وبعد فقد عرض على الفقيه الفاضل ، نجل الأفاضل ، وسليل الأمانات ، ذو الهمة العليا ،

والفطنة الذكية ، والفطرة الزكية ، نجم الدين أبو عبد الله محمد بن فلان ، نفع الله به
كما نفع بوالده ، وجمع له بين طارف العلم وتالده ، - مواضع متعددة من « المنهاج »
في فقه الإمام الشافعي المطلي رضي الله عنه وعنا به ، تأليف ولي الله ابن زكريا بن
شرف بن مري النوى ، سقى الله تعالى ثراه ، وجعل الجنة مأواه ، دل حفظه لها
على حفظ الكتاب ، كما فتح الله له مناهج الخير دقه وجله ، وكان العرض في
يوم كذا .

٣ - وكتب العلامة الشيخ عز الدين بن جماعة في بعض الإجازات ماصورته :
كذلك عرض على المذكور باطنها عرضاً حسناً ، محرراً مهذباً مجاداً متقناً ،
عرض من أتقن حفظه ، وزين بحسن الأداء لفظه ، واجزل لى من عين العناية
حفظه ، مر فيه مرور الحملاج الوساع في فسيح ذى السباع ، وقد دلنى ذلك منه ،
نفعه الله تعالى ونفع به ، ووصل أسباب الخير بسببه ، على علوه همة ، ووفور
أريجته ، وتوقد فكرته ، واتقاد فطنته . . . وقد أذنت له أن يروى عنى
الكتاب المذكور ، وجميع ما يجوز لى وعنى روايته ، من مصنفاتى وغيرها من
منظوم ومشور ، ومنقول ومعقول ومأثور ، بشرطه المعتبر ، عند أهل الأثر ،
وكتب فلان بتاريخ كذا . . .

صور من إجازات الأزهر العلمية فى أواخر القرن التاسع عشر

من صور هذه الاجازات إجازة خطية طويلة عندى ، وهى التى كتبها الشيخ
الباجورى للعالم الكبير الشيخ نافع الجوهري الخفاجى التلبانى (١٢٥٠ - ١٣٣٠ هـ
١٨٣٤ - ١٩١٢ م) ، وقد أثبتتها فى كتابى « بنو خفاجة وتاريخهم السياسى
والأدبى (١) » ، فلا داعى لذكرها كاملة هنا ، وفى آخرها يقول الشيخ الباجورى :
« أجزت المذكور بكل ما يجوز لى به الرواية ، وماتلقت من أشياخى - ضاعف
الله أجورهم رواية ودراية ، وبمالى من تأليف وتصنيف . . . والاجازة مذيلة
بهذا التوقيع : الفقير ابراهيم الباجورى خادم العلم

ومع هذه الاجازة صورة أخرى لرجاء من أساتذته الشيخ المباطل والشيخ البدرى
والشيخ على محمد ، مرفوع إلى شيخ الجامع الأزهر لإعطاء « ولده الفقير نافع
خفاجى تذكرة أسوة بأمثاله بإكرامه وعدم المعارضة له بطريق ما ، وإجازته بكل
ما أتقى وما فعل ،

ويلى ذلك إجازة شيخ الأزهر له ، وجاء فيها : « انتظم المذكور فى سلك العلماء ، وأخذ عن الشيوخ الموجودين فى هذا العصر بعضا من العلوم ، ودأب فى التحصيل فنح دقائق الفهوم ، فأجازه أشيخه بما أخذ عنهم ، وتلقاه منهم ، ولما أراد الرجوع إلى وطنه ، التمس إجازته ، بما تجوز له روايته من منقول ومعقول ، وتنسب له عن أشيخه روايته ، فأجزته بما تجوز لى روايته من منقول ومعقول ، وما تنصرف إليه هم أرباب العقول ، وعليه العمل بتقوى الله ، وأن لا ينسانى من دعواته

وتاريخ هذه الإجازة العلمية عام ١٢٨٣ هـ ، وكان من شيوخه فى الأزهر الشيخ إبراهيم السقا والشيخ محمد الأشمونى والشيخ الحضرى والشيخ مصطفى البدرى والشيخ الرهينى ، والشيخ الرفاعى والشيخ على المباط وسواهم ، وكان بما حضره من كتب فى الأزهر : الكفراوى وشرح الشيخ خالد ، والأزهرية ، والقطر ، والخطيب ، والتحرير والمنهج ، وسواها من كتب وشروح وحواش ، فى الفقه والحديث والتفسير والنحو والصرف والبلاغة والأدب والأصول والتوحيد والعروض والمنطق وسواها صورة إجازة علمية أخرى :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد فقد سألنى الأخ فى الله الشيخ العالم العلامة والخبر البحر الفهامة الشيخ نافع خفاجى بن الجوهري خفاجى التلبانى أن أجزه فى جميع مروياتى من معقول ومنقول من فقه وحديث وتفسير وإفتاء وتدرىس ، فعلمت لياقته لذلك فقلت : قد أجزته فى جميع مروياتى عن مشايخى ، وأوصيه بتقوى الله والوقوف على حدود شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يتحرى فى القول والعمل وأن لا ينسانى من صالح دعواته .. حرر ذلك فى سنة ألف ومايتين وثلاث وثمانين فى شهر جمادى الآخرة ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . الفقير إلى الله تعالى : على ابن احمد الرهينى خادم العلم بالحرم الشريف

إجازات علمية أخرى :

ومن هذه الإجازات مجموعات خطية وقعت لى ، ومن إجازاتها :

١ - بسم الله الرحمن الرحيم لك الحمد على مرسل آلائك ومرفوعها ، ولك الشكر على مسلسل نعمائك وموضوعها بحسن الانشاء وصحيح الخبر ، يامن تجيز من استجارك وافر الهبات ، فيغدو موقوفا على مطالعة الاثر ، ما بين مؤلف الفضل ومتفقه ،

وختلف العدل ومفترقه ، جيد الفطر سليم الفطر ، يحتقن بمنهج قياسه شريف النواد ،
ويحتقن بمنهج اقتباسه ثمار السداد ، ويحلى نفيس النفوس بعقود العقائد الضرر ،
فان صادقه مديد الامداد ، وصادقه مزيد الانجاد ، وصفا مشربه الهني ولا كدر ،
ووجد درر الجواهر ويانعمت الوفادة ، بادر عند ذلك بالاستفادة والافادة ، ولا أشتر
ولا بطر ، فبذل المعروف وبذل المنكر ، إذ ليس عنده الاصحاح الجوهر ، ما اعتنى
وما اقتنى غيرها عند ما عثر ، لا يزور ولا يدلس ولا يطهر ولا يكلس ولا يعانى
الشهر ، فيامن منى على هذا المنقطع الغريب ، ومنحه منحة المتصل القريب ، امنحنى
السلام فى داره ونحنى من سقر ، ومنك موصول صلات صلواتك لا مقطوعها .
وسلسل سلسيل تسليماتك ومجموعها ، على سندننا وسيدنا محمد سيد نوع البشر ، وعلى
آله واصحابه ، وحملة شريعته واحبابه ، ومن اقتنى أثرهم وعلى جهاده صبر... أما بعد :
فلما كان الاسناد مزية عالية ، وخصوصية لهذه الأمة غالية ، دون الامم الخالية ،
اعتنى بطلبه الأئمة النبلاء أصحاب النظر ، إذ الدعى غير المنسوب ، والقصى غير
المحسوب ، وسليم البصيرة غير أعشى الفكر . . ولما كان منهم الامام الفاضل ، والهام
الكامل ، والجيهنذى الابر ، اللوذعى الاديب ، والالمعى الاريب ، ثاقب الفكر ،
صاحب النظر ، ولدنا السيد محمد الهجرسى الحفناوى ، نجل المرحوم العلامة السيد
خليل الهجرسى ، زين الدين الشافعى الشرقاوى ، أسكنه الله الفردوس وجننه سقر ،
وظهرت لى نجابته أذنته بالتدريس . وأن يتخذ العلم خير جليس ، فشمع عن ساعده ،
وظهر ومهر ، وطلب منى إجازة ليتصل بسند سادى سنده ولا ينفصل عن مددهم مدده ،
وينتظم فى سلك قد فاق غيره وبهر . فأتجبت وإن لم أكن لذلك أهلا ، رجاء أن
ينشر العلم وأنال من الله فضلا ، وأنجو فى القيامة بما للكاتمين من الضرر ، فقلت :
أجزت المولى اليه بما تجوز لى روايته ، أو تصح عنى درايته . من كل حديث وأثر ،
ومن فروع وأصول ، ومنقول ومعقول ، وفنون اللطائف والعبر ، كما أخذته عن
الأفاضل السادة ، الاكابر القادة ، مسددى العزائم ، فى استخراج الدرر ، منهم
أستاذنا العلامة ، ولى الله المقرب ، وملاذنا الفهامة الكبير نعيمب ، بواه الله أسنى
مقر ، عن شيخه الشيخ احمد المولى ، ذى التأليف المفيدة ، وهن شيخه أحمد الجوهري
الخالدى صاحب التصانيف الفريدة ، عن شيخهما تاجد الله بن سالم صاحب الثبت
الذى اشتهر . ومنهم شيخنا محمد بن محمود الجزائرى ، عن شيخه على بن عبد القادر
الامين ، عن شيخه احمد الجوهري المذكور المصون بالعرفان والتسكين ، عن شيخه

عبد الله بن سالم ، ومنهم الشيخ محمد صالح البخاري عن شيخه رفيع الدين القندهاوي ، عن الشريف الإدريسي عن عبد الله بن سالم راوي أحاديث الأبر ، ومنهم سيدي محمد الأمير عن والده الشيخ الكبير ، عن أشياخه الذي حوى ذكرهم نبتة الشبير ، ومنهم غير هؤلاء رحم الله الجميع ولي وللهجاء ولهم أكرم وغفر ، هؤلاء وغيرهم يروون عن جم غفير ، وجمع كثير ، كالشيخ الحفي ، والشيخ علي الصعدي ، وغيرهما ، فسانيدهم مسانيد ، فما أكرمها من نسبة وأبر ، وقد سمع مني المجاز المذكور كتباً عديدة معتبرة مفيدة ، وفقه الله لمحاسن ما به أمر ، آمين بحاء طه الأمين .

٢ - وكتب تحت هذه الأجازة مايلي ، وهي صورة لإجازة أخرى بإمضاء الشيخ محمد خليل المجرسي :

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين من كل شيطان رجيم ، وأفضل الصلاة والتسليم على سيدنا وسندنا ومولانا محمد الرؤوف وعلى آله أولى الفضل والهداية الحائزين نصب السبق في مضمار الدراية والرواية ، وبعد فاقول وأنا الحقير المقر بالتقصير محمد خليل الحفناوي المجرسي قد أجزت بما في هذه الاجازات الكامل الفاضل الشيخ إبراهيم كراوية الدمياطي ، وأنا أوصيه بالتقوى ولا ينساني من صالح دعواته فإنها السبب الأقوى في خلواته وجلواته .
وذيلت بتاريخ عام ١٣١٠ هـ .

٣ - صورة لإجازة أخرى صادرة من الشيخ شمس الدين الانبائي :
بسم الله الرحمن الرحيم : نجوز بإجازتك يا الله على صراط الحمد ، فنفوز بهدايتك يا وهاب على بساط المجد ، ونزيد شكراً فنزيد أجراً ، ونصلي ونسلم على السيد السند الأعظم ، لكل ذي هداية ممن تأخر من العلماء أو من الأنبياء تقدم ، لإنسان عين حقيقة التوحيد وترجمان لسان القرآن المجيد ، مفتاح الرحمة ، كشاف الغمة ، صاحب الشانل الحسنة . ومصدر مناهل السنة ، أصل منبع أصول الحكم ، وعين جميع جوامع الأمم ، فقه أمته ، فأظربت ملته ، فلم تمنع نحوها في تسهيل تفهيم المسائل المهمة أمة ، ولم تقتصر في تصرفاتها في العبادات الجميلة الجملة ، لها في تهذيب الطلاب غاية لطافة ، وفي الحث على الأدب يحسن الأدب في آداب البحث ، فيبلغ الطالب في أسرع مدة من الفنون بلاغة وتسر سريره بسرور أسرار البلاغة ، وغايته أنها رزقت السعد في علومها
(٥ - الازهر - ثاني)

وحسن المنطق في نظام كلامها ، لاستنادها في كل أفهامها على أعلى سند وأقوى أساس ، فكانت بذلك كما في التنزيل خير أمة أخرجت للناس ، ثم فصلى وأسلم بعد ذلك على أصحابه الذين سلكوا بنوره أقوم المسالك ، وأهل بيته الطاهرين ومن تبعهم من الأولين والآخرين .. أما بعد : فلما كان الاسناد من المزايا العالمة إذ فيه حفظ نسب الأرواح ، المقدم بأشرف على نسب الأشباح ، وكانت عناية الأمام قديما وحديثا بالأنساب ، فأولى وأعلى عناية به أسانيد العلماء للطلاب ، وكان الدعوى غير المنسوب والمنسوب مطلقا محسوب ، اشتدت عنايته العلماء الجهابذة ، وفضلاء هذه الأمة الأساتذة قديما وحديثا سواء كان العلم صناعة أو حديثا بأخذ الأسانيد مسلسلة ، وإجازة الآخذين عنهم بعلوم مفصلة ، وما عني بهذا الأمر أشد عناية إلا من صدق وصدق فصادفته العناية ، فاستجازوا التمس الانجاز لحفظ نسبه العلمي ، المقدم على نسبه الجسمي ، فابتدر شيخه لإجابته ، إذ لا تحت منه أمارات نجاحته ، وأجازه بما أجزى ، وأصبح بعز الافادة أعز عزيز ... ومن اعتنى بعدما اقتنى وقطع المفازة ، فطلب الاجازة ، ولدنا التنبيه النبيل والعالم النجيب الجليل ، الفاضل المحقق التحرير ، البارع في الالتقاء والتحرير من صدق في نجاحته اختياري وتفرسي ، الحسيب النسيب السيد محمد الهجرسي بن شمس الصلاح ، وكوكب سعد الفلاح ، قائد زمام الحقيقة ، وشائد بناء الطريقة ، كاشف الغمة عن الطلبة والمرادين ، العالم العلامة المرحوم السيد خليل الهجرسي زين الدين بعد أن لازمى مدة مديدة وأخذ عني فنونا عديدة ، فلما لاح لي كوكب صلاحه ، وفاح لي نشر مسك فلاحه ، حيث أقرأ بالجامع الأزهر مهرة الطلاب وأفادوا أجاد ، وكشف عن مخدرات التحقيق النقاب ، وأخذ من الفنون بأقوى طرف ، وزاد في الاقتداء في أخذ الاسانيد بمن سلف ، فبادرت لطلبه بإعطائه بلوغ أربه ، فلم أثن عنه عنان العناية ، بل أجزته بما يجوز لي رواية ، ويصح عني دراية ، من فروع وأصول ، ومنقول ومعقول ، وأذنته بالتدريس ، وأن يتخذ العلم خير جليس ، ليكون في إفادته العلوم لطالبيها على أحسن سنن ، وينتظم بصحيح مرسل درايته في عقد مسلسل الفضلاء بانتظام حسن ، فلا يعضل في مقام ، ولا يوضع له مقام ، وليكون أيضا بذلك السند في العلم والشرف ذا غزارة وغرارة ، لأن إجازتي هذه جازت من علو السند أجزل لأجزاء وإجازة لإذهي إجازة مشايخي الأعلام ، أكابر الشيوخ ومشايخ الاسلام ، كشيخي وملاذني وقودوني وأستاذي ، البحر الزاخر ، ذي القدر الفاخر ، العلم الفرد ، والوہل لا الرد ، بحر التحقيق ، حبر التدقيق ، مولى الفوارق ، من ضربت به الامثال

السائرة ، في نشر تأليفه الزاهية الباهرة ، عليه سار فهو الشمس والدنيا فلك المورف العذب ، والمصدر الرحب ، مسد دغلطات الاوهام ، مشيد غرفات الافهام من لا يدرك شأوه ، إذا جورى شيخ الاسلام أستاذى الشيخ الباجورى قدس الله سره ، وعظم فيه أجرنا وأجره ، فإنه أجازنى بما تجوز له روايته ، وأذن لى فيما تصح عنه درايته من فروع وأصول ، ومنقول ومعقول ، بل أجاز لإجازة عامه أهل العصر ، وذلك كان فى درسه الحافل بعد العصر ، وهو مجاز من شيخه الامامين ، وأستاذيه الشهيدين ، الهمامين ، أحدهما واحد العصر وعلامة الانام ، من أصبح كل لسان من كل إنسان عليه مثنيا ، الأستاذ الملاذشيخ الاسلام السيد حسن القويسنى ، فإنه أجاز به حواه ثبت شيخ مشايخ الاسلام ، والقدم الراسخ فى مقام العرفان لأهل الاقدام ، البحر العذب الراوى ، الأستاذ الشيخ عبدالله الشبراوى ، وبجميع مروياته ، ضاعف الله فى حسناته .. كما أجاز الفيد المذكور بذلك شيخه الهمام الخبر الشرعى ، الأستاذ أبوهريرة داود بن الأستاذ محمد القلمى ، فكتب الشيخ أبوهريرة المذكور على ثبت العلامة ، المتقدم ذكره المشهور .

٤ - وبعد ذلك ما يلى ، وهو مذيّل بتوقيع الفقير اليه تعالى محمد الانبأى خادم العلم بالأزهر :

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقى ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد : فقد أخذت العلم عن رجال صالحين ، منهم الشيخ أحمد السحيمى بن محمد شارح عبدالسلام فقد أجازنى بضمن ما فى هذا الثبوت الذى أجاز به شيخه الشيخ عبدالله الشبراوى صاحب هذا الثبوت ، ومنهم الشيخ أحمد الملوى فقد أجازنى بجميع مروياته ، ومنهم الشيخ أحمد الدمهورى أجازنى بما فى ثبته ، وكتب عليه أنه أجازنى بما فى ضمنه ، ومنهم الشيخ محمد الحفنى حضرت عليه سنين كثيرة ، ومنهم الشيخ أحمد البجيرمى ، والشيخ عيسى البزاوى ، والشيخ حسن المدافى ، والشيخ محمد المصيلحى . والشيخ عبدالله الشبراوى ، والشيخ عطية الاجمورى ، والشيخ أحمد القوصى ، والشيخ عمر الطحلاوى ، وغيرهم ممن يطول ذكره ، وقد أجزت بذلك السيد حسن العلوى ، ابن السيد درويش ، ابن السيد عبدالله القويسنى ، وبجميع مروياتى ، راجيا من الله أن لا ينسانى من صالح دعواته ... كتبه داود القلمى ، وصلى الله على سيدنا محمد كلما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون ... وثانیهما الفرد الذى ليس له ثان ، ولا لعنان عنايته فى ميدان أهل العرفان ثان ، فانه جواد العلم السابق الاصرم ، بل

بجرحه الزاخر الدافق الخضم ، أستاذ الأساتذة ومولى الموالى ، شيخ مشايخ الاسلام .
 الفاضل الفضالى المجاز من العلامة الامير الكبير ، بما حواه ثبته الشهير ، ومن غيره
 من الاعلام ، والأساتذة الجهابذة الكرام ، وكشيخى الامام علامة الانام من سارت
 بفضائله سائر الركبان ، وشوهدت طوابع تحقيقاته من مطالع عيساراته ، فهو
 أبو السعود . لهذا الوجود ، وكشاف لثام الافهام ولاخر ، ومفتاح ارواح استرواح
 عبير العرفان ولاشر ، ذى المقاصد الحسنة القوية الصادقة فى كشف مواقف العقول
 الزكية الفائقة .

فإن يفق الانام وكان منهم فإن المسك بعض دم الغزال

فهو للقطر القطب الذى عليه المعول ، وكل مادم فيه مقصور ولو كان مدحه مطولا ،
 لازال فى معراج المعارف يرتقى ، أستاذى وشيخى العلامة السقا ، أدام الله لنا وجوده ،
 ووقاه مايكره ووفاه سعوده ، فإنه أعزه الله العزيز الحكيم أعزنى ، وبما حواه ثبت
 العلامة الامير الكبير أجازنى ، وقد أجاز به العلامة الامير الصغير ، عن والده
 الاستاذ الامير الكبير ، عن أشياخه الافاضل ، والعلماء الاوائل الامائل ، وبما
 حواه ثبت العالمين ، والهامين ، الامامين ، العالمين ، صاحبي الفضل العبقري ، الشهاب
 أحمد المولى ، والشهاب أحمد الجوهري ، وبجميع المرويات لهما من المعقول والمنقول ،
 كتوحيد وتفسير وحديث وفقه ونحو ، وأصول كجواهر مجاز بذلك عن شيخه العلامة ،
 والخبر الفهامة ، غاية كل مأرب ، ونهاية كل طالب ، الاستاذ الاعظم ، والملاذ المكرم
 الشيخ ثعيلب . عنهما وعن شيوخهما الفضلاء ، الائمة الفحول ، المعول عليهم فى الفروع
 والاصول ، وبالسكتب المأخوذة منها الاحاديث المشمولة لرسالة الفاضل عبد الله بن
 سالم البصرى ، المشهورة برسالة الاوائل ، كما أجاز به بذلك شيخه محمد بن محمود محمد
 ابن حسين الجزائرى ، من أكارب الحنفية عن شيخه الشيخ عبد القادر الامين مفتى
 المالكية ، بالجزائر المحمية ، عن شيخه الجوهري الشافعى ، أستاذ أولى اليقين ، عن
 الشيخ عبد الله بن سالم ، ملاذ ذوى التمكن ، وكما أجاز به بذلك أيضا شيخه شيخ
 الاسلام ، وملاجا الانام السيد حسن القويسنى بن السيد درويش مطاوع ، عن شيخه
 الشيخ سليمان البجيرمى ، عن شيخه الشيخ محمد العشماوى ، ذى النور الالامع ، عن شيخه
 الشيخ أبى العز العجمى ، الشهير عن شيخه الشيخ محمد الشرنوبى ، ذى العلم الغزير ،
 عن شيخه شمس الملة والدين ، محمد الرملى سيد العارفين ، عن شيخه شيخ الاسلام ،
 ذكرى الانصارى الهام ، عن شيخه الحافظ أحمد بن حجر العسقلانى ، وأسائده

في أوائل الفتح ليس لها ثان ، وكما أجازته بذلك أيضا شيخه السيد حسن القويسني المتقدم أولا ، عن شيخه السيد داود القلعي إمام الملا ، وسنده يأتي مفصلا ، وكما أجازته بذلك أيضا شيخه العلامة ثعلب المار ، عن شيخه العلامة الجوهري ، ذي الفخار ، عن شيخه العلامة عبدالله بن سالم الفهامة ، وكذا أجازني بما أجاز به مشايخه من منقول ومعقول ، كشيخه الناظم بتحقيقه عقود اللآلئ ، الاستاذ الملاذ ذو الافضال الفضالي ، وكشيخه ذي التجلي الحسني ، الاستاذ شيخ الاسلام القويسني وكشيخه الشيخ محمد بن محمود الجزائري الحنفي ، صاحب الثبت المستوفي ، وكشيخه الشيخ محمد صالح البخاري ، عن شيخه رفيع الدين القندهاري ، عن الشريف الادريسي ، الامام العالم ، عن أستاذ الاساتذة ، الاستاذ عبدالله بن سالم ، ثم وقد من الله علينا الكريم الباري بالاجتماع بالشيخ محمد بن صالح البخاري وذلك في منصرفه إلى الحج الشريف وأخذنا عنه بلا واسطة ، ومن جملة ما أخذنا عنه حديث الاولية المتيف ، فالحمد لله على ما أولاه ، وكشيخه الهمام الآخذ بزمام العلم وأى زمام ، مركز دائرة العرفان . والمعنى بنادرة هذا الزمان صاحب العلوم الدنية ، صافي الطوية صادق النية ، علم العلم الكسبي واسان قلم اللوح الوهي غاية مطلبي ومنتهى أربي سيدي وسندي السيد مصطفى الذهبي ، فقد أجازني بالكتب التي أخذت منها الأحاديث المشمولة لرسالة عبدالله بن سالم الذي صارت مسانيد المتقدمة بها موصولة وذلك عن شيخه شيخ الاسلام القويسني عن شيخه السيد داود القلعي عن الشيخ أحمد جمعة البجيرمي عن شيخه الشيخ الاسكندراني عن شيخه عبدالله بن سالم المذكور عن أشياءه الموضحة المسطرة بثبته المعروف المشهور وبجميع المرويات جزاه الله عن أحسن الجزاء ، وكشيخه القطب العارف بر العوارف وبحر المعارف التقي النقي والولي الجلي صاحب الصفا والوفا قطب الأزهر الأستاذ الشيخ المبلط مصطفى فقد أجازني وأعطاني أميني وأمانتي بإجازة ماحواه ثبت علامة الزمان وقطب أهل العرفان الأستاذ الشنواني عن أشياءه الموضحة بثبته وبجميع مروياته ، أمدنا الله بمدده وأسكنه في أعلى غرفاته ، وكشيخه شيخ الاسلام وزهرة الأزهر وبهجة الأنام ، ذي القدر الجليل الأوحد ، والنسب الشهير الأجد . كما قال فيه بعض واصفيه :

نسب وايم الله لم يسبق ولم يلحق ولم يرق إلى إنسان
كيف وهو شيخ الاسلام ابن شيخ الاسلام سلسلة علماء أفاضل جهابذة أعلام ،
من أشرقت من تحقیقاته شموسي ، الأستاذ الاجل مصطفى العروسي ، فقد أجازني

بالكتب التي أخذت منها الأحاديث المشمولة لرسالة عبدالله بن سالم البصري وغيرها ، وهو مجاز في ذلك عن شيخه شيخ الاسلام القويسني عن شيخه السيد داود القلمي . بسنده السابق نفخنا الله تعالى بهم ويسر بهمهم أمرى ... هذا وأوصيك بالتقوى فإنها السبب الاقوى ، وأن لا تنساني من دعواتك وحسن توجيهاك أيديك الله بالرشاد وأفاض عليك غيوث الامداد ، وحفظك من الزلل ووفقك لخير العمل . اللهم أحسن عاقبتنا في الامور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ، وأفضل الصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي الرسل ختام ، وآله الكرام ، وأصحابه الاعلام آمين وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

• - ويلى ذلك مانصه :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله ، الحمد لله حمدا يليق بجلاله وصلى الله على سيدنا محمد وآله . يقول الفقير محمد بن محمود بن محمد بن حسين الجزائري الحنفي غفر الله ذنوبه وأناله مطلوبه : إنه قد وقعت لي رواية صحيح البخارى وبقية الكتب الستة من طرق عديدة ، أشهرها طريق الامام الحافظ شيخ الاسلام أحمد بن على بن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى ورضي عنه ، فأرويه اليه من طريق سماعي ، وقرأتني على والدي أبي الثناء محمود بن محمد ، وقد توفي رحمه الله سنة ست وثلاثين ومائتين وألف في منصرفه من الحج ، ودفن بساحل سويس وهو بسماعه ، وقرأته على والده عبد الله محمد بن حسين قاضي الجزائر المتوفى سنة ثلاث ومائتين وألف ، وقد سمعت أنا على جدي رحمه الله قطعة من كتاب فضائل القرآن من صحيح البخارى ، ووقعت منه إجازة تعمه وبقية الستة وهو كذلك عن عمه ابن أم أبيه الشيخ مصطفى بن رمضان القباني الحنفي المتوفى سنة ثلاثين ومائة وألف وهو كذلك عن شيخه أبي عبد الله محمد بن شقرون المقرئ التلمساني المتوفى سنة تسع وثمانين وألف ، وهو عن شيخه أبي على الحسن الاجهوري المالكي ، وأرويه سماعا لبعضه وإجازة تعمه وبقية الستة وسائر مرويات الحافظ العسقلاني عن شيخني أبي الحسن على بن عبد القادر ابن الامين مفتي المالكية بالجزائر المحمية المتوفى سنة ست وثلاثين ومائتين وألف عن نحو من ثمانين سنة ، عن شيخه أبي العباس أحمد الجوهري الشافعي عن شيخه الاستاذ أبي العباس أحمد بن البنا عن الشيخ على الاجهوري وهو عن مشايخه الثلاثة : شيخ الاسلام محمد الرملي الشافعي والشيخ المعمر عمر بن الجاي الحنفي والشيخ بدر الدين الكرخي ثلاثهن عن شيخ الاسلام زكريا الانصاري ؛ ويرويه

شيخنا ابن الامين عن شيخه أبى الحسن على بن العربى السقاط المغربى عن شيخه محمد بن عبد الرحمن القاسى صاحب المنح البادية فى الاسانيد العالية ، عن شيخه محمد بن عبد الكريم الجزائرى ، عن الشيخ المعمر مائة وثلاثين سنة عبد الرحمن البهوتى الحنبلى عن الشيخ زكريا الانصارى المذكور وهو عن الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى وهو عن شيخه ابراهيم بن أحمد التنوخى ، وهو عن شيخه أحمد بن أبى طالب الحجار عن شيخه الحسين بن أبى بكر الزيدى عن أبى الوقت عبد الاول بن شعيب السنجرى عن عبد الرحمن بن محمد الداودى ، عن عبد الله بن أحمد المرخسى عن محمد بن يوسف انفريرى عن الامام الجليل أبى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى ، وأرويه بأعلى سند يوجد فى الدنيا عن شيخى أبى الحسن على بن عبد القادر عن شيخه أحمد الجوهري عن شيخه أحمد بن البنا عن شيخه أحمد بن محمد العجل النينى عن يحيى بن مكرم الطبرى ، قال: أخبرنا البرهان ابراهيم بن محمد بن صدقة الدمشقى وغيره بروايتهم عن الشيخ عبد الرحمن ابن عبد الاول الفرغانى وكان عمره مائة وأربعين سنة وأجازهم سنة عشرين وسبع مائة وقد قر البخارى جميعه على ابن عبد الرحمن محمد بن شاذنخت الفرغانى بسماعه لجميعه على الشيخ أبى لقمان يحيى بن عمار بن مكيل بن شاهان الختلانى وكان عمره مائة وثلاثة وأربعين سنة ، وقد سمع جميعه على بن عبد الله محمد بن يوسف الفريرى وقد توفى سنة عشرين وثلاثمائة عن الامام الحافظ أبى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى بهذا الاسناد عشرة رجال فتقع لى ثلاثياته باربعة عشر ولله الحمد والمثنه وقد أجاز شيخنا أبو الحصن كل من أدرك حياته ويبنى وبين الحافظ العسقلانى من طريق البهوتى خمسة رجال ويبنى وبين الامام البخارى من طريقه أربعة عشر رجلا ويروى زكريا عن الأستاذ ابن الجزرى عن الصيرفى عن ابن الليثى عن أبى الوقت فبين وبين الامام البخارى بهذا الطريق ثلاثة عشر رجلا ، ويروى أبو الحسن الأجهورى عالياً عن قريش العثمانى عن ابن الجزرى فيقع لى من طريقه أيضا بثلاثة عشر ولله الحمد والمثنه وهذه السابقة أروى جميع مؤلفات الحافظ العسقلانى وسائر مروياته التى تضمنها معجمه وبها إلى الشيخ زكريا أروى جميع كتبه ومروياته وأروى كتب الامام الحافظ السيوطى من طريق الأجهورى عن مشايخه الثلاثة المذكورين عن الحافظ السيوطى وأروى الأربعين النووية بالاسناد إلى الشيخ زكريا الأنصارى قال قرأتها على أبى إسحاق الشروطى ، قال أخبرنا بها أبو عبد الله محمد بن أحمد بن على الرفا ، قال أخبرنا العالم أبو الربيع سليمان بن سالم الغزى ، قال أخبرنا أبو الحسن على ابن ابراهيم

ابن داود بن العطار، قال: أخبرنا مؤلفها الامام يحيى الدين يحيى بن شرف النووي فذكرها
وأروى فقه أوى حنيفة رحمه الله تعالى ورضى عنه وعن والدي عن شيخه أبي الحسن
على بن إمام القصبة الجزائري عن الشيخ سليمان المنصوري عن الشيخ عبد الحى عن
الشيخ حسن الشد نبلاى عن الشيخ على المقدسى عن الشيخ أحمد بن يونس الحلبي عن
الشيخ عبد الله بن الشحنة عن الشيخ كمال الدين بن الهمام عن الشيخ عمر قارىء الهداية
عن شيخه أكمل الدين صاحب العناية، عن قوام الدين السكاكى، عن حسام الدين
السفناقى صاحب النهاية، عن حافظ الدين الكبير عن شمس الأئمة محمد بن عبد الستار
السكردى، عن صاحب الهداية عن نجم الدين عمر النسفى عن أبي اليسر البزدوى عن
إسماعيل بن عبد الصادق عن عبد الكريم البزدوى عن الامام أبي منصور الماتورى
عن أبي بكر الجوزجاني عن أبي سليمان الجوزجاني عن محمد بن الحسن الشيباني عن
أبي حنيفة النعمان بن ثابت، وهو تفقه على شيخه حماد أبي سليمان وهو على إبراهيم
النخعي وهو على علقمة والأسود وشرح، وهؤلاء أخذوا عن عمر وعلى وابن مسعود
رضى الله عنهم، وهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم... وقرأت على والدي رحمه الله
سورة الفاتحة وهو سميع بالاستعاذة والبسملة والوقف على الرحيم والرحيم إلى آخر
ما يذكر من وقوفها بقرآته لها كذلك على والده محمد بن حسين، كذلك على عمه الشيخ
مصطفى بن رمضان بقرآته لها كذلك على شيخه أبي عبد الله محمد بن شقرون بقرآته
لها كذلك على أبي عبد الله محمد الديجوني بقرآته لها كذلك على أبي عبد الله محمد
الجزري، وينتهي سنده إلى أن قرأها على سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم،
وكان يمد قرآته مسدا ويقف على قوله الرحيم والرحيم والعالمين والرحيم والدين
ونستعين وعليهم الأول والضاين... وصاحبت شيخنا الشيخ على بن الأمين
رحمه الله وهو صاحب أبا عبد الله محمد التاودي بن سودة وهو صاحب أبا العباس
أحمد بن المبارك، وهو صاحب الشيخ عبد العزيز الدباغ وهو صاحب أبا العباس
الخضر وهو صاحب النبي صلى الله عليه وسلم، وروى المسلسل عن شيخنا على
ابن الأمين عن شيخه الحفنى، عن شيخه البديرى بسنده، وقد قرأ على الشيخ الامام
الفاضل أبو الحسن إبراهيم بن على بن حسن المعروف بالسقا حفظه الله جل صحيح
البخارى إلى باب الاختباء من كتاب اللباس وسمع ذلك الشيخ الامام أبو العباس
أحمد بن يوسف القنياني إمام الجامع الأزهر حفظه الله بمنه والشيخ الامام أبو عبد الله

محمد بن محمد مطر العفيفي الشافعي حفظه الله بمنه والشيخ الامام أبو زيد عبد الرحمن ابن عثمان الدمياطي الغمراوي الشافعي حفظه الله بمنه والشيخ الامام أبو الحسن إبراهيم بن حسن الأشعري الشافعي حفظه الله .. وأجزتهم بباقيهم وبجميع مروياتي التي تضمنها هذا الثبت وغيره ، وأوصيهم ونفسي بتقوى الله في السر والعلن والاخلاص له فيما ظهر وبطن ونسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لما يحببه ويرضاه بمنه وكرمه ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله ، الفقير إليه سبحانه محمد بن محمود بن محمد بن حسين الجزائري الحنفى المشهور ببلده بابن العناني لطف الله به وتجاوز عنه بمنه .

٦ - صورة إجازة أخرى من الشيخ عبد الهادي نجا اليباري .

بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله الذي فض لمن فضل ختام الفضائل والفواضل وجم لمن جمل بالمعارف أنواء أنواع المآثر التي تتناول بها أعناق الجحافل في المحافل وأجاز بأحسن الجوائز كل من جاز على الحقيقة بحاز الرشاد والارشاد ، وجازى بمخارف الجنة وزخارفها كل من شمر عن ساعد الجد والاجتهاد .. والصلاة والسلام على من خفت أعلام علومه في الخافقين ، وشرقت يوح حامده في آفاق الكونين فبرقت منها أسارير أوجه الثقلين سيدنا محمد المخصوص بجوامع الكلم والقول الفصل الذي إليه ينتمى إيراد كل فضل ، وينتهى إسناد كل فضل ، وعلى آله نجوم الهدى وصحبه الذين فاز من بهديهم اقتدى ، وبعد : فلما كان مقام العلم رفعا ، ومكانه مكيئا وحسنه منيئا ، ورياض غياض فضله زاهية زاهرة ، توشيجا وتوشيعا . تطلع من أفقه نجوم السعادة ، وتنبع في رياه حداثق السيادة . ثمر أدواح فنونه قطوف المنى وتسفر عن وجوه عز في الدنيا والآخرة ، باهرة السناء والسنا ، دأب في جوز عراطه المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، وحوز مناظله الكريم ، مناط من مدت العلياء أيديها إليهم الحسنة التي أحسن بها الزمان المسىء ، ولدنا اللوذعي الأريب والألمعي الأديب السيد محمد الهجرسي نفض جناح الذل منه لتحصيل حاصله ، ورفع جناح الفتور عن همته فيه لنيل فيوض فضائله ، حتى جنى من روضه الأزهر الأزهرى وبني من قواعده المثينة صرحا مردا من محاسنه الميئنة لا يدركها مدى الأزمان خلل ، ولا يعترى ، وتحمل بلباس الفضل المبين ، وتصدر حتى تصدى للتدريس وتصدر فأقرت تقاريره السهلة الممتعة في المقامات الصعبة بتفوقه على أقرانه ، وأقرت معاهد تنصيص الدقائق أقدامه ، في مزلق الأقدام وشواهد ثبات جنانه ، وتطلعت نفسه النفيسة إلى مطابع طالع عوالى الاسناد ، إذ كانت من أجل مطابخ أنظار الأجناد ، ومسارح أفكار

الاسياد ، فأومأ لطلب الاجازة من الفقير بطرف أدب ناعس الجفون ، يقول لكل عاشق من أهل الاجازة : كن مجيها فيسكون ، فما وسعني إلا المبادرة بالاجابة وإن كنت لست بهذه المثابة من تلك العصاة ، فقلت : أجزتك بما تجوز لي روايته ، وتجوز في مناهج الاحسان درايته ، من منقول الفنون ومعقولاتها ، وبحلول العلوم ومعقولاتها ، مما تلقينته عن مشيختي الذين كانت تشرق الدنيا بهجتهم ، وتشرق سماء الفضل بنضرة وجهه حضرتهم ، كحضرة باب فتوحى ، ومربى جسمى وروحى ، من فتح للعلم والعمل بابا مرتجا ، سيدى وأستاذى الوالد السيد رضوان نجما عن مشايخه أعلام الامة ، وبدور الدياجى المدلومة ، كالعلامة الجوهري صاحب النهج وغيره والعلامة الصبان والامير الكبير ، وثبتهم شهرته مغنية عن ذكره وكشيتخنا شيخ الاسلام العلامة القويسنى والضياء الباجورى وثبتهما أشهر من علم ، والفقهاء المحدث الشيخ محمد محمود الجزائرى وسنده أعلا سند فى عصرنا يكون لشهم المحدثين ارفع شهم ، موصيا لحضرته البهية ، بملازمة السنة السننية ، والتثبت فى معارك مدارك العلوم بأحسن روية ، ليروى ظمأ القلوب حين يروى ويسند ، ويروى إليه من الثناء الحسن حين يهدى ويرشد ، ويتداركنى بدعائه المقبول كلما خطرت بساحات فسكره ، وفقنا الله وإياه لما فيه رضاه وأوزعنا القيام بشكره ، ماهبت الصبا .

٧ - صورة إجازة أخرى :

بسم الله الرحمن الرحيم : يا من يقف المتروك ببابه فيصيره مرفوعا مقبولا ، وينقطع الضعيف لعزى جنابه فيجعل له صحيحا موصولا ، أفض متصلات صلواتك ، ومسلسلات تحياتك ، على الحبيب المرسل ، بإقامة معروف الفضائل ومشروعها وإزالة منكر الرذائل وموضوعها ، وعلى آله وصحبه والتابعين لآثار سننه ، وخلفائه من بعده ، الرافعين لأعلام سننه مارتعنت ظمأ القلوب فى رياض أحداثته الخصيصة وهب نسيم القبول على فاشرى برود أخباره بسوح حضرته الرحيمية .. أما بعد : فلما كان الاسناد أجل مزية تتطاول بها أعناق البزل وأجمل زينة تتحلل بها أجياد الكمل كيف لا وهو الخصيصة المعدودة لهذه الامة من أشرف المزايا ، والمنقبة التى ضربت فى تحصيلها أكباد المطايا والفخار الذى شغف به أعيان السادات والتجارة التى لا تبور فى أسواق الخيرات ، وكان الحائز من طارف الراوية وتلاذدها أعظم الدخائر ، المالك لآزمة التحقيق والدراية كبرا عن كابر ، قد بلغ من اهتمامه بأمر الدين ، واتباعه

سبيل الأئمة المهتدين ، إنه لم يدع طريقة من فوائد الرواية إلا سلكها ، ولا ثمينة من فرائد الدراية إلا ملكها :

في المهد ينطق عن سعادة ذاته أثر النجابة ساطع البرهان
إن الهلال إذا رأيت نموه أيقنت بدرا منه في اللعان

الجامع بين شرف الذات ونسب الوالد الطالع من مطلع غرته نور طريف المجد
والتالد ، ولدنا الاجل السيد محمد الهجرسي الحفناوي ، سلالة من حاز منقبة النسبتين
الروحية والجسمية ، وقاز بمزية البنوتين المعنوية والحسية ، المرحوم مولانا السيد
خليل الهجرسي الشرقاوي نور الله ضريحه المقدس وأسكنه الفردوس الاقدس
وكان الموى إليه من كثرة كماله ، شاهد شاهدا في سنى أحواله ، فظن أن عندي إسنادا
مفيدا (١) ، أولدى من عزيز المطالب ضالة ، وما درى أنى ماحل المحل من التروى
بمعينه ، عاقل الجيد من التحلى بشمينه ، لكن لما كانت رابطة المحبة تقتضى الامارة
وامثال الأمر بمجرد الاشارة لبنت سؤاله ، وامثلت أمره ومقاله ، فأقول قد أجزت
ولدنا السيد محمد الموى إليه بما سمعته منه من حديث المسلسل بالأولية وبجميع ما تجاوز
عنى روايته ، وتتقوى بسندى درايته من مقروء ومسموع مجاز ، وما بالمناولة له
في قوانين الرواية مساغ وجواز لإجازة تامة مطلقة عامة بالشرط المعتبر ، عند أهل
الأثر ، ولى بحمد الله تعالى في جميع العلوم أسانيد كثيرة وطرق واضحة شهيرة عن
مشايخ يستومض من جواهر عباراتهم لمعات من بروق الله نور السموات ، ويستفتح من
أزهار إشاراتهم نسمات إن لربكم في أيام دهركم نفحات ، الذين منهم الإمام المحقق ،
والهام الموفق ، المرحوم سيدى وأستاذى السيد الشيخ يوسف كساب الغزى مولدا
المدنى لإقامة ومدفنا عن مشايخه الذين منهم الشيخ محمد المرحوم الأمير الصغير ، عن

(١) قال الشيخ محمد الهجرسي يعلق على ذلك ما نصه : سبب ذلك أن جناب الاستاذ
الموى إليه أخبرنى أنه يروى صحيح البخارى بأعلا سند يوجد فى الدنيا فظننت بل
جزمت أنه ربما كان ذلك طريقا غير الطريق الذى أخذه أستاذنا الامام السقا فحئت
وقرأت عليه أول البخارى فى منزله هذا العام وأجازنى بياقيه وحرر لى هذه الاجازة
بناء على طلبى من جنابه مجرد سنده العالى الذى ادعى به فإذا بها مشتملة على هذا السند
وقد اشتمل على اثنى عشر أولا كسندى الذى أخذته فى الاول عن إمامى السقا وأنا
صغير وعلى أحد عشر ثانيا بعد التصحيح الآتى فسندى عن السيد إمام القصبى أعلا
سند كإسنيان لك بيايه تفصيلا عند ذكر السند .

والده المرحوم الشيخ محمد الأمير الكبير ، من ثبته بين العالمين شهير ، ومنهم المرحوم الشيخ محمد عlish المالكى الاشعرى الشاذلى المتصل سنده أيضا إلى الشيخ محمد الأمير صاحب الثبت العزيز ، ومن أشياخ المومى إليه الشيخ عوض الصعيدى السنباوى والشيخ حسن حميد الصعيدى العدوى والشيخ إبراهيم الصعيدى الملووى والشيخ فراج البحرى والشيخ عبد الجواد البحرى الشباسبى والشيخ يوسف الصاوى والشيخ محمد حبش البحرى والشيخ حسن الابطحى البحرى والشيخ محمد السباعى والشيخ أحمد السباعى والشيخ على المغربى الحلو والشيخ محمد الأمير وذكر فى سنده أن هؤلاء السادات كلهم تلاميذ الشيخ الأمير الكبير والشيخ مصطفى البولاتى (١) ، تغمدهم الله برحمته وأسكنهم بحوحة جنته ، وقد كان رحمه الله تعالى كتب لى هذا السند بعد قراءتى عليه بعض الأحاديث حين قدومه لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم وإقامته تلك المدة فى دارى .. ومن مشايخى الأستاذ الطود الأشم الكامل ، والجهنذ الالمعى الواصل سيدى الشيخ السيد محمد العطوشى الطرابلسى مولدا المدنى لإقامة ومدفنا تغمد الله الجميع بالرحمة والرضوان ، وأنالهم بجوار حبيبهم أعلا الجنان ، متسكنين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً ، يقال لهم إن هذا كان لكم جزاء . وكان سعيكم مشكوراً . هذا وللتبرك بذكر أعلا سند لى فى صحيح البخارى أقول أرويه عن شيخى محمد العطوشى المشار إليه عن شيخه محمد بن سنه عن أبى الوفا أحمد ابن محمد بن العجل عن قطب الدين محمد بن أحمد النهروانى عن والده عن الحافظ نور الدين أبى الفتوح أحمد بن عبد الله الطاوسى عن المعمر الملقب بابى يوسف الهروى عن محمد بن شاذبخت الفرغانى عن المعمر أبى لقمان يحيى بن عمار الختلاتى عن أبى عبد الله محمد بن يوسف الفريرى عن سيد حفاظ الإسلام محمد بن إسماعيل البخارى فيكون بينى وبين البخارى أحد عشر رجلاً لكن قد ذكر الشيخ عبد الخالق بن على الجرجانى

(١) قال الشيخ محمد الهجرسى تعليقا على ذلك : هذا العطف يوم بل يفهم أن الشيخ البولاتى من مشايخ العلامة الشيخ عlish الذى منهم العلامة الأمير الصغير ، الذى أعرفه من أستاذى الامام السقا بل أعلم أيضا من شيخى الشيخ عlish المومى إليه أن الشيخ البولاتى من مشايخ الشيخ المومى إليه فهو فى مرتبتهم ولربما كان الأمير الصغير مقدما عليه فيها كما هو عندنا فى الأزهر شهير ، فاعل فى هذا العطف تأخيرا من تقديم أو سهو وقع عند سماع ثبت المشايخ فظان السامع أن البولاتى فى درجة الأمير الكبير .

أنه صح أن الشيخ قطب الدين محمد النهر واني روى صحيح البخارى عن الحافظ نور الدين أبى الفتوح الطاوسى بلا واسطة والده وعليه فيكون بينى وبين البخارى عشرة رجال . قال أستاذى صاحب هذا السند : لأعلم فى الدنيا سنداً أعلأ من هذا السند ... هذا وإنى أوصى ولدنا السيد محمد المومى لإيمه بما أوصى به نفسى من مراقبة مولاه فى سره ونجواه ، والله أسأل أن يجعلنى وإياه وجميع إخواننا من العلماء العاملين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وجاء فى آخر هذه الاجازة ذكر تاريخها وهو السابع بعد العاشر من الواحد بعد العاشر من العاشر من الرابع بعد العاشر من هجرته صلى الله عليه وسلم .. وفى ذلك ما يفيد أن تاريخ كتابة هذه الاجازة هو ١٧ من ذى القعدة عام ١٣١٠ هـ .

الإجازات العلمية فى الأزهر الحديث

كانت شهادات الأزهر فى نظامه القديم قبل النظام الحديث هى :

- ١ - العالمية النظامية وكان ينالها من أتم دراسة القسم العالى وهى فى قيمتها العلمية والمادية كدبلوم مدرسة المعلمين العليا وليسانس الحقوق والآداب .
 - ٢ - شهادة التخصص القديم وكان يمنحها الأزهر بعد العالمية ، لمن قضى دراسة مهنية تربوية يعلم فيها طرائق التدريس وما يتصل بها ، مع ثقافة تكملية لتعويض ما كان فى المستوى العلمى من ضعف حينذاك . وقيمتها قيمة دبلوم معهد التربية للمعلمين .
- أما الشهادات التى تعطى للناجحين فى الامتحانات النهائية وفق النظام الحديث فهى :

- ١ - الشهادة الابتدائية - لمن أتموا دراسة القسم الابتدائى بأعوامه الأربع ، وتخول صاحبها الاندماج فى القسم الثانوى .
- ٢ - الشهادة الثانوية لمن أتموا دراسة السنة الخامسة من القسم الثانوى . وتخول صاحبها الاندماج فى السكليات ، ودار العلوم ، والتدريس فى مدارس التعليم الأولى .
- ٣ - الشهادة العالية لمن أتموا دراسة كلية من كليات القسم العالى ، والحائزون لها يكونون أهلاً للوظائف الكتابية بالجامع الأزهر ، والمعاهد الدينية ، والمحاكم الشرعية ، والمجالس الحسينية ، والأوقاف ، والتدريس فى المساجد ولوظائف الخطابة ، والإمامة والمأذونية .
- ٤ - شهادة العالمية لمن أتموا دراسة التخصص فى مهنة التدريس أو القضاء الشرعى

أو الوعظ والإرشاد .. والخائزون لها من قسم التخصص في مهنة التدريس يكونون أهلاً للتدريس في المعاهد الدينية وفي مدارس الحكومة . والخائزون لها من قسم التخصص في القضاء يكونون أهلاً للوظائف القضائية بالمحاكم الشرعية والإفتاء والمحاماة أمام المحاكم الشرعية والمجالس الحسينية . والخائزون لها من قسم التخصص في الوعظ والإرشاد يكونون أهلاً للوظائف الوعظ والإرشاد .

٥ - شهادة العالمية مع لقب أستاذ لمن تخصص في مادة من المواد ، والخائزون لها يكونون أهلاً للتدريس في الكليات وفي أقسام التخصص .

الكليات وما تمنحه من شهادات

١ - كلية الشريعة وتمنح الشهادات الآتية :

١ - شهادة الدراسة العالية ومدتها أربع سنوات . والمواد التي تدرس للحصول عليها :

التفسير ، الحديث متناوَرِجاً ومصطلحاً ، أصول الفقه ، الفقه مع حكمة التشريع ومقارنة المذاهب في المسائل الكلية ، تاريخ التشريع الإسلامي ، المنطق ، الفلسفة ، لغة أجنبية (الإنجليزية أو الفرنسية) وتدرس بصفة اختيارية .

٢ - شهادة العالمية مع إجازة القضاء . والمواد التي تدرس للحصول عليها بعد النجاح في الشهادة العالية :

قوانين ولوائح المحاكم الشرعية والأوقاف والمجالس الحسينية ، التوثيقات الشرعية ، إجراءات وتمريعات قضائية ودراسة القضايا ذات المبادئ السياسية الشرعية ، القانون الدولي الخاص ، تاريخ القضاء والقضاة في الإسلام ، النظام الدستوري للدولة ، محاضرات في مبادئ الاقتصاد ، محاضرات طبية ، محاضرات فلكية ، لغة أجنبية اختيارية ، وهي التي درست في الكلية .

٣ - شهادة العالمية من درجة أستاذ في الفقه والأصول . والمواد التي يتخصص فيها للحصول عليها بعد النجاح في الشهادة العالية :

الأصول ، الفقه مع حكمة التشريع ومقارنة المذاهب وتاريخ التشريع الإسلامي .

٢ - كلية أصول الدين ، وتمنح الشهادات الآتية :

١ - شهادة الدراسة العالية في أصول الدين . والعلوم التي تدرس للحصول عليها هي :

التوحيد ، التفسير ، الحديث متنا ومصطاحا ورجالا ، المنطق وأدب البحث ، الأخلاق ، الفلسفة ، الأصول ، التاريخ الاسلامي ، علم النفس ، لغة أجنبية (الانجليزية أو الفرنسية) .

ب - شهادة العالمية مع الاجازة في الدعوة والارشاد . والمواد التي تدرس للحصول عليها بعد النجاح في الشهادة العالية هي :

القرآن الكريم وعلومه ، الحديث الشريف وعلومه ، الدعوة إلى سبيل الله وسائر العلوم ، الخطابة والمناظرة ، الملل والنحل والمذاهب الفقهية وتواريخها ، البدع والعادات ، اللغة الأجنبية التي درست في الكلية ، لغة شرقية .

ج - شهادة العالمية مع درجة أستاذ في التوحيد والفلسفة . والمواد التي تدرس للحصول عليها بعد النجاح في الشهادة العالية هي :

التوحيد ، المنطق ، الفلسفة ، الأخلاق .

د - شهادة العالمية مع درجة أستاذ في علوم القرآن الكريم والحديث الشريف . والمواد التي تدرس للحصول عليها بعد النجاح في الشهادة العالية هي :

التفسير ، علوم القرآن الكريم ، الحديث وعلومه .

هـ - شهادة العالمية من درجة أستاذ في التاريخ الاسلامي . والمواد التي تدرس للحصول عليها بعد النجاح في الشهادة العالية هي : التاريخ الاسلامي وما يلزمه من دراسات ٣ - كلية اللغة العربية ، وتمنح الشهادات الآتية :

١ - شهادة الدراسة العالية في اللغة العربية . والعلوم التي تدرس للحصول عليها هي :

النحو ، الصرف ، الوضع ، فقه اللغة ، الأصول ، الانشاء ، علوم البلاغة : (البيان والمعاني والبدائع) ، الآداب العربية وتاريخها ، العروض والقافية ، التفسير ، الحديث ، المنطق ، الفلسفة ، المطالعة ، الأدب المقارن ، علم الاجتماع ، الخط ، الجغرافيا ، التاريخ السياسي ، النقد الأدبي ، لغة أجنبية : الانجليزية ، والفارسية ، والعبرية ، والتركية ، والاخيرة بصفة اختيارية ، وتعطى عليها مكافأة شهرية قدرها جنيه عشرة طلاب .

ب - شهادة العالمية مع الاجازة في التدريس . والمواد التي تدرس للحصول عليها بعد النجاح في الشهادة العالية هي :

علم النفس العام ، علم النفس التعليمي ، أصول التربية والطرق العامة والتنظيم

المدرسى ، تاريخ التربية العملية ، طرق التدريس الخاصة ، الأخلاق ، تدبير الصحة المدرسى ، الرسم ، تجويد الخط ، التربية البدنية ، لغة أجنبية اختيارية وهى التى درست فى الكلية .

ج - شهادة العالمية من درجة أستاذ فى النحو . والمواد التى تدرس للحصول عليها بعد النجاح فى الشهادة العالمية هى :

النحو ، الصرف ، الوضع ، فقه اللغة ، العروض والقافية ، وتدرس مبادئ اللغتين العبرية والسريانية .

د - شهادة العالمية من درجة أستاذ فى البلاغة والأدب . والمواد التى تدرس للحصول عليها بعد النجاح فى الشهادة العالمية هى :

علوم البلاغة وتاريخها ، الأدب العربى وتاريخه ، العروض والقافية ، النقد الأدبى ، مبادئ اللغتين العبرية والسريانية . ومدة الدراسة للحصول على شهادة الدراسة العالمية أربع سنوات ، وللحصول على شهادة العالمية مع الإجازة سنتان . ومدة الدراسة للحصول على شهادة العالمية من درجة أستاذ لا تقل عن ست سنوات ، ولا تزيد على ثمانى سنوات . وهذه صور من شهادات الأزهر الحديث :

١ - بسم الله الرحمن الرحيم - براءة بمنح شهادة العالمية ، من فؤاد ملك مصر بعناية الله تعالى ، إلى حضرة الشيخ نافع محمد نافع الخفاجى الشافعى من تلبانة مركز المنصورة مديرية الدقهلية - رفع إالىنا صاحب العزة وزير الأوقاف ما قره مجلس الأزهر الأعلى فى ١٤ ربيع الثانى ١٣٥١ هـ - ١٦ أغسطس ١٩٣٢ ، من نجاحكم فى امتحان شهادة العالمية الذى أجرى بالجامع الأزهر فى سنة ١٣٥٠ هـ - لذلك أمرنا بإصدار براءة تلتها هذه من ديواننا بمنحك شهادة العالمية ، مع حقوقها التى تخولها لكم القوانين والأوامر المتبعة نفع الله الناس بعلمكم ، ووفقكم لما فيه الخير - تحرير فى ٢٣ محرم سنة ١٣٥٢ هـ من هجرة خاتم المرسلين .

٢ - بسم الله الرحمن الرحيم - المملكة المصرية - الجامع الأزهر والمعاهد الدينية العلمية الإسلامية - الشهادة العالمية بكلية اللغة العربية - استحق هذه الشهادة الاستاذ محمد عبد المنعم عبد المنعم خفاجى بن عبد المنعم خفاجى بن عبد المنعم خفاجى المولود سنة ١٩١٥ فى تلبانة مركز المنصورة مديرية الدقهلية ، بعد أن نجح فى امتحانها المنعقد سنة ١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠ م - والله أسأل أن يوفقه لخدمة العلم والدين - شيخ الجامع الأزهر - محمد مصطفى المراعى - القاهرة فى صفر ١٣٦٠ هـ - ١٩٤١ م .

٣ - بسم الله الرحمن الرحيم - براءة بمنح شهادة العالمية من درجة أستاذ في البلاغة والأدب - من ملك مصر بعناية الله تعالى ، إلى حضرة الأستاذ محمد عبد المنعم عبد المنعم خفاجي الحنفي ، من تلبانة بمركز المنصورة بمديرية الدقهلية ، رفع اليها حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ما أقره المجلس الأعلى للأزهر في ٢٤ ربيع الأول ١٣٦٦ هـ - ١٥ فبراير ١٩٤٧ ، من نجاحكم في امتحان شهادة العالمية من درجة أستاذ في البلاغة والأدب الذي أجرى في سنة ١٣٦٥ هـ - لذلك أمرنا بإصدار براءتنا هذه من ديواننا بمنحكم هذه الشهادة مع حقوقها التي تخولكم إياها القوانين والأوامر المتبعة ، نفع الله الناس بعلبكم ووفقكم لما فيه الخير .

إصلاحات جديدة في الأزهر

١ - مما جد على الأزهر من إصلاحات : إنشاء قسم للوعظ ، يتبعه الوعاظ من العلماء في جميع القطر المصري ، ويصدر قسم الوعظ مجلة اسمها " نور الإسلام " ، وعندما بدأ قسم الوعظ سنة ١٩٢٨ كان عدد الوعاظ فيه نحو أربعة ، وهم الآن نحو ٢٥٠ واعظا من العلماء .

٢ - وكذلك إنشاء مراقبة البحوث والثقافة الإسلامية في يوليو ١٩٤٥ ، وإنشاء وحدة طبية كاملة للأزهر عام ١٩٤٧ .

٣ - وكذلك إنشاء كثير من المعاهد الدينية الابتدائية والثانوية في عواصم المديريات وبعض المدن الكبرى ، ويبلغ عددها الآن نحو ٢٥ معهدا ، ومن أقدمها : معهد الاسكندرية ومعهد طنطا ، وأسبوط ، والزقازيق ودمياط ودسوق ، ثم أنشئ معهد شبين السكوم والمنصورة وقنا وسوهاج والمنيا ومنوف ، وفي عهد الثورة أنشئ معهد في دمنهور وآخر في بنها .. إلى غير ذلك من المعاهد الدينية العديدة التي هي فروع صغيرة للجامعة الأزهرية الكبرى .

٤ - وكذلك إنشاء مجلة الأزهر ، فقد رأت مشيخة الأزهر بعد أن استقر فيه النظام الجديد الذي وضع له ، أن تجعل لهذه الجامعة الدينية العالمية مجلة تحمل رسالتها إلى جميع البلاد الإسلامية ، لتسكون صلة علمية بينها وبين جميع الشعوب التي تدين بالدين الحنيف في مشارق الأرض ومغاربها ، ولتحمل إلى القارئ بتعليم الدين فيها ما ثمره قرائح حفظته بما يزيد في مادته ثروة جديدة ، أو ما يتأدون إليه من نظام مفيد . فظهرت (٦ - الأزهر - ثاني)

هذه المجلة باسم « نور الاسلام » ، في أول المحرم من سنة ١٣٤٩ هـ - ١٩٣٠ . وكان ذلك في عهد المرحوم الشيخ محمد الاحمدى الظواهري ، ويؤثر عنه أنه بذل في إقامة صرح هذه المجلة مجهودا محمودا . ولما تولى المشيخة المرحوم الشيخ محمد مصطفى المراغى نظر إلى هذه المجلة نظرة تشجيع ورأى أن يغير اسمها إلى « مجلة الأزهر » بدل مجلة نور الاسلام . وقد سر الناس بظهور المجلة ، واتسع انتشارها حتى بلغ ما يطبع منها حدا لم تبلغه مجلة إسلامية قبلها في البلاد العربية . . كان مما يكتبه فيها أعلام الأزهر بحوث في التفسير والحديث ، وبحوث تحض على إحياء السنة وإماتة البدعة ، والدعوة إلى الفضائل . ثم اتسع ميدان الكتابة فيها ، فأخذت تفند ما تسرب إلى بعض المفسرين من الشبهات والشكوك ، محمولة بين ثنايا المعارف المدرسية الحديثة وما تنشره المجلات العلمية من المباحث في الطبيعيات ، وما تلم به أحيانا من المعضلات في مختلف الفلاسفات . فكانت مجلة الأزهر في تلك المواقف حائلا قويا بين تلك الموجات العنيفة والدين ، على أسلوب علمي بحت ، وبأسلحة من الطراز الذي يهاجم به الدين في أخص ما يدعو إليه .

وطار صيت مجلة الأزهر في الآفاق الإسلامية ، بما كان ينفطفه منها كتاب تلك الأقطار ، وما يترجمه عنها المشتغلون منهم بالصحافة ، فكان أثرها بعيدا في حماية العقائد ، وتقويم المذاهب ، وطمس معالم البعد ، وتجلية الدين الحق في صورته الصحيحة .

ولما تولى مشيخة الأزهر المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق رغب في أن تكون مجلة الأزهر مستكملة لنظم المجلات الجامعية ، فوضع لها قانونا ، وحدد المواضيع التي تطرقها ، ووضع لها نظاما ، وشجع على السير بها قدما بكل ما استطاع من وسيلة . وكان من أجل ما قامت به هذه المجلة من خدمات ، تلك الصلة الكريمة التي أوجدتها بين المسلمين في البلاد كافة وبين الأزهر ، فإن لهذه الصلة أثرا أدبيا يظهر فعله في الاخلاق والآداب ، إن لم يكن عاجلا ، فعلى مدى الايام والسنين ، وكان لابد من إيجاد هذه الصلة في هذا العهد

وقد تولى إدارة المجلة علماء ممتازون ، منهم الأستاذ الكاتب العالم محمد فريد وجدي المتوفى في ٦ فبراير ١٩٥٤ . . وفي عهد مشيخة الشيخ عبد المجيد سليم الثانية عهد بإدارة المجلة إلى الأستاذ أحمد حسن الزيات .

ثم تولى إدارتها بعده الأستاذ الكبير الشيخ محمد عرفة عضو جماعة كبار العلماء ، ثم الشيخ

محمد عبد اللطيف السبكي عضو الجماعة كذلك .

ومنذ المحرم ١٣٧٤ هـ بدأت المجلة تصدر مرتين في الشهر بدلا من مرة واحدة .

المسكوفون في الأزهر

امتاز الأزهر عن جميع المعاهد العلمية والجامعات الكبرى بمزيد الاهتمام وعظيم الرعاية والعناية بالطلبة المسكوفين ، فهو يهتمهم ويمدهم بالاعانات الرتبة في كل شهر ، ويكفل لهم الاستقرار في حياتهم المدرسية ، وهم في منهاج تعليمهم كالمبصرين سواء بسواء ، ماعدا المواد التي لا بد فيها من الإبصار ، كالعلوم الرياضية والتجارب العلمية في الطبيعة والكيمياء ، وتصدر لهم براءات ملكية من ولى الأمر عند انتهاء دراساتهم كالمبصرين ، ويضمن لهم مستقبلاهم ، إذ يمتحنون بعض المهن العلمية في الدولة : كالتدريس والامامة والخطابة والوعظ والارشاد .

ولقد تخرج في الأزهر كثير منهم ، كان لهم القدح الممل في الثقافة العامة والتربية والتعليم ، واشتهر منهم كثير في الأزهر ، والميادين العلمية قديما ، كالشيخ القويسني وقد وصل بشهرته ومكانته إلى مشيخة الاسلام في الأزهر سنة ١٢٥٠ هـ ، وحديثا : كالشيخ حسين زين المرصفي ، والشيخ علي الصالحى ، والشيخ محمد ماضى الرخاوى ، والشيخ إبراهيم الحديدي ، والشيخ يوسف الدجوى ، والشيخ سالم البولاقى ، والشيخ عبد المطلوب برعى ، والشاعر الفحل الشيخ أحمد الزين ، وكان له في دار السكتب الملكية آثار مملودة في البحوث الأدبية والعلمية .

ومن بين هؤلاء من لم يتم دراسته في الأزهر ولكنه نجح في الحياة ، وطار صيته في الآفاق كل مطار ، كالدكتور طه حسين . . وقد سافر في بعثة دراسية إلى فرنسا الأستاذ فتحى عبد المنعم وهو من مدرسى الأزهر المسكوفين .

لجنة الفتوى بالأزهر :

كانت ترد إلى مشيخة الأزهر من الاقطار الشقيقة وغيرها استفتاءات كثيرة في مسائل دينية متنوعة ، يطلب أصحابها الافاء فيها على مذهب معين ، أو من غير تقيد بمذهب من المذاهب . . ولما كانت تلك الاستفتاءات وما يصدر فيها من فتاوى على جانب عظيم من الاهمية ، لما لها من وثيق الصلة بأحوال الناس الشخصية والاجتماعية وغيرها ، ثم هى وسيلة من وسائل نشر أحكام الشريعة الاسلامية الغراء على وجه صحيح بين جمهور المسلمين . ونظرا إلى ما يتطلبه هذا العمل العلى الدينى الجليل من جهد وما يستنفده من وقت في البحث والدرس ، فقد رأى المفطور له الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر الاسبق أن تضطلع بهذا العمل لجنة خاصة من جهازة العلماء ،

فأصدر قراراً بتسكينها في ١٢ من جمادى الأولى سنة ١٣٥٤ هـ - ١١ من أغسطس سنة ١٩٣٥ - من رئيس وأحد عشر عضواً ، منهم ثلاثة من علماء الحنفية ، وثلاثة من المالكية ، وثلاثة من الشافعية ، واثنان من الحنابلة . ومنذ تأسست اللجنة وهي دائمة على أداء واجبها بعقد اجتماعات تتوافر فيها على بحث ما يرد إليها من استفتاءات بحثاً وافياً مستفيضاً ، ثم تجيب عليها بمبينة حكم الشرع فيها ، إما وفق أحكام مذهب معين إن طلب السائل ذلك ، وإما بغير تقييد بمذهب فتكون الاجابة على وفق ما تقتضى به القواعد العامة المأخوذة من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجماع المسلمين أو القياس الصحيح الموافق لقواعد الدين العامة والملائم لصالح المسلمين . وليس أدل على عظيم أثرها وجميل نفعها من أنها تصدر نحو ٣٥٠ فتوى سنوياً وقد تعاقب على رياستها من أول تسكينها إلى الآن ، حضرات أصحاب الفضيلة : المغفور له الشيخ حسين والى والمغفور له الشيخ محمد عبداللطيف الفحام والمغفور له الشيخ محمد مصطفى المراغى والمغفور له الشيخ محمد مأمون الشناوى والشيخ عبدالرحمن حسن والشيخ عبد المجيد سليم والشيخ إبراهيم حمروش والشيخ محمد العنانى .

مجلس الأزهر الأعلى :

والأزهر مجلس أعلى أنشئ بمقتضى القانون رقم ١٩١١ ، ويؤلف من شيخ الأزهر ، ووكيله ، ومفتى الديار المصرية ، ومشايخ الكليات ، ووكلاء وزارات المالية والعدل والمعارف والأوقاف ، واثنين من هيئة كبار العلماء ، واثنين من كبار رجال التعليم ويعينان لمدة سنتين .

العلماء والطلاب :

لا يوجد فى السجلات ذكر لعدد علماء الأزهر إلا من سنة (١٢٨٧ هـ - ١٨٧٥ م) بيد أنه يوجد لإحصاء عام قبل ذلك بلغ ٢٥٢ عالماً ، وذلك قبل صدور قانون نظام الامتحانات فى عهد الشيخ المهدي العباسي أى فى سنة ١٢٨٧ هـ ، ونفذ فى سنة ١٢٨٨ . وكان عدد الشيوخ المدرسين بالأزهر فى هذا العام ٣٦١ شيخاً .

ونذكر هنا أن العلماء الذين يزاولون التدريس فى الأزهر - كلياته ومعاهده - يبلغ عددهم الآن نحو ١٢٣٥ مدرسا ، وكذلك الوعاظ يبلغ عددهم الآن نحو عشرين ومائتي واعظ . وذلك خلاف باقى الموظفين فى غير التدريس والوعظ بالأزهر ومعاهده .

إحصاء عام للطلبة بالأزهر :

في سنة ٣٧٨ هـ بلغ عددهم ٣٥ طالبا وفي سنة ٨١٨ بلغ عددهم ٧٥٠ طالبا وفي سنة ١٢٦٣ بلغ عددهم ٧٤٠٣ طالبا وفي سنة ١٢٧٢ بلغ عددهم ٥٩٤٠ طالبا وفي سنة ١٢٨٢ بلغ عددهم ٢٨١٧ طالبا (١) وفي سنة ١٢٩٢ بلغ عددهم ١١٠٩٥ طالبا وكان عدد العلماء في هذا العام ٣٢٥ عالما . . وفي سنة ١٢٩٣ بلغ عددهم ١٠٧٨٠ طالبا (٢) وفي سنة ١٣١٩ بلغ عددهم ٨٢٥٩ طالبا وفي سنة ١٩٠٢ م بلغ عدد الطلبة ١٠٤٠٣ طالبا وفي سنة ١٩٠٦ بلغ عددهم ٩٠٦٩ طالبا (٣) وفي سنة ١٩١٦ بلغ عددهم ١٥٣٣٥ طالبا وفي سنة ١٩٢٠ بلغ عددهم ١٣٢٨٠ طالبا وفي سنة ١٩٢٦ بلغ عددهم ١١٧٩٧ طالبا وفي سنة ١٩٢٩ بلغ عددهم ١٠٦٨٠ طالبا وفي سنة ١٩٣٣ بلغ عددهم ٨٩٤٥ طالبا وفي سنة ١٩٣٨ بلغ عددهم ١٣١٦٣ طالبا وفي سنة ١٩٤١ بلغ عددهم ١٤١١٦ طالبا وفي سنة ١٩٤٧ بلغ عددهم ١٧٥١٤ طالبا .

ميزانية الأزهر

وكانت ميزانية الأزهر عام ١٨٩٢ م مبلغ ٤٣٧٨ جنيهها حيث كانت مرتبات العلماء ضئيلة في ذلك العهد . فكان مرتب العالم ذي الدرجة الأولى مائة وخمسين قرشا ، وذو الدرجة الثانية مائة قرش ، وذو الدرجة الثالثة خمسة وسبعين قرشا . وكانت المرتبات محدودة العدد . فكان المدرس الجديد لا يمنح مرتبا إلا إذا توفي أحد المستحقين من قبل ، ويكتفى بالجراية . وفي ذلك العهد لم يكن فيه إحالة على المعاش . فالعالم يتقاضى مرتبه إلى الوفاة . وبقى الحال كذلك إلى سنة ١٩٠٩ م . ففي ذلك التاريخ طلب العلماء من أولياء الأمور النظر في حالة الأزهر بما يلائم حال العصر من وضع الدرجات ورفع المرتبات ، حتى تتسع لكل العلماء المدرسين ، مع طلب إصلاحات أخرى ، ولما رأى أولياء الأمر أن حالة الأزهر بين اشتدت ، وانقلبت الحالة إلى ثورة جاحقة استغلها بعض الأحزاب السياسية ، قرروا لإجابة طلبهم أولا في وضع الدرجات ، وأن المدرس يتقاضى ثلاثة جنيهات شهريا . — وقد كان مرتب الشيخ محمود أبى العميون المدرس في الأزهر بعد تخرجه عام ١٩٠٨ خمسة عشر رغيفا ، وظل يتناول هذا الأجر إلى يوفيه سنة ١٩٠٩ م ، فرتب له ثلاثة جنيهات كرملا نه .

(١) سبب هذا النقص قيام الثورة العراقية مما دعا الطلبة إلى الهجرة إلى بلادهم

(٢) راجع الخطط التوفيقية ج ٥ ص ١٤ (٣) دائرة المعارف الإسلامية .

ومن ذلك الوقت بدأ الأزهر يسير في طريق النظم المالية في الدولة .
وفي سنة ١٩١٢ بلغت ميزانية الأزهر ٥٩٩٢٤ جنيهًا - وفي سنة ١٩٢٠ بلغت ٢٠٦٨٨١ جنيهًا . وبلغت ميزانية الجامع الأزهر والمعاهد الدينية العلمية في سنة ١٩٢٨ المالية ٣٠٥٠٠٠ جنيهًا منها ١٩٤٨٣٧ مخصصة للجامع الأزهر ، وبلغ عدد الأساتذة المدرسين بالجامع الأزهر في العام نفسه ٢٥٣ أستاذًا ، وعدد الطلبة بالقسم الأول ١٣٦٦ طالبًا ، وبالقسم الثانوي ٥٨٨ طالبًا ، وبالقسم العالي ١٢٣٨ طالبًا ، وبالقسم المؤقت ٥٧٣ طالبًا ، وفي فرقة التخصص ١٦٠ طالبًا ، وبلغ عدد المدرسين في معهد الاسكندرية ٩٢ مدرسًا وعدد الطلبة ٧١٦ طالبًا ، وفي معهد طنطا ١٠٧ مدرس و ٢٠٩٢ طالبًا وفي معهد أسبوط ٥٥ مدرسًا و ٦٧٤ طالبًا ، وفي معهد دسوق ٢٦ مدرسًا و ٣٦٠ طالبًا ، وفي معهد دمياط ٢٥ مدرسًا و ٣٠٦ طالب ، وفي معهد الزقازيق ١١١ مدرسًا و ١١١٤ طالبًا .

وفي سنة ١٩٢٩ بلغت ميزانية الأزهر ١٢١٠٣٣ جنيهًا ، وفي سنة ١٩٤٢ بلغت ٤٠٠٢٠٠ جنيهًا ، وفي سنة ١٩٤٨ صارت ٩٠٠٧٥٢ . وتبلغ اليوم نحو المليون والثلاث من الجنيهات .

الأزهر في صحائف الذكرى

— ١ —

في عام ١٨٩٩ أرادت حكومة مصطفى فهمي باشا استجابة لأمر الانجليز أن تضعف القضاء الشرعي . فوضعت مشروعًا لتعديل اللائحة الشرعية وضم اثنين من أعضاء الاستئناف الاهلي إلى المحكمة الشرعية العليا ، ولم تبال الحكومة المصرية باحتجاج الحكومة العثمانية على المشروع فعرضته على مجلس الشورى ، وكان من أعضائه الشيخ حسونة النواوي الذي جمعت له مشيخة الأزهر وفتوى الديار المصرية ، فثار على المشروع وانسحب من المجلس وتبعه القاضي التركي ، فخذل المجلس الحكومة وفشل المشروع .

— ٢ —

شيئًا لهما في نفوس السائحين المكان الأرفع . وهما أول ما يفكرون في زيارتهما .. الأهرام والأزهر .

وللسائحين - والأمريكيون بالخاص - فكرة عجيبة عن الأزهر الشريف يكتنفها الخيال بأوسع معانيه ، فهم يتصورون فيه بقية من بقايا العصر الاسلامي الزاهر ، ويدكرون

به قصص ألف ليلة وليلة وقصور بغداد والقاهرة وقرطبة .

ويروى أن اللورد كرومر المعتمد البريطاني أراد أن يتعارف بشيخ الجامع الأزهر فقبل له إنه معتمد في حجرته بالجامع لا يخرج منها ولا يغادر باب الأزهر لزيارة أحد مهما كان مركزه عظيماً ، وذهب اللورد لزيارة الاسد في عرينه .. أو الناسك في صومعته ، وكان اللورد حينذاك في إبان بطشه وقوته يهابه السكل ويسارعون لتلبية أمره وقد ظن أنه سيجد من شيخ الاسلام تابعاً ونصيراً .

ودخل الأزهر وسار بين أعمدته وعلى بلاطه فامتلاً رهبة وروعة وراعه الصمت السائد ، والعلامة الذين يتحركون في صمت وخشوع كأنهم الأشباح السارية ، واستقبله وفد من المشايخ في عمام كبيرة وأكام واسعة طويلة بطيئة الحركة يسرون في تودة ووقار ولا يخنون رؤوسهم إلا ساعة الركوع والسجود .

وسار بينهم يخترق الحجرات والابهاء وهو يتجرد في كل خطوة من ثياب جبروته وكبريائه ، حتى إذا وصل إلى باب صغير أدى به اليه السير كالعميد البريطاني العظيم قد أصبح فرداً يشعر بالضعف والخشوع .

وفتح الباب وتنحى الموجودون ودخل اللورد ومعه أحد ياوران السراي ، فرأى نفسه في حجرة مجردة من الاثاث والفرش عارية الارض مكشوفة البلاط ، ساكنة يكتنفها شيء من الظلام إلا من شعاع ينفذ من نافذة نصف مغلقة ، وفي واجهة تلك الحجرة دكة عالية عليها قطعة من بساط وقد تربع فوقها شيخ الاسلام والمسلمين في ثياب بسيطة وفي يده سبحة يعد خرزاتها ويتمم بالتسبيح عليها ، وهو مطرق برأسه مستغرق في نجواه .

وأدار اللورد نظره حوله فلم يجد مقعداً ، وتقدم خطوتين فلم يرفع الشيخ رأسه ولم يبادره بالتحية ولبت يتمم نجواه وهو في سكون وجود .

ووقف اللورد في وسط الحجرة أمام الشيخ فترة طويلة خائنه فيها أعصابه وارتبكت حواسه وشعر بأنه يتضائل ويتضائل أمام ذلك الشيخ النحيل الجسد الساج في ذكره حتى لم يعد يشعر بنفسه .

وبعد أن مرت فترة طويلة رفع الشيخ رأسه دون أن يتحرك من مكانه ونظر إلى اللورد نظرة هادئة عميقة وقال بصوت لطيف : دأهلاً وسهلاً .

ثم مد اليه يده كما يمدّها الملك إلى أحد رعاياه ، وتقدم اللورد فتناول هذه اليد وثمها بشفتيه .

واسترد الشيخ يده ثم قال له : « في أمان الله .. في أمان الله .. »
 وخرج اللورد يتعثر ، وقد أدرك أن في مصر من هو أعظم منه شأنًا
 وأقوى شخصية .

ولكن المسجد الأزهر الآن تبدل كثيراً عما كان عليه منذ نصف وأربعين سنة
 فدخلته جحافل المدنية ، ولم يعد ذلك المعهد الرهيب الذي يتصوره الأجانب مكتنفًا
 بالأسرار تصدر منه الأوامر الخفية إلى المسلمين قاطبة فيخضعون لآشارته كما كان
 الفاتيكان في عهد ازدهار البابوية .. بل أصبح السائحون يزورونه الآن وهم يعرفون
 أنهم قادمون على جامعة دينية كبرى أخذت من العلوم الحديثة والمدنية العصرية
 بكثير من أساليبها .

في ديسمبر ١٩٤٦ أرادت حكومة النقراشي باشا أن تنفذ رغبة ملكية بتعيين
 الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبدالرازق شيخًا للأزهر ، وكان الأستاذًا لا كبر حينئذ
 بعيداً عن الأزهر ، حيث كان وزيراً للأوقاف ، وكان من قبل ذلك أستاذ الفلسفة
 في كلية الآداب .. وكان وكيل الأزهر في ذلك الحين هو الشيخ محمد مأمون
 الشناوى ، فاستشير في الأمر ، فأشار بأن هذا التعيين يخالف نص قانون الأزهر الذي
 يشترط في شيخ الأزهر أن يكون من بين جماعة كبار العلماء ، فقبل له : إن للأستاذ
 الأكبر كتباً عديدة وسيقدم كتاب منها لعضوية الجماعة ، فأخبرهم الشيخ مأمون
 الشناوى بأن قانون الجماعة يمنع منحها للأستاذ الأكبر لأنه ليس من أساتذة كليات
 الأزهر الشريف الذين يباح لهم التقديم لعضوية الجماعة بشروط خاصة ، فأشير على
 الشيخ الشناوى بأن يجمع الجماعة لتعديل قانونها ، فرد عليهم بأن رئيس الجماعة هو
 الأستاذ الأكبر الشيخ عبدالمجيد سليم ، فدعى الشيخان لمقابلة النقراشي ، ويبدو أن
 الشناوى قابل النقراشي أولاً حيث ذكر له أن هذا التعيين يجب أن يتم ، لأنه قد
 طلبه أغا خان من السراي ، وكان المفهوم في أوساط الشعب أن الخاصة الملكية
 استولت من وزارة الأوقاف على أطيان ضخمة من بينها تفتيش الوادى وتفتيش
 شاة لإدارتها بدلامن وزارة الأوقاف ، وأن الملك يرغب في مكافأة وزير الأوقاف
 بتعيينه شيخاً للأزهر ، على الرغم من اعتذار الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبدالرازق
 طيب الله ثراه عن قبول هذا المنصب .

وخرج الشيخان من مكتب النقراشي ، حيث جمعا الجماعة ، فرفضت أن توافقا

على تعديل قانونها ، وكان في مقدمة الرافضين الاستاذ الاكبر الشيخ ابراهيم حمروش وكان شيخا لـكلية الشريعة آنذاك .. وإثر ذلك طلب من المشايخ الثلاثة الاستقالة فاستقال الشيخ الشناوى وكيل الازهر والشيخ ابراهيم حمروش شيخ كلية الشريعة والشيخ عبد المجيد سليم المفتي من وظائفهم ، وعين مدير الازهر الشيخ عبد الرحمن حسن وكيل الازهر ، ونفذ الرغبة الملكية بتعديل القانون الذى أثار تعديله ثورة في الشعب وفي أوساط العلماء والطلاب ، ونشر كبار الشيوخ المستقيلون بيانا على الامة المصرية الكريمة والعالم الاسلامى عن انتهاك الحكومة القائمة لقانون الازهر ، وذكروا فيه تهديد رئيس ديوان الملك للفتى الاكبر الشيخ عبد المجيد سليم إذ دعاه إلى مكتبه وقال له : « إن في وقتك هذه ضد رغبة الملك خطر اعليك ، فأجاب على الفور : أبحال بيني وبين الذهاب إلى بيت الله ؟ فقال رئيس الديوان : لا . فرد عليه الشيخ على الفور : إذن لا خطر .

وكان الاستاذ الاكبر الشيخ مصطفى عبدالرازق طيب الله ثراه من أشد الشخصيات مكانة وحباً في قلوب الازهرين ، وطالما اعتذر عن قبول منصب المشيخة في هذه الأزمة ، إلا أن الملك كان يجب أن يتصرف في الازهر وفق هواه ، وكانت وقفة الشيوخ المشرفة ضد الملك ذات مغزى بعيد في الشعب والعالم الاسلامى .

- ٥ -

نداء من علماء الازهر إلى أبناء العروبة والاسلام

صدر في المحرم ١٣٦٧ هـ - ديسمبر ١٩٤٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم : يا معشر العرب والمسلمين ! قضى الامر ! وتألبت عوامل البغى والطغيان على فلسطين ، وفيها المسجد الاقصى أول القبالتين . وثالث الحرمين ، ومنتهى أسراء خاتم النبيين ، صلوات الله وسلامه عليه ، قضى الامر ، وتبين لكم أن الباطل ما زال في غلوائه سادرا ، وأن الهوى مافقه على العقول مسيطرا ، وأن الميثاق الذى زعموه سيلا للعدل والانصاف ماهو إلا تنظيم للظلم والاجحاف . فعنى الامر ! ولم يبق بعد اليوم صبر على تسلّم الهزيمة التى يريدون أن يرهقونا بها في بلادنا ، وأن يجمخوا بها على صدورنا ، وأن يمزقوا بها أوصال شعوب وحد الله بينها في الدين واللغة والشعور ، إن قرار هيئة الأمم المتحدة ، قرار هيئة لا تملكه ، وهو بعد قرار باطل جائر ليس له نصيب من الحق والعدالة ، ففلسطين ملك العرب والمسلمين بذلوا فيها النفوس الغالية ، والدماى الزكية ، وستبقى إن شاء

الله - رغم تحالف المبطلين - ملك العرب والمسلمين . وليس لأحد كائناً من كان أن ينازعهم فيها أو يشطرها أو يمزقها . وإذا كان البغاة العتاة قد قصدوا بالسوء من قبل هذه الاماكن المقدسة . فوجدوا من أبناء العروبة والاسلام قساورة ضراغم ذادوا عن الحى ، وردوا البغى على أعقابهم مقيم الاظفار بحطم الاسنة . فإن في السويداء اليوم رجالا ، وفي الشرى آسادا ، وإن التاريخ لعائد بهم سيرته الاولى .

يا أبناء العروبة والاسلام ! لقد أعذرتكم من قبل ، وناضلتكم عن حقكم بالحجة والبرهان ماشاء الله أن تناضلوا ، حتى تبين للناس وجه الحق سافراً . ولكن دسائس الصهيونية وفنتها وأموالها قد استطاعت أن تجلب على هذا الحق المقدس بخيلها ورجلها ، فعميت عنه العيون ، وصمت الآذان ، والتوت الأعناق ، فاذا بكم تقفون في هيئة الامم وحدكم ، ومدعو نصره العدالة يتسللون عنكم لواءا ، بين مستهين بكم وىءاء لا عدائكم ، ومتستر بالصمت متصنع للحياء . فاذا كنتم قد استنفذتم بذلك جهاد الحجة والبيان ، فان وراء هذا الجهاد لإفناذ الحق وحمايته جهاداً سبيله مشروعة وكلمته مسموعة ، تدفعون به عن كيائكم ، ومستقبل أبنائكم وأحفادكم ، فذودوا عن الحى ، وادفعوا الذئاب عن العرين ، واجاهدوا في الله حق جهادكم ! فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً . . الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً .

يا أبناء العرب والاسلام ! خذوا حذركم ، فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً ، وإياكم أن يكتب التاريخ أن العرب الاباة الاماجد قد خروا أمام الظلم ساجدين ، أو قبلوا الذل صاغرين .

إن الخطب جلال ، وإن هذا ليوم الفصل ، وما هو بالهزل . فليبذل كل ، عربى وكل مسلم في أقصى الارض وأدناها من ذات نفسه وماله ، ما يرد عن الحى كيد الكائدين ، وعدوان المعتدين . سدوا عليهم السبل ، واقعدوا لهم كل مرصد ، وقاطعوهم في تجاراتهم ومعاملاتهم ، وأعدوا فيما بينكم كتائب الجهاد ، وقوموا بفرض الله عليكم ، واعلموا أن الجهاد الآن قد أصبح فرض عين على كل قادر بنفسه أو ماله ، وأن من يتخلف عن هذا الواجب فقد باء بغضب من الله وإثم عظيم .

إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده

من الله ؟ فاستبشروا ببيعتكم الذي بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم .
 فاذا كنتم يا أيها نسكم قد بعتم الله أنفسكم وأموالكم فها هو ذا وقت البذل والتسليم ،
 فاقفوا بعهد الله يوف بعهديكم . وليشهد العالم غضبتكم للكرامة ، وذودكم عن الحق .
 ولتكن غضبتكم على أعداء الحق وأعدائكم ، لاعلى المحتمين بكم ، ممن لهم حق
 المواطن عليكم والاحتماء بكم ، واحذروا أن تعتدوا على أحد منهم ، إن الله لا يحب
 المعتدين .. ولتجواب بعد الاصداء فى كل مشرق ومغرب بالسكمة المحببة إلى
 المؤمنين : الجهاد ! الجهاد ! والجهاد ! والله معكم إن يترك أعمالكم .

- ٦ -

أقيم حفل لتأبين المرحوم د عاطف بركات (١) ، بمدرسة المعلمين العليا فى الخنيس
 الثالث عشر من صفر سنة ١٣٤٣ هـ ، الموافق الحادى عشر من شهر سبتمبر سنة
 ١٩٢٤ ، وأرسل شوق قصيدة لتلقى فى الحفل ، وكان بما قاله فيها :

وحارب دونها ضرعى قديم كأن بهم على الزمان انقطاعا
 إذا لمح الجديد لهم تولوا كذى رمد على الضوء امتناعا
 وكان فى الحفل جمهرة من شيوخ الأزهر ، منهم شيخ الجامع الأزهر ومفتى الديار
 المصرية إذ ذاك ، فعدوا ذلك جرعا لكرامتهم ، وكتب المرحوم الشيخ محمود الغمراوى
 مقالا بعنوان د أمير الشعراء ورجال الأزهر للحقيقة والتاريخ ، نشرته جريدة الأخبار
 بتاريخ ١٧ من صفر سنة ١٣٤٣ هـ الموافق ٦ من سبتمبر سنة ١٩٢٤ م .

وقال شوق يرد على ما كتب حول الموضوع : وما أنا من ينسى أن معظم أساتذة
 مدرسة القضاء نفسها فى العلوم الشرعية بوجه خاص كانوا من شيوخ الأزهر ورجاله ،
 وليس من المعقول أن يكون هؤلاء الأفاضل حربا عليها وهم فى النهوض بها شركاء .
 إن للأزهر عندى حرمة لأحب أن يتشكك فيها الأستاذ ، وأعتقد أن الأزهر
 قد سد فراغا كبيرا كان التعليم فى مصر والبلاد الشرقية جميعا لا يرجى له بدون الأزهر
 من سداد . وسأظل غفورا دائما بأن من أساتذتى شيوخا من صميم الأزهر الشريف
 وكبار علمائه .

وقد أراد شوق أن يؤكد حبه للأزهر ، وينفى عنه مظنة الثيل من أبنائه فالتس
 فكرة إصلاح الأزهر ، ونظم قصيدته :

قم فى قم الدنيا وحي الأزهر وانثر على سمع الزمان الجوهرا

(١) الأستاذ محمد كامل الفتى - مجلة الأزهر - الأزهريون أساتذة شعراء العصر

واجعل مكان الدر إن فصلته
واذكره بعد المسجدين معظما
واخشع مليا واقض حق أئمة
كانوا أجل من الملوك جلالة
زمن الخواف كان فيه جنباهم
من كل بحر في الشريعة زاهرا
ومنها :

لاتخذ حذو عصاة مفتونة
ولواستطاعوا في الجامع أنكروا
من كل ماض في القديم وهدمه
وأنى الحضارة بالصناعة رثة
يامعهداً أفنى القرون جداره
ومشى على يمس المشارق نوره
وأنى الزمان عليه يجمى سنة
في الفاطميين انمى ينبوعه
عين من الفرقان فاض نبرها
ماضرنى أن ليس أفقك مطلقى
لا والذي وكل البيان إليك لم
لما جرى الإصلاح قمت مهتلاً
نبأ سرى فكسا المنارة حبرة
وسما بأزوقة الهدى فاحلها
ومشى إلى الحلقات فانفرجت له
حتى ظننا الشافعى ومالكا
إن الذى جعل العتيق مشابهة
العلم فيه متاهلا ومجانياً
يافتية المعمور سار حديثكم
المعهد القدسى كان نديه
ولدت قضيتها على محرابه

يجدون كل قديم شىء منكرا
من مات من آبائهم أو عمرا
وإذا تقدم للبناءية قصرا
والعلم نزرأ والبيان مثرأ
وطوى الليالى ركنه والأعصرأ
وأضاء أبيض لجها والآخرأ
ويذود عن نسك ويمنع مشعرا
عذب الأصول بكدهم متفجرا
وحياً من الفصحى جرى وتحدرا
وعلى كواكبها تعلت السرى
أك دون غايات البيان مقصرا
باسم الحنيفة بالمزيد مبشرا
وزها المصلى واستخف المنبرا
فرع الثريا وهى فى أصل الثرى
حلقاً كهالات السماء منورا
وأبا حنيفة وابن حنبل حضرا
جعل الكسنانى المبارك كوثرا
يأتى له النزاع يبعثون القرى
ندأ بأقواء الركاب وعنبرا
قطباً لدائرة البلاد ومحورا
وحيت به حلقا وشبت معصرا

وتقدمت تزجى الصفوف كأنها (جاندرک) فى يدها اللواء مظفرا
هزوا القرى من كهفها ورقيمها أتم لعمر الله أعصاب القرى
الغافل الأسمى ينطق عنكمو كالبغاء مردداً ومكرراً
يمسى ويصبح فى أوامر دينه وأمور دنياه بكم مستبصراً
لو قلتمو اختر للنباية جاهلاً أو للخطابة باقلاً لتخيراً
ذكر الرجال له فآله عصبه منهم ، وفسق آخرين ، وكفرا
آباؤكم قرأوا عليه ورتلوا بالأمس تاريخ الرجال مزورا

صور عن هيكل الازهر القديم

أبواب الجامع الأزهر :

للجامع الأزهر تسعة أبواب :

الأول : باب المزينين وهو الباب الكبير تجاه رأس شارع الصناديقية له بابان كل
باب بمصرعين وهو من زيادات الأمير عبدالرحمن كتبها ومنقوش على وجهته من
من الخارج آيات موهبة بالذهب تشتمل على تاريخ بنائه وهى :

إن للعالم أزهرها يتسامى كسما ما طاولتها سماء
حيث وافاه ذا البناء ولولا منة الله ما تسامى البناء
رب إن الهدى هداك وآيا تك نور تهدي به من تشاء
مذ تنهى أرخت باب علوم ونجار به يحجاب الدعاء

والباب الأصلى فى هذه الجهة هو الباب المواجه للداخل مما يلى صحن الجامع وبينهما
كان يجلس المزينون لحلق رؤوس الطلاب فحرف الباب بذلك ، وكان منقوشا على
هذا الباب الأصلى فى الحجر : بسم الله الرحمن الرحيم : امر بإنشاء هذا الباب والمئذنة
الشرىف مولانا السلطان الأشرف قايتباى بتاريخ شهر رجب الفرد ثلاثة منه
سنة ٨٨٨ هـ ، وفوق ذلك : لا إله إلا الله محمد رسول الله نصر من الله وفتح قريب وفوقها
إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ، وفوق ذلك كتابة كوفية دقيقة
الحروف يتعسر قراءتها وقد أزيلت هذه الكتابة بالتجديدات القرية .

الثانى : الباب العباسى وهذا الباب فى صف الباب الأول وهو باب شاخ ذوخماة
وشأن ، أحدثته الأوقاف عند تأسيس الرواق العباسى منقوش على واجهته من الخارج
فى الحجر بالحروف الموهبة بالذهب من أعلاه : كان الانشاء والفراغ فى عهد إدارة

فيضي باشا لعموم الأوقاف بمباشرة صابر بك باشمهندس عموم الأوقاف ، ونصح ذلك بيتان فيهما تاريخ الانشاء .

ومنقوش تحت ذلك آية : إنما يعمر مساجد الله ، من الجانب الأيمن إلى الجانب الأيسر ومن داخل هذا الباب فناء يصل لباب يصل لصحن الأزهر وعلى يمين الداخل باب زاوية الرواق العباسي المعدة للتدريس .

الثالث : باب المغاربة وهو تجاه درب الأتراك ويتوصل منه إلى صحن الجامع بعد المرور بين رواق المغاربة ورواق السنارية والأتراك .

الرابع : باب الشوام يقابله الوكالة التي أنشأها السلطان قايتباي ويسلك منه إلى المقصورة القديمة .

الخامس : باب الصعايدة هو بعد باب الشوام تجاه حارة الباطنية وله بابان كل باب ذو مصراعين وهو من إنشاء المرحوم الأمير عبدالرحمن كستخدا ويتوصل منه بين المرور بعد رواق الصعايدة ومدفن الكستخدا إلى باب واحد يوصل إلى المقصورة الجديدة التي هي من إنشاء الكستخدا .

السادس : باب الحرمين وهو يسلك من رواق الحرمين وهو مغلق أبدا وهو من إنشاء الكستخدا .

السابع : باب الشوربة وهو تجاه رقعة القمح بجوار منزل السيد عمر مكرم نقيب الأشراف بالديار المصرية سابقا وهو من إنشاء الأمير عبدالرحمن كستخدا ويتوصل منه إلى المقصورة الجديدة بساحة طويلة تنتهي إلى مدفن في زاوية المسجد يقال له مدفن الست نفيسة البكرية بنت الشيخ محمد بن عبدالله جلال الدين البكري الصديقي وهو صاحب المسجد القريب من باب الشوربة أمام عطفة الشيخ الأمير وسمي باب الشوربة لقربه من مطبخ الشوربة الذي كان يطبخ فيه الأرز في رمضان ويفرق على فقراء الأزهر .

الثامن : باب الجوهريه هو باب صغير تجاه زاوية العميان يسلك منه إلى المقصورة الجديدة بعد المرور في المدرسة الجوهريه ويسلك الخارج منه إلى زقاق ضيق يوصل إلى شارع الشنواني أمام مسجد العدوي وهو من إنشاء جوهر القمقباي .

التاسع : باب الميضاة ينفذ في الزقاق الخارج إلى باب المزيين مجمول لدخول الحفاة

مقاصير الازهر :

للأزهر مقصورتان جديدة وقديمة : فالجديدة من إنشاء الأمير عبدالرحمن كتخذها وهي المعروفة عند أهل الازهر بالإيوان العالى .
والقديمة أصل الجامع الازهر من إنشاء القائد جوهر وتحتوى على ست وسبعين اسطوانة وتمتد من باب الشوام إلى رواق الشراقة وكان فيها المنبر فنقله السكتخدا لما بنى المقصورة الجديدة ولها ثلاثة أبواب إلى صحن الازهر ويتخللها شسبابيك من الخشب المخروط .

محاريب الأزهر :

فى المقصورة الجديدة محرابان : محراب كبير يصلى فيه الامام الصلوات الخمس وهو المالكي المذهب ، وعليه قبة مرتفعة قائمة على ستة أعمدة ، والمحراب الآخر عن شمال المنبر وهو محراب صغير مزركش يعرف بقبة الشيخ الدردير ، وفى المقصورة القديمة الآن محراب واحد ، وهو المحراب الاصلى القديم ويعرف بالقبة القديمة ، يصلى فيه الإمام الصلوات الخمس وهو شافعى المذهب ، وعلى هذا المحراب أيضاً قبة عظيمة مرتفعة وعلى يمينه صندوق موضوع على رف يقال ان به آثاراً قديمة ، وأن لذلك سرّاً عجيباً فى عمارته ، وكان فى المقصورة القديمة قبلة بقرب باب الشوام وكانت تعرف فى الزمن الأخير بقبة الشيخ البيجورى شيخ الاسلام بسبب صلاته عندها كثيراً ، وكان بقرب رواق الشراقة قبلة صغيرة من خشب تعرف بقبة الخطيب الشربيني ، وكان عليها كتابة بالخط تدل على أن عملها كان سنة ٦٢٧ . . .
وفى صحن الجامع كان أربعة محاريب صغار بظاهر المقصورة محراب يلى رواق معمر وكان مكتوب عليه : جدد هذا المحراب السعيد على يد العبد الفقير إلى الله تعالى الخواجه مصطفى ابن الخواجه محمود بن جلي غفر الله له وللمسلمين ويكتنف باب المقصورة الوسط محرابان من الحجر مكتوب بأعلى أحدهما بالسكو فى لاله إلا الله محمد رسول الله ، وكان عند الباب الثالث محراب مكتوب عليه أمر بتجديدها المحراب السعيد سيدنا ومولانا الإمام الاعظم والملك الاكرم السلطان الملك الاشرف أبو النصر قايتباى ، وكان عند رواق الأتراك محراب صغير مصنوع بالقيشانى وقد أزيلت ، وكان أمامه دكة صغيرة غير مستعملة للتبليغ وذلك غير المحاريب التى فى المدارس الملحقة بالجامع وموجود بالمقصورتين «دكتان» يستعملان يوم الجمعة للتبليغ

صحن الأزهر ومناراته ومزاوله :

أما صحن الأزهر هو متسع مفروش بالحجر النحت ، وتحت هذا الفرش أربعة صهاريج امتسعة للياه الخاو ، ولها أفواه من الرخام ناتئة في الصحن نحو متر يجلس فيه الطلاب أيام الشتاء للمطالعة والريضة ويبيتون فيه في ليلالي الصيف ، وفي دائره بوائك مسقفة يجلس في بعضها الأطفال ومعلمو القرآن الشريف .

وأما مناراته فكان به ست منارات يؤذن عليها في الأوقات الخمس وفي الأسحار وتوقد في ليالي رمضان والمواسم ، منها منارة خارج باب المزينين عن يمين الداخل تشرف على الشارع وهى من انشاء الأمير عبد الرحمن كمتخدا وكان يتوصل اليها من باب الميضأة الصغيرة الذى عن يمين الداخل قبل الطيرسية وقد أزيلت مع الميضأة وبني مكانهما الرواق العباسى وإدارة الأزهر القديمة ... ومنها ثلاث منارات من داخل باب المزينين مشرفة على صحن الجامع : إحداها منارة الاقباقية عن يسار الداخل إلى الصحن وهى أول مثدنة عملت بديار مصر من الحجر بعد المنصورية وكانت المنارات قبل ذلك تبنى بالآجر وقد أنشأها الأمير علاء الدين آقبا عبد الواحد مع مدرسة الاقباقية ، واثنان عن يمين الداخل فالتى في جانب الباب مما يلي الداخل أنشأها السلطان الأشرف قايتباى والتى تليها من انشاء السلطان الغورى وهى أعلى مناراته وأعظمها ويتوصل لهما من باب صغير فى صحن الجامع يصعد منه إلى سطحه فيه لكل منهما باب ، والخامسة بباب الصعايدة يتوصل اليها من رواق الصعايدة ، والسادسة بباب الشوربة وبابها من الداخل وهما من انشاء الأمير عبد الرحمن كمتخدا والغالب فى مؤذنى الأزهر قديما أن يكونوا مكفوفين محافظة على عورات أهل المساكن المجاورة للأزهر واسكل منارة خلوة لاقامة مؤذنيها لا تظار الاذان بها ولا يؤذنون إلا بتنبية الميقاتى المجمعول لخصوص ذلك والغالب أن اذان الأزهر يبنى عليه اذان أكثر منارات القاهرة .

وأما مزاوله : فكان فيه قديما سبع مزاول أربع فى صحنه لمرفة وقت الظهر على يمين الداخل من باب المزينين وثلاث جهة رواق معمر لمرفة وقت العصر ولم يوجد الآن غير مزولة واحدة بصحن الأزهر على يمين الداخل من باب المزينين وأخرى محفوفة بالسطح غير مستعملة ، وهما من عمل الوزير أحمد باشا كور المتولى على مصر سنة ١١٦١ نقشهما على لوحين من رخام ، وعمل لهما تاريخا منقوشا على كل لوح منهما وهو هذا :

مزولة متقنة نظيرها لا يوجد

رأسها حاسبها هذا الوزير الأجد
تاريخها أنقنها وزير مصر أحمد

أروقة الأزهر :

أما أروقة الأزهر فعددها ٢٩ رواقا ، والأروقة هي :

الرواق العباسي : بنى هذا الرواق المشيد وتم بناؤه في عهد الأريكة العباسية ، وفي مشيخة الشيخ حسونة النواوي للأزهر ، واحتفل بافتتاحه في ٢٤ شوال سنة ١٣١٥ هجرية فجاء هذا الرواق على أبداع طراز مصرى في هندامه ونقشه وأوضاع شبائكه وأبوابه وأنفقت الأوقاف عليه ستة آلاف وثمانون جنيهاً وهو في الحدود الغربية للجامع مطل على الشارع ، ويشتمل هذا الرواق على ثلاثة أدوار :

الاول : المسامت سطحه لسطح الجامع ، وهو فسيح يشتمل على محل لمجلس إدارة الأزهر الشريف وباب المشيخة ، ومنه محال للكتابة وزاوية كبيرة بمحراب جميل الصنع دقيق التركيب والنقش للصلاة والتدريس والحفلات الرسمية الكبيرة للجامع ، وفيه جملة منافع أخرى .

والثاني : مقسم بأجمل نمط صحى يشتمل على قاعة للبيقاتية بجوار السلم وقاعة أخرى لجندى الأزهر ، ورواق متعدد القاعات لطلاب الدين ، ومحل لحكيم وصيدلى الأزهر ، وأول حكيم للأزهر كان هو الدكتور عباس حلمى ، ورواق لبعض الطلاب وآخر لطلاب الطيرسية وأمثاله للبهاروة والاسكندرائية ومحل للدقرخانة الأزهرية .
والثالث : يشتمل على محلات لمفتى الديار المصرية وأمين الافتاء وكتبة الافتاء ، وعلى رواق بأربعة غرف لطلبة الاكراد ، وآخر لطلبة الاقباضية ، وآخر للذكارنة ، وآخر للهنود وآخر للبغداديين . فقد جمع أهالى كثير من الأروقة ، والرواق العباسى افتتح في ٢٤ شوال ١٣١٥ هـ .

رواق الطيرسية : فى الخطط المقرزية هذه المدرسة من المدارس الملحقة بالجامع الأزهر وهى غربية مما يلى الجهة الجمة البحرية أنشأها الامير علاء الدين طيرس وجعلها مسجداً لله تعالى زيادة فى الجامع الأزهر وقرر بها درساً للفقهاء الشافعية وأنشأ بجوارها مiazza وحوض ماء ترده الدواب وتأنق فى رخامها وتذهيب سقفها حتى جاءت فى أبداع زى وأبهج ترتيب وانتهت عمارتها سنة ٧٠٩ وكان لها بسط تفرش يوم الجمعة ، وكان لها امام ، وكان فيها خزانة كتب وخزن كثيرة ،

(٧ - الأزهر - ثانى)

وجدد لها الأمير عبد الرحمن كتبها ، وقد ذهبت أوقافها ورمت في عهد الخديوي عباس الثاني وجعلت كتبها الازهر في سنة ١٣١٤ ونقلت طلبتها للرواق العباسي ، وطيرس كان قائداً للجيش المصرية ، ومات سنة ٧١٩ هـ .

رواق الابتغاوية : في خطط المقرري هذه المدرسة بجوار الازهر على يسرة الداخل اليه من باب الكبير الغربي - باب المزينين - تجاه المدرسة الطيرسية كان موضعها دار الأمير الكبير ايدمر الحلي نائب السلطنة في أيام الملك الظاهر وميضاة للجامع الازهر أنشأها الأمير آقبا وجعل بجوارها قبلة ومئذنة وكانت مدرسة مظلمة ليس عليها من بهجة المساجد ومن أنس بيوت العبادات شيء البتة ، وذلك أن آقبا عبد الواحد أقرض ورثة ايدمر الحلي مالا ، وأمهل حتى تصرفوا فيه ثم ألجأهم في الطلب إلى أن أعطوه دارهم فهدمها وبني موضعها هذه المدرسة وأضاف أمثال ذلك من الظلم فيها بأشياء من الغصب وأخذ قطعة من سور الجامع حتى ساوى بها المدرسة الطيرسية وحشر لعملها الصنائع من البنائين والتجارين وجميع أنواع الفعلة بأن يعمل كل منهم فيها يوماً في كل أسبوع بغير أجره وجعل عليهم مملوكاً من ممالكه لم ير الناس أظلم منه ولا أعنى منه ، ولا أفسى قلباً منه ، فلقى العمال منه مشقات لا توصف وحمل اليها سائر ما يحتاج من خشب وحجر ورخام ودهان ، من غير أن يدفع ثمناً البتة ، وتم بناؤها سنة ٧٤٠ هجرية ، ورتب لها الخدمة فكان لها إمام ومؤذن وفراشون وقومة ومباشرون ، وكان لها ثلاثة أبواب أحدها يصل للصحن من رواق القيمة ، والثاني لرفاق الميضاة ، والثالث لباب المزينين ، وموجود لها الآن بابان أحدهما يفتح على القبلة ، وللقبلة باب آخر من باب المزينين ، وهو مستعمل ، والثاني وهو مغلق ، وهي الآن محل كتبها الازهر ، ونقلت طلبتها للرواق العباسي .

رواق الاكراد : كان عن يمين الداخل من باب المزينين بجوار رواق القيمة وبأعلى مساكن فائزيل ونقلت طلبته إلى الرواق العباسي .

رواق الهنود : كان عن يمين الداخل من الباب المذكور بينه وبين باب الطيرسية به مسكن أرضي وأربع مساكن علوية وقد أزيل ونقلت طلبته إلى الرواق العباسي . رواق البغداديين : هو كان بأعلى رواق الهنود كان يشتمل على مسكنين ومطبخ وبيت خلاء وأزيل ونقلت طلبته للرواق العباسي .

رواق البرتية : كان في زاوية الرحمة المسقوفة خارج باب الاتراك بين رواق

الأتراك ورواق اليمنية ، وهو محل أرضى صغير كان جزء من رواق الأتراك ، وقد هدم والعمارة جارية فيه الآن .

رواق اليمنية : كان بجوار رواق البرنية له باب على الرحبة المسقوفة خارج باب الأتراك وقد أزيل وسكنت طلبته الرواق العباسي .

رواق الجبرت : هو داخل رواق البرنية وهو أوسع منه وقد هدم وأجريت فيه العمارة من زمن بعيد .

رواق الأتراك : أنشأه السلطان قايتباي ، وجده الامير كتخدا وأنشأ فيه زيادات ، وكان يحتوى على ستة عشر عموداً من الرخام واثني عشر مسكناً علوياً وله خزانة كتب عظيمة جامعة وكان له مطبخ وبئر ، وأوقافه يستحقها كل طالب من بلاد الترك ، ولو كان عتيقاً ، وكان له بابان باب مسامت لباب رواق المغاربة وباب على صحن الجامع ، وفي سنة ١٣١٩ أخذت الاوقاف في نقضه مع ماساواه من الاروقة لغاية باب الصعايدة ، وكان في عزمها تجديد هذه الاروقة ببناء مشايخ مثل الرواق العباسي .

رواق السنارية : كان على يسار الداخل من باب المغاربة قبل رواق الأتراك ، وكان يحتوى على مساكن علوية ونقض في ضمن العمارة السابقة سنة ١٣١٩ .

رواق المغاربة : هو كان على يمين الداخل من باب المغاربة وكان له بابان باب في الصحن في طريقة باب المغاربة ، وكان يشتمل على خمس بوائك قائمة على أعمدة من رخام ، وكان فيه مساكن علوية وله كتب خزانة كبيرة ، وكان له مطبخ وبئر وحنفية ويستحق أوقافه كل مجاور مغربي ، وكان له كاتب مثل رواق الأتراك .

رواق السلمانية : كان بين باب الشوام ورواق الجاوة ، وكان به خمس مساكن وخزانة كتب كبيرة .

رواق الجاوة : هو كان بين رواق السلمانية ورواق الشوام ، وبه خزانة كتب ونقض بناؤه .

رواق الشوام : وهو عن يمين الداخل من باب رواق الشوام وهو من إنشاء السلطان قايتباي وزاد فيه الامير عثمان كتخدا ثم الامير عبد الرحمن كتخدا حتى صار أكبر من رواق الصعايدة وكان بأعلامه نحو الثلاثين حجرة لمجاوري الشوام وقد أوقف عليه كل من الاميرين المذكورين أوقافاً جارية على أهله إلى الآن وبه خزانة كتب

كبيرة وكان فيه بئر وحفنية .

رواق الدكرانة : هو فوق الاوان عن شمالى الداخل من باب الصعايدة وهو أرضى وفوقه بعض من رواق الشوام .

رواق الصعايدة : وهو من أشهر أروقة الازهر وهو على يمين الداخل من باب الصعايدة وهو يحتوى على إيوان متسع بوسطه عمود من الرخام وبداخله خزانة فيها كتب كثيرة ولها قيم يغير منها لمن يطلب من أهل العلم وله مطبخ ، وكان تحت الرواق صهريج كبير يشرب منه عموم أهل الازهر وهذا الرواق بجميع جهاته من إنشاء الأمير عبد الرحمن كتبخدا مع عماراته بالازهر وله شيخ مخصوص وقد استقرت مشيخة هذا الرواق عدة أجيال فى المشايخ العدوية ، وله أوقاف كثيرة .

رواق الحرمين : هو عن يمين الذهاب إلى المنبر السالك من باب الصعايدة وهو يحتوى على قاعة سفلية وثلاث حجرة علوية ويسكنه أهل مكة المشرفة والمدينة المنورة والطائف وغيرهما من بلاد الحجاز وهو من إنشاء المرحوم عبد الرحمن كتبخدا .

رواق البربرة : هو مجرد خزن ودواليب عن شمال الداخل من باب الشوربة .

رواق دكرانة سليح : هو مجرد خزن ودواليب بجوار رواق الشراقة ونقلت طلبته إلى الرواق العباسى .

رواق الشراقة : فى النهاية البحرية من المقصورة القديمة ، وهو من إنشاء إبراهيم بك الوالى بسبب شيخ الاسلام الشيخ الشرفاوى شيخ الازهر ويسكنه بجاورو الشراقة ، وقد استعان الشيخ بامرأة عمياء فقيهة تحضر عنده فى درسه إلى الست عديلة هانم بنت إبراهيم بك الكبير فكلمت زوجها إبراهيم بك المعروف بالوالى بائن يبنى له مكانا خاصا بطائفته فأجاب به إلى ذلك وبنى الرواق المذكور ، وكان المجاورون الشراقة يسكنون بمدرسة الطيرسية ورواق معمر فتشاجروا مع أهل الطيرسية ومنعهم شيخها من الدخول فكان ذلك سببا فى بنائه .

رواق الجوهريّة : هو مدرسة من المدارس الملحقة بالازهر وهى تجاه زاوية العميان وهى صغيرة ليس بها عمد وتشتمل على إيوانين متقابلين وبينهما ممر مفروش بالرخام وبها قبلة صغيرة وعلى دائرها منقوش فى الحجر ، بسم الله الرحمن الرحيم : فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه الآية ، وباعلاها خلوتان وبها خزن جميلة التركيب ، وكان يدرس بها بعض العلماء ، وقد أنشأها جواهر القنفذاتى ،

وكان بداخلها مدفنه ، وبني في القرن التاسع .

رواق زاوية العميان : هو خارج الجوهريّة في الجانب الثاني من الحارة بينهما
من الحجر يمشى عليه المتوضئون من مبيضتها وهي من إنشاء المرحوم الامير عثمان
كتخذها وهذه الزاوية تحتوى على أربعة أعمدة من الرخام ، ولها قبلة وميضأة ،
وفوقها ثلاث حجر للعميان ولا يسكنها غيرهم ، ولهم شيخ منهم ومرتباتهم تصرف
عليهم .

رواق الحنابلة : وهو بجوار زاوية العميان أنشأه المرحوم عثمان كتخذاً منشئ
زاوية العميان وهو يحتوى على ثلاثة مساكن علوية جددتها الامير راتب باشا وأجرى
على أهل هذا الرواق مرتبات عظيمة .

رواق معمر : هذا الرواق عن يمين الداخل لدورة المياه ، للآزهر وهو رواق
مشهور لكثرة من ينتمى إليه بسبب أنه لا يخص جهة بخلاف غيره .

رواق الفشنية : كان بين رواق الحنفية وبين دورة المياه ، وقد أزيل
ولم يبق به سوى خزن ودواليب للمنافع المجاورين .

رواق الحنفية : هذا الرواق بين رواق الفشنية والشنوانية وكان باباً إلى الصحن
يدخل منه في سرداب ضيق طويل وذلك السرداب أصله من رواق الفشنية أخذ
منه بعوض ، وقد أزيل ذلك السرداب كما أزيل غيره من الاروقة المجاورة له فإنه
لم يوجد بها سوى خزن لاثمعة المجاورين . . . أنشأ هذا الرواق الامير راتب
باشا الكبير سنة ١٢٧٩ وكان موضعه بيوتا مملوكة لأربابها فاشترها المرحوم عباس
الأول وهدمها وأسسها ليبنيتها رواقاً لأهل بلد الشيخ البيجورى شيخ الأزهر
في ذلك الوقت ، ثم مات ولم يتمه فكثرت زمتا طويلاً ثم أكمله راتب باشا المذكور
من ماله وجعله رواقاً للحنفية وهو متسع وفيه أربعة أعمدة من الرخام وبه دواليب
كثيرة للمنافع مجاوريه وبأعلاه ثلاث عشرة حجرة للمتقدمين من مجاوريه ، وبه خزنة
كتب جامعة لها قيم يغير منها لعموم المجاورين ، وكان له باب ينفذ إلى الميضأة
وجعل فيه حنفية للوضوء وأوقف راتب باشا على أهله أوقافاً عظيمة وجعل النظر
عليه لمقتى الديار المصرية من الحنفية ، ولما تولى افتاء الديار المصرية الشيخ محمد عبده
سنة ١٣١٧ زاد في مرتبات أهله وشكل لجنة لامتحان من ينشغل من درجة لأخرى
وأجرى الامتحان على العموم ، وبذلك تقدم من تأخر وتأخر من تقدم وحرّم من حرّم

رواق الشنوانية . هو بالزاوية الشرقية من الصحن بجوار رواق الفيمة ، وهو الآن مجرد خزن ودوايب فيها أمتعة المجاورين .

رواق الفيمة : هو في الزاوية الشرقية المذكورة بجوار رواق البحاروة ولم يبق به سوى خزن لامتعة المجاورين ونقلت طلبته من قبل بالرواق العباسي .

رواق البحاروه : هو مخصوص بمجاوري أهل البحيرة لا يشاركونهم فيه غيرهم وله شيخ ونقيب ومرتبات ولم يبق به الآن غير خزن لامتعة المجاورين ونقلت طلبته للرواق العباسي .

حارات الأزهري :

عدها ثلاث عشرة حارة : حارة البيجيرمية ، حارة العفيني ، حارة الزرافنة ، حارة البشاشه ، حارة السلمانية ، حارة الجيزاوية ، حارة الدكة والمنبر ، حارة الممشي ، حارة النفاروة ، حارة الزهار ، حارة الواطية ، حارة الشنوانية ، حارة المناصرة ، ولكل حارة شيخ ونقيب .

الباب السادس

صور عن النشاط العلمى فى الأزهر

الأزهر والحركة الفكرية المعاصرة

يتولى الزعامة الفكرية فى مصر اليوم أفراد قلائل من كبار مفكرينا ، الذين جمعوا بين الثقافتين العربية والغربية ، وهم فى فهمهم للثقافة الغربية مدينون للدراسات الغربية التى تلقوها فى جامعات الغرب أو فى أمهات الثقافات الأوروبية المعاصرة ، أما فهمهم للثقافتين العربية والإسلامية فهم مدينون أولا لآراء محمد عبده فى الإصلاح الدينى والتوجيه الفكرى .

لقد كانت آراء محمد عبده الإصلاحية التقدمية هى المعين الذى استقى منه كبار مفكرينا من أمثال عبدالعزیز فهمى واطفى السيد وطه حسين وسواهم ، وإليه يرجع الفضل فى تحررنا الفكرى ، وبقظتنا الروحية وفى النهضة التى وصلنا إليها .
ومن تأثر بآراء محمد عبده الشيخ طنطاوى جوهرى ، وكان من أعلام الأزهريين فى العصر الحديث ، وله كثير من البحوث والمؤلفات العميقة ، ومن أهمها : : تفسيره للقرآن الكريم ، ومن أهم مؤلفاته الأخرى : جمال العالم - جواهر العلوم - ميزان الجواهر - النظام والإسلام - نظام العالم والأمم - التاج المرصع - الزهرة فى نظام العالم والأمم - نهضة الأمة وحياتها - الفرائد الجوهريّة فى الطرف النجوية - الحكمة والحكمة - جوهر التقوى - الرسالة القازانية - مذكرات أدبيات اللغة العربية - أين الإنسان - صدى صوت المصريين فى أوربا - رسالة تعدد الزوجات - رسالة الموسيقى - سوانح الجوهرى - ملخص كتاب فنلون - جواهر الانشاء - نظم ملخص كتاب أدب الدنيا والدين - رسالة الهلال - أصل العالم - ملخص كتاب حى بن يقظان - الأرواح - جوهرة السفر .

وكذلك تأثر به الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخ الأزهر الأسبق ، والشيخ محمد رشيد رضا ، والشيخ المراغى ، والشيخ محمد الأحمدى الظواهري ، والشيخ عبدالمجيد سليم ، والشيخ إبراهيم حمروش ، وغيرهم من أعلام الفكر وقادة الحركة الإسلامية فى مصر والشرق العربى .

ويقول حافظ في رثاء الامام محمد عبده ، مصوراً عظم النكبة فيه ، ومتحدثاً عن مكانة الاستاذ الامام ، وعن أثره الفكري في حياة الجيل المعاصر :

سلام على الاسلام بعد محمد سلام على أيامه المنضرات
على الدين والدنيا ، على العلم والحجا على البر والتقوى ، على الحسنات
لقد كنت أخشى عادى الموت قبله فأصبحت أخشى أن تطول حياتي
فوالهني - والقبر بيني وبينه - على نظرة من تلکم النظرات ؟
وقفت عليه حاسر الرأس خاشعاً كأنى حيال القبر في عرفات
لقد جهلوا قدر الامام فادعوا تجاليد في موحش بفلاة
ولو ضرحوا بالمسجدين لانزلوا بخير بقاع الأرض خير رفات
تباركت ! هذا الدين دين محمد أترك في الدنيا بغير حماة ؟
تباركت ! هذا عالم الشرق قد قضى ولانت قناة الدين للغمزات
زرعت لنا زرعاً فأخرج شطاه وبنت ولما نجت الثمرات
مددنا إلى الاعلام بعدك راحنا فردت إلى أعطافنا صفرات
وجالت بنا تبغى سواك عيوننا فعدن وآثرن العمى شرقات
وآذوك في ذات الاله وأنكروا مكانك حتى سودوا الصفحات
رأيت الأذى في جانب الله لذة ورحمت ولم تهتم له بشككات
لقد كنت فيهم كوكباً في غياهب ومعرفة في أنفس نكرات
أبنت لنا التنزيل حكماً وحكمة وفرقت بين النور والظلمات
ووقفت بين الدين والعلم والحجا فأطلعت نوراً من ثلاث جهات
وقفت لها نوتو ، ودينان ، وقفة أمدك فيها الروح بالشفحات
وخفت مقام الله في كل موقف تخافك أهل الشك والنزغات
ووليت شطر البيت وجهك خالياً تنسجى إله البيت في الخلوات
وكم ليلة عانت في جوفها الكرى ونهت فيها صادق العزمات !
وأرصدت للباغى على دين أحمد شبابة يراع ساحر النفثات
إذا مس خد الطرس فاض جبينه بأسطار نور باهر اللبعات
فيا سنة مرت بأعواد نعشه ، لأنت علينا أشأم السنوات
حطمت لنا سيفاً وعطلت منبراً وأذويت روضاً ناضر الزهرات
وأطفأت نيراناً وأشعلت أنفساً على جمرات الخزن منظويات

مشى نعشه يختال عجا بربه ويخطر بين اللبس والقبيلات
تكاد الدموع الجاريات تقله وتدفعه الانفاس مستعرات
بكي الشرق فارتجت له الارض رجة وضاعت عيون السكون بالعبرات
ففي الهند محزون وفي الصين جازع وفي مصر ، باك دائم الحسرات
وفي الشام مفجوع وفي الفرس نادب وفي تونس ماشئت من زفرات
بكي عالم الاسلام عالم عصره سراج الدياجي هادم الشبهات
فلا تنصبوا للناس تمثال عبده ، وإن كان ذكرى حكمة وثبات
فإني لأخشى أن يضلوا فيومثوا إلى نور هذا الوجه بالسجدات
فياويح للشورى إذا جد جدّها وطاشت بها الآراء مشتجرات !
ويا ويح للفتيا إذا قيل : من لها ؟ ويا ويح للخيرات والصدقات
فيا منزلا في عين شمس ، أظنني وأرغم حسادي برغم عداتي
عليك سلام الله ، مالك موحشا عبوس المغاني ، مقفر العرصات ؟
لقد كنت مقصود الجوانب أهلا تطوف بك الآمال مبتهلات
مثابة أرزاق ، ومهبط حكمة ومطلع أنوار ، وكثر عظات

ويعد كذلك الأستاذ الإمام من فحول الكتاب الذين حرروا الكتابة العربية
في النهضة الحديثة من قيودها القديمة ، وأخذوا يرجعون بأساليبها إلى أرقى عصورها
وأزهر أيامها . ولقد كان الشيخ محمد عبده من أفاضل رجال الدين ، وقادة المفكرين -
وكان أجمل وأروع قدوة المصلحين . . كما كان من أشهر رجال مصر العاملين
في نهضتها الحاضرة . ولد سنة ١٨٤٥ م بمحلة نصر ، إحدى قرى مركز شبراخيت
بمديرية البحيرة . وحفظ القرآن ، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة بها ثم أرسله
والده إلى معهد طنطا ، فصادف عناء في فهم العلوم لعقم طريقة التعليم وقتئذ ، وكاد
ينكص على عقبيه ، ويعود إلى قريته ، ويشغل بالفلاحة كأيّيه وبقيّة أسرته . ولكن
عناية الله قيضت له من يسر له سبيل الفهم ، وحبب إليه طلب العلم ، فعاد إلى مناهل
العلم نهماً ، وغادر معهد طنطا إلى الأزهر . وأخذ يتزود من علومه بقدر استطاعته ،
حتى نبه اسمه ، وعرف بالذكاء والفطنة بين إخوانه . ولما قدم إلى مصر فيلسوف
الشرق ، جمال الدين الأفغاني ، انتظم الشيخ محمد عبده في سلك تلاميذه ، واقتبس
من علمه وفلسفته ، ولازمه ملازمة ظله ، ونال إجازة العالمية ، واختير مدرّساً للأدب
العربي والتاريخ بدار العلوم وأستاذاً للغة العربية بمدرسة الألسن ، ثم اشتغل

بأحرز في الوقائع المصرية . وشبت الثورة المرافية ، فكان من أبطالها ، ونفى من القطر المصري بعد انتهائها ، فذهب إلى سورية ثم انتقل إلى باريس . وأنشأ مع أستاذه جمال الدين صحيفة العروة الوثقى . ثم عفى عنه سنة ١٨٨٨ م فعاد إلى مصر ، وعين قاضياً في المحاكم الأهلية ، ثم كان مفتياً للديار المصرية . وبقى في منصبه مسموع الكلمة ، واسع الجاه ، شديد الباس ، عظيم السلطان - إلى أن وافته منيته سنة ١٩٠٥ م فاهتز العالم الاسلامي لوفاته ، وفقد فيه الرائد المصلح ، والشجاع الابن ، والمناضل المكافح ، والمشعل الذي أضاء دياجي الظلمات ، والسيف الذي روع الاستعمار .

بعوث الأزهر العلمية

اتصل الأزهر بأوروبا التي كان يحتويها وينظر إلى علومها نظرة المعجب لا المصدق والمتفرج لا المتأثر ، والمشاهد الذي تدركه الغيبوبة في أثناء شهوده من الدهش والخرابة ، ففي سنة ١٨٢٦ شهدت باريس وشهد الباريسيون الأزهرين في صفوف بعثات محمد علي ، وفي سنة ١٨٢٨ شهد السريون حفلاً عاماً من علماء فرنسا وعظماؤها يستمعون إلى الأزهرين في امتحانهم ، ويعجبون بأجاباتهم ويصفقون لهم تنويهاً بهذا الإعجاب واثبت الأزهريون عند هذا الامتحان المرة الأولى في تاريخ مصر الحديث أن الإسلام دين علم ، وأنه لين هين لا يستعصى على نزعات الفسك ، إنما يستعصى على نزغات الشيطان تزجي إليه باسم العلم وباسم الدين . . نعم ، كان المرحوم رفاة الطحطاوى إمام بعثات القرن التاسع عشر وكانت وظيفته أن يصلى بالمسلمين من أفرادها ، وأن يذكرهم إذا نسوا . وأن يتخولهم بالموعظة ليوظ فيهم إلى جانب حاسة عرفان العلم ، احساس وجدان الفضيلة ، وما لبث رفاة الأزهرى أن كان إمام البعثات في العلم ، ومبرزهم في العمل ، وسابقهم في الفضل ، ولم تمض سنتان على عمله الذي اختطه لنفسه حتى كتب وترجم ونقل من الشمال إلى اليمن ، ما كان قد نقل من اليمن إلى الشمال ، فكان فيما كتب ونقل موقفاً كل التوفيق ومسداً كل السداد .

رجع رفاة إلى مصر فاكب وتلاميذه ، وتلاميذ مدرسة الاسن ، على الترجمة والتأليف في السياسة والاجتماع والادب والجغرافيا والتاريخ حتى كان أول من بنى قنطرة فوق الهوة التي كانت تفصل الأزهر ، بل الشرق كله ، عن أوروبا . ورفاة في كل أولئك لم ينس منبته ولا نشأته ولا أزهريته ، فاذا كتب في تاريخ فرنسا ، كتب إلى جانبه في تاريخ العرب وفي تاريخ مصر ، وكأنه يقول « لكم تاريخكم ولنا

تاريخنا ، ولسكم ترائكم ولنا ترائنا ، وإذا أخذنا فلسكى نزيد شخصيتنا لالنقال منها ، وإذا كتب فى جغرافية د مطبورن ، نوره بذكر ياقوت الحموى وأبان عن معجمه ، وإذا تحدث عن المرأة قال : إن الإسلام لم يظلمها وإنما ظلمها أهولها وإن تعاليم الإسلام لم تعد عليها وإنما عدت عليها اعتبارات وضعية من العادات والتقاليد . وضرب رفاة بهذا الاتجاه الجديد المثل الأعلى لمن يريد أن يوفق بين ماضيه وحاضره ، واتخذ لمقياس التقدم وحدة الزمن الثلاثية التى تبدىء بالماضى ، وتتطلع إلى المستقبل ، وتتخذ من الحاضر وصلة ما بينهما .

ومنذ أكثر من قرن أكب المستشرقون على دراسة الإسلام وعلوم الإسلام فبحثوا وأفادوا ، وما يفيد الأزهر أن يقف أمام المتطرف من هذه البحوث موقف الصاحب مكتفياً بما يشغل اليه عنهم ان بالحق وإن بالباطل ، بل يجب عليه أن يتصل بهم ، وأن ينازلهم فى ميدانهم ، وأن يقارعهم بأسلحتهم حجة بحجة ودليلاً بدليل . . . وسيسمع الأزهر عن هؤلاء المستشرقين دروس المل والنحل ، الغريب منها عن الإسلام ، والمشتق منها من تعاليمه وآياته ، والمناسب منها مع عقلية العرب المسلمين ، وما أجبروا عليه إجباراً بلامسوغ ولا تقدير . . . سيسمع الأزهر عن قرب وباتصال مباشر كيف تسربت الفلسفة إلى المسلمين ، وكيف أساغوا ما أساغوا منها ، ورفضوا منها ما رفضوا ، وسيسمع عن تطور القراءات القرآنية وعلاقتها باللغة العربية وبلهجات العرب ، وسيدعش أبناء الأزهر إذ يرون أن كل هذه العلوم مبنية مفصلة ، سهلة لا تستعصى على قارىء ولا تحتجب وراء أساليب تقرأ لتفهم هى لا مدلولاتها .

وقد رأى الأزهر مسابقة النهضة العلمية الحديثة فى البلاد فأرسل البعوث من علمائه الأكفاء إلى البلاد الأوروبية للتخصص فى الفلسفة والتربية وعلم النفس والتاريخ وما إلى ذلك من علوم الحياة ليتمكن الارتفاع بهم بعد عودتهم فى كلياته الجامعية بدل الاساتذة المندوبين إليها من المعاهد الأخرى .

بقى أن نتحدث عن الأربعة الأزهريين الذين وصلوا باريس عام ١٩٣٦ والذين أحدثوا ضجة فى أنحاء الحى اللاتينى فالمصريون كانوا يتوافدون على فندقهم جماعات يحبون فى أشخاصهم عهداً جديداً ، ويمجدون فى طلعهم بلادهم الشرقية التى لم تمنعها شريقها أن تتطلع إلى الغرب فى المفيد النافع من أساليبه مع احتفاظها بطابعها الشرقى ، ومدى البعثة كان يشغل بدراساتهم وترتيب مسكنهم وما كلهم وكل ما يمس حياتهم فى هذه

البلاد ، وما ذلك بالشيء اليسير لعلماء الازهر المعروفين بالتسك بمبادئهم . أما الاستاذ ماسنيون فقد عني بهم عناية خاصة فقدمهم إلى إخوانه من العلماء الفرنسيين الذين يعملون معهم ، وكان جميلا منه يعد أن عرف أن من بينهم واحدا بزوجه وأطفاله الثلاثة أن يعمل على إساكنه بالقرب من حديقة « اكسمبرج » لتكون متعة ومراحا لطفول الأطفال . ولعل من الطريف أن نعرف أن الدكتور تاج أحد أعضاء هذه البعثة ، وخريج السوربون قد صار شيخا للآزهر . وقد كان من أعضاء بعثة عام ١٩٣٦ هذه في مشيخة الشيخ المراغي .. وقد أرسلت طائفة أخرى في عهد الشيخ مأمون الشناوى عام ١٩٤٩ ، وآخر مبعوث للآزهر هو الشيخ محمد فتحى عبد المنعم وقد سافر إلى فرنسا في شهر يوليو عام ١٩٥٢ .

ومن الذين أوفدوا من الازهر بين إلى أوروبا المرحوم الشيخ عبدالعزيز المراغي ، والشيخ محمد عبد الله دراز ، والشيخ محمد الفحام ، والدكتور ماضى ، والدكتور البهى ، والدكتور عبد الحليم محمود ، والاستاذ على حسن عبد القادر وسواهم . وكتب الدكتور طه عام ١٩٣٥ يبدى رأيه في بعثات الازهر العلمية إلى أوروبا ، فقال :

« إذا أراد الازهر أن يرسل بعوثا إلى أوروبا فليرسل بعوثه أول الأمر إلى الجامعة المصرية ليتتقنوا فيها بالثقافة الحديثة ثم ليختر من بين هذه البعث من تظهر كفايته ، وينبه شأنه ، وتهض الحاجة على حسن استعداد . وإذا كان عند الازهر اثنان أو ثلاثة أو أربعة قد امتازوا بكفاية نادرة واستعداد باهر فلا بأس بإسألمهم منذ الآن على أن ترسم لهم برامج ومناهج تلائم حاجات الازهر الماسة وضروراته الملحة .

الواجب كل الواجب أن تتوازن الثقافات الاوربية حتى تستطيع الثقافة العربية الاسلامية أن تسيغها جميعا وأن تحتفظ بشخصيتها . إنا نضن بالازهر كل الضن أن يلقى بنفسه في أحضان الثقافة اللاتينية أو السكسونية ونلح أشد الالحاح في أن يظل هربيا وعربيا خالصا يأخذ من الثقافات الاوربية المختلفة بمقادير متناسبة ، لا يطغى بعضها على بعض . فإذا لم يكن للآزهر بد من أن يتعجل إرسال البعث إلى أوروبا غير حافل بما يقدم اليه من نصح بالمهل والاناة ، فليعد للنظر في توزيع بعوثه على الاقطار الاوربية وليحذر الحذر كله أن يلتهم بلد من البلاد الاوربية بعوثه كلها ، أو أكثرها . ولينظر إلى الجامعة فقد يحسن الاقتداء بالجامعة في بعض الاشياء ، إنها لاترسل بعوثها إلى بلد بعينه ، وإنما ترسلهم إلى البلاد الواقعة في أوروبا ، فمنهم من

يذهب إلى إنجلترا ومنهم من يذهب إلى فرنسا ومنهم من يذهب إلى ألمانيا ، ومنهم من يذهب إلى إيطاليا . والاصل في هذا التوزيع ما قدمته من أن الجامعة حريصة كل الحرص على أن تأخذ باطراف مختلفة من الثقافات المختلفة لأنها ترى أن هذا أحفظ للشخصية المصرية الخالصة وأجدد أن يفتح للمصريين أبوابا متميزة من العلم ، وأجدد بعد هذا كله أن يعصم العقل المصري من الاحتكار الثقافي .

وقد درج الأزهر كذلك منذ أمد بعيد على إرسال بعوث من علمائه البارزين لتثقيف الأمم الإسلامية والدعوة إلى الإسلام في البلاد التي تدين بالوثنية . فأرسل إلى الصين بعثته وإلى الحبشة وجنوب إفريقيا والهند واليابان بعثات ، وقد كان هؤلاء جميعا أثر حميد في نشر مبادئ الإسلام ، وتبليغ تلك الأقطار رسالة الأزهر .

ولقد ظهرت آثار تلك النهضة الدينية ظهورا واضحا ، بما بعث الأقطار الإسلامية بعثا جديدا ، ورغبها في طلب بعثات من علماء الأزهر للتعليم في معاهدها ، فلبى الأزهر طلب تلك البلاد بسخاء وكرم ، وأرسل البعثات تلو البعثات إلى العراق والمملكة العربية السعودية وسوريا ولبنان وإمارة الكويت والسودان وأسمره والبحرين وليبيا .

وكذلك وفد من الأقطار الإسلامية طلبة يتعلمون في الأزهر ، وهو يقوم بكل ما تتطلبه إقامتهم من راحة ، ورفاهة عيش ، ويكل إلى بعض الأساتذة المربين تعليمهم أولا اللغة العربية ، ثم يعدهم لمراحل التعليم المختلفة . وقد بلغ عددهم عام ١٩٥٠ زهاء الألف طالب .

منهج الدراسة بالأزهر منذ إنشائه

أول كتاب درس بالجامع الأزهر هو كتاب الاقتصار الذي وضعه أبو حنيفة النعمان بن محمد القيرواني قاضي المعز لدين الله في فقه آل البيت ، وكان يتولى دراسته بالأزهر ولده أبو الحسن علي بن النعمان كما أسلفنا ، ودرسه بعده بنو النعمان الذين تعاقبوا في قضاء مصر حتى نهاية القرن الرابع . وكان يدرس بجانب الاقتصار كتب أخرى في فقه الشيعة للنعمان القيرواني أيضا ، وهي : كتاب دعائم الاسلام ، وكتاب اختلاف الأصول ، وكتاب الاخبار ، وكتاب اختلاف الفقهاء .

وقرىء بالأزهر كتاب ألفه الوزير يعقوب بن كاس ، وكان يجلس لقراءته وتدريسه بنفسه ، وأفتى الناس بما فيه . وموضوعه الفقه الشيعي على مذهب

الاسماعيلية مما سمعه الوزير ابن كلثوم من المعز لدين الله ، والعزير بالله ، ولهذا اشتهر بالرسالة الوزيرية .

وكان التدريس بالازهر يجرى على مذهب الشيعة يومئذ ، وكان في أول الامر من المحظوران يدرس غير ذلك ، ولهذا قبض على رجل وجد عنده كتاب الموطأ للإمام مالك ، فحبس وجلد في سنة ٣٨١ هـ في عهد العزير بالله . وفي أواخر الدولة الفاطمية كادت تكون الدراسة في الازهر حرة ، ولكن لم يعرف بالضبط أسماء الكتبة التي كانت تدرس في ذلك العصر .

ومن تولى التدريس بالازهر ، في العصر الفاطمي ، الأستاذة بنو النعمان قضاة مصر ، فكان القاضي أبو الحسن علي بن النعمان أول من درس بالازهر ، وتوفي سنة ٣٧٤ هـ ، ودرس بالازهر أخوه القاضي محمد بن النعمان وتوفي سنة ٣٨٩ هـ ، ثم ولده الحسن بن النعمان قاضي الحاكم بأمر الله ، والمؤرخ الحسن بن زولاق المتوفى سنة ٣٧٨ هـ والمسبحي المتوفى سنة ٤٢٠ هـ وكان من أعلام التفكير والأدب والفلك والتاريخ ، وأبو عبد الله القضاة ، وهو محمد بن سلامة بن جعفر المتوفى سنة ٤٥٤ هـ والحوافي النحوي ، وهو أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سعيد المتوفى سنة ٤٣٠ هـ وأبو العباس أحمد بن هاشم المصري المتوفى سنة ٤٤٥ هـ ، وابن بابشاذ النحوي ، وهو أبو الحسن طاهر بن أحمد المصري المعروف بابن بابشاذ المتوفى سنة ٤٦٩ هـ وأبو عبد الله محمد بن بركات النحوي تلميذ القضاة المتوفى سنة ٥٣٠ هـ .

ولاشك أنه قد اشتهر من أولئك الأئمة من صنف الكتبة الكبيرة ، والمراجع العظيمة في العلوم الدينية والعربية ، التي كانت تدرس في الازهر ، كالعلامة أبي الحسن علي بن إبراهيم الحوافي إمام العربية والنحو وصاحب كتاب إعراب القرآن ، وابن بابشاذ النحوي صاحب كتاب المقدمة وشرح الجمل ، وابن القطاع اللغوي صاحب كتاب الأفعال ، وأبي محمد عبد الله بن برى المصري إمام اللغة في عصره ، وغيرهم من انتهت إليهم الرياسة في هذا العصر ، واعتبرت مصنفاتهم متوناً ومراجع .

وفي أواخر القرن السادس أي بعد ذهاب الدولة الفاطمية ، وقيام الدولة الأيوبية نرى الازهر جامعة حرة تدرس فيها العلوم العقلية والعلوم المدنية إلى جانب

العلوم الدينية بصورة منتظمة . فمثلا نرى بين أساتذة الأزهر في هذه الفترة العلامة عبد اللطيف البغدادي يدرس الطب والفلسفة والمنطق مدى حين (١) .
يبدو أنه لا ريب أن صفة الأزهر الدينية كانت وما زالت تغلب على كل صفة أخرى ، وأن علوم الدين كانت وما زالت خلال العصور تحتل المقام الاول .

وهذه خاصة لم يشفرد بها الأزهر في العصور الوسطى . ذلك أن الحركة العقلية كانت خلال هذه العصور ترتبط في جميع الأمم بالدين أشد ارتباطا وكانت الاديرة مراكز الدراسة في أوروبا والاحبار هم قادة الفكر . يبدو أنه لما تقدمت الحركة الفكرية ، وتسربت النظريات الفلسفية إلى تعاليم الكنيسة ، أخذت سيطرة الدين على حركة التعليم تضعف شيئا فشيئا .

ولم تلبث الجامعة الأوروبية أن نشأت منذ القرن الثاني عشر ثم أخذت تقوى ويشهد ساعدها وتسير نحو استقلالها ، واضطرت الكنيسة أن تناصر هذا الاستقلال ، طالما كان بعيدا عن الاصطدام بتعاليمها وتقاليدها ، وذلك خوفا من أن يقع التعليم تحت سيطرة أمير أو حاكم مطلق يوجهه نحو خصومتها . ولم يأت ختام العصور الوسطى حتى كانت الجامعة الأوروبية قد حققت استقلالها العلي ، وأخذت تسير نحو النور والحقيقة ، بعيدة عن المؤثرات الدينية والسياسية ما استطاعت إلى ذلك سبيلا .

وقد كان التعليم الجامعي يميل منذ البداية نحو التخصص ، وكانت الدراسة تجري تقريبا على نفس الأساليب التي كانت تتبع في الأزهر وباقي المعاهد الإسلامية من الاستيعاب والتخصص ، مثال ذلك جامعة بولونيا التي اشتهرت في القرن الثاني عشر بتوفر أساتذتها وطلبتها على دراسة القانون الروماني ووضع حواشيه الشهيرة .
وقد وفد إلى مصر عقب انتهاء الدولة الفاطمية أبو القاسم الرعيني الشاطبي الضرير ، المقرئ الشهير المتوفى سنة ٥٩٠ هـ وهو صاحب حرز الاماني ووجه التهاني الذي مازال إلى اليوم من أهم متون التجويد والقراءات .

ويظهر من عناية الخلفاء الفاطميين بالعلوم الرياضية والفلكية والطبية والجغرافية

(١) ترجمة عبد اللطيف البغدادي في « مناقب الاطباء » لابن أبي صبيحة فيما يرويه عبد اللطيف عن نفسه ، ونفس هذه الترجمة في كتاب « الافادة والاعتبار » لعبد اللطيف .

أن تلك العلوم لا بد أن تكون قد درست في الأزهر في زمانهم ، كما كانت تدرس في دار الحكمة التي أسسها الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٥ هـ (١٠٠٥ م) .
وقد كان الأزهر في زمن الفاطميين موئل الثقافة الدينية ، وكان له الأثر الواضح في تنمية الحياة العقلية والفكرية وتخرج علماء الدين واللغة ، ولكنه لم يكن له أثر في توجيه الحياة السياسية في ذلك العصر ، مثل ما ظهر له ظهورا جليا في الدولة المصرية بعد ذلك .

ولما انقرضت دولة الفاطميين سنة ٥٦٧ هـ واستولى صلاح الدين بن يوسف الأيوبي على ملك مصر ، أنشأ بالقاهرة مدرسة للفقهاء الشافعية ، وأخرى للفقهاء المالكية ، ونحى قضاة مصر الشيعة كلهم ، وابتنى خلفاؤه من بعده المدارس المتنوعة والتي خصصت كل مدرسة منها بتدريس علوم خاصة ، وتحولت الحركة والنشاط العلمي في الأزهر إلى تلك المدارس ، وإن لم تنقطع الدراسة فيه ، كما أسلفنا .
وفي زمن الظاهر بيبرس البندقداري من ملوك الجراكسة سنة ٦٦٥ هـ أعاد للأزهر حياته العلمية والدينية . وأول مدارس به من مذاهب أهل السنة مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه ، ثم أدخلت إليه المذاهب الأخرى تباعا .

واتجهت العناية السكبري حينئذ لاتقان تدريس العلوم الدينية بوجه خاص ، وتسابقت همم الفحول في إتقان آلاتها ، من نحو وصرف وبلاغة ، فنبغ بمصر أئمة أعلام يفتخر بهم اليوم العالم الاسلامي أجمع ، كالإمام عز الدين بن عبد السلام ، والإمام السبكي وأبنائه ، والشهاب القرافي ، وابن هشام ، والسراج البلقيني ، وجلال الدين السيوطي ، وغيرهم من المصريين ، وإبراهيم بن عيسى الاندلسي ، وعز الدين عمر بن عبد الله عمر القدسي ، والإمام الاصبهاني ، والإمام الزيلعي ، وابن الحاج محمد العبدري الفاسي ، وأبي حيان محمد بن يوسف الغرناطي ، وتاج الدين التبريزي ، والحافظ العراقي ، والحافظ ابن حجر العسقلاني ، وعلاء الدين الحموي ، والرضي الشاطبي ، ومحمد بن محمد البغدادي ، وشيخ الاسلام زكريا الانصاري ، وقاسم بن محمد التونسي ، وغيرهم من الذين رحلوا من أقاصي الأرض لمصر لتعلم العلم بالأزهر .

وكانت العلوم العقلية من رياضية وغيرها تدرس أيضا ، ولسكن المشتغلين بها كانوا نززا من الطلبة .

وفي أواخر القرن التاسع الهجري أصاب الأزهر ما أصاب المعاهد الأخرى من

الذبول والركود ، وفقدت مصر استقلالها سنة ٩٢٢ هـ - (سنة ١٥١٧ م) فتقلص ظل النشاط والازدهار العلمى ، وانصرف كثير عن العلوم العقلية والفلسفية والرياضية والجغرافية ، وأخذ القول بحرماتها يتسرب شيئا فشيئا حتى تركت هذه العلوم من الأزهر ، وبقيت مهجورة ينظر إليها نظرة السخط ، حتى صدرت فتوى من شيخ الأزهر الشيخ الإنبانى والشيخ محمد محمد البنا مفتى مصر بجواز تعلمها ، وعدم حرمة تدريسها .

ولا يفوتنا أن ننبه إلى أنه كان من العلماء فى عهد ركود الأزهر وجوده من يعرف كثيراً من العلوم العقلية والطبية وغيرها زيادة على العلوم الدينية والعربية ، وهؤلاء لا يحصون ، نذكر منهم على سبيل المثال : الشيخ أحمد عبد المنعم الدمهورى شيخ الأزهر المتوفى سنة ١١٩٢ هـ فقد جاء فى سند إجازته ما ملخصه : أنه تلقى فى الأزهر العلوم الآتية وله تأليف فى كثير منها ، وهى : الحساب ، والميقات ، والجبر ، والمنحرفات ، وأسباب الأمراض وعلاماتها ، وعلم الأسطرلاب والزيج ، والهندسة ، والهيئة ، وعلم الارتماطيق ، وعلم المزاويل ، وعلم الأعمال الرصدية ، وعلم الموالييد الثلاثة ، وهى الحيوان والنبات والمعادن ، وعلم استنباط المياه ، وعلاج البواسير ، وعلم التشريح ، وعلاج لسع العقرب ، وتاريخ العرب والعجم .

وبما لا ريب فيه أن العلوم الدينية والعربية كان لها الشأن الأول من العلوم نفسياً ، وما عداها من العلوم كالحكمة الفلسفية والتصوف لم يكن يدرس فى الأزهر ولا بين جماهيره ، ولكن كان له دراسة خاصة فى المنازل ، أو الأروقة التابعة للأزهر .
ويحسن أن نثبت هنا وثيقة رسمية لمشيخة الأزهر وضعتها بناء على طلب الحكومة لتبعت بها إلى لجنة معرض باريس ، وذلك فى عهد الخديوى إسماعيل سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٤ م) .

وقد جاء فى هذه الوثيقة أن المواد التى كانت تدرس بالأزهر فى ذلك العهد هى : الفقه ، الأصول ، التفسير ، الحديث ، التوحيد ، النحو ، الصرف ، المعانى والبيان ، والبديع ، متن اللغة ، العروض والقافية ، الحكمة الفلسفية ، التصوف ، المنطق ، الحساب ، الجبر والمقابلة ، الفلك والهيئة .

وزادت المشيخة على ذلك أنه يقرأ فى الأزهر ، فضلاً عن هذه المواد المتداولة ،

بعض مواد أخرى كالمهندسة والتاريخ والموسيقى وغيرها لمن لهم اقتدار على دراستها ،
يبد أنه لا يشتغل بدراستها سوى القليل

الدراسة في الأزهر قبل النظام

منذ أصبح الأزهر مدرسة جامعة ، كان يسير على نظام سهل يكاد يكون فطرياً ،
أساسه التقوى ، وقوامه احترام الدين وأهله . وكان شيخ الجامع الأزهر المرجع
الأعلى لمن كان فيه من أصغر طالب إلى أكبر عالم ، كلمته هي العليا ، وإشارته حكم
لا يتخطاه واحد منهم ، يوزع الاحساس والهبات ، ويخبر العلماء والمدرسين ، وكان
إذا أشكل عليه أمر استشار فيه أكابر العلماء .

كان الطالب يدخل الأزهر مختاراً بلا قيد ولا شرط ، ويختلف إلى من أراد من
العلماء لتلقى العلم عنه ، ويبقى فيه ماشاء أن يقيم ، فإذا آانس من نفسه علماً كافياً ،
وملكه يتمكن بها من إفادة غيره ، استأذن أساتذته ، وجلس للتدريس حيث يجد
مكاناً خالياً ، وعرض نفسه على الطلبة ، فكانوا إذا لم يجدوا فيه الكفاية للإفادة
انفضوا من حوله ، وإذا وجدوه على علم وثقوا به ، واستمروا على تلقي العلم عنه ،
وحيثما يجيزه شيخ الأزهر لإجازة .

ولما كان أساس التعليم فيه دينياً ابتداءً على الطريقة التي كان السلف يدرسون عليها
الدين ، وعلومه . فكانت الدروس تعقد به حلقات ، يتصدر كل حلقة أستاذها ،
وقد يجلس على كرسي ليتمكن من إسماع طلبته الكثيرين .

وكان عماد الدراسة إذ ذاك النقاش والحوار بين الطلبة وأساتذتهم بما يشق العقول
وينمي ملكة الفهم ، وظلوا على ذلك مدة طويلة إلى أن اقتضى الحال وضع قوانين
خاصة للأزهر وطلبته وعلمائه وإدارته والدراسة فيه

قوانين الأزهر

أول قانون وضع للأزهر في عهد إسماعيل وإلى مصر الأسبق سنة ١٢٨٨ هـ
سنة ١٨٧٢ م ، وكان شيخ الأزهر وقتئذ الشيخ محمد المهدي العباسي .

وقد نظم هذا القانون طريقة نيل شهادة العالمية ، وبين مواد امتحانها ، وقسم
الناجحين فيها إلى ثلاث درجات : (أولى ، وثانية ، وثالثة) ، على أن تصدر بذلك

براءة ملكية بتوقيع ولي الامر ، والمواد التي بينها ذلك القانون والتي يدرسها الطلبة ويمتحنون فيها هي : الاصول ، الفقه ، التوحيد ، الحديث ، التفسير ، النحو ، الصرف ، المعاني ، البيان ، والبديع ، المنطق .

ولكن مما يؤسف له أن هذا القانون لم يستطع أن ينهض بالازهر النهضة المرغوبة ، ولم يتجاوز بمواد الامتحان لنيل شهادة العالمية ، الا احد عشر علماً (١) ، ، مما يدل على جهود الحركة العلمية به ، وفقر النشاط فيه .

وحدث بعد ذلك أن عين المرحوم الشيخ حسونة النواوى شيخاً للازهر . وكان الشيخ محمد عبده رحمه الله عضده وساعده ، فتعاونوا على إنهاض الازهر من كبوته ، وفي ذلك الحين وضع القانون الصادر بتاريخ ٢٠ المحرم سنة ١٣١٤ هـ — ١٨٩٦ م وقد لحظ واضعو هذا القانون من وجوه الاصلاح مارأوه كفيلاً بإنهاض الازهر ، فأدخلوا فيه مواد جديدة هي : الاخلاق ، مصطلح الحديث ، الحساب ، الجبر ، العروض والقافية ، وجعل التاريخ الإسلامى ، والإنشاء ، ومتن اللغة ، ومبادئ الهندسة ، وتقويم البلدان وغيرها من مواد يفضل محلها على غيره . ويقدم عليه ، وفك التقيد بكتب دون أخرى ، وحرّم قراءة الحواشى فى السنوات الأربع الاولى ، وحرّم التقارير التى على الحواشى ، وبذلك نهض الازهر نهضة مباركة ، لو ظلت على حالها ولم تنهضها الاحداث لكان لها فى تاريخ الازهر شأن يذكر ، ولكنها كانت كلسان الشمعة أضاء حينئذ انطفأ . فقد انفرط عقد النظام ، وانهارت النهضة العلمية بخروج الشيخ محمد عبده من مجلس إدارة الازهر ووفاته سنة ١٩٠٥ .

وما زالت تتوالى على الازهر القوانين والانظمة واللوائح حتى سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١) ولم تكن فى تلك القوانين واللوائح ما يمس جوهر المواد الدارسية ، وإنما يتناول تنظيم بعض الحالات الداخلية فى الازهر ، كحضور الطلاب ، وصرف المرتبات ، ومنح كساوى التشرىفات من ولي الامر ، وتعيين بعض المدرسين لدراسة الحساب والجبر والهندسة والجغرافيا والخط وغير ذلك .

قانون رقم ١٠ سنة ١٩١١ م :

يعتبر القانون رقم ١٠ سنة ١٩١١ م من أهم قوانين الازهر فى ذلك العهد ، حيث تناول الدراسة ، وجعلها مراحل ، وجعل لكل مرحلة نظاماً وعلوماً ، وزاد فى (١) كان لفظ « الاحد عشر علماً » هو اللقب الشائع لذلك القانون فى عهده

مواد الدراسة ، وحدد اختصاص شيخ الجامع الأزهر ، وأنشأ هيئة تشرف على الأزهر تحت رئاسة شيخه تسمى مجلس الأزهر الأعلى ، وأوجد هيئة كبار العلماء وجعل لها نظاما خاصا ، وأن يكون لكل مذهب من المذاهب الأربعة التي تدرس في الأزهر شيخ ، ولكل معهد من المعاهد مجلس إدارة ، وجعل للموظفين نظاما في التعيين والترقية والتأديب والاجازات ، وللطلاب شروطاً في القبول ، وحدودا للعقوبات والمساحات ونظم الامتحانات والشهادات (١)

وتستطيع أن نبين بإيجاز الظروف والأحوال التي مرت فيها هذه القوانين ، والثمرات التي جناها الأزهر منها . والمآخذ التي أخذت عليها ، إلى أن وضع قانون سنة ١٩٣٠ م المعدل بقانون سنة ١٩٣٦ م .

أشرنا فيما سبق أن قانون سنة ١٢٨٨ قد وضع حدا للفوضى والارتباك الذي تورط فيه الأزهر في ذلك الحين . ولكنه لم يستطع أن ينهض به إلى الغاية التي يرنو إليها محبو الإصلاح ، ولم ينقله من جموده الذي استولى عليه ، فبقى التعليم فيه كما كان مقصوراً على العلوم الدينية والعربية وقليل من الهيئة والميقات والحساب للحاجة إليها في مواقيت الصلوات والمواريث . ولم يتأثر الأزهر ولا مناهج الدراسة فيه بالنهضة العلمية التي بعثها محمد علي الكبير في مصر ، على حين أن الباشا قد وجد في أبناء الأزهر المادة الأساسية التي أقام بها دعائم نهضته .

ورغم اقتصار الأزهر على هذه المواد فإن الطلبة كانوا يقضون في تحصيلها مددا طويلة أقلاما خمس عشرة سنة ، ولاحد لا أكثرها .

ومع أنها كانت تدرس في كتب سقيمة من المختصرات التي لا تفهم إلا بشروح وحواش وتقارير ، فإن الطلبة كانوا يقدرّون على الاستقلال بدراسة الكتب

(١) وقد وضع هذا القانون لجنة مؤلفة من فتحى زغلول باشا ، وعبد الخالق ثروت باشا ، وإسماعيل صدقى باشا ، على أثر ثورة لإصلاحية قام بها طلاب الأزهر ، وساعدهم على ذلك بعض العلماء في ذلك العهد . ولم يقبل أولو الأمر منهم في مبدأ الحركة مطالبهم التي يعبرون فيها عن آلامهم من النظام القائم ، فلما اشتدت الحركة ورأت الحكومة أن الأمر كاد يخرج من يدها لاستغلال بعض الأحزاب هذه الحركة ، ولاستقالة الشيخ حسونة النواوى شيخ الأزهر بسبب ذلك ، أصدرت أمراً بتأليف اللجنة التي أشرنا إليها ، ووضع القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ م

ويقدرّون على فهمها ، وكانت تمنو فيهم ملكات البحث والجدل . ولكن إذا وازنا بين الفائدة التي يجنيها الأزهري من التعلم التحواري اللفظي والمزايا التي يفقدها من عدم عنايته بالعلوم الكونية التي لا بد منها في تطبيق الأحكام الشرعية على وجهها الصحيح ، لو وازنا بين ذلك أدركنا عدم قيام الأزهري بالثقافات التي تتطلبها حاجات العصر .

كل هذا كان يبعث أهل الغيرة من رجال الأمة ورجال الحكومة على تلبس وجوه الإصلاح ، ولم يكن من الميسور أن يكون إصلاح الأزهري سهلاً لاعتبارات تقليدية تاريخية . ولا من العاجز أن يسلك في إصلاحه ما يسلك في تنظيم المدارس المدنية . بل كان يجب أن يتناول الإصلاح برفق ، وأن يكون بإضافة القدر الضروري من المعارف ، وإصلاح طريقة التعليم ، وباختيار الكتب ، وتوجيه هذه القوى الجبارة إلى جوهر العلم ، وأسرار الدين ، وأسرار العربية .

وهذا الذي أشرنا إليه هو الذي لاحظناه واضعوا قانون سنة ١٨٩٦ فضمنوه من وجوه الإصلاح ما رأوه كفيلاً بإنهاض الأزهري ، وكان من حسن الحظ أن الذي قام على تنفيذ هذا القانون مجلس إدارة يضم طائفة من العلماء خلصت نيّتهم وتوفرت لديهم وسائل التنفيذ ، وهم المشايخ : حسونة النواوي ، محمد عبده ، سليم البشري ، عبد الكريم سلمان ، سليمان العبد . أسبغ الله عليهم واسع رحمته ورضوانه .. وقد أضاف هذا القانون مواد جديدة هي : الأخلاق ، مصطلحات الحديث ، الحساب ، الجبر ، العروض والقافية . وجعل التاريخ الإسلامي والانشاء ومن اللغة ومبادئ الهندسة وتقويم البلدان ، وغيرها من مواد يفضل محلها على غيره ويقدم عليه ، وفك التقييد بكتب دون أخرى ، وحرّم قراءة الحواشي في السنوات الأربع الأولى . وجعل من اختصاص مجلس الإدارة أن يعدل في مواد التعليم طبقاً لما يراه من المصلحة .

سار الأزهري على هذا النظام عشر سنوات سيراً مستمداً متزناً ، لم تقطع فيه المواد الجديدة على المواد القديمة ، لأنها أخذت بمقدار يناسب حال الأزهري ، ونشطت دراسة العلوم الدينية والعربية بما كان يعطى للطلاب من المكافآت السنوية ، وبما كان ينشر بينهم من أفكار المرحوم الشيخ محمد عبده في دروسه ومجمعاته . وقد انفرط عقد النظام بخروج الشيخ محمد عبده من مجلس الإدارة ثم وفاته سنة ١٩٠٥ رضي الله عنه ، كما قدمنا .

جدت بعد ذلك أحداث وفتن ، وعولت الحكومة على إنشاء مدرسة للقضاء

الشرعى ، فصدر بها قانون فى سنة ١٩٠٧ ، وشعر الأزهريون بأن الحكومة أصبحت فى غنى عنهم ، لأن لها مدرسة لتخريج معلمى العربية فى مدارسها ومعاهدها ، هى دار العلوم ، ومدرسة لتخريج القضاة .

وخاف القائمون على الأزهر من تقلص ظله ، ومن عدم إقبال الناس عليه ، حيث لم يبق بعد ذلك للعلماء إلا وظائف الإمامة والخطابة فى المساجد ، ففكروا وفكر الناس معهم فى إعادة تنظيم الأزهر على مثال مدرسة القضاء ، ومدرسة دار العلوم ، بل على مثال يوجد للدراسة مواد أكثر ومناهج أطول . وانتهى الأمر بهم إلى وضع القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ وكثر الإقبال على الأزهر ، ووجدت معاهد أخرى فى عواصم المديرىات ، وبعض المحافظات ، جرت على نهجه ، وسارت عليها نظمه ، حتى صار عدد الطلاب فى سنة ١٩١٧ م أكثر من عشرين ألفا .

وهذا القانون لم يخل من الفائدة ، لأن تعلم التاريخ والجغرافيا والرياضة ومبادئ الطبيعة والكيمياء قرب طلبة الأزهر من تلاميذ المعاهد الأخرى ، وغير عقليتهم ، ووسع أفقهم ، وإدخال المطالعة والمحفوظات والانشاء أوجد من أهل الأزهر عددا كبيرا من الكتاب والشعراء ، ومكن لهم من القدرة على الخطابة والوعظ .

وهذه الفائدة التى أفادها القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ تعد ضئيلة بجانب الضرر الذى نجم عنه ، فقد اضطر الطلاب ليفوزوا بالنجاح فى الامتحان التحريرى إلى أن يعتمدوا على الحفظ والاستظهار ، واستهانت المعاهد بالامتحان الشفوى .

وقد شعر المهيمنون على التعليم فى الأزهر منذ وضع ذلك القانون بأن الأزهر أخذ يفقد أهم خصائصه ويميزات تعليمه ، ولم تخلص تقارير المفتشين فى سنة من السنوات من الشكوى من اعتماد الطلبة على الاستظهار ، ومن ضعف ملكاتهم العلمية . وقد توالى على هذا القانون تعديلات آخرها التعديل الذى أدخل عليه بالقانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ وهو أظهر تعديل طرأ عليه ، وفى هذا القانون قسم التعليم العالى إلى ثلاث كليات : واحدة لعلم أصول الدين ، وثانية لعلوم الشريعة ، وثالثة لعلوم اللغة العربية ، وأوجد تخصصاً سمي تخصص المادة ، وآخر سمي تخصص المهنة .

وقد كان الغرض من هذا تفرغ كل طائفة من التلاميذ فى التعليم العالى والتخصص لطائفة من المواد الكثيرة التى كانت تدرس بمجموعة حتى يتيسر إتقان الدرس والفهم ، وإتقان التحصيل . ومع هذا ظلت الشكوى قائمة ، وظهر أن الداء الذى يجب أن

يحسم ويستأصل هو ضعف الطلبة في القسم الثانوي بسبب كثرة المواد ، وبسبب طول المناهج في بعض المواد التي لا يحتاج الطالب في الأزهري إلى طول المناهج فيها . فهذه السكثرة وهذا الطول لم يدعأ وقتاً لفهم الدروس وتمثيلها ، ولم يدعأ وقتاً لطول التفكيك والبحث والجدل ، وتنمية ملكات العلوم والاستنباط (١)

القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ :

صدر هذا القانون في عهد المغفور له الشيخ محمد الاحمدى الظواهر شيخ الجامع الأزهر (١٩٢٩ - ١٩٣٥) وقد أنشئت بمقتضاه الكليات الثلاث القائمة الآن بالأزهر ، وهى كليات اللغة العربية ، وأصول الدين ، والشريعة . وقد نص فيه على جواز إنشاء كليات أخرى .

ويعد هذا القانون بحق أول خطوة رسمية في تمكين الجامع الأزهر من مسايرة التقدم العلمى والاجتماعى فى العصر الحاضر ، وفى تزويد طلابه بما يجب أن يحيط به رجل الدين الحديث من العلوم ومن الانجازات .

وقد افتتحت هذه الكليات فى الاماكن التى أعدت لها مؤقتاً حين الانتهاء من الابنية الفخمة التى خصصت لها . فتم ذلك فى يومين مشهودين فى حياة الأزهر ، هما يوم ١٧ و ١٨ مارس سنة ١٩٣٣ .

وقد جعل هذا القانون التعليم فى الأزهر أربع مراحل :

١ - ابتدائى ومدته أربع سنوات ، ويدرس فيه من المواد ما يلى :
الفقه ، الاخلاق الدينية ، التجويد ، استذكار القرآن الكريم ، التوحيد ، السيرة النبوية ، المطالعة والمحفوظات ، الانشاء ، النحو ، الصرف ، الاملاء ، الخط ، التاريخ ، الجغرافيا ، الحساب ، الهندسة العملية ، مبادئ العلوم ، تدبير الصحة ، الرسم .

(١) كان الشيخ المراغى فى آخر مشيخته الاولى وقد وضع مشروع قانون لإصلاح الأزهر ، وتقدم به لأولى الامر ، ولكن الظروف حالت دون النظر فى ذلك المشروع فانصرف الشيخ المراغى عن مشيخته الأزهر ، وتولاها الشيخ محمد الاحمدى الظواهرى فى اكتوبر سنة ١٩٢٩ م ووكل اليه النظر فى مشروع قانون للجامع والمعاهد الدينية ، فوضعه ، واعتمد من ولى الامر ، ونفذ سنة ١٩٣١ وافتتحت كليات الأزهر التى أنشئت بذلك القانون سنة ١٩٣٣ .

٢ - ثانوى ومدته خمس سنوات ، وتمنح منه شهادة الثانوية قسم أول ، وشهادة الثانوية قسم ثانى ، ويدرس فيه من المواد ما يلى :

الفقه ، التفسير ، الحديث ، التوحيد ، استذكار القرآن الكريم ، النحو ، الصرف ، البلاغة (البيان والبديع والمعانى) ، العروض والقافية ، المطالعة والمحفوظات ، الانشاء ، أدب اللغة ، الرياضه (الحساب والهندسة والجبر) ، العلوم (الطبيعة والكيمياء والتاريخ الطبيعى) ، المنطق ، التاريخ ، الجغرافيا ، الأخلاق ، التربية الوطنية .

٣ - عال ومدته أربع سنوات ، وينقسم إلى ثلاث كليات :

١ - كلية اللغة العربية ، ويدرس فيها من المواد ما يلى :

النحو ، الوضع ، الصرف ، المنطق ، علوم البلاغة ، الآداب العربية وتاريخها ، تاريخ العرب قبل الاسلام وتاريخ الأمم الاسلاميه ، التفسير ، الحديث ، الاصول الانشاء ، فقه اللغة .

ب - كلية الشريعة . ويدرس فيها من المواد ما يلى :

التفسير ، الحديث متنا ورجالا ومصطلحا ، أصول الفقه ، تاريخ التشريع الاسلامى ، الفقه مع مقارنة المذاهب فى المسائل الكلية وحكمة التشريع ، أدب اللغة العربية ، علوم البلاغة . المنطق .

ج - كلية أصول الدين . ويدرس فيها من المواد ما يلى :

التوحيد مع إيراد الحجج ودفع الشبه خصوصا الذائع فى العصر منها : المنطق والمناظرة ، الفلسفة مع الرد على ما يكون منافيا للدين منها ، الاخلاق ، التفسير ، الحديث ، آداب اللغة العربية وتاريخها ، تاريخ الاسلام ، علم النفس ، علوم البلاغة ، ٤ - التخصص وهو على نوعين : تخصص فى المهنة ، وتخصص فى المادة ، والغرض من التخصص فى المهنة ، هو إعداد علماء يقومون بمهنة الوعظ والارشاد أو الوظائف القضائية بالمحاكم الشرعية ، والافتاء والمحاماة ، أو التدريس فى المعاهد الدينية ومدارس الحكومة .

والغرض من التخصص فى المادة : إعداد علماء متفوقين فى العلوم الأساسية لكل كلية من الكليات الثلاث .

ويعين حاملو شهادة هذا القسم فى وظائف التدريس بالكليات ، وبأقسام التخصص وهناك علاوة على ذلك أقسام غير نظامية يسمح فيها بدخول الطلبة الذين لم

تتوافر فيهم شروط القبول بالأقسام النظامية ، وكذلك أفراد الجمهور للتوسع في دراسة اللغة العربية والعلوم الدينية .

قانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ :

ورأى الشيخ محمد مصطفى المراغى عقب توليته شيخا للأزهر سنة ١٩٣٥ م أن يضع مشروع قانون لإصلاح الأزهر بنى بالأغراض التى تحقق آمال المسلمين فيه ، وترجع به إلى عصوره الزاهرة من البحث العلمى السليم والتفكير الحر ، ودراسة الفنون التى تتفق مع طابعه القديم . وتطابق مقتضيات العصر وتلبى مطالبه ، وقد وضع ذلك المشروع ، وتقدم به لولى الأمر فصدر به مرسوم بقانون تحت رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ ، وقد وضع بجانبه مذكرة إيضاحية بين فيها الأغراض التى قصد إليها فى مشروعه . ونحن نثبت هنا بعض ما جاء فى المذكرة فى هذا الصدد :

«لما إذا نحاول إصلاح الأزهر نريد أن نوجد طالبا يفهم مسائل العلوم فهما صحيحا ، ويفهم أغراضها وصلتها بأدلتها ، وصلتها ببعضها ببعض ، ويستطيع التطبيق على الجزئيات ، ويستطيع الاستنباط والتدليل ، ويستطيع فهم الكتب القديمة التى ألقت فى العصور المختلفة فى جميع الفنون الإسلامية .

«ولما على بعضى لاكثر الكتب التى ألقت فى العصور المتأخرة ، أكره من الطلاب أن يعجزوا عن فهمها . لأن فيها خيرا كثيرا ، ودقائق لا يصح الجمل بها . لذلك أحب أن يستطيع الطلاب فهمها ، ويقدرُوا على حلها .

«نعم إنى لا أحب أن تدرس العلوم على هذه الكتب ، بل أحب أن توجد كتب فى جميع الفنون الحديثة على أسلوب عربى صحيح مناسب لأذواق الأجيال الحاضرة تهذب فيه المسائل على أحسن ما وصل إليه التحقيق العلمى ، وأن تحيا الكتب القديمة الجيدة فى الأسلوب والوضع . فهذا الميراث العظيم يجب أن يؤخذ كله سلسلة متصلة الحلقات .

«هذا الذى نحاوله بالتجديد يجب على ما أرى أن يضعه الناس أمامهم ، وأن يجدوا للوصول إليه ، وهو غاية يقل فى جانبها كل جهد ، ويرخص فى سبيلها كل ما يبذل للوصول إليها . ولقد كان أسلافنا أشد الناس عناية بالعلم ، فلم يمتض الزمن القليل حتى أخذوا علم اليونان وأدب الفرس وحكمة الهند ، واستعانوا بذلك كله فى تفسير القرآن ، وفى وضع علم الكلام على الأسس التى نراها فى مثل المواقف والمقاصد ، واستعانوا به فى تنظيم مسائل العلوم جميعها ، فلم يخل علم من أثر الفلسفة

والمنطق . ولقد كانت لهم محاولات جديرة بالاعجاب في التوفيق بين الدين ونظريات الفلسفة . وقد أخذ العلم يسير في هذا العصر سيرة جديدة ، وتغيرت نظريات الفلسفة وحدثت نظريات أخرى ، وكان من شأن ذلك كله أن توجه على الأديان جملة ، وعلى الاسلام خاصة ، حملات ، وصار من الواجب الحتم على علماء المسلمين أن يحيطوا علماً بكل ما يوجه إلى الأديان عامة ، وإلى الاسلام خاصة من مطاعن ، وأن يردوا تلك المطاعن التي توجه إلى الاسلام ، ويدودوا عن عقديتهم بأدلة ناصعة ، وأسلوب مقنع متمتع ، ليجنبوا المتعلمين تعليماً مديناً الشبه الزائفة ، وليضمنوا إلى الاسلام أفراداً وشعوباً من الأمم التي تتطلع إلى الاسلام ، وتبتغي الوقوف على خصائصه ومزاياه . وهذا لا يتم لهم على ما ينبغي إلا بالاتصال بغيرهم اتصالاً علمياً وتعرف اللغات الحية التي يكثر فيها الانتاج العلمي ، والتي يتناول بها العلماء مسائل الاسلام ومسائل اللغة العربية . لذلك وجب أن يكون لأهل الأزهر نصيب من هذه اللغات . وهناك فائدة أخرى لتعليم اللغات ، وهي أنها تساعد على معرفة طريقة وضع الكتب ، وعلى معرفة الاسلوب الحديث في التأليف والتفكير ، وطريقة عرض المسائل على أنظار المتعلمين .

« ولا ندعى أن إصلاح القانون ، وتنفيذ هذا المشروع ، يحقق الأغراض التي نرمى إليها ، ويوجد الطالب الأزهرى الذي نبتغيه ، بل إن الذي يحقق هذه الأغراض الرغبة الصادقة في التعليم ، والعزيمة القوية على احتمال الجهد والصبر لقطع مراحل التعليم في هدوء وطمأنينة ، والإيمان بأن العلم عزيز يقتنى ، وحلية للنفس ، ومتعة للعقل ، وجمال لمن يتصف به ، والحرص على الإفادة والتعليم ، والإيمان بأن ذلك فرض للعلم واجب لله ولرسوله والمؤمنين ، والشعور بلذة الانفاق منه يزيد في الثروة ، ويشبع نهم النفس التواقة إلى الغنى ، وأن هذه الثروة خير مما هو مخزون في خزائن الأغنياء . وعند النظر في مواد التعليم لإصلاح القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ والقانون رقم ٢٧ لسنة ١٩٣٣ رأت إدماجهما معاً ، كما رأت أيضاً أن يشمل الإصلاح الأبواب الأخرى من هذين القانونين ، فتم ذلك ، وتألف منهما هذا المشروع . »

الدراسة في الأزهر الحديث (١)

جعل قانون ١٩٣٦ التعليم في الأزهر أربع مراحل :

١- ابتدائي ومدته أربع سنوات ، ويدرس فيه من المواد مايلي :
علوم دينية : الفقه ، التوحيد ، السيرة النبوية ، وسيرة كبار الصحابة ، تجويد القرآن الكريم .

علوم اللغة العربية : الانشاء ، النحو ، الصرف ، الاملاء ، المطالعة ، المحفوظات
علوم أخرى : التاريخ ، الجغرافيا ، الرياضة ، تدبير الصحة ، الرسم ، الخط .
٢- ثانوي ومدته خمس سنوات ، ويمنح منه شهادة واحدة هي شهادة اتمام الدراسة الثانوية ، ويدرس فيه من المواد مايلي :

علوم دينية : الفقه ، التفسير ، الحديث متنا ومصطلحا ، التوحيد .
علوم اللغة العربية : النحو ، الصرف ، البلاغة : البيان والمعاني والبديع ،
الانشاء ، أدب اللغة ، العروض ، والقافية ، المطالعة ، والمحفوظات .
علوم أخرى : المنطق وأدب البحث ، الطبيعة ، الكيمياء ، علم الحياة ، الجغرافيا
٣- الكليات وهي ثلاث :

كلية الشريعة وتتبعها الاقسام الآتية :

١ - شهادة الدراسة العالية ومدتها أربع سنوات . والمواد التي تدرس للحصول عليها :

التفسير : الحديث متنا ورجالا ومصطلحا ، أصول الفقه مع حكمة للتشريع
ومقارنة المذاهب في المسائل الكلية ، تاريخ التشريع الاسلامي ، المنطق ، الفلسفة ،
لغة أجنبية (الانجليزية أو الفرنسية) وتدرس بصفة اختيارية .

ب- شهادة العالمية مع إجازة القضاء . والمواد التي تدرس للحصول عليها بعد النجاح في الشهادة العالية : قوانين ولوائح المحاكم الشرعية والاوراق والمجالس
الحسبية ، التوثيقات الشرعية ، إجراءات وتمارين قضائية ، ودراسة القضايا
ذات المبادئ ، السياسة الشرعية ، القانون الدولي الخاص ، تاريخ القضاء والقضاة

(١) طبقا للقانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ - وقد أدخلت عليه فيما بعد عدة تعديلات

في الاسلام ، النظام الدستوري للدولة ، محاضرات في مبادئ الاقتصاد ، محاضرات طبية ، محاضرات فلسفية ، لغة أجنبية اختيارية ، وهي التي درست في الكلية .
 (ج) - شهادة العالمية من درجة أستاذ في الفقه والاصول . والمواد التي يتخصص فيها للحصول عليها بعد النجاح في الشهادة العالية : الاصول ، الفقه مع حكمة التشريع ومقارنة المذاهب ، وتاريخ التشريع الاسلامي .

كلية أصول الدين ، وتتبعها الاقسام الآتية :

ا - شهادة الدراسة العالية في أصول الدين . والعلوم التي تدرس للحصول عليها هي : التوحيد ، التفسير ، الحديث متنا ومصطلحا ورجالا ، المنطق وأدب البحث ، الأخلاق ، الفلسفة ، الأصول ، التاريخ الاسلامي ، علم النفس ، لغة أجنبية (الانجليزية أو الفرنسية) .

ب - شهادة العالمية مع الاجازة في الدعوة والارشاد . والمواد التي تدرس للحصول عليها بعد النجاح في الشهادة العالية هي :

القرآن الكريم وعلومه ، الحديث الشريف وعلومه ، الدعوة إلى سبيل الله ووسائلها ، الخطابة والمناظرة ، الملل والنحل والمذاهب الفقهية وتواريخها ، البدع والعادات ، اللغة الأجنبية التي درست في الكلية ، لغة شرقية .

ج - شهادة العالمية مع درجة أستاذ في التوحيد والفلسفة . والمواد التي تدرس للحصول عليها بعد النجاح في الشهادة العالية وهي : التوحيد ، المنطق ، الفلسفة ، الأخلاق .

د - شهادة العالمية مع درجة أستاذ في علوم القرآن الكريم والحديث الشريف .

هـ - شهادة العالمية ، مع درجة أستاذ في التاريخ الاسلامي .

كلية اللغة العربية ، وتتبعها الاقسام الآتية :

ا - شهادة الدراسة العالية في اللغة العربية .

ب - شهادة العالمية مع الاجازة في التدريس .

ج - شهادة العالمية من درجة أستاذ في النحو .

د - شهادة العالمية من درجة أستاذ في البلاغة والأدب .

التعليم في الأزهر

يسير الأزهر على التوسع في التلميم الثانوى والعالى (١) وإتاحة الفرص لكل قادر على متابعة الدراسة من إكمال معارفه والتزود بحظ من الثقافة العالية يستطيع به أن يكون مواطناً نافعا يخدم دينه ويعلى من شأن وطنه . ويعتقد الأزهر أن الكفاية ليس لها حدود ولا موطن معين ، ولذلك فسياسته التعليمية منذ قديم تقوم على مبدأ تكافؤ الفرص بأوسع معانيه . فهو لا يوضع حدوداً أو عوائق مالية تحول بين الطالب مهما تكن قدرته المالية وبين متابعة الدراسة حتى نهايتها ، إذ الدراسة فيه مجانية تتكفل الدولة بكل تكاليفها المالية . وفضلاً عن ذلك فإن الأزهر على خلاف الجامعات كلها يتفرد بتقرير مكافآت مالية للطلاب تعينهم نوعاً ما على طلب العلم وتحمل نفقات المعيشة . وهو يتبع سياسة منظمة في التوسع في التعليم الثانوى والعالى بحيث يكفل في كل وقت ألا يرد طالب راغب في العلم عن المعاهد الثانوية أو السكليات . وتبدأ سياسة الأزهر منذ المرحلة الأولى ، فهو يوضع شروطاً للقبول بالسنة الأولى الابتدائية من شأنها أن ترد غير القادرين على الدراسة ، أو الذين لا تتوفر فيهم الأهلية لمتابعة الدراسة الدينية ، فهو يشترط في المادة ٩٩ من قانونه الأساسى ما يأتى : يشترط لقبول الطالب في السنة الأولى من القسم الابتدائى :

أولاً - ألا تقل سنه عن اثنتى عشرة سنة ، ولا يزيد على ست عشرة .

ثانياً - أن يكون حافظاً للقرآن الكريم كله ويؤدى امتحاناً يثبت ذلك .

ثالثاً - أن يؤدى بنجاح امتحاناً في المطالعة والإملاء والخط والحساب .

رابعاً - أن ينجح في الكشف الطبى طبقاً للشروط التى توضع لذلك :

وقد دل تحرى الدقة في تطبيق هذه الشروط على المتقدمين إلى المعاهد الابتدائية أن نسبة كبيرة قد تصل إلى ٥٠ / ٠ من عدد المتقدمين لم يستطيعوا أن يحرزوا النصاب المقرر للنجاح في امتحان القبول ، وبذلك أمكن منذ اللحظة الأولى أن يوجهوا إلى دراسة تتفق مع ميولهم ، وبذلك ضمن إلى حد كبير أن أكتثية الذين جازوا هذا الامتحان التمهيدى لديهم استعداد الدراسة الدينية ، وأنهم لديهم من

(١) من تقرير قدم إلى الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية بناء على طلب هذه

الادارة قبل انعقاد المؤتمر الثقافى العربى عام ١٩٥٠

الكفاية ما يؤهلهم لمتابعة الدراسة في المرحلتين: الثانوية والعالية . وفضلا عن اشتراط هذا الامتحان التمهيدى فقد جرى قانون الازهر حتى السنة الحالية على التشدد فى امتحان طلاب السنتين الأولى والثانية الابتدائيتين وعدم منحهم فرصا للدخول فى الدور الثانى ، لينصرف الطلبة إلى الدراسة ، وليبقى فى التعليم من يؤهله استعدادا وحرصه على الدراسة حتى المرحلة الثانوية ، وليتمكن هؤلاء الطلاب من مبداء الدراسة من تخير طريق آخر وعدم إضاعة وقتهم وجهدهم دون جدوى . وثمة قيد آخر اختص به التعليم الابتدائى هو عدم السماح للطلاب من الاعداد فى فرقة واحدة أو فى سنى الدراسة الأربعة أكثر من مرتين . كل هذه القيود النافعة كانت عنصرا فعالا فى تصفية الطلاب غير المؤهلين للدراسة ، وإبقاء من لهم قدرة وكفاية على مواصلة الدرس . وبتتبع نتائج القبول وإحصائيات المتقدمين تعرف الازهر حاجياته فى التعليم الثانوى من فصول ومعاهد . وبمراجعة البيان بعدد الطلاب الذين قبلوا فى السنوات من سنة ١٩٣٦ حتى سنة ١٩٤٩ ، يتبين مقدار الزيادة فى طلاب الأقسام الابتدائية واطرادها فى السنوات الأخيرة ، مما حمل الازهر على التوسع فى الفصول الثانوية ، وافتتاح معاهد جديدة لتخفيف الضغط عن المعاهد القديمة .

وقد أنشأ الازهر فى خلال هذه السنوات معهد شيعين ، الكوم ومعهدا بقنا (ثانوى ، ابتدائى) ، ومعهدا بسوهاج ومعهدا بالمنصورة ومعهد المنيا ومعهد سمند ومن ذلك يتبين أن الازهر سار فى سياسة التوسع على خطة مرسومة أساسا الاحصائيات وسد حاجات الطلاب المقبولين فى المعاهد الدينية وتزايدهم سنة بعد سنة .

وحين كانت الظروف المالية لا تسمح بإنشاء معاهد جديدة أو فصول ثانوية جديدة ، كان الازهر يضطر إلى فرض قيد على قبول الطلاب ، فيحدد عددا ممن يقبلون فى السنة الأولى الابتدائية فى جميع المعاهد . وقد كان لهذه السياسة ضرر على الطلاب أنفسهم ، فقد كانوا على رغم استعدادهم ورغم صرفهم سنين فى حفظ القرآن الكريم يصرفون فى سن متأخرة عن الدراسة التى أهلوا أنفسهم لها واستعدوا للسير فيها : وهذا بدوره يثبط فيهم روح الامل ، ويقعد بزهرة من الطلاب قد تكون فيهم كفاية ناضجة عن مواصلة التعليم ، وتبقيهم فى بلادهم على مضض منهم ، فيصرفون جهودهم إلى أشياء أخرى قد يكون فيها ضرر على المجتمع . والازهر حين اضطر إلى هذا التحديد كان يركن إليه لصالح الدراسة ومراعاة القواعد القديمة ، من عدم جمع أكثر من أربعين طالبا فى فصل واحد ، وكان الغرض منه أولا مراعاة إمكانيات

المعاهد ، وعدم توفر الفصول اللازمة لهؤلاء الطلاب ، وعدم وجود المدرسين اللازمين لتعليمهم .

وثمة عامل آخر كان يراعيه الأزهر في هذا التحديد هو ملاحظة حاجة البلاد إلى المتخرجين في سنوات كانت اللازمة الاقتصادية فيها مستفحلة ، وكان مستقبل الخريجين فيها مظلما لا يبشر بتقدم . وفي الحق لقد عانى الأزهر من سياسة التوسع في تخرج العلماء والمدرسين معاناة شديدة ، فقد جاء وقت كان المتخرجون فيه أكثر من حاجة البلاد ، مما اضطر معه الأزهر في سبيل التخفيف عنهم إلى النزول بمرتباتهم إلى مستوى ضئيل ، ومع ذلك كانوا يقبلون على هذه الوظائف إقبالا شديدا ، فكان العالم المتخصص يمنح مقابل قيامه بالتدريس جودولا كاملا في المعاهد مرتبا شهريا ضئيلا لا يذكر ، وقد دفع هذا ولادة الأمور إلى الأخذ بسياسة التحديد في قبول الطلاب بالسنة الأولى الابتدائية حتى يمكن أن تتعادل حاجة البلاد وحاجة الأزهر إلى المدرسين مع عدد المتخرجين في الأقسام النهائية . ويمكن القول بعد هذا ان العامل الاقتصادي لعب دورا هاما في سياسة التحديد ، وانه حين انتعشت الأحوال الاقتصادية في البلاد وسمحت ميزانية الدولة بالتوسع في التعليم العام ، وأخذت بمبدأ تكافؤ الفرص وإتاحة التعليم الابتدائي المجاني لكل من يرغب فيه ، اتسعت آفاق الآمال للمتخرجين ، واشتدت الحاجة إلى المعلمين يسدون حاجة هذه المدارس - خفت وطأة التحديد وبدأت المعاهد تقبل جميع الناجحين من المتقدمين إليها ، حتى تضاعف هذا العدد من ١٠٠٠ في سنة ١٩٤٠ إلى ٢٠٠٠ في سنة ١٩٥٠ .

جماعة كبار العلماء

- ١ -

أنشئت هذه الجماعة بمقتضى قانون إصلاح الأزهر الذى صدر عام ١٩١١ ، وقد ظلت قائمة حتى اليوم . وأعضاؤها يظلون في مناصبهم العلية حتى الوفاة ، ولما جاء الشيخ عبد الرحمن تاج شيخا لمشيخة الأزهر هذا العام وأصدر قانونه بإحالة علماء الأزهر إلى المعاش في سن الخامسة والستين بدلا من سن السبعين نص في القانون على أن هذا القيد يسرى على أعضاء جماعة كبار العلماء أيضا ، وبذلك أصبح الأعضاء لا يتمتعون بهذه الميزة الكبرى التى كانت لهم من قبل ، وقد خرج من الجماعة لذلك

شيوخ الأزهر الكبار الذين بلغوا هذه السن أو تجاوزوها .
وقد كتبت في مناسبات عديدة عدة مقالات عن الجماعة ، أرى تسجيلها في هذا المقام

- ٢ -

أنشئت هذه الجماعة في الأزهر لتنهض بأعباء الإصلاح الديني المنشود ، ولتحمل عبء المجهود العلمي في مصر والشرق ، بخدمة التراث الإسلامي ، ورعاية الثقافة الدينية ، وامتدادها بالمؤلفات والبحوث .

وقد حدد قانون سنة ١٩٣٦ المقاعد العلمية للجماعة بثلاثين كرسيًا ، وشرط لاختيار أعضائها شروطًا كثيرة ، أهمها أن يكون العضو الذي يرشح لها من العلماء الذين أسهموا في الثقافة الدينية بنصيب في الأزهر أو في خارجه وأن يقدم رسالة علمية في أية ناحية من نواحي البحث تظهر فيها صبغة الجدة والابتكار .

إن رسالة الجماعة عظيمة خطيرة ، فعلينا أن نغني بالتراث الإسلامي لعلمائنا الاجداد ، وأن نقوم بإخراجهم للناس سائغا جميلا ملائما لعقولهم ومناهجهم الحديثة في البحث والتفكير ، وعليها ألا تقف عنده وتحافظ عليه فقط ، ولكن عليها أن تبني على أسسه ، وأن تسير على امتداده ، وأن تتابع الحركة العلمية في مصر وسواها من الاقطار ، وأن توجهها وتؤثر فيها ، وتشير بها إلى غاياتها المثلى المنشودة .

تلك رسالة الجماعة ، أما حاضرها على ضوء رسالتها فهو حاضر ينبغي أن يتغير لتستطيع الجماعة أن تخدم التراث الإسلامي ، كما يجب أن يكون صوتها قويا مسموعا في حياتنا الفكرية الصاخبة .

لقد كثر نقد الباحثين والمفسرين للجماعة ، وكثر تساؤلهم عن انتاجها وعمادتها من الواجبات الخطيرة التي وضعت في عنقها وقامت لاجلها ، وسرى هذا التيار من خارج الأزهر إلى داخله ، فلغت الرأي العام الأزهرى أذهان المفكرين من رجال الأزهر إلى ذلك . وإن مما يعين الجماعة على أداء رسالتها أن لا تحرم أولى الكفايات ، وأن تفتح أبوابها لهم حتى تجنى الأمة والأزهر ثمار هذه الجماعة ، ويشعر الرأي العام بفائدتها وأثرها في الحياة ، وحتى تسير الجماعة إلى غاياتها السامية ، وتحطو إلى مستقبلها المجيد ، وتؤدي للعالم والدين ما ينظر منها أن تؤديه من خدمات (١) .

(١) من مقالة طويلة نشرتها في البلاغ عام ١٩٤١ .

وأخيراً حققت الآمال العظيمة التي طمح إليها دعاة الإصلاح في مصر والشرق الإسلامي ، وتوج هذا الجهاد الحافل بالفوز والتوفيق ، فأصبحت الأزهر لهذه الدعوة الصارخة ، وآمن بها ، وأخذ يضيف إلى تاريخه التليد صفحات طريفة مجيدة . فنذ أسابيع قرأنا أن عضواً بارزاً من جماعة كبار العلماء قدم إلى الجماعة اقتراحاً جديداً تشيع فيه الرغبة الصادقة في توجيه الثقافة في هذه الجامعة العظيمة وجهة جديدة صالحة تجمع بين أمرين عظيمين :

الأول : بعث روح الانتاج العلمي ، والاضطلاع بأعبائه في شتى فروع الثقافة الدينية .

الثاني : العناية بشئون المجتمع ، وبحث مشكلاته الخلقية والاجتماعية والاقتصادية ، وبيان موقف الدين الإسلامي حيالها .

ثم علمنا أن هذا الاقتراح يشق طريقه نحو التنفيذ ، فأيقنا أن الأزهر مصمم على السير إلى أبعد غايات الإصلاح ، مؤمن بتوفيق الله ورعايته . ولا يخالجننا شك في أن الجماعة - وقد ضمت عناصر جديدة ممتازة - ستظفر بتحقيق هذه الآمال ، وستكتب في تاريخ الأزهر الحديث أروع الصفحات . وليس هذا على الجماعة بكثير ، فقد عني بها المراغى عناية كريمة فأثر بعضويتها أولى الكفايات من العلماء الخريصين على مسامرة الحياة إلى أسمى غاياتها ، وتوجيه الحياة الاجتماعية بنور الدين وهدايته . إن المجتمع في حاجة إلى الأزهر ، والأزهر في حاجة إلى المجتمع ، ولا ريب في أن اتجاه علمائنا نحو المجتمع وبحث شئونه ومشاكله سيجعل الناس على بينة من دينهم ، وتهديهم إلى سبل الخير والفضيلة والرشاد .

لقد مضى زمن الجدل العقيم في العقائد ، والبحث النظري في القشور دون اللباب ، وسمنا الكلام في المياه التي يجوز بها التطهير والتي لا يجوز ، وفي إثبات كرامة الأولياء ونفسيها ، وفي طبقات السماء أمن فضة هي أم من ذهب ، إلى غير ذلك . وهانحن أولاء نشاهد إشراف عهد جديد يشارك فيه علماءنا الناس ، وينزلون من عزاتهم التقليدية إلى حيث يسير الناس وتتحرك الحياة ، ويضعون شئون المجتمع ومشاكله نصب أعينهم ، ويقفون منه موقف الناصح الأمين .

لعمري لقد ملاً الإيمان قلوب الناس ، بل وعقولهم يوم كان الدين روحاً وعقيدة

وخلقاً وعملاً . ولم يمتحن المسلمون بأعظم من الجدل في العقيدة والخلاف في الدين ، حتى انحل ما كان معقوداً من ألقهم ، وحمد ما كان متأججاً من روحهم . ولقد ظهر الغزالي في عصر مفعم بالفتن والاضطرابات والجدل والخلاف ، فدعا الناس إلى دين الله بلغة العاطفة والقلب حين رأى الدعوة إليه عن طريق الخصومة والجدل داعية فتنة ، وناثرة ضلال ، وسكن الغزالي يئس من المجتمع لانه كان يود أن يراه مجتمع ملائكة أبرار لا يجتمع شياطين أشرار ، فزهّد في الحياة ، وعزف عن المجتمع ، واعتزل الناس ، إيثاراً لسلامة الدين والنفس وبعداً عن شرور المجتمع وسيئاته ، وقلده في مذهبه الاجتماعي أصحابه ومريدوه ، فظلت تلك الروح نزعة لعلمائنا حتى العصر الحديث .

ولقد كانت أسمى غاية للأستاذ الامام محمد عبده من إصلاح الأزهر أن يحمله على الاندماج في المجتمع ، والتغافل في أعماقه ، والسمو به — عن طريق الإرشاد والتهذيب الديني الصحيح — إلى أبعد ما يستطيع من غايات ، وكان يريد من وراء ذلك أن يذكى في الأمة الاسلامية روح القوة والفضيلة ، وأن يدفع بها إلى الحياة الكريمة العزيزة ، لتستطيع أن تزدود عن حريتها ، وتحافظ على تراثها المسلوب ، وحتى يتسنى لها — إذا تابعت السير في هذا المضمار — أن تستعيد ما كان لها من مجد باذخ وجلال قديم ، فتسير في قافلة الحياة البشرية داعية خير وهدى وسلام . ولقد أبى الأزهر حينئذ أن يستجيب لدعوة الأستاذ الامام وآثر أن يعيش في ظلام الجلود والخيرة ، عزوفاً عن الجديد الذي كان يؤمن بأنه بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار . . .

وبعد ربع قرن من وفاة الأستاذ الامام تسكشفت غيوم الخيرة ، وخضدت شوكة الجلود وحماته ، وألقيت مقادة الأزهر في يد تلميذ من تلامذة الامام ، فآخذت دعوته طريقها إلى قلوب الأزهريين وعقولهم ، وسرت في الأزهر روح جديدة ، وأيقن رجاله بضرورة الإصلاح ، وإن اتجهوا في ذلك وجهات مختلفة متباينة . . . فليعد علماءنا إلى المجتمع حاملين في ظلمات الحياة الاجتماعية نور الدين وهدايته ، ناشرين في ضلال الحياة الانسانية دعوة الله ورسالته ، هادين الناس إلى الحق وإلى طريق مستقيم . . . (١)

إن هيئته كبار العلماء أكبر هيئة دينية في العالم الاسلامي ، وأعضاؤها الموقرون من أفذاذ العلماء في الأزهر الشريف ، وإني لأقترح على أولى الأمر في الأزهر تحويل عضوية الهيئة إلى كراسي دائمة ، تطلق عليها أسماء الخالدين من شيوخ الأزهر وسواهم من أعلام العلماء : فنجد من بينها كرسى الظواهري ، والمراغي ، ومصطفى عبدالرازق ، والشناوي . وكرسى محمد عبده ، وجمال الدين الأفغاني . . ففي ذلك تخليد لذكرى أئمتنا وكبار شيوخنا ، وفيه تمجيد لأعمالهم العظيمة في خدمة الأزهر ، وما حملوه من أعباء الجهاد في سبيل الإصلاح الديني .

الدراسات العليا في الأزهر الجامعي

نعني بالدراسات العليا تلك الدراسات الخاصة التي تنظمها الجامعات للتأبين من أبنائها الذين وقفوا حياتهم على الدرس والبحث .

وهذه الدراسات بمعناها العلمي دعامة من دعائم الحضارات الانسانية التي تقوم على أساس وطييد من المعرفة والثقافة ، وهي أعظم ما تعني به الجامعات الكبيرة في الدول العريقة ، وعليها يتوقف التطور البشري .

ولقد عرفت الجامعات العلمية الاولى في الشرق في أحقاب التاريخ القديم ، وفي شتى أطوار الحياة الاسلامية العظيمة ، ففي البصرة والكوفة ، وفي دمشق وبغداد وفي قرطبة والقاهرة وسواها من العواصم الاسلامية ازدهرت الدراسات العليا التي كان يقوم بها قادة الفكر الاسلامي ، ثم شاء الله أن تذوي هذه الحضارة الزاهرة ، وتطفأ مصابيح ذلك النور المشرق ، وأن يستكين المسلمون لآحداث الزمن ونسكبات التاريخ ، فحمل العلماء في هذا الاضطراب العاصف مشعل الثقافة الاسلامية ، ولكن الاحداث كانت أقوى من جهودهم ، فتلاشى كثير من تلك الدراسات في شتى الجامعات ، ولم يبق منها الا شعاع خافت ضئيل .

وخضع الأزهر في حياته العلمية الطويلة لهذه التطورات حتى كان العصر الحديث ، وقبض الله لمصر والشرق رجلاً من أنبائه رجال الفكر فيه هو السيد جمال الدين الافغاني ، فنفخ في حياته روح الشباب والقوة والتفكير ، وكان من أبر أبنائه الامام محمد عبده الذي جاهد في سبيل الأزهر والعلم والدين جهاد الابطال ، وكانت أول دعوة للاستاذ الامام رفع مستوى الدراسة في الأزهر ، حتى يستطيع أن يساير النهضة العسكرية في الشرق والغرب أولاً ، وأن يؤدي رسالته العظيمة ثانياً ، وأنشئت

على أساس أفكاره أقسام الدراسات العليا في الأزهر - التخصصات - بعد وفاته بكثير ، وكان من أهم هذه الأقسام تخصصات العالمية من درجة أستاذ التي أنشئت عام ١٩٣٠ والتي حملت عبء الثقافة الدينية والعربية والعقلية في الأزهر وكيانته من ذلك العهد إلى الآن ، وقام خريجوها ببحوث جديدة في شتى فروع الثقافة تجلت في رسائلهم المختلفة التي تقدموا بها لنيل العالمية من درجة أستاذ ، وكانت الغاية من انشاء هذه الأقسام هي : -

أولاً - افساح مجال البحث الحر أمام الاساتذة والكفايات الممتازة من طلبة الأزهر .

ثانياً - خاق جيل جديد من الخريجين يحملون في مستقبل حياتهم مشعل الثقافة في مصر والعالم الاسلامي .

وقد بعثت رغبات جامعة لانعرف أسبابها على أن ينظر كثير من المسؤولين في الأزهر إلى هذه الأقسام نظرة لا تليق بمسكانتها وجهودها في الأزهر ورسالتها التي تحملها ، حتى لقد مضى عليها خمس سنوات لم يقبل فيها أحد من أوائل الشهادات العالية بالأزهر .

ونحن ننادى بفتح هذه الأقسام من جديد ، على أسس أكثر نظاماً ، وأدق تجديداً من النظم الأولى التي كان يسير الأزهر عليها ، فجهود خريجيه ورسائلهم وبحوثهم العلمية وآثارهم الثقافية في حياة الأزهر الآن هي سجل ناطق بمدى نجاحهم ونجاح هذه الأقسام الدراسية العليا في غايتها الثقافية والعلمية .

وأهم هذه الأسس التي نراها صالحة لتوجيه هذه الدراسات والطلبة المثابرين عليها هي :

أولاً - العناية التامة بطلبة هذه الأقسام عناية أدبية ومادية تحول بينهم وبين كل ما يعوقهم عن التفرغ للبحث والدرس .

ثانياً - الاختيار الصالح لاساتذة هذه الأقسام ، حيث يوجد الاستاذ الكفء يوجد النشاط العلمي والحياة العقلية الخصبة ، ويخلق الطالب النابغة ، وذلك هو ما نتشده لهذه الأقسام ، ولقد كانت محاضرات الاستاذ الشيخ محمد عرفة في هذه الأقسام ومدى أثرها وتوجيهها العقلي دليلاً على ما يمكن الأستاذ أن يفعله وأن يأتي به من معجزات حينما يختار لمهمته فيحسن اختياره ، ويكلف بالعبء الذي يستطيع أن ينهض به .

ثالثاً — تحديد مناهج الدراسة والكتب ومواعيد المحاضرات والامتحانات
تحديداً واضحاً لا لبس فيه ولا غموض .

رابعاً — جعل العلوم الاضافية في هذه الاقسام قاصرة على السنتين الاوليتين
فيها ، على أن يعقد امتحان بعد العامين للطالب الذي يلتحق بها يتمتحن فيه في جميع
المواد الاضافية ليفرغ بعد هذا الامتحان إلى المواد الأساسية التي يعد نفسه من أجلها
خامساً — دراسة إحدى اللغات الأجنبية الأوربية في هذه الاقسام .

سادساً — وضع الخريجين من هذه الاقسام بعد تخرجهم منها في وظائف
التدريس في السكليات مباشرة بدون أي تأخير ، واختيار أعضاء البعثات التي
تسافر إلى الخارج من بينهم . فبذلك يكون الازهر قد عمل على خلق جيل جديد من
شبابه يقدر على حمل أعباء رسالته والنهوض بها .

— ٢ —

ولقد كان محمد عبده رحمه الله أبرز قائد لحركة البعث والاصلاح الديني في مصر
والشرق الاسلامي ، بعد أستاذه جمال الدين الافغانى . وكان من البدعى أن يتجه هذا
المصلح الديني الخالد الذكر إلى اصلاح الازهر نفسه لأنه نواة الفكرة الاسلامية ،
ومغذى الروح الديني . ولم تظهر آثار جهاد الشيخ محمد عبده وجهوده في اصلاح
الازهر إلا بعد وفاته ، وعلى أيدي تلاميذه الذين تحمسوا لآراء أستاذهم في الإصلاح ،
وتعهدوها بالعناية والتنفيذ .

كانت الدراسة في الازهر في عهد محمد عبده تسير على النظام القديم البدائي :
حلقات للتعليم ، وطلبة يختارون أستاذهم الذي يتلمذون عليه ويناقشونه في ماصعب
من مشكلات العلم والثقافة ، وكتب ألفت في العصور الوسطى وغلبت عليها آثار
الثقافة العقلية التي كانت سائدة في هذه العصور . وفي ١٨٧٢ م وضع قانون لاصلاح
الازهر ، نظم طريقة نيل العالمية ، وحدد مواد الامتحان فيها ، وبتمهيد الشيخ محمد
عبده ، وعلى يدى صديقه المرحوم الشيخ حسونه النواوى شيخ الازهر حينذاك ، صدر
قانون عام ١٨٩٦ ، الذي نظم الدراسة في الازهر ، وأدخل العلوم الحديثة في مناهجه ،
أما النظام الادارى للازهر ومعهده فقد صدر به قانون عام ١٩١١ ، بعد وفاة
الامام محمد عبده بسنوات . وأخذ الازهر يسير على هذا النمط من الدراسة ، دون
أن يوجد فيه أثر للدراسات العليا ، حتى صدر قانون ١٩٢٣ ، الذي أوجد نوعاً
من هذه الدراسات قامت على أسسه اقسام التخصص القديم ، التي كانت تمنح درجات

علية تعادل درجة الماجستير في جامعتي القاهرة والاسكندرية ، ثم أخذ الأزهر يعمل على مساندة النظم الجامعية التي تدير عليها شتى الجامعات في الشرق والغرب ، ففكر المراغي في عهد مشيخته الأولى في إنشاء أقسام أكبر للدراسات العليا في الأزهر ، والمراغي أنبه تلاميذ محمد عبده ، وأكثرهم دعابة لأراء أستاذه ، وتحقيقا للكثير منها... وقد ظهرت آثار هذا الاتجاه في قانون إصلاح الأزهر الذي صدر عام ١٩٣٠ في عهد المرحوم الشيخ الأحمدي الظواهري ، وقد نظم هذا القانون الأزهر الجامعي ، فقسمه إلى كليات ومعاهد ، وأنشأ أقسام الدراسات العليا بشتى فروعها ، وعدل عام ١٩٣٦ وما والاها تعديلا أملته الضرورة والتجربة والرغبة في خلق الروح الجامعي في الأزهر . وسمى هذا القانون أقسام الدراسات العليا : أقسام تخصص المادة ، ومنها ينال المتخرج شهادة العالمية من درجة أستاذ ، وهي أرفع شهادات الأزهر العلية ، وتعادل الدكتوراه الممتازة ، وتدرس بها علوم الشريعة وأصول الدين والقرآن والحديث والبلاغة الأدب واللغة والفلسفة والتاريخ ، ومدة الدراسة بها لا تقل عن ست سنوات بعد انتهاء دراسة السلكية ، وكان طلبتها يختارون من بين أوائل المتخرجين . واختير للتدريس بهذه الأقسام أئمة العلماء والمفسرين في الأزهر ومصر ، وقد حققوا نهضة فكرية وعلية جديدة بالإشارة في تاريخ الأزهر الحديث ، كما كانت امتحانات أقسام هذه الدراسات ، ومناقشات رسائل الخريجين مواسم خالدة للعلم والأدب في الأزهر ، وكان يشرف عليها أفاض العلماء والأدباء والمفسرين ، ومن بينهم المراغي ولطفي السيد ومأمون الشناوي واللبان وحمرش وعبد المجيد سليم وعرفة وشتوت والجارم وسواهم . ورسائل الخريجين من أقسام العالمية من درجة أستاذ فيها جهد كبير وألوان جديدة من البحث والتحليل ، وهي أروضح أثر نهضة الأزهر العلية الحديثة ، وقد طبع بعض قليل منها . كما حمل خريجه بجدارة مناصب التدريس في كلياته ومعاهده ، وللكثير منهم نشاط علمي خصب ، وإنتاج حافل في الأدب والشريعة والفلسفة والتاريخ والعقائد . ومن سوء الحظ ألا يهضم الأزهر الجامعي نظام الدراسات العليا ، وأن يحاربها من وراء ستار ، وأن يعطل الدراسة باقسامها من عام ١٩٤١ حتى الآن . وكان اعزاز الأزهر بهذه الدراسات ضئيلا محدودا ، تجلى في طبع رسالتين أو ثلاث من رسائل خريجها ، وفي عرض بعضها في المعرض الزراعي عام ١٩٤٩ ولا يزال جل هذه الرسائل مخطوطا في مكتبات الكليات الأزهرية ، وعددها يقارب المائتين .

فمن مبلغ الأزهر بأن نظامه الجامعي وازدهاره العلمي ان يكون لها كيان إلا إذا عادت من جديد هذه الدراسات العليا فيه ، تؤدي رسالتها العظيمة في خدمة الدين والثقافة ، وتجديد مناهج البحث العلمي الحر ، والكشف عن آثار التراث الإسلامي المجيد ، والنهضة بالثقافة الأزهرية ، حتى تبلغ المنزلة الرفيعة ، التي يبلغها الثقافات الحديثة ، في جامعات الشرق والغرب .

— ٣ —

ويتحدث الخريجون من قسم الأستاذية في مذكرة رفعوها إلى المسؤولين في أكتوبر عام ١٩٥٢ ، عن حاضرم وآمالهم فيقولون :

أنشئ قسم الأستاذية في الأزهر بمقتضى رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ المعدل بالقانون رقم ٢٩ لسنة ١٩٣٦ ، حينما أريد للأزهر أن يكون جامعة وأن تنشأ به كليات للتعليم العالي ، وأن يقضى على عوامل الانحلال التي عصفت به وذهبت بكل ما كان له من مجد وجلال . ولم يكن بالأزهر عند صدور القانون أساتذة يحملون مؤهلات ممتازة تخول حاملها التدريس في كلياته ، فأنشئ فيه هذا القسم لتخريج أساتذة ممتازين يعهد إليهم بهذه المهمة ، وأطلق عليه اسم تخصص المادة . . . ويختار طلابه من أوائل الشهادات العالية من السكيات ويقضى فيه الطالب ست سنوات على الأقل ، ثم يقدم في نهايته رسالة قيمة تناقش مناقشة علمية ويمنح الناجح فيها شهادة تسمى العالمية من درجة أستاذ وهي تعادل دكتوراه ممتازة حرف ١ . ومن هؤلاء وحدهم تتكون هيئات التدريس بالسكيات تطبيقاً للواد ٤١ ، ٤٢ ، ١١٩ من القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ ، كما جعل الحصول على هذه الشهادة شرطاً لعضوية جماعة كبار العلماء ، ومن بين هؤلاء يختار شيخ الأزهر وكبار الموظفين الإداريين فيه . . . ولكن الذي حدث من المسؤولين في الأزهر حيال أقسام الأستاذية هو :

١ — أغلقوا قسم الأستاذية إغلاقاً نهائياً منذ أكثر من أربع عشرة سنة ، واحتجوا لذلك بأنهم سيعيدون النظر في نظامه .

٢ — سلكوا الحاصلين على هذه الشهادة مع حملة أدنى شهادات الأزهر في سلك واحد وحكموا الأقدمية المطلقة بينهم في الترقيات ومنح الألقاب العلمية .

ولمنا لنقترح مساواة خريجي الأستاذية بنظرائهم في الجامعات من كل النواحي العلمية والأدبية والمسادية ، وفتح أقسام الدراسات العليا في كليات الأزهر فوراً وقبول المتقدمين إليها من الطلاب . وزيادة عدد الاساتذة ذوي الكراسي في كليات

الازهر بما يناسب الزيادة في عدد الطلاب والمدرسين والمواد الدراسية فقد حدد عدد هذه السكراسى في عام ١٩٣٦ ، ولم يكن بالكليات من المدرسين والطلاب أكثر من خمس العدد الحالى .

الصلات العلمية بين الازهر والجامعة

منذ أعوام قلائل قرأت في بعض الصحف ، سؤالاً لشباب أزهرى كتب يقول : « أنا طالب أزهرى حاصل على شهادة إتمام الدراسة الثانوية من معهد القاهرة وأجيد الفرنسية والانجليزية لإجادة تامة ، فهل يجوز لى الالتحاق بكلية الآداب ؟ » ونشر مع السؤال رأى سيادة عميد كلية الآداب ونصه : « لا يمكن قبول الطالب بكلية الآداب ، وفقاً للوائح التى لا تزال متبعة إلى الآن » ، وأمر هذه اللوائح عجيب حقاً ، فهى التى تسيطر على التفكير الحر فى مصر . وكيف يمكن إقناع الطالب المسكين الذى يريد لإكمال دراسته بقسم اللغة بكلية الآداب بان رد العميد عادل ومعقول ؟ ولم فات الدكتور طه حسين أمر هذه اللوائح حين كان عميداً لكلية الآداب ، فأمراً بقبول عدد كبير من طلاب الازهر بكليته ، ونظم لمن لا يعرف منهم لغة أجنبية دراسات خاصة ، فكانوا أكثر خريجها نشاطاً وإنتاجاً ؟ . ولا تزال هذه اللوائح أيضاً تحول بين أساتذة الازهر وحرية التقديم لشهادات الجامعة ، والانتظام فى دراساتها ، فإلى متى تظل هذه اللوائح والقيود والافكار القديمة تتحكم فى مصير الثقافة فى مصر فى القرن العشرين ؟ .

حياة الازهر الثقافية

لقد ابتدأت الدولة الفاطمية حياتها السياسية بالقىروان سنة ٢٩٦هـ على يدى مؤسسها الأول عبيد الله بن محمد - وأخذت توسع نطاقها السياسى وبجهاها الدولى بالتدريج ، وفى عهد الخليفة الرابع المعز لدين الله دخل الفاطميون مصر بعد منتصف القرن الرابع الهجرى بقليل . . فقصوا على نفوذ الخلافة العباسية فيها ، وعلى مذاهبها السياسية والاجتماعية والعقلية من جميع أرجائها ، وبسطت الدولة الجديدة سيادتها على البلاد بالقوة وأخذت تصبغ جميع نواحي النشاط فى الدولة بصبغة تلاميذ عقيدتها الشيعية الاسماعيليه ، سواء فى أداء الشعائر أم فى سياسة الدولة وأمور الاجتماع ونواحي التفكير .

وكان لابد للدولة الجديدة أن تقوم بدعاية واسعة النطاق تسكرس لها كل ما تستطيع من قوة وجهد في سبيل تغيير الاتجاه الفكري في مصر كلها ، حتى يؤمن العقل المصري بعقيدتها الشيعية ، ويتجسم لها ويدعو اليها ، ويكون بين الدولة والشعب تفاهم عقلي بعد هذا الوثام السياسي الذي وجهته القوة وأملاه السيف .

ومنذ الذي يقوم بهذه الدعاية ، وبدأب في جد لتغيير مناحى التفكير في مصر ، ولجذب الشعور الوطني نحو الدولة ؟ إنهم العلماء الشيعةون الاسماعيليون ورجال السياسة والتفكير فيهم .. وإذا فلتقم جامعة علمية منظمة ، ولتشرف هذه الجامعة بأساتذتها وشيوخها على مناحى الثقافة والتفكير في الدولة ، داعية إلى العقيدة الشيعية بأصولها وتشريعها الفقهي وكافة آرائها السياسية والاجتماعية والعقلية ، حريصة على نشر هذه المبادئ في مصر وسائر أنحاء الشرق الاسلامي .

وشيد الازهر وتم تشييده في عامين وافتتح فعلا للصلاة في ٧ رمضان عام ٣٦١ هـ وقام رجال الدولة بإلقاء المحاضرات العامة فيه بين حين وحين إلى أن تولى العزيز ابن المعز لدين الله العرش (من عام ٣٦٥ إلى ٣٨٦ هـ) فاتجه بعنايته إلى الازهر وجعله معهدا علميا منظما ، شمله برعايته الكاملة ، واختار للدراسة فيه أساطين الفقه الشرعي من شتى أنحاء العالم الاسلامي وأحاطهم بشتى أسباب الرعاية والتقدير وكان من بين هؤلاء وزير العزيز بالله يعقوب بن كلس .

وقام الازهر بمطالبته منه الدولة ، وما هيأته له ، فآخذ ينشر العقيدة الاسماعيلية ويدرس مبادئها السياسية وتشريعاتها الفقهية ، وأصولها المذهبية واتجاهاتها الفكرية فضلا عن عنايته بالكثير من الدراسات العقلية واللغوية والادبية - وصار أعظم بيئة علمية وأحفلها في الشرق الاسلامي بهذه الدراسات ، التي خرج فيها جيلا جديدا من العلماء الذين أصبحوا يد الدولة ودعاتها وقوام الحياة السياسية والاجتماعية والعقلية والادبية فيها ، كانت الدولة الفاطمية تشمل بنفوذها السياسي حوض البحر الابيض الاقربى كله من مراکش إلى الشام ، فضلا عن الحجاز ويهفو اليها جميع الاسماعيليين في العراق وإيران والهند بقلوبهم ، ويتجهون اليها بشعورهم وكان الازهر هو المثابة العظيمة للعلم والتفكير والثقافة في هذه الاقطار كلها ، وهو الذي يحمل مشعل النور والهداية إلى سائر هذه الامصار ، ووفدت اليه أفواج الشباب من شتى هذه الأرجاء ، ترتوى من معينه - وتقتبس من نوره وتهتدى بهديه ، وتضافرت هذه العوامل الاجنبية والسياسية والفكرية كافة على تكوين شخصية مستقلة لهذه الجامعة

الجديدة ، ظهر أثرها الفذ في الثقافة الإسلامية في مصر وجاراتها الشقيقة على عهد الدولة الفاطمية .

ومن العبث أن نوازن بين الأزهر حينئذ وبين المدرسة النظامية التي كان يدرس فيها أقطاب العلماء ببغداد كالغزالي وسواه ، لأن مواد هذه الموازنة مفقودة ، فالتاريخ الذي حفظ لنا تراث المدرسة النظامية في شخصيات كبار أساتذتها قد ضل علينا بتراث الأزهر وإنتاجه العلمي في هذه الحقبة ، لأنه لإنتاج شيعي تعصب عليه وناولاه أعداء الشيعة .

ولقد شاء القدر العتيد أن تطوى الدولة الفاطمية وآثارها من الوجود بعد قرنين حافلين - حيث نل السلطان صلاح الدين الأيوبي عرشها وحمل آثارها وثقافتها ، وقبض بيده على أمور مصر وسياساتها عام ٥٦٧ هـ ، وكان فيما حاربها وقضى عليه المذهب الشيعي الفاطمي ، وأحل محله المذهب السني الذي تويده خلافة بني العباس وتنكر الزمن للأزهر فعملت دروسه ، وتفرقت شيوخه ، ومنعت منه الخطبة ، وحل الكثير من أوقافه ، وشارك الدولة الراحلة آلام التطور السياسي الجديد وبعد عهد الانقلاب السياسي وعودة الاطمئنان العقلي ، عادت إلى حلقاته الدراسات الفقهية ، لاسيما الفقه الشافعي ولكن بشكل متقطع غير مستمر ، واستمر الأمر على ذلك قرنا من الزمن .

ولكن الأحداث السياسية العظيمة في الشرق الإسلامي أعادت إلى الأزهر ماضيه العلمي المجيد . . ففتح التتار المغول لبغداد وشتى عواصم البلاد الإسلامية وعصفهم بالتراث الإسلامي الثقافي بإحراق دور الكتب ، وتبديد نفائس الأسفار فيها حرقا وتمزيقا ورميا بها في ماء دجلة والفرات ، وتفريق العلماء ورجال الثقافة الإسلامية وتعطيل الدراسات الثقافية : دينية وعقلية ولغوية في شتى مدارس الشرق الإسلامي وجامعاته ، ثم انتقال الخلافة العباسية من بغداد إلى القاهرة في عهد المماليك وعلى يد السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٥٩ هـ ، ثم أهمية مصر السياسية والاقتصادية وصيغتها العربية ، ووقوعها في قلب العالم الإسلامي وثقافتها العقلية القديمة - كل هذه الأسباب أدت إلى إعادة النشاط العلمي في الأزهر فشجع بيبرس التعليم فيه وأعاد إليه الخطبة عام ٦٥٩ هـ ، ووقف على أساتذته وطلابه الأوقاف الكثيرة والأموال الطائلة .

ومنذ ذلك الحين ذاع صيت الأزهر واستعاد مكانته العلمية وأمه الطلاب من

كل صوب وحذب ، من أواسط أفريقية إلى جنوب روسيا ، ومن مراکش إلى أقاصى الهند ، وجد الأزهر وعلماؤه في إحياء الثقافة الإسلامية التي رماها التتار بأقصى النكبات في فتحهم الوحشي لبلاد الخلافة العباسية ، فكان للأزهر جموده العظيمة الحافلة في هذا المضمار ، مما وطد من مكانته ، ودعم من كيانه ، وأقر له منزلته العلمية العظيمة وشخصيته الجامعية الضخمة . وزاد من مكانة الأزهر قوة واستقرارا انقراض الحضارة الإسلامية من الاندلس عام ٨٩٧ هـ وانتهاء جامعاتها العلمية الكبيرة وتبديد مسيحي اسبانيا للتراث العربي فيها ، فالتقيت مقاليد الثقافة الإسلامية في الشرق كافة في يد الأزهر ، لحمل الامانة ، وبذل في سبيل أداء رسالته كل مايسطيع من جهد وقوة ، وأخذ الأزهر يسير في دراساته الدينية ، وفي انتاجه الثقافي على المنهج العلمي المألوف في عصره ، فكانت كتب الدراسة فيه والمؤلفات العلمية التي يؤلفها علماءه ، شروحا لاصول السكتب العلمية الدائمة في عصره ، وحواشي على هذه الشروح وتقارير على هذه الحواشي ؟ - وهذه الشروح والتقارير والحواشي تتجه إلى خدمة أمرين عظيمين : أولا : الشرح التحليلي التفصيلي لأساليب هذا الاصل العلمي المشروح ، والمبالغة البعيدة في توجيه الفهم فيه وجهة خاصة ، يتحرى فيها الدقة والعمق والاحاطة بألوان الثقافة المتنوعة ، عندما تستوجب هذه الاحاطة دراسة الاسلوب والفاظه . وثانيا : اثارة المشكلات العلمية العميقة التي تتصل بأصل الفسكرة المبحوثة أو التي تضيء جوانب البحث فيها ، أو التي تعتبر لازمة للتوسع في دراستها ، وبجانب هذه الدراسة العلمية ، وهذا الانتاج الثقافي الخاص ، توجد موسوعات علمية ألقت في شتى نواحي الثقافة الإسلامية لتعويض ما فقدته التراث الإسلامي من نفائس المؤلفات وكانت الطريقة العلمية السابقة ملائمة لعقول العلماء إذ ذاك و متمشية مع أساليب المنهج العلمي المألوف في عصرهم ، فقد كان الشرق كله يقرأها ويسير عليها في ميادين الثقافة والتعليم والتفكير ، وما زالت محل إعجاب الباحثين من المستشرقين والمفكرين ، ومن العجب أن نرى بها أو نخط من شأنها ، أو نرميها بالخطأ والخلول .

ومن أساتذة الأزهر في ذلك العهد عز الدين بن عبد السلام الملقب بسلطان العلماء وتلميذه القشيري وهو الذي لقبه بهذا اللقب ، وعز الدين هذا كما كان مثالا في الشجاعة وهو أصدق مرآة نرى فيها أخلاق العلماء ، يقول ابن السبكي في طبقاته : « إنه وقف في وجه القائم بأمر مصر وقتئذ لما أراد أن يفرض ضريبة على التجار

قائلا : « إذا حضرت ما عندك وعند حريمك من الخلى وأحضر الامراء ما عندهم من الخلى الحرام وضربته سكة ونقدوا وفرقته ولم يقيم بالسكافية فلك أن تطلب القرض ، وأما قبل ذلك فلا . » ويقول عنه أيضا أنه لما توفي عز الدين بن عبد السلام سنة ٦٦٠ هـ وموت جنازته تحت القلعة ، وشاهد الظاهر بيبرس كثرة الخلق الذين معها قال لبعض خواصه : « اليوم استقر أمرى في الملك لأن هذا الشيخ لو كان أمر الناس في بما أراد لبادروا إلى امتثال أمره . » وكان عز الدين هذا خطيبا لجامع عمرو ، ولهذه المناسبة أقول : إن المقريزى المؤرخ العظيم كان هو الآخر خطيبا لجامع الحاكم .

ومن علماء مصر الأفاضل الذين أثروا في الأزهر وتأثروا به العالم البارع الطويل الباع في أصول الفقه وفروعه وفي العربية وغيرها ، الفقيه المالكي ابن الحاجب وكان أبوه حاجبا عند الأمير عز الدين موسى الصلاحى ، وقد صنف في الأصول : المختصر والمنتهى ، وفي فقه المالكية المختصر وله في النحو السكافية ، والوافية ، وفي التصريف الشافية ، وشرح السكل ، وله شرح المفصل ، والأمالى النحوية وقصيدة في العروض . ومن أساتذته في القراءات الشاطبى وتوفى بالاسكندرية سنة ٦٤٦ هـ ، ونذكر أنه مدفون بجوار أبى العباس المرسى ، ومنهم إمام النحو واللغة ابن هشام الذى قال عنه ابن خلدون « ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه » ، ومن أكابر أساتذة العلم المنتجين الذين عرفتهم مصر : الثبت الثقة ، الصدوق النبيل ، الحافظ للحديث ، الحجة فيه ، أستاذ الحديث فى المؤيد ، البدر العيني صاحب عمدة القارى شرح صحيح البخارى ، ويقولون : إنه داوم على إلقاء الحديث فيه وحده ما يقرب من أربعين سنة عدا ماله من الدروس فى بقية مدارس القاهرة ، وتناوب وظيفة حسنة القاهرة هو والمقريزى مدة ، وقد ولاه الملك المؤيد « نظر الأحباس » - وزارة الأوقاف - وكان معاصرا للحافظ ابن حجر صاحب كتاب فتح البارى شرح صحيح البخارى . وكان ابن حجر هذا أصغر من العيني بأثنى عشرة سنة ، ويروى المقريزى أنه كان بينهما من المنافسة ما يكون بين المتعاصرين ، فلما فوض إلى العيني تدريس الحديث بالمؤيدية صادف أن مالت مئذنة الجامع المؤيدى على البرج الشمالى وكادت تسقط فهدمت وبنيت من جديد ، فقال الحافظ بن حجر فى ذلك :

جامع مولانا المؤيد رونق منارته بالحسن تزهو وبالزین

نقول وقد مالت عليهم : تمهلوا فليس على حسنى أضر من العين
فتحدث الناس أنه قصد التورية بالعينى ، و يروى المقرئى أن العينى رد عليه
بهذين البيتين وهما من نظمه ، وغيره يقول إنهما لبدر الدين العتبانى :
منارة كهروس الحسن إذ جلست وهدمها بقضاء الله والقدر
قالوا أصيبت بعين قلت ذا غلط ما آفة الهدم إلا خسة الحجر
والعينى مؤلفات كثيرة أجملها عمدة القارى الذى تقدم ذكره ، ويقولون :
إنه ابتدأ فيه سنة ٨٢١ وأتمه سنة ٨٤٧ بعد فراغ ابن حجر من شرحه فتح البارى
بخمسة سنوات ، وله أيضا د نخب الافكار فى تنقيح مبانى الأخبار ، فى شرح
معانى الآثار ، فى مجلدين ، ومنها د البناية فى شرح الهداية ، للامام المرغينانى فى
عشر مجلدات ، ومنها د الدرر الزاهرة فى شرح البحار الزاهرة ، لشيخه الرهاوى
فى المذاهب الأربعة فى مجلدين ، ومنها عقد الجمان فى تاريخ الزمان ، فى خمس وعشرين
مجلدا ، وعد مؤلفاته أمر يطول ، فليرجع إليها فى مقدمة كتابه عمدة القارى .
ومن رجال مصر وأعيان العلماء جلال الدين السيوطى مؤلف حسن المحاضرة
وسواه من نفائس المؤلفات .

وجاء العصر العثمانى بفتح السلطان سليم مصر سنة ٩٢٢ . وبقضائه على دولة
المماليك فيها فاستمرت للأزهر اهميته البالغة فى الدراسات الدينية . ولكن روحه
أصابها الوهن . وقوته نال منها الضعف واعتورتها عوامل الخمول والجهود ،
ولذلك أسبابه البعيدة والقريبة . فقد ضعفت ملكات التفكير فى الشرق كافة وصارت
الدولة الحاكمة بعيدة عن الروح العربية الصحيحة ، بعصرها ودورها التركى المتطرف
وكثرت الفتن السياسية والاحداث الاجتماعية فى مصر والشرق ولم تجد دولة العلم
والثقافة من الدولة رعاية ولا عطفًا ، اللهم الا نوعا ضئيلا من التشجيع لا يجدى
ولا يبعث على المجد والرجاء . كل ذلك أورث الأزهر صبغة من التقليد العلمى وأوضاع
منه روح التجديد والاجتهاد فأصبحت غاية رجاله نقل ماورثوه عن السلف فى أمانة
واخلاص دونه العناية بالبحث والتمحيص والموازنة والتحقيق وعكف شيوخه على
دراسة السكتب التقريرية التى ألفت فى العصور المتأخرة دون الرجوع إلى الاصول
الاولى التى ألفت قديما والتى قلت فيها روح البحث والجدة والابتكار .

وكانوا يقدسون كل ما يتصل بالقديم من خلق وعادات ودين ، وكانت الدراسة قاصرة
على العلوم الدينية وما يتصل بها من العلوم اللغوية وقليل من الفلسفة ، وقلت فيه الدراسات

العقلية والفلسفية في كتبها الواسعة التي كان يحرمها عصره ، وتحاربها الهيئات العلية والجماعات الدينية حين ذاك ، وفضلا عن ذلك فقد ناوأ الازهر المذاهب المتطرفة لانها كانت مشربة بفلسفه خاصة ، ولم يكن فيه مكان للشعراني الصوفي م سنة ٩٧٣ ولا أمثاله ، وكانت كل جهود الازهر في هذا العصر العثماني هي المحافظة على التراث القديم ، والذود عنه والقيام بشرحه والتعليق عليه دون زيادة به أو تغيير في أصوله أو تجديد في بحوثه ، وليس في ذلك من ذنب ، فالأحوال السياسية والاجتماعية التي عاش فيها المسلمون آنذاك ، كانت باعثة على الضعف العقلي الذي تجلى أثره في بيئة الازهر العلية .

كان الازهر منذ نشأته يدرس العلوم العقلية والرياضية والطب والموسيقى ، وفي العصر الايوبي شاعت فكرة تحريم علوم الفلسفة والرياضة على العالمين والمتعلمين ، وقد ساعد على ذلك فتوى ابن الصلاح بتحريم المنطق ، حيث سادت موجة كراهية علم المنطق والفلسفة ، ولذلك كره العلماء دراسة المنطق وتدريسه ، ومنهم السيوطي . ولما تولى حكم مصر سنة ١١٦١ هـ أحمد كورباشا ، وكان ولعا بالعلوم العقلية ، قابل صدور العلماء ، ومنهم الشيخ عبد الله الشبراوي شيخ الازهر ، فتسكلم معهم في الرياضيات ، فقالوا لانعرف هذه العلوم ، فضحك . . واستمر الحال كذلك إلى أن أصدر الشيخ محمد الانبأبي والشيخ محمد البنا فتوى بجواز تعلم هذه العلوم ، وذلك في أواخر عام ١٣٠٥ هـ .

وكان الازهر مبعث المقاومة الوطنية للاحتلال الفرنسي فلقى من القائد وجيشه كثيرا من الأذى والمقاومة ، وإن استعان ببعض رجاله المرين في أعمال الإصلاح والادارة ، فكان في المجلس الوطني الذي ألفه نابليون بعض كبار شيوخه وأعلامه .

وكان الازهر يكره الاستعانة برجال الغرب وعلمائه ، فقاوم محمد علي ، واستولت الحكومة على أملاكه وأوقافه ولكن بقي له على كل حال نفوذه الديني والادبي بين الشعب .

فعلما الازهر وشبابه هم الذين اختارهم الوالى للدراسة في مدارس الخصوصية الكثيرة التي أنشأها من طب وهندسة وزراعة وصناعة وقانون ولغات الخ . وأعضاء بعوته العلية التي أوفدها إلى أوروبا من بدء عام ١٨٢٦ كان جلها من أبناء الازهر الناضجين .

وعاد أعضاء هذه البعثات من أوروبا فكانوا في مصر جيلا جديدا له ميزته الخاصة في الثقافة والتفكير والترجمة والانتاج .
وسار الأزهر على منهجه العلمي القويم بعيدا عن الدراسات العقلية والادبية وعن العلوم الحديثة ، اللهم إلا دراسة الكتب الأولية في المنطق ودراسة بعض كتب الأدب وآثاره كالمقامات والمعلقات التي ابتدئت قراءتها فيه نحو عام ١٨٢٨ .

- ٢ -

وفي العصر الحديث انتشر النفوذ الأجنبي ، والثقافة الغربية في مصر ، ووفدت على ربوعها رسل الثقافة الأوروبية ورجال البعثات العلمية الذين أوفدهم إسماعيل إلى باريس وروما وجامعات إنجلترا ، وأخذت هذه العوامل الجديدة تعمل عملها في تكوين العقلية المصرية تكويننا يتلاءم مع النهضة الفكرية والاجتماعية التي كانت تسود أوروبا ، وأبعد رجال الأزهر عن كثير من ميادين النشاط الاجتماعي في الدولة ، ومع هذه العوامل الهدامة في صرح الأزهر فقد كان إسماعيل يحلم بتكوين دولة عربية خاضعة لنفوذه ، مؤتمرة بأمره ، فدفعته آماله السياسية إلى العناية بأمر الأزهر وإصلاحه حتى يساير روح النهضة الحديثة في مصر ، وفي عام سنة ١٨٧١ صدر قانون باصلاح الأزهر لرفع مستوى أساتذته وطلابه والثقافة فيه ، وذلك في عهد شيخه الشيخ محمد العباسي المهدي الحنفي الذي كان يتبرك به الخديوي ويصطفاه . ونص هذا القانون على إجراء امتحان نهائي للتخرج في الأزهر ، وعين المواد التي يجب أداء الامتحان فيها (وهي إحدى عشرة مادة) . . . وقدرت مرتبات عالية للأساتذة ومكافآت مالية للطلاب . ولكن الأزهر عادي الإصلاح ، وحمل الشيخ عيلش لواء المعارضة ، فوقفت روح الإصلاح فيه .

واضطرب جو مصر السياسي بالثورة العرابية وأحداثها ، كما زلزل كيانه المالي في تصفية ديونها العامة ، وكان الاحتلال الأجنبي عام ١٨٨٢ ، فوقفت حركات التجديد في سائر مرافق البلاد ، وأخذ دنلوب وأعوانه يغيرون اتجاه الثقافة في المدارس المصرية ، حريصين على تغيير العقلية المصرية المعارضة لمبادئ إنجلترا السياسية ، سواء بنشر الثقافة الانجليزية في مصر ومدارسها الحكومية أم بإرسال بعوث إلى إنجلترا ، أم بإنشاء مدارس انجليزية لنشر الثقافة الغربية أم بإلقاء زمام الثقافة في مصر في أيدي الاساتذة والمستشارين الانجليز .

وأخذت المدارس المصرية تتأثر بالآراء الغربية على كل حال ، ماعدا الأزهر فانه بقي على تقاليده الصريحة وآثار الذود والدفاع عنها ، ونجم عن ذلك أن اتسمت

مسافة الخلف بين الأزهر ورجال المدرسة الحديثة ، ووجدت في مصر ثقافتان مختلفتان متعارضتان : تقوم إحداهما على التراث الشرق القديم والتخصص له وتمثل في بيئة الأزهر ، وتقوم الأخرى على العلم والتفكير الغربي الحديث وتمثل في مدارس الحكومة على شتى درجاتها ، وفي المدارس الأجنبية على اختلاف الثقافات التي تدعو إليها ، من فرنسية وإنجليزية وأمريكية وإيطالية .. وهكذا استقلت الحياة السياسية في الدولة عن الأزهر ، وترك الأزهر على حاله ، يتصرف فيه رجاله كما يريدون ، بعيدين عن توجيه السياسة المباشرة لشئون الثقافة والتعليم فيه ، وفكر الغيورون على مستقبل العلم والدين من أبنائه مليا في أمره ، ورأوا حاجته الماسة إلى الإصلاح ، فطالبوا بإصلاح مناهجه ونظمه ، ولكن هذه الدعوات قوبلت في داخل الأزهر بعصبية متطرفة في الإنكار ، بيد أن رغبات الإصلاح كانت قوية جبارة ، وكانت النهضة الحديثة تدفع الأزهر إلى التجديد العلمي ، وكان أبرز شخصية دعت إلى هذا الإصلاح هي شخصية الامام محمد عبده تلميذ جمال الدين الأفغاني ، وكان الشيخ محمد عبده يرى أن بقاء الأزهر على حاله محال ، فإما أن يعمر وإما أن يخرب وابتدأ يعمل على تغيير مناهج الدراسة والثقافة فيه : بدراسة كتابي عبد القاهر الاسرار والدلائل ، وبقراءته البصائر النصيرية ، وقد علق الشيخ محمد عبده على نهج البلاغة ومقامات البديع ، وهو مدين في أسلوبه لمقدمة ابن خلدون ، واهتم الشيخ بالإصلاح .

فاستصدر مرسوما بكسوى الشريف ، واهتم بمساكن الطلاب ومكافاتهم المالية وحدد مدة الاجازات السنوية وأدخل في مناهج الدراسة بعض العلوم الحديثة ، وعنى مكتبة الأزهر ومكتبات المعاهد التابعة له . وفي عام ١٩١١ صدر قانون رقم ١٠ الذي انتقل بالأزهر إلى مرحلة أخرى من النظام فزيدت مواد الدراسة ووجدت اختصاص شيخ الأزهر ، وأنشئ للأزهر مجلس يسمى مجلس الأزهر الأعلى ، ووضع نظام هيئة كبار العلماء وجعل لكل معهد مجلس إدارة ولكل مذهب شيخ .

وهكذا أثرت دعوات الإصلاح وأخذت تخطو بالأزهر خطوة خطوة في سبيل التجديد والنظام والثقافة ، وكان من أثرها صدور قانون رقم ٣٣ عام ١٩٢٣ خاصا بإنشاء قسم للتخصص .. ثم صدر عام ١٩٣٠ مرسوم بقانون رقم ٤٩ خاصا بإعادة تنظيم الأزهر وفروعه فقسم الأزهر إلى كليات ، وأنشئت معاهد فروعها في كثير من الأقاليم . وأنشئت أقسام الاجازات وأقسام الدراسات العليا وتخصصات

الاستاذية ، وعدل هذا المرسوم بمرسوم جديد عام ١٩٣٦ . وهكذا خطا الازهر خطوات جديدة واسعة في سبيل اصلاحه المنشود ، وصار الازهر يخرج شبانا ناضجى العقلية والثقافة .

وأصبحت مناهج الدراسة والتعليم فى الازهر تنصرف تدريجيا عن القشور إلى اللباب وعن العناية بالبحوث اللفظية إلى الاهتمام بالفكرة وفهمها ومناقشتها . ولكن رغم ذلك كله يجب أن نسأل أنفسنا من جديد . هل فرغنا حقا من خطوات الإصلاح ، وهل أثمرت هذه الإصلاحات ثمراتها المنشودة ؟ وللجواب عن ذلك نقرر الحقائق الآتية :

(١) : ما يزال المنهج العلمى السائد فى الازهر : كلياته ومعهده ، هو المنهج القديم المحافظ . ولا تزال الكتب القديمة هى أهم المقررات العلمية للطلبة .

٢ - لا يزال انتاج الازهر العلمى ضئيلا قليلا لا تكاد تحس به أو تلمس آثاره
٣ - ما تزال رغبات الإصلاح فى الازهر حائرة لا يستقر لها قرار ، ولا ندرى كيف تسير مرافق الدولة بسرعة مدهشة ويبقى الازهر وحده متخلفا عن القافلة لا يشعر بأثر الحياة فيه أحد .

٤ - ما تزال مكانة الازهر الاجتماعية فى الدولة ضئيلة وشخصيته فى المجتمع غير واضحة .

- ٣ -

وقد بسطنا تاريخ الازهر الثقافى والعيوب التى لا تزال تحيط به ، والآن نبسط رأينا فى بعض مناهج الإصلاح ، راجين أن يتفضل الغيورون على الازهر بإصلاحه وتمكينه من أداء رسالته .

إننا نريد أن يكون للازهر شخصية علمية واضحة ، وأن يكون فيه بيئة قوية مهيبة أساسها الخلق الدينى والنمو الروحى ، الذى يجب أن يشيع فى نفس كل رجل من رجال الدين .

ونرى أنه يجب علينا أن نغنى بالأمور الآتية :

أولاً : مدة التعليم فى الازهر .

وفى رأى أن يكون التعليم فى الازهر على المراحل الآتية :

(١٠ - الازهر - ثانى)

١ - مرحلة التعليم العام ومدتها ست سنوات ، وتدرس فيها إحدى اللغات الأجنبية ، وتكون مناهجها قريبة جداً من مناهج التعليم في وزارة المعارف ويجب إقصاء الكتب القديمة والحواشي عن هذه المرحلة إقصاء تاماً ، ويباح لمن ينال هذه المرحلة الالتحاق بجميع المدارس المتوسطة ، الزراعية والصناعية والتجارة والصيارف ومدارس الجيش ومدرسة أخرى تنشأ لتكوين المعلم تكويناً قوياً ملائماً للآمال المنشودة الملقاة على عاتق رجال التعليم .

٢ - مرحلة التعليم الخاص : ومدتها ثلاث سنوات ، ويعنى فيها بدراسة العلوم الدينية والعلوم الحديثة ، ولكمال دراسة لغة من اللغات الأجنبية ، ويباح لخريجى هذا القسم الالتحاق بجميع المدارس العالية وبالجامعات المصرية .

٣ - مرحلة التعليم العالى ومدة الدراسة فيها خمس سنوات ، ويمنح منها الطالب العالمية ويباح له الالتحاق بجميع وظائف الدولة وبالوظائف الدينية وسواها فى الأزهر وفروعه وفى خارجة .

٤ - مرحلة الدراسات العليا ومدتها أربع سنوات ، ويخرج منها أساتذة الكليات وأعضاء البعثات التى تسافر إلى الخارج .

ثانياً - يجب تغيير الزى الأزهرى بالزى المدنى فى المراحل الثلاث الدراسية ، أما مرحلة الدراسات الدينية فيجب الاحتفاظ فيها بالزى الأزهرى خاصة .
ثالثاً - خلق صلات ثقافية بين كلية اللغة وكليات الآداب وبين كليات الشريعة وكلية الحقوق .

رابعاً - تنظيم الأزهر وفروعه ومعاهده وهيئاته العلمية تنظيمًا حديثًا قائمًا على أساس الاستفادة من التجارب الحديثة فى التربية والثقافة والتنظيم .
خامساً - وضع الفقه الإسلامى على نظام المجموعات الفقهية الحديثة كما هو متبع فى الفقه المدنى والكتابة فيه .

سادساً - برسم برنامج واضح لإصلاح الأزهر محدد الزمن والغاية والأهداف سابعاً - يجب أن يؤلف رجال الأزهر مؤلفات حديثة فى فروع الثقافة التى تدرس فيه ليستطيع أن يفيد منها الناس كافة .

ثامناً - يجب أن يكون مستوى القضاء الشرعى والاهلى واحداً ، كما يجب إتمام مدينة الأزهر . وإنشاء كرامى الاساتذة وجعل كادر الأزهر على نظام الكادر الجامعى .

من تاريخ الأزهر المعاصر

تولى الشيخ عبد المجيد سليم المشيخة في ٢٦ ذى الحجة ١٣٦٩ هـ - ٦ أكتوبر ١٩٥٠ ، وأقيل منها في ٢ ذى الحجة سنة ١٣٧٠ هـ - ٤ سبتمبر ١٩٥١ ، وتولى مكانه في اليوم نفسه الشيخ إبراهيم حمروش .

وفي ١٤ جمادى الأولى ١٣٧١ هـ - ١٠ فبراير ١٩٥٢ أقيل الشيخ حمروش وعين مكانه الشيخ عبد المجيد سليم .

وقد استقال الشيخ سليم في ٢٧ ذى الحجة ١٣٧١ هـ ١٧ سبتمبر ١٩٥٢ م وعين مكانه الشيخ محمد الحضر الحسين ، وظل فيها إلى أن استقال في يوم ٨ يناير ١٩٥٤ وتولى مكانه الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الأزهر الحالي .

المعمرون من علماء الأزهر

في عام ١٩٥٢ احتفل بالعيد المئوي للشيخ عبد المعطي الشريفي من كبار علماء الأزهر الشريف ، متعه الله بالصحة والعمر المديد .

ومن علماء الأزهر المعمرين من عرفناهم الشيخ محمد عبد الله العربي وقد ولد عام ١٢٤٠ هـ فهو اليوم يبلغ أربعة وثلاثين ومائة عام من عمره المديد ، وقد تخرج من الأزهر عام ١٢٧٤ هـ ، واشتغل مدرسا في الأزهر ، وترك التدريس عام ١٣١٥ هـ ، وكان من شيوخه الشيخ الباجوري والشيخ عليش ، وحدثنا أن جمال الدين الافغاني حدثه أنه - أي الافغاني - من مواليد عام ١٢٣٥ هـ .

— ٨ —

مكتبة الأزهر^(١)

كان من تمام التيسير على طلبة العلم أن يكون لكل رواق مكتبة خاصة به ، تبتدىء بعدد قليل من الكتب يقفها أهل الخير ثم يتكاثر ، وعلى هذا كان لكثير من الأروقة مكتبات خاصة لا تخضع لأنظمة المكتبات التي عرفت أخيرا ، بل كان الارتفاع بها متروكا لمن ينشده من أهل الرواق أو غيرهم ، وليس في التاريخ نص صريح على أنه كان للأزهر مكتبة عامة قبل هذه المكتبة ، كما أنه يتعذر تحديد الوقت الذي نشأت فيه مكتبات الأروقة ، وكل ما يمكن أن يقال عنها : أنها قديمة أو قديمة جدا .

(١) من تقرير للأستاذ مدير مكتبة الأزهر : الشيخ أبو الوفا المراغي - مجلة الأزهر

وقد لبثت مكتبات الأروقة على النحو الذي ذكرناه من عدم الضبط وإهمال الرقابة إلى عهد محمد عبده ، فقد كان فيما تناوله تفكيره في الإصلاح إنشاء مكتبة أزهرية عامة تجمع شتات هذه الكتب المنفرقة في مكتبات الأروقة ، وتحفظ ما بقي من ذلك التراث العلمي الذي خلفه علماء الجامع الأزهر في العصور المتعاقبة من العبث والضياع . فقد ذكر بعض الباحثين أن كثيرا من نفائس الكتب التي كانت مودعة بمكتبات الأروقة تسرب إلى أيدي علماء أوروبا بواسطة سماسرة الكتب واستغلال الجهل والضعف الخلق في نفوس القائمين على هذه المكتبات ، دخن رنى تنظيم الجامع الأزهر وتوحيد مكتبته ظهر وهن الضمائر وضعف النفوس وإهمال الواجب نحو الكتب التي لعبت بها أيدي الضياع ، فتسرب بعضها وأهمل البعض الآخر للحشرات والأثرية فتلفت أوراقها وبليت ومزقت وخرمت وقطعت جلودها ، وأصبح لا يوجد منها كتاب سليم مستقيم إلا ما ندر ، ويظهر للباحث أن كتب الأزهر قبل سنة ١٨٩٧ كانت تسرب لتصيدية المتربصين لها منتهزين فرصة وجودها في عهدة أشخاص ملأ الجهل صدورهم وتبرأت الأمانة من قلوبهم بداعي الحاجة أو الاغراء ، فأساءوا للتعليم وخانوه جهلا أو عمدا أو تقصيرا من أولى الشأن ، فبدد هؤلاء الأشخاص أئمن ماترك السلف ثروة للخلف من هذه الكتب القيمة ، وتصرفوا فيها تصرف الملاك فباعوها مع نفاستها بأئمن البخس ، ولا أدل على مقدار ما فقدت مكتبات الأزهر في الماضي من المثال الآتي : « حوالى سنة ١٢٧٠ ١٨٥٣ م أمر ديوان عموم الأوقاف بجرد كتب مكتبات المساجد والتكايا وأروقة الأزهر وحاراته وقيدت جميعها في سجلين جامعين ، خصص أولهما لمكتبات الجامع الأزهر ، وثانيهما لمكتبات المساجد والتكايا ، وقد بلغ مجموع المجلدات الموجودة في ذلك الوقت في مكتبات أروقة الأزهر وحاراته ١٨٥٦٤ مجلدا . فاذا رجعنا الآن إلى هذا السجل التاريخي فلا نجد من أئمن الكتب وأنفسها إلا أسماءها ، وكان هذين السجلين أنشأا ليكونا في الواقع مرشدا لأيدي الاغتيال التي عمدت إلى أنفاس ما في المكتبات من المؤلفات الأصيلية القيمة فاتتهبتا انتهابا . « وأغرب من هذا أن نفس السجلين تسربا أيضا إلى أيدي أجنبية خارج الأزهر ولم يعودا إليه إلا بالشراء سنة ١٩١١ م ودفع لها ثمن قدره ١٥٠ قرشا ، وأعيد قيدهما بالمكتبة .

ويقول الأستاذ عبد الكريم سلمان : « كان في الأزهر خزائن كتب وضعت في بعض الأروقة والحارات وبعضها في المساجد القريبة كجامع الفاكحاني وجامع العيني

ونيط حفظها جميعها بأشخاص يقال لهم «المغيرون» فتصرفوا فيها تصرفا سيئا للغاية صبح معه إطلاق اسم «المغيرين» عليهم ، لأنهم غيروا وضعها وشتتوا جمعها ، ومزقوا جلودها وأوراقها ، وتركوا مالا عناية لهم به منها في التراب يأكله العث ويبليله التراب ، وهذا غير ما تصرفوا فيه تصرف الملاك وطاربا يدي باعة الكتب ، يباع على نقاسته بالثمن البخس ، ولم يبال المتصرف الاول والباعة بما كتب على ظهور تلك الكتب من العبارات التي تفيد وقفها على طلبة العلم والعلماء ، وبالجملة فلم يكن ليعرف للكتب قيمة ، ولا لينتفع بها لعدم إمكان الانتفاع . ولقد كان تعرض كتب الاروقة والحارات للضياع والتسرب إلى أيدي المترصدين لها ممن يعرف مقدارها ، هو الذي أوحى إلى الامام بفكرة إنشاء المكتبة ، وقد تقدم بها إلى مجلس إدارة الازهر وكان ذا نفوذ فيه فنالت القبول من أعضائه ، وبخاصة من الشيخ حسونه النواوي ، والشيخ عبد الكريم سلمان الذي كان عضدا قويا للأستاذ الامام في حركات إصلاح الازهر ، ووافق عليها المجلس واختار المكان المناسب ، وكتب لديوان الاوقاف الذي كان يتولى الاشراف على شئون الازهر لاعداده للهمة التي اختير لها ، فنفذت الفكرة فعلا من أول سنة ١٨٩٧ م الموافق شعبان سنة ١٣١٤ ، وقد لاقى صاحب الفكرة عناء عظيما في إقناع أهل الاروقة بفائدتها ، ورغم ما بذله من المحاولات في هذا السبيل فقد امتنع أهل بعض الاروقة عن ضم مكتباتها إلى المكتبة العامة كرواق الاتراك ورواق المغاربة ، وقد ضمت مكتبة الصعايدة إلى المكتبة العامة سنة ١٩٣٦ ، ولحق المباشر للتعفيذ صعوبات جمة في ترميم الكتب وإصلاحها وترتيبها للحالة السيئة التي كانت عليها في خزائن الاروقة كما أسلفنا . ويصور الشيخ عبد الكريم سلمان هذه الصعوبات كلها ، فيقول :

« حملت تلك الكتب من خزائنها إلى المكان الجديد ، فكان يأتي بها أولئك المغيرون محشوة في الزكائب والمقاطف ، ثم يفرغونها تلالا وأكواما عليها خيوط العناكب وبينها الاتربة ، ويتخللها الجلود البالية ، وليس بينها من كتاب سليم مستقيم الوضع إلا مالا يكاد يذكر ، وبجانبي أولئك الموظفون المسكفون بجمعها وترتيبها وأعضاء المجلس والأمين يراقبون عملهم ويرشدونهم إلى الطريق الأقوم ، فعملوا وكدوا واستخلصوا من بين هذه الدثوث والاوراق المتفرقة كتباً معتبرة في كل الفنون ، وكان معهم مندوب من ديوان الاوقاف وموظف آخر نيط به تقويم كل كتاب وجد أوجع بالثمن اللاتق به ، وقيدت في دفاتر بأعداد متسلسلة ،

واستلها الامين بأثمانها المقدرة لها ، ثم اشتغلوا بعد ذلك في توحيد الفنون ، وقرروا لكل فن موضعا مخصوصا من المكان ، وقد استغرق عملهم هذا أزمانا طويلا كانت كلها أتعابا ومشاق ، وإنى لا أعرف كتباً كثيرة مما نجده الآن كاملاً كان الكتاب الواحد منها بعضه في خزانة فلان ، وبعضه الآخر في خزانة فلان ، وبقية في خزانة فلان . ولم تجمع أجزاءه بعضها على بعض إلا بطريق المصادفة الحسنة ، وأعرف كذلك أن بعض الكتب النفيسة النادرة الوجود وجد في دشت كان في خزائن الجامع العيني ولم يعبا به أحد ممن تولوا تغييرها للطلاب ، ولم يعن بفرز الدشت لتوحيد تلك النفائس ، إلا بعد أن كان قد صدر أمر أحد مشايخ الجامع بإحراقه وتدارك الامر من يعرف قيمة العلم ولا يبالي بالتعب في المحافظة عليه ، وقد رأيت بعيني كثيراً من المصاحف الشريفة وهى بين الأتربة مع أنها من أجود المصاحف خطاً وورقاً وفيها من الفوائد وعلوم التجويد ما لا يوجد في سواها ، وغير ذلك كثير فكنتى بما ذكرناه ، فما الغرض إلا بيان حالها قبل جمعها ، وفي هذا القدر ما يكفى .

ولم يكتف الأستاذ الامام في تكوين المكتبة بما جمع من مكنتات الاروقة ، بل دعا العظماء والعلماء إلى المشاركة في فضل تكوينها ، واستعان في ذلك بنفوذه عندهم ومكاتبهم لديهم ، فاستجاب لدعوته بعض هؤلاء ، ووهبها الشيخ حسونة مكتبته الخاصة ، ووهبها ورثة سليمان باشا أباطه مكتبة والدهم ، وكان المرحوم سليمان أباطه من خاصة أصدقاء الشيخ ، وكان أبناؤه يعدون الشيخ كوالدهم في العطف والرعاية ، وهذه المكتبة أنفس المكتبات الخاصة بالمكتبة الازهرية .

وتشغل المكتبة الازهرية الآن ثلاثة أمكنة : اثنان منها داخل الأزهر وهما : المدرسة الأقبغاوية والمدرسة الطيبرسية ، والثالث خارج الأزهر ملاصق له وهو الطابق الثانى من بناء أنشأته مشيخة الجامع الأزهر سنة ١٩٣٦ كملحق للإدارة العامة المجاورة للأزهر . ولقد تم المكانين الأولين وقيمتهم لم يتاخرهما : أما المدرسة الأقبغاوية فهى على يسار الداخل إلى الأزهر من باب الغربى الكبير « باب المزينين » وقد أنشأها الأمير أقبغا على نظم المدارس الإسلامية لهذا العهد ، والمدرسة الإسلامية لهذا العهد مسجد له خصائص المساجد من منارة ومحراب وميضأة ونحو ذلك ، إلا أنه تقام فيه الحلقات الدراسية فيقال له مدرسة ، وأنشأ بها مدفناً به قبة تعتبر من نواذر الفن الإسلامى في العمارة إلا أنه لم يدفن به ودفن بالاسكندرية ، وانتهت عمارة المدرسة سنة ١٩٤٠ هـ . ومن الطرائف التاريخية عن هذه المدرسة

ما يرويه المؤرخون من أنها « مدرسة مظلمة ليس عليها من بهجة المساجد ولا أنس بيوت العبادات شيء البتة » ، ويعلمون ذلك بأن منشئها اغتصب مكانها من مالكمها وسخر العمال في عمارتها وحصل على مواد البناء ولوازم العمارة بطريق الغصب أو الخيانة ووقف على هذه المدرسة أوقافا وشرط في كتاب وقفه ألا يلى النظر أحد من ورثته وأقبغا هو الأمير علاء الدين ، كان زقيقا للتاجر عبدالواحد ابن بدال اشتراه منه الناصر قلاوون ، ورفعاه حظه وذكأؤه إلى مراتب الموظفين ، وتقلب في مناصب الدولة المختلفة ، إلى أن قتله الملك الصالح عماد الدين فى الفتنة بينه وبين أخيه أحمد الناصر . أما المدرسة الطيرسية فهى على يمين الداخل إلى الأزهر من باب الغربى المذكور ، وقد أنشأها علاء الدين الطيرس نقيب الجيوش المصرية ، وفرغ من عمارتها سنة ٧٠٩ هـ وجعل له بها مدفناً دفن به ، وقد عرف بالصلاح والتقوى ، فاتفق أنه لما فرغ من بناء هذه المدرسة أحضروا له حساب مصروفها فاستدعى بطست فيه ماء وغسل أوراق الحساب بأسرها من غير أن يقف على شيء عنها ، وقال : « شيء خرجنا عنه لله لا نحاسب عليه » .

وقد شغلت المكتبة أولا المدرسة الاقبغوية ، لاتساعها واستقلالها بعض الاستقلال ، ولما ضاقت بالكتب ضمت إليها المدرسة الطيرسية . ويقول الشيخ عبد الكريم سليمان : « ولما جاءت للمجلس فكرة جمع هذه الكتب فى مكان واحد وإصلاح ما أفسدته منها هذه الأيدى وتسهيل الانتفاع بها اختار المكان المعروف فى الأزهر برواق (الابتغوية) وكتب لديوان الأوقاف سنة ١٣١٤ فأرسل من أخذ المقايسة لاصلاحه وإنشاء ما يلزم له من الخزائن التى توضع فيها الكتب ، ثم عرض الأمر على ولى الأمر فآقره مستحسنأله ، وخرج هذا العمل من القوة إلى الفعل وتبها المكان لما وجدله من وضع الكتب وحفظها فيه ومن الانتفاع بها تحت ضوابط ونظامات ، وشرع عملها فى إنقاذ ما عهد إليهم من أول مايو سنة ١٨٩٧ الموافق شعبان سنة ١٣١٤ ، ويقول : واشتريت كتب كثيرة من كثير من التركات حتى ضاق بها المكان على سعته ، فاضطر المجلس إلى اخذ مكان آخر من الأزهر أصلحه ديوان الأوقاف وعمل فيه ما عمل فى الاول ، وامتلات خزائنه أيضا بمعتبرات الكتب ونقائسها مما يتجدد شراؤه كل مام .

وبالمدرسة الاقبغوية الآن المكتبة العامة بجميع فنونها ، وبقبتها الخارجية ، ودهليزها مكتب الامين وإدارة المكتبة ، وبالمدرسة الطيرسية طائفة من كتب

الفنون التي تدور حولها الدراسات الازهرية ، كال تفسير ، والحديث ، والفقه المالكي ، والحنفي ، والشافعي ، والحنبلي ، والبلاغة ، والنحو ، والصرف .. وبالمبنى الجديد مكتبتا الشيخين المغفور لهما الشيخ الامباري والشيخ بخيت ، والامكنة المشار إليهما لم يلاحظ في إنشائها أن تكون مكتبة ، لهذا فهي غير وافية بالغرض الذي تؤديه ، وتفقد كثيراً من الامور التي يجب توافرها في أبنية المكتبات ، ويكفي للتدليل على ذلك أن المكتبة تفقد أهم خواص المكتبات ، وهي قاعة المطالعة ومكان الادارة ، وليس لها مرافق خاصة بها ، وينقصها الاحكام في الابواب والنوافذ لمنع تسرب الاتربة والحشرات .

وكان عدد الكتب التي ابتدأت بها المكتبة سنة ١٨٩٧ - ٧٧٠٣ كتاباً منها : ٦٦١٧ كتاباً بطريق الاهداء ، و ١٠٨٦ بطريق الشراء وعدد فنونها ٢٧ فناً وهي : المصاحف ، القراءات ، التفسير ، الحديث ، الاصول ، النحو ، الصرف ، البلاغة ، فقه أبي حنيفة . فقه مالك ، فقه الشافعي ، فقه أحمد بن حنبل ، المجاميع ، التوحيد ، المنطق ، التاريخ التصوف ، الادب والمديح ، الآداب والمواعظ والفضائل ، الاحزاب والاوراد والادعية ، الوضع وآداب البحث والعروض ، الفلك والميقات ، مصطلح الحديث الفنون المتنوعة ، الحساب والهندسة ، اللغة ، الطب ، وقد بلغت فنون المكتبة سنة ١٩٤٣ - ٥٨ فناً وبلغ عدد مجلداتها ٩٠٠٧٥ مجلد

وبالمكتبة الازهرية مكتبات خاصة حملت الغيرة الدينية أصحابها أو ورثتهم على إهدائها للمكتبة الازهرية ليكون نفعها وقفاً على العلماء وطلبة العلم بالازهر ابتغاء مغفرة الله ورضوانه ، ويذكر لأصحابها هذا العمل بالثناء مقروناً بالدعاء أن يحسن الله لهم الجزاء ويهبهم الثواب ، وهذه المكتبات وإن كان بعضها مستقلاً بمخزائنه كشروط أصحابها إلا أنها مسجلة ومفهرسة ضمن المكتبة العامة ، ويجري الانتفاع بهما معاً دون تمييز ، وهذه هي أهم هذه المكتبات مرتبة حسب أهميتها :

١ - مكتبة سليمان أباطه باشا ، وقد أهداها ورثته إلى الازهر سنة ١٨٩٨ م عملاً بمشورة الامام محمد عبده كما أسلفنا ، وهي أنفس المكتبات الخاصة بالمكتبة الازهرية ، يستأثر فناً التاريخ والادب بغالب كتبها ، وتتماز بكثرة المخطوطات وبخاصة الفنين المذكورين ، وعدد مجلداتها ١٤٨٤ مجلداً ، وبها جملة صالحة من مطبوعات أوروبا .

٢ - مكتبة حلیم باشا ، وقد وزعت بین المكتبة الأزهرية ووزارة المعارف فی أغسطس سنة ١٩١٢ ، وخص المكتبة الأزهرية منها نحو ٢٨٥٧ مجلدا ، ویظهر من فنونها : القراءات والحديث والتصوف والطب والفلك والتاریخ ، وبها كتب فی بعض الفنون باللغات التركية والفارسية ، وكثیر من كتبها بخطوط جيدة موشاة بالذهب .

٣ - مكتبة الشیخ عبدالقادر الرفعی المفتی المتوفی سنة ١٣٢٣ هـ وقد وقفت بخزائنها الخاصة بها علی الأزهر فی مارس سنة ١٩٢٧ م ووضعت فی حجرة خاصة بها ، وعدد مجلداتها ١٤٥٧ مجلدا ، وهی أغنی المكتبات الخاصة بفن الفقه الحنفی ، وبها مخطوطات فی هذا الفن یقال إنها من النوادیر العالمية كشرح السندی علی الدر المختار .

٤ - مكتبة المغفور له الشیخ محمد نجیب المطیعی مفتی الدیار المصرية المتوفی سنة ١٩٣٥ م وقد وقفها فی حیاته بخزائنها الجمیلة ، ونفذ ورثته رغبته سنة ١٩٣٨ م ، وعدد مجلداتها ٣٣٦٥ مجلدا فی فنون مختلفة یغلب فیها الفقه علی مذهب أبی حنیفة .

٥ - مكتبة المغفور له الشیخ الامبانی شیخ الجامع الأزهر المتوفی سنة ١٣١٣ هـ ، وقفها علی طلبة العلم ، وجعل مقرها منزله بالظاهر ، وجعل لها مغیراً بمرتب مما وقفه من ماله علی جهات البر ، وقد خشیت علیها وزارة الأوقاف فأهدتها إلی المكتبة الأزهرية سنة ١٩٤١ م ، وعدد مجلداتها ١٤٥٢ مجلداً ، وبها مخطوطات نادرة فی الفقه الشافعی .

٦ - مكتبة یسیم آغا ، كانت برواق الجبرت ، ورغب فی نقلها إلی المكتبة الأزهرية بخزائنها ، فتمت رغبته سنة ١٩٢٥ م ، وبها نحو ألف مجلد فی مختلف الفنون

٧ - مكتبة الشیخ العروسی شیخ الجامع الأزهر المتوفی سنة ١٢٩٣ هـ ، وقد أهداها ورثته إلی المكتبة الأزهرية سنة ١٩٣٨ م ، وعدد مجلداتها ٨١٨ مجلداً . وكتبها كلها تقریباً بخطوط قديمة وحديثة ، وبها نوادیر فی النحو والتاریخ .

٨ - مكتبة الشیخ إبراهیم السقا وأخیه الشیخ عبدالعظیم السقا ، أهدیت إلی المكتبة الأزهرية سنة ١٩٢٧ م وعدد مجلداتها ٥٩٠ مجلداً ، وبها نوادیر من الكتب الخطیة .

٩ - مكتبة إبراهیم بك حفظی ، وقد أهدیت إلی المكتبة الأزهرية سنة ١٩٢٢ م ، وعدد مجلداتها الآن نحو ٣٩٢ مجلداً ، وهی فی نمو مستمر وتجدد دائم ، فقد وقف علیها مهدیها مبلغاً سنوياً خصص نصفه لشراء كتب رسمها ونصفه لل تغییرین بها .

١٠ - مكتبة المغفور له الشيخ حسونة النواوى شيخ الجامع الأزهر المتوفى سنة ١٩٢٥ م ؛ وبها كتب كثيرة فى فنون مختلفة ، أهداها إلى المكتبة الأزهرية عقب إنشائها لتكون نواة للمكتبة ، ولتحرك بها همم أهل الخير إلى تعضيد مشروعاتها ،
١١ - مكتبة الشيخ الجوهري ، وقد أهديت إلى المكتبة سنة ١٩٢٨ م ، وعدد مجلداتها ٣٤١ مجلدا .

١٢ - مكتبة المرحوم الشيخ محمد عبد اللطيف الفحام المتوفى سنة ١٩٤٣ ، أهداها ورثته إلى المكتبة إثر وفاته ، وبها نحو ألف مجلد .
وبالمكتبة الأزهرية مكتبات أخرى كمكتبة رضوان باشا ومختار باشا وثابت باشا ورشيد باشا وبعض مكتبة مدرسة القضاء وبعض مكتبة زكى باشا ومكتبة رواق الصعايدة .
وبما تختص به المكتبة الأزهرية كثرة المخطوطات بالنسبة إلى مجموع كتبها ، وقد بلغت المخطوطات إلى سنة ١٩٤٢ م ٢٤٠٠٠ مجلد تقريباً .

انتهى الجزء الثانى

ويليه الجزء الثالث

وأوله

الباب السابع : رسالة الأزهر

فهرست الجزء الثانى من كتاب

الازهر فى ألف عام

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٥١	الشيخ نافع الخفاجى	٣	الباب الرابع : أعلام من الازهر
٥٦	أزهيون فى سجل التاريخ		الحديث
٥٧	الباب الخامس : صور من الازهر	٣	محمد عبده والاصلاح الدينى ✓
	القديم والحديث	٧	سعد زغلول فى الازهر
٥٧	أوقاف قديمة للازهر	١٢	أزهيون ناهون
٥٧	الشيخ السيوطى الازهرى	١٣	الشيخ محمد رشيد رضا
٥٩	الحفى شيخ الازهر	١٩	الشيخ محمد شاكر
٦١	الاجازات العلمية فى الازهر القديم	١٩	مشايخ السادة المالكية
٦٢	الاجازات فى القرن التاسع عشر	٢١	الشيخ البحر اوى
٧٧	الاجازات فى الازهر الحديث	٢٢	الشيخ محمد بن حيت
٧٨	الكليات وشهاداتها العلمية	٢٣	الشيخ حسين والى
٨١	إصلاحات جديدة فى الازهر	٢٥	الشيخ محمد الفحام
٨٣	المكفوفون فى الازهر	٢٦	الشيخ يوسف الدجوى
٨٣	لجنة الفتوى بالازهر	٣٠	الشيخ عبد الحكم عطا
٨٤	مجلس الازهر الاعلى	٣٢	الشيخ محمود الدينارى
٨٤	العلماء والطلاب	٣٣	الشيخ السرقى
٨٥	ميزانية الازهر	٣٣	الشيخ عبد المجيد اللبان
٨٦	الازهر فى صحائف الذكرى	٣٤	الشيخ عبد الوهاب النجار
٨٩	نداء من علماء الازهر	٣٥	الشيخ عبد الرحمن الجزيرى
٩١	شوقى والازهر	٣٦	الشيخ محمد أبو النجا
٩٣	هيكل الازهر القديم	٣٧	الشيخ محمود أبو العيون
١٠٣	الباب السادس : صور من النشاط العلمى فى الازهر	٤٥	الشيخ عبد الحليم قادوم
١٠٣	الازهر والحركة الفكرية المعاصرة	٤٦	الشيخ عبد العزيز المراعى
		٤٩	الشيخ فكرى ياسين

الموضوع	الصفحة
بعوث الازهر العلمية	١٠٦
منهج الدراسة بالازهر منذ إنشائه	١٠٩ X
الدراسة فى الازهر قبل النظام	١١٤ X →
قوانين الازهر	١١٤
الدراسة فى الازهر الحديث	١٢٣ X →
التعليم فى الازهر	١٢٥
جماعة كبار العلماء	١٢٧
الدراسات العليا فى الازهر الجامعى	١٣١ X
الصلات العلمية بين الازهر والجامعات	١٣٦
حياة الازهر الثقافية	١٣٦
مكتبة الازهر	١٤٧
فهرست الكتاب	١٥٥

من مطبوعات المؤلف

- ١ - شاعر وكتاب
 - ٢ - الإسلام ومبادئه الخالدة
 - ٣ - أسلوب الإنشاء
 - ٤ - الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام
 - ٥ - د في ظلال الأمويين والعباسيين
 - ٦ - أعلام الأدب
- وهذه الثلاثة الأخيرة بالاشتراك مع الاستاذين : حسن جاد وعبد الحميد المسعود
- ٧ - أعلام الشعر الجاهلي : بالاشتراك مع الأستاذ سرحان
 - ٨ - الإسراء والمعراج
 - ٩ - قصة المولد النبوي
- وهما للشيخ نافع الخفاجي ونشر المؤلف
- ١٠ - شرح متن التلخيص في البلاغة
 - ١١ - شرح على متن الأجرومية في النحو
 - ١٢ - الكرماء لأبي هلال العسكري . ومعه دراسة عن أثر أبي هلال في البلاغة
 - ١٣ - شرح على شفاء الغليل للشهاب الخفاجي
 - ١٤ - فصيح ثعلب في اللغة
 - ١٥ - مقدمة لكتاب سرفصاحة
 - ١٦ - ميزان الشاعر
 - ١٧ - تعليق على كتاب « أدب الدنيا والدين »
- بالاشتراك مع الاستاذ حسن جاد

الأزهر في ألف عام

موسوعة تاريخية كبرى ، في تاريخ الأزهر ، وأعلامه ، ورسالته ،
ومناهج الدراسة فيه ، ونشاطه العلمي ، والفكري ، والروحي ،
وذكرياته القومية ، ومواقفه الوطنية ، خلال ألف عام أو يزيد ..
٧٠٠ صفحة - ثلاثة أجزاء - كل جزء ثلاثة أبواب كبيرة

من بحوث الجزء الثالث : رسالة الأزهر - آراء للأزهر في مشكلاتنا
الفكرية - من شيوخ الأزهر المعاصرين - الأزهر منارة
الثقافة الإسلامية ...

اعلام الأدب

في عصر بني أمية

دائرة معارف كبيرة عن العصر الأموي بأحداثه وأعلامه -
وموسوعة كبيرة عن الأدب الأموي شعره ونثره - ووثيقة
تاريخية فريدة عن الحياة الفكرية والاجتماعية والسياسية في هذا العصر
الحافل بالتيارات المتضاربة - وتراجم مستفيضة للأدباء والكتاب
والخطباء والشعراء ، والمدارس والمذاهب المتنوعة التي ظهرت
في الشعر الأموي .

الجزء الأول ٢٣٢ صفحة - والثاني في نحو ٢٥٠ صفحة

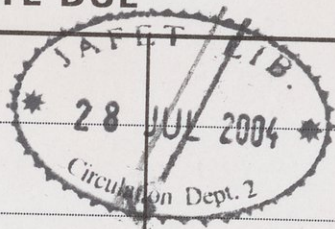
تأليف

محمد عبد المنعم خفاجي

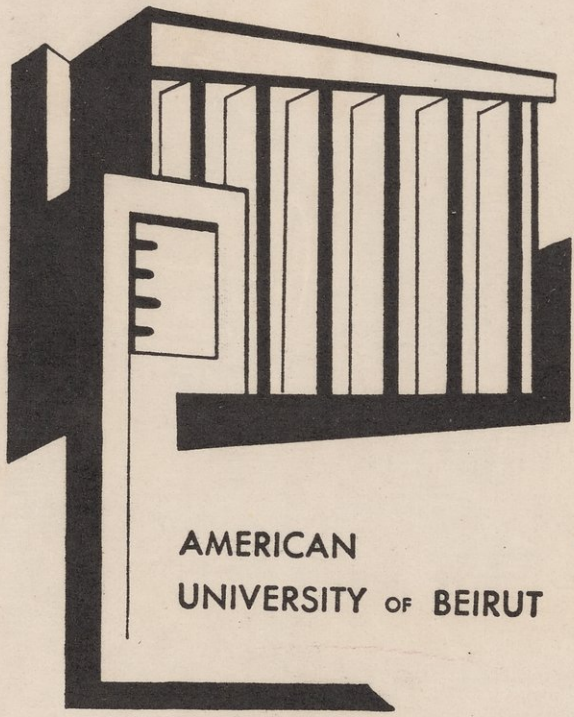
نشر

رابطة الأدب الحديث

DATE DUE

A circular library stamp is located in the top right corner of the page. The stamp has a scalloped border and contains the text "JAFET LIB." at the top, "28 JUL 2004" in the center, and "Circulation Dept. 2" at the bottom. There are small stars on either side of the date. A diagonal line is drawn across the stamp. The background of the page is a grid of horizontal and vertical lines.

خفاجي، محمد عبد المنعم
الازهر في ألف عام
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01023541



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

